

البرهان في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

تقيق

محمداً بنو الفضل إبراهيم

المجلد الثالث

تدار التراث

شارع الجمهورية - القاهرة



البرهان في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

المجلد الثالث

الطبعة الثانية
[منقحة معرورة]

منشأة
دار الشُّرُك
٢٤ شارع الجمهورية - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الحادي عشر

المتنى وإرادة الواحد (*)

كقوله تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الثُّرَاثُ وَالْعَرَجَانُ﴾^(١) ؛ وإنما يخرج من أحدهما .
ونظيره قوله تعالى : ﴿وَمِنْ كُلِّ ثَمًا كَلٌّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾^(٢) ، وإنما تخرج الحلية من «الملح»^(٣) ، وقد غلط في هذا المعنى أبو ذؤيب
الهندلي حيث ، قال يذكر الدرة :

فجاء بها ما شئت من لَطْمِيَّةٍ يَدُومُ القَرَاتُ فوقها ويموج^(٤)
والقرات لا يدوم فوقها ؛ وإنما يدوم الأجاج .

وقال أبو علي في قوله تعالى : ﴿هَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرَّيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٥) : إن ظاهر
اللفظ يقتضى أن يكون من مكة والطائف جميعاً ؛ ولما لم يمكن أن يكون منهما ، دل المعنى
على تقدير : «رجل من إحدى القرينتين» .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي يَمِينٍ نُورًا﴾^(٦) أى في إحداها .

* تابع أقسام التوكيد ؛ وهو الأسلوب الأول من أساليب القرآن ، المندرجة تحت النوع السادس
والأربعين ؛ وأوله في الجزء الثاني من ٢٨٢

(٢) سورة طاهر ١٢

(١) سورة الرحمن ٢٢

(٣) وهو المذكور في أول الآية من قوله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ

سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ . . .﴾

(٤) ديوان الهذليين ١ : ٥٧ . واللطمية : الدرة المنسوبة إلى اللطمية ؛ وهي السوق التي تباع فيها
المطريات . ويدوم القرات ؛ من دام الماء بمعنى سكن وركد . وروى بعضهم : «يدوم البجار» مكان
«القرات» ؛ وهذا يعلم البيت من التقيد ، وانظر ديوان الهذليين وحواشيه .

(٦) سورة نوح ١٦

(٥) سورة الزخرف ٣١

وقوله تعالى: ﴿نَسِيتُ الْخُلُوتَ﴾^(١)؛ ولكن أضيف النسيان لهما جميعا لسكوت موسى عنه .
وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ﴾^(٢)
والتعجيل يكون في اليوم الثاني ، وقوله: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ﴾ ، قيل: إنه من
هذا أيضا ، وإن موضع الإيم والتعجيل يحمل للتأخر الذي لم يقصر مثل ما جعل للمقصر .
ويحتمل أن يراد: لا يقولن أحدهما لصاحبه: أنت مقصر؛ فيكون المعنى: لا يؤثم أحدهما
صاحبه .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْنِسُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ﴾^(٣) .
وقوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾^(٤) ، أى أحدهما ، على أحد القولين .
وقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾^(٥)
فالجناح على الزوج لأنه أخذ ما أعطى ؛ قال أبو بكر الصيرفي: المعنى: فإن خيف من
ذلك جازت الفدية ، وليس الشرط أن يجتمعا على عدم الإقامة .
وقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾^(٦) ، قيل هو خطاب لذلك . وقال البرد: تناء على
« ألقى » ، والمعنى: ألقى ألقى^(٧) ، وكذلك القول في « قفا »^(٨) وخالفه أبو إسحاق ،
وقل: بل هو مخاطبة للسكران .

(١) سورة الكهف ٦١ ، ٦٢
(٢) سورة البقرة ٢٠٣
(٣) سورة النساء ١١
(٤) سورة الأعراف ١٩٠
(٥) سورة البقرة ٢٢٩
(٦) سورة ق ٢٤
(٧) نقله صاحب الكشاف ٤ : ٣٠٧ ، والعبارة فيه: « إن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل؛
لاتحادهما كأنه قيل: ألقى ، ألقى . »
(٨) يشير إلى ما نقله صاحب الكشاف أن العرب أكثر ما يرافى الرجل منهم اثنان ؛ فكثير على
السكران أن يقولوا: خليلي وصاحبي ، وفنا وأسعدنا ؛ حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين .

وقال القراء في قوله تعالى : ﴿ فَبَيِّضْ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾^(١) قال : يخاطب
الإنسان مخاطبه بالتثنية .

وجعل منه قوله تعالى : ﴿ وَلَيْنَ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾^(٢) : وقوله تعالى :
﴿ جَنَّاتٍ ﴾^(٣) قيل : جنة واحدة بدليل قوله تعالى^(٤) آخر الآية : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾^(٥)
فأفرد بعد مائتي .

وقوله : ﴿ كَلِمَاتٍ أَتَتْ أَكْثَرَهُنَّ ﴾^(٦) فإنه مائتي هنا إلا للإشعار بأن لها
وجهين ، وأنت إذا نظرت عن عينك ويسارك رأيت في كتابنا الناجيتين ماعلاً بهينك قوة ،
وصدرك مسرة .

وقوله تعالى : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٧) وإنما
المتخذ إلهاً عيسى دون مريم ؛ فهو من باب « والنجوم الطوالع »^(٨) قاله أبو الحسن ، وحكاها
عنه ابن جني في كتاب « اللد » وعليه حمل ابن جني وغيره قول امرئ القيس :
* قِنَا نَبُوكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ *^(٩)

(١) سورة الرحمن ١٣

(٢) سورة الرحمن ١٦

(٣) سورة الكهف ٣٢ ، والآية : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ
مِنْ أَغْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ... ﴾

(٤) كذا في الأصل ؛ ولعل صواب العبارة : « بعد هذه الآية » .

(٥) سورة الكهف ٣٥

(٦) سورة الكهف ٣٣

(٧) سورة المائدة ١١٦

(٨) إشارة إلى بيت الفرزدق :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ

ديوانه ٥١٩ ، و « لنا قراها » يريد الشمس والقمر ، وانظر جني المجتبين ١٢٧

(٩) ديوانه ٨ وبقيته :

* بِسْطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلٍ *

ويؤيده قوله بهذه :

* أَصَاحَ تَرَى بِرَقَا أَرِيكَ وَمِيضُهُ *^(١)

وقول الفرزدق :

عَشِيَّةَ سَأَلَ الْمِرْبَدَانِ كَلَامَهَا
وإنما هو مرئيد البصرة فقط .

وقوله : « ودار لما بالرقتين »^(٢)

وقوله : « بيطن للكتين »^(٣)

وقول جرير :

لَا مَهْرَتُْ بِالْأَبْرِيْنِ أَرْقِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ النَّوَاقِيسِ^(٤)
قالوا : أراد « دير الوليد »^(٥) ؛ فتناء باعتبار ما حوَّله .

القسم الثاني عشر

إطلاق الجمع وإرادة الواحد

كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾^(٦) ، إلى قوله : ﴿ فَذَرْنَهُمْ

(١) ديوانه ٢٤ وبقية :

* كَلَمَعَ الْيَدَيْنِ فِي حُمِيٍّ مُكَلَّلٍ *

(٢) ديوانه ٨٦١ ؛ وروايته : « عجاجة موت » . (٣) من قول زهير :

وَدَارِ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِعُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِيرِ مَعْصَمٍ

ديوانه ٥٠٠ . والرقتان : روضتان بناحية الصمان ؛ وهو هنا من اللثى الحقيق ؛ فلا يكون موضعا للشاهد .

(٤) أورد الهمداني منه قول الشاعر :

فَقُولَا لِأَهْلِ الْمَكْتَنِ تَحَاشَدُوا وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ بَثْرَبٍ وَالتَّخَلَّ

(٥) ديوانه ٣١١

الأنبا ٣ : ١٨٤

(٦) سورة « المؤمنون » ٥١

(٦) دير الوليد ؛ بالشام ، قاله ياقوت .

فِي غُرَّتِهِمْ حَتَّى حِينٍ^(١) ، قال أبو بكر الصيرفي : فهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده ؛ إذ لا نبي معه ولا بعده .

ومثله : (نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...)^(٢) الآية ، وهذا مما لا شريك فيه ، والحكمة في التعبير بصيغة الجمع أنه لا كانت تصاريف أفضيته سبحانه وتعالى تجري على أيدي خلقه نزلت أفهام منزلة قبول القول بمورد الجمع .

وجعل منه ابن فارس قوله تعالى : (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظَرَنَاهُ إِلَى بَرْجِعِ الْمُرْسَلُونَ)^(٣) ، والرسول كان واحدا ، بدليل قوله تعالى : (أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ)^(٤) . وفيه نظر ؛ من جهة أنه يحتمل مخاطبة رئيسهم ، فإن العادة جارية - لاسيما من الملوك - ألا يرسلوا واحدا .

ومنه : (فَهَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفَكُمُ)^(٥) وغير ذلك ؛ وقد تقدم في وجوه المخاطبات^(٦) .

ومنه : (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ)^(٧) ، والمراد جبريل . وقوله : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)^(٨) ، والمراد محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله : (الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ الْإِنْسُ)^(٩) ؛ والمراد بهم ابن مسعود الثقفي^(١٠) ؛ وإنما

(١) سورة الزخرف ٣٢ .

(١) سورة المؤمنون ٥٤ .

(٢) سورة النمل ٣٧ .

(٣) سورة الشعراء ٢١ .

(٤) الجزء الثاني ص ٢١٧ وما بعدها .

(٥) سورة النحل ٢ .

(٦) سورة النساء ٥٤ .

(٧) سورة آل عمران ١٧٣ .

(١٠) روى أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد : يا محمد ، موعدنا موسم بدر القابل إن شئت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن شاء الله ؛ فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران ؛ فألقى الله الرعب في قلبه ؛ فبدا له أن يرجع ، فلقى نعيم بن مسعود الأشجبي - وقد قدم معتمرا - فقال : يا نعيم ؛ إني واعدت محمدا أن تلقى بموسم بدر ، وإن هذا عام جذب ، ولا يسلمنا =

جاز إطلاق لفظ « الناس » على الواحد؛ لأنه إذا قل الواحد قولاً له أتباع يقولون مثل قوله ، حسن إضافة ذلك الفعل إلى الكل ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ ^(١) ، ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ بِأُمُوسَى لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ^(٢) والقاتل ذلك رءوسهم . وقيل : المراد بالناس ركب من عبد القيس ^(٣) دسهم أبو سفيان إلى المسلمين وضمن لهم عليه جملاً ، قاله آبن عباس وآبن إسحاق وغيرهما ^(٤) .

القسم الثالث عشر

إطلاق لفظ الثنية والمراد الجمع

كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْجَعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ ^(٥) فإنه وإن كان لفظه لفظ الثنية فهو جمع ، والمعنى « كرات » لأن البصر لا يحسر إلا بالجمع .
وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ﴾ ^(٦)

القسم الرابع عشر

التكرار على وجه التأكيد

وهو مصدر كرر إذا ودّد وأعاد ؛ هو « تَقَال » بفتح التاء ؛ وليس بقياس ، بخلاف التفعيل .

== إلا عام نزع في الشجر ونسرب فيه الين ، وقد بدا لي ، ولكن إن خرج عمد ولم أخرج زاده ذلك جراءة ، فالحق بالمدينة وتعلمهم ولك عندى عشر من الإبل . فخرج لهم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم : ماهذا بالرائى ، أنتم فى حياركم وقرارك فلم يفلت منكم أحد إلا شريدا ؛ فتريدون أن تخرجوا وقد جمع لكم عند المومس ؛ فوافقت لا يفلت منكم أحد . . الكشف ١ : ٣٣٩ - ٣٤٠

(١) سورة البقرة ٧٣

(٢) سورة البقرة ٥٥

(٣) قيل : مر بأبن سفيان ركب من عبد القيس ؛ يريدون المدينة للميرة ؛ فجعل لهم حمل يعبر من ريب إن يبطؤهم ؛ فكره المسلمون الخروج ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لأخرجن ولو لم يخرج معى أحد ؛ فخرج فى سبعين راكباً وهم يقولون : حبيناً الله ونعم الوكيل . . الكشف ١ : ٣٤٠

(٤) تفسير الطبرى ٧ : ٤٠٩

(٥) سورة البقرة ٢٢٩

(٦) سورة البقرة ٢٢٩

وقال الكوفيون : هو مصدر « فَعَّلَ » والآف عوض من الياء في التفعيل .

والأول مذهب صيبويه .

وقد غلط مَنْ أنكر كونه من أساليب الفصاحة، فلنا أنه لا فائدة له ؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها ، لاسيما إذا تلاقى بعضه ببعض ؛ وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أجهت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كررت توكيدا، وكأنها تقيم تكراره مقام القسم عليه ، أو الاجتهاد في الدعاء عليه ، حيث قصدت الدعاء ؛ وإما نزل القرآن بلسانهم ، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض ، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في مجزئهم عن المعارضة . وعلى ذلك يعتمد ماورد من تكرار المواظ والوعيد والوعيد ، لأنَّ الإنسان مجبول من الطباع المختلفة ، وكلها داعية إلى الشبهوات ، ولا يجمع ذلك إلا تكرار المواظ والوعيد ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ ^(١) قال في « الكشف » ^(٢) : أى سهّلناه للادّكار والانتاظ بأن نجهناه ^(٣) بالمواظ والانتافية وصرّفنا فيه من الوعد والوعيد .

ثم تارة يكون التكرار مرتين ؛ كقوله : ﴿ فَتَقِيلَ كَيْفَ قَدَرٍ . ثُمَّ فَعِيلَ كَيْفَ قَدَرٍ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ أَوَّلَى لَكَ فَأُولَى . ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأُولَى ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ ^(٦) .

وقوله : ﴿ كَلَّا سَيَمْلِكُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَمْلِكُونَ ﴾ ^(٧) .

(٢) الكشف ٥ : ٣٤٦

(٤) سورة المدثر ١٩ ، ٢٠

(٦) سورة التكاثر ٦ ، ٧

(١) سورة القمر ١٧

(٣) الكشف : « شحناه » .

(٥) سورة الفاتحة ٣٤ ، ٣٥

(٧) سورة النبأ ٤ ، ٥

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾^(١) .
وقوله : ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ ﴾^(٢) .

وفائدته العظمى^(٣) التقرير ، وقد قيل : الكلام إذا تكرّر تقرر .

وقد أخبر الله سبحانه بالسبب الذي لأجله كرّر الألفاظ والأخبار في القرآن^(٤) قال :
﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^(٥) .

وقال : ﴿ وَمَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾^(٦) .
وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى ؛ خشية تناسي الأول ، لطول العهد به .
فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ . قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي . فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾^(٧) .

فأعاد قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾^(٧) بعد قوله : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ ، لا لتقرير الأول ؛ بل لنرض آخر ؛ لأن معنى الأول الأمر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة لله والإخلاص له فيها ، ومعنى الثاني أنه يخص الله وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص ؛ ولذلك قدّم^(٨) المفعول على فعل العبادة في الثاني ،

(٢) سورة التوبة ٦٩

(١) سورة آل عمران ٧٨

(٤) ت : « فيه » .

(٣) ١ : « ومن القوائد العظمى التقرير » .

(٦) سورة طه ١١٣

(٥) سورة القصص ٥١

(٨) ت : « تقيم » .

(٧) سورة الزمر ١١ - ١٥

وأخر في الأول ؛ لأن الكلام أولاً في الفعل ؛ وثانياً فيمن فُعل لأجله الفعل .
واعلم أنه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل ، أما إذا وافق
الأصل فلا ؛ ولهذا لا يتجه سؤالهم : لِمَ كرر « إياك » في قوله : ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴾ ^(١) .

ف قيل : إنما كررت للتأكيد ، كما تقول : « بين زيد وبين عمرو مال » .
وقيل : إنما كررت لارتفاع أن يقوم - إذا حذفت - أن مفعول « نستعين » ضمير
متصل واقع بعد الفعل ، ففوت إذ ذاك الدلالة على المعنى المقصود ، بتقديم المفعول على عامله .
والتحقيق أن السؤال غير متجه ؛ لأن ههنا عاملين متفايرين ، كلٌّ منهما يقتضى
معمولاً ، فإذا ذكر معمول كل واحد منهما بعده فقد جاء الكلام على أصله ، والحذف
خلاف الأصل ، فلا وجه للسؤال عن سبب ذكر ما الأصل ذكره ، ولا حاجة إلى تكلف
الجواب عنه ، وقس بذلك نظائره .

[فوائد التكرير]

وله فوائد :

أحدها : التأكيد ؛ واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد ، لأنه وقع في تكرار
التأسيس ؛ وهو أبلغ من التأكيد ، فإن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز ،
فهذا قال الزحشرى في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) : إن الثانية تأسيس لا تأكيد ؛ لأنه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء فقال : وفي
﴿ ثُمَّ ﴾ تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول .

وكذا قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (١) ،
وقوله: ﴿فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ﴾ (٢) ، ﴿فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ﴾ (٣) ، يحتمل أن يكون منه ، وأن يكون
من التماثلين .

والحاصل أنه : هل هو إنذار تأكيدي (٤) ، أو إنذاران ؟ فإن قلت : « سوف تعلم ،
ثم سوف تعلم » كان أجود منه بغير عطف ؛ لتجريه على غالب استعمال التأكيدي ، ولعدم
احتماله لتعدد الخبر به .

وأطلق بدر الدين بن مالك في شرح « الخلاصة » (٥) أن الجملة التأكيديّة
قد توصل باطاف ، ولم تختص بهم ، وإن كان ظاهر كلام والده التخصيص ؛ وليس كذلك ؛
فقد قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِإِنْفِرٍ وَأَنْقُوا
اللَّهُ﴾ (٦) ، فإن الأمور فيهما واحد ، كما قاله النحاس والزخشي والإمام نجر الدين والشيخ
عز الدين ، ورجعوا ذلك على احتمال أن تكون « التقوى » الأولى معروفة لشيء غير
« التقوى » الثانية ، مع شأن إرادته .

وقولهم : إنه تأكيد ، فإداهم تأكيد للآموز به بتكرير الإنشاء ، لا أنه تأكيد
لفظي ، ولو كان تأكيداً لفظياً لما فصل بالمطف ، ولما فصل بينه وبين غيره : ﴿وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ﴾ (٧) .

فإن قلت : « اتقوا » الثانية معطوفة على « ولتنظر » .

(٢) سورة المدثر ١٩ ، ٢٠

(١) سورة الانطار ١٧ ، ١٨

(٣) ت : « مؤكدا » .

(٤) هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك المتوفى سنة ٦٨٠ : شرح الألفية المعروفة

بالخلاصة في النحو : وهو شرح منقح مشتهر بشرح ابن المصنف : خصاً والده و بعض الواضع . كشف

الظنون ١٥١

(٥) سورة الحشر ١٨

أحبب بأنهم قد انفقوا على أن : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(١) ، معطوف على ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾^(٢) ، لا على قوله : ﴿ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا جُعِلَ دِينُكُمُ الْإِسْلَامَ وَهُوَ الظُّلُمَاتِ ﴾^(٣) ، وهو نظير ما نحن فيه .

وقوله تعالى : ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْمَالِكِينَ ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الشَّجَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوا كَمَا هَذَاكُمْ ﴾^(٥) . ويمثل أن يكون « اصطفاء » و « ذكرين » ، وهو الأقرب في الذكر ، لأنه محل طلب فيه تكرار الذكر .

وكفوله تعالى حكاية عن موسى : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا . وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾^(٦) . وقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْيُنِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾^(٧) ، كرر « أولئك » .

وكذلك قوله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلُونَ ﴾^(٨) . وكذا قوله : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي . . . ﴾^(٩) إلى قوله : ﴿ مِنْ الْمُصَلِّينَ ﴾^(١٠) ، كررت « أن » في أربع مواضع فأكيدا . وقوله : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(١١) .

الثاني : زيادة التنبيه على ما ينبغي التهمة ، ليكتمل تلقى السلام بالقبول ، ومنه قوله

- | | |
|---------------------|------------------------|
| (١) سورة البقرة ٨٣ | (٢) سورة آل عمران ٢ |
| (٣) سورة البقرة ١٩٨ | (٤) سورة طه ٣٣ ، ٣٤ |
| (٥) سورة الرعد ٥ | (٦) سورة البقرة ٥ |
| (٧) سورة القصص ١٩ | (٨) سورة الزمر ١١ ، ١٢ |

تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَأْقُوزُ اٰتِيْعُوْنَ اٰهْدِكُمْ سَبِيْلَ الرِّشَادِ . يَأْقُوزُ اٰمَعًا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾^(١) ، فإنه كرر فيه النداء لذلك .

الثالث : إذا طال الكلام وخشى تناسي الأول أعيد ثانياً بطريقة له ، وتجديداً لعمده ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِيْنَ عَمِلُوْا السُّوْءَ بِجَهَنَّمَ ثُمَّ تَابُوْا مِنْۢ بَعْدِ ذٰلِكَ ﴾^(٢) وَأَصْلَحُوا اِنَّ رَبَّكَ مِنْۢ بَعْدِهَا لَنَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ ثُمَّ اِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِيْنَ هَاجَرُوْا مِنْۢ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ... ﴾^(٣) الآية .

وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتٰبٌ مِنْۢ عِنْدِ اللّٰهِ ﴾^(٤) ثم قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوْا ﴾^(٥) فهذا تكرار للأول ، ألا ترى أن لما لا تجيء بالقاء ا

ومثله : ﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِيْنَ يَفْرَحُوْنَ ﴾^(٥) ، ثم قال : ﴿ فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا أَفْتَقَلَّ الَّذِيْنَ مِنْۢ بَعْدِهِمْ ﴾^(٦) ، ثم قال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا أَفْتَقَلُّوا ﴾^(٦) .

ومنه قوله : ﴿ اِنِّيْ رَآيْتُ اَحَدًا عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَآيُهُمْ لِيْ سَاجِدِيْنَ ﴾^(٧)

وقوله : ﴿ اٰبَدُكُمْ اَنْتُمْ اِذَا مِثْمُ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا اَنْتُمْ مُّخْرَجُوْنَ ﴾^(٨) فقوله : ﴿ اَنْتُمْ ﴾ الثاني بناء على الأول ، إذ كاداً به خشية تناسيه .

وقوله : ﴿ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُوْنَ ﴾^(٩) .

(٢) سورة التحل ١١٩

(٤) سورة البقرة ٨٩

(٦) سورة البقرة ٢٥٣

(٨) سورة المؤمنون ٣٥

(١) سورة المؤمن ٣٨ ، ٣٩

(٣) سورة التحل ١١٠

(٥) سورة آل عمران ١٨٨

(٧) سورة يوسف ٥

(٩) سورة الروم ٧

وكذلك قوله : ﴿ إِنَّا كَذَبُكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ : إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْعَبِيدُ . وَقَدْ بَنَاهُ بِذِي بَيْعٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) إلى قوله : ﴿ كَذَبُكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢) .

بغير ﴿ إِنَّا ﴾ وفي غيره من مواضع ذكر ﴿ إِنَّا كَذَبُكَ ﴾ ، لأنه يبنى على ما سبقه في هذه القصة من قوله ﴿ إِنَّا كَذَبُكَ ﴾ ؛ فكأنه طرح فيما اكتفى بذكره أولاً عن ذكره ثانياً . ولأن التأكيـد بالنسبة ، فاعتبر اللفظ من حيث هو دون توكيده .

ويحتمل أن يكون من باب الاكتفاء ؛ وهذا أسلوب غريب ، وقل في القرآن وجوده ، وأكثـر ما يكون عند تقديم مقتضيات الألفاظ ، كالمبتدأ ، وحروف الشرطين الواضحين في اللامى والمضارع . ويستغنى عنه عند أمر محذور التناسى .

وقد يرد منه شيء يكون بناؤه بطريق الإجمال والتفصيل بأن تقدم التفاصيل والجزئيات في القرآن ، فإذا خشي عليها التناسى لطول المهد بها بنى على ما سبق بها بالذكر الجلى ، كقوله تعالى : ﴿ قِيمًا نَقُصُّهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٤) قوله « فيظلم » بيان لذكر الجلى على ما سبق في القول من التفصيل ، وذلك أن الظلم جلى على ما سبق من التفاصيل من النقض والكفر وقتل الأنبياء ، ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُفَّتْ ﴾^(٥) والقول على مريم بالبهتان ، ودعوى قتل المسيح عليه السلام ، إلى ما تخلل ذلك من أسلوب الاعتراض بها موضعين . وهما قوله : ﴿ بَلْ طَمِعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكَفَرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾^(٧) إلى قوله : ﴿ شَهِيدًا ﴾^(٨) ، وأنه لما ذكر بالبناء جلى الظلم من قوله « فيظلم » لأنه يعم على كل ما تقدم وينطوى عليه ، ذكر حينئذ متعلق الجلى من قوله : ﴿ قِيمًا نَقُصُّهُمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾^(٩) عقب البناء لأن العامل في الأصل حته أن يلى معموله ، فقال : ﴿ فَيُظْلَمُونَ مِنْهُمْ ﴾

الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا^(١)؛ هو متعلق بقوله: ﴿فَيُظْلَمُ﴾^(٢)، وقد اشتمل الظلم على كل ما تقدم قبله، كما أنه أيضاً اشتمل على كل ما تأخر من المحرمات الأخر التي عدت بعد ما اشتملت على ذكر الشيء بالمصوم والمخصوص؛ فذكرت الجزئيات الأولى بمخصوص كل واحد، ثم ذكر العام للنطوى عليها؛ فهذا تميم بعد تخصيص. ثم ذكرت جزئيات آخر بمخصوصها، فتركيب الأساليب من وجوه كثيرة في الآية؛ وهو التعميم بعد التخصيص، ثم التخصيص بعد التعميم، ثم البناء بعد الاعتراض.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ﴾^(٣) إلى قوله: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٤)، بقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ﴾^(٥) إلى قوله: ﴿يَنْفِرَ عَلَيْهِمْ﴾^(٦) هو التقتضى الأول المتقدم، وقوله ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾^(٧) هو التقتضى الثاني وهو البناء، لأنه للذكر بالتقتضى الأول الذي هو «لولا» خشية تناسيه، فهو مبني على الأول، ثم أورد مقتضاها من الجواب بقوله: ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾^(٨) وروداً واحداً من حيث أخذنا مما، كأنهما مقتضى منفرد، من حيث هما واحد بالنوع؛ وهو الشرط الماضي. بقوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾^(٩) بناء على قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ﴾^(١٠) نظر في المضارعة. وأما قوله: ﴿ثُمَّ إِنْ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفَوْرٌ رَحِيمٌ﴾^(١١) فيجوز أن يكون تكريراً، ويجوز أن يكون الكلام عند قوله: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ويكون الثاني بياناً للجمل لا تكريراً.

وقد جعل ابن المنير^(١٢) من هذا القسم قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾^(١٣) ثم قال: ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾^(١٤).

(١) سورة النساء ٢٥

(٢) سورة النساء ١٦٠

(٣) سورة النحل ١١٩

(٤) هو الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن النير الإسكندري؛ صاحب كتاب الانتصاب بين فيه ما تضمنه كتاب الكتاب من الاعتزال؛ وذهب في أغريب وأحسن فيها البديل؛ توفي سنة ٦٨٢. كتب

(٥) سورة النحل ١٠٦

الظنون ١٢٧٧

وقوله : ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ . . .﴾^(١) ثم قال : ﴿لَوْ نَزَّلُوهُ﴾^(٢) ونازه العِراق^(٣) لأنَّ للبلاد فيها أخصَّ من الأول ؛ وهذا يحىء في كثير مما ذكرنا ، ولا بد أن يكون وراء التكرير شيء أخصَّ منه كما بينا .

الرابع : في مقام التعظيم والتهويل ؛ كقوله تعالى : ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾^(٤) . ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾^(٥) . ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾^(٦) . وقوله : ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾^(٧) . وفوله : ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾^(٨) . وقوله : ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾^(٩) .

الخامس : في مقام الوعيد والتهديد ، كقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ سَوْفَ نَسْأَلُكُمْ . ثُمَّ كَذَلِكَ سَوْفَ نَسْأَلُكُمْ﴾^(١٠) وذكر «ثم» في المسكور دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول ، وفيه تنبيه على تكرار ذلك مرة بعد أخرى ، وإن تعاقبت عليه الأزمنة لا يتطرق إليه تغيير ، بل هو مستمر دائماً .

(١) سورة الفتح ٢٥

(٢) هو الإمام علم الدين عبد الكريم بن علي العراقي ، صاحب كتاب الإنصاف ، جملة حكماء بين الكشاف

والإنصاف ، توفي سنة ٧٠٤ . كشف الظنون ١٤٧٧

(٣) سورة الحاقة ٢١

(٤) سورة الفارعة ١

(٥) سورة القدر ١ ، ٢

(٦) سورة الواقعة ٢٧

(٧) سورة الواقعة ٨ ، ٩

(٨) سورة المذثر ٣١

(٩) سورة النساك ٦ ، ٧

(٢ - برهان - ثالث)

السادس : التعجب ، كقوله تعالى : ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرَهُ . ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرَهُ﴾^(١) ، فأعيد متعجباً من تقديره وإصابته الفرض ، على حدّ : قاتله الله ما أشجعها !

السابع : لتعدد للتعليق ، كما في قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٢) ، فإنها وإن تعددت ؛ فكل واحد منها متعلق بما قبله ، وإن الله تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس والجن ، وعدّد عليهم نعمه التي خلقها لهم ، فكلما ذكر فصلا من فصول النعم طلب إقرارهم واقتضام الشكر عليه ، وهي أنواع مختلفة ، وصور شتى .

فإن قيل : فإذا كان للنفى في تكريرها عدّ النعم واقتضاء الشكر عليها ، فما معنى قوله : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْفَعِرَانِ﴾^(٣) ؟ وأى نعمة هنا وإنما هو وعيد .

قيل : إن نعم الله فيما أنذر به وحذّر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها ، نظير أنعمه على ما وعده ، وبشر من ثوابه على طاعته ؛ ليرغبوا فيها ، ويحرموا عليها ؛ وإنما تتحقق معرفة الشيء بأن معتبره بضده ، والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما ، فإنهما متقاربان في موضع النعم بالتوقيف على مِلَاك الأمر منها ، وعليه قول بعض حكماء الشعراء :

والخدائات وإن أصابك يؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها

وإنما ذكرنا هذا ، لتعلم الحكمة في كونها زادت على ثلاثة ، ولو كان عائد الشيء واحد لما زاد على ثلاثة ؛ لأن التأكيّد لا يقع به أكثر من ثلاثة .

فإن قيل : فإذا كان المراد بكلّ ما قبله ، فليس ذلك بإطناب ، بل هي ألقاظ أريد بها غير ما أريد بالآخر .

(٢) سورة الرحمن ١٣ وما بعدها

(١) سورة الدثر ١٩ ، ٢٠

(٣) سورة الرحمن ٣٥

قلت : إن قلنا : المبرة بموم اللفظ ؛ فكل واحد أريد به غير ما أريد بالآخر .
وقد تكلف لتوجيه المدة التي جاءت عليها هذه الآية مكررة ، قال السكرنجاني :
جاءت آية واحدة في هذه السورة كررت ثيها وثلاثين مرة ، لأن ست عشرة راجعة
إلى الجنان ؛ لأن لها ثمانية أبواب ، وأربعة عشر منها راجعة إلى النعم والنعم ، فأعظم النعم
جهنم ، ولها سبعة أبواب . وجاءت سبعة في مقابلة تلك الأبواب ، وسبعة عقب كل نعمة
ذكرها للتقنين .

وقال غيره : نية في سبع منها على ما خلقه الله للعباد من نعم الدنيا المختلفة على عدة
أمهات النعم ، وأفرد سبعا منها للتخويف ، وإنذاراً على عدة أبواب الخوف منه ، وفُصِّلَ
بين الأول والسبع الثواني بواحدة سوى فيها بين الخلق كلهم فيما كتبه عليهم من الفناء ،
حيث انصت بقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾^(١) ، فكانت خمس عشرة ، أُنِيت
بثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدة أبوابها ، ثم بثمانية آخر في وصف الجنة اللتين
من دون الأوليين لذلك أيضاً فاستكملت إحدى وثلاثين .

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَذِّبِينَ ﴾^(٢) ، في سورة الرسائل
عشر مرات ، لأنه سبحانه ذكر قصصاً مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول ، فصار كأنه
قال عقب كل قصة : ويل للكاذبين بهذه القصة ! وكل قصة مخالفة لصاحبها ،
فأثبت الويل لمن كذب بها .

ويحتمل أنه لما كان جزاء الحسنه بمشء أمثالها ، وجمل للكفار في مقابلة كل مثل
من الثواب ويل .

ومنها في سورة الشعراء قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ .

وَأَنَّ رَبَّكَ لَهْوٌ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ^(١) في ثمانية مواضع ؛ لأجل الوعظ ، فإنه قد يتأثر بالتكرار من لا يتأثر بالمرّة الواحدة .

وأما قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ ، فذلك لظهور آيات الأنبياء عليهم السلام ، والعجب من تخاف من لا يتأملها مع ظهورها .

وأما مناسبة قوله : ﴿ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ فإنه تعالى نفى الإيمان عن الأكثر ؛ فدلّ بالمفهوم على إيمان الأقل ، فكانت العزة على من لم يؤمن ، والرحمة لمن آمن ، وهما مرتبتان كترتب الفريقين . ويحتمل أن يكون من هذا النوع قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ... ﴾^(٢) الآية ، لأنّ عليهم يقع أولاً وثانياً على نوعين مختلفين بحسب اللقائهم ؛ وهذا أقرب للحقيقة الوضعية وحال المعبر عنه ؛ فإن للمعاملات الإلهية للطائع والمعاصي متغيرة الأنواع الدنيوية البرزخية ، ثم الحشرية ، كما أن أحوال الاستقرار بعد الجميع في النهاية ؛ بل كل مقام من هذه أنواع مختلفة ، وفي « بسم » دلالة على الترقى ، إن لم يجعل الزمان مرتباً في الإنذار على التكرار ، وفي البندّ به على التنوع .

ومنه تكرار : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾^(٣) ، قال الزمخشري^(٤) : كرّر ليجدوا عند سماع كل نيل منها اتعاطوا وتنبيهها ، وأن كلا من تلك الأنباء مستحق باعتبار يخص به ، وأن يتنبهوا كيلا يفتهم السرور والنفلة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ... ﴾^(٥) إلى آخرها

(١) سورة الشعراء ٩٠ ، ٨ (٩) سورة التكاثر ٦ ، ٧ (٣) سورة القمر ٣٩

(٤) الكشاف ٤ : ٣٤٩ ؛ والبارة فيه : « فأنذته أن يجدوها عند استماع كل نيل من أنباء الأولين تكراراً واتعاطوا ، وأن يتأثروا تنبهاً واستيقاظاً ؛ إذا سمعوا الحديث على ذلك ونالته ، وأن يفرح لهم المعاصرات ويقنع لهم الشئ تارات ؛ لئلا ينلهم السهو ، ولا تستولى عليهم النفلة ... »

(٥) سورة الكافرون ١ ، ٢

يحكى أن بعض الزنادقة سأل الحسن بن علي رضي الله عنه عن هذه الآية فقال : إني أجد في القرآن تكراراً وذكر له ذلك ، فأجابه الحسن بما حاصله : إن الكفار قالوا : نعيد إلهك شهراً ونعيد آلهتنا شهراً ، فجاء النفي متوجهاً إلى ذلك . والنقص أن هذه ليست من التكرار في شيء ، بل هي بالحذف والاختصار أليق ؛ وذلك لأن قوله : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾^(١) ؛ أي لا أعبد في المستقبل ما تعبدون في المستقبل ، وقوله : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ ، أي ولا أنا عابد في الحال ما عبدتم في المستقبل ، ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴾ ، في الحال ما أعبد في المستقبل .

والحاصل أن القصد نفي عبادته لآلهتهم في الأزمنة الثلاثة : الحال ، والماضي ، والمستقبل ؛ والمذكور في الآية النفي في الحال والمستقبل ، وحذف الماضي من جهته ومن جهتهم ؛ ولا بد من نفيه ، لكنه حُذِفَ لدلالة الأولين عليه .

وفيه تقدير آخر ؛ وهو أن الجملة الأولى فعلية ، والثانية اسمية ، وقولك : « لا أفعله » و « لا أنا فاعله » أحسن من قولك : « لا أفعله » ، « ولا أفعله » ؛ فالجملة الفعلية نفي لإمكانه ، والاسمية نفي لاتصافه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ صَلَاتِهِمْ ﴾^(٢) ، ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُخْرِجٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾^(٣) . والمعنى أنه تبرأ من فعله ومن الاتصاف به ، وهو أبلغ في النفي ؛ وأما المشركون فلم ينتف عنهم إلا بصيغة واحدة ؛ وهي قوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ في الموضعين .

وفرق آخر ، وهو أنه قال في نفيه الجملة الاسمية : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ ، وقال في النفي عنهم : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ عائد في حقه بين الجلتين ، وقال : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ بالمضارع ، وفي الثاني : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ بالماضي ، فإن المضارع يدل على الدوام ، بخلاف الماضي ، فأعاد ذلك أن ما عبدتموه ولومرّة ما أنا عابد له البتّة ، فقيه كان

برأته ودوامها تما عبوده ولو مرة ؛ بخلاف قوله : ﴿لَا أُعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ، فإن النفي من جنس الإثبات ، وكلاهما مضارع يظهران جملة ومنفردا .

ومنه تكرير الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات من سورة البقرة^(١) ؛ لأنّ للمكبرين التحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس : اليهود ؛ لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم . وأهل النفاق أشدّ إنكاراً له ، لأنه كان أول نسخ نزل . وكفار قریش قالوا : ندم محمد على فراق ديننا فيرجع إليه كما رجع إلى قبيلتنا ، وكانوا قبل ذلك يحجون عليه فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل ، وقد فارق قبيلتهما وآثر عليها قبلة اليهود ؛ وقال الله تعالى حين أمره بالصلاة إلى الكعبة : ﴿لَتَنَلَّ بِسُكُونٍ لِلنَّاسِ عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(٢) والاستثناء منقطع ، أى لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون . وقال سبحانه : ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(٣) أى الذين أشركوا فلا تمتر في ذلك ، وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَسْمُؤُونَ﴾^(٤) ، أى يكتُمون ما علوا أن الكعبة هى قبلة الأنبياء .

ومنه قوله تعالى : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾^(٥) . وقال صاحب «الينبوع»^(٦) : لم يبلى عن المفسرين فيه شيء .

(١) وهو قوله تعالى : ﴿قَوْلُ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ آية ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠

(٢) سورة البقرة ١٤٧

(٣) سورة البقرة ١٥٠

(٤) سورة البقرة ١٤٦

(٥) سورة الصافات ١٧٤ ، ١٧٥ ، وكرر هاتين الآيتين في قوله تعالى بعد ذلك في السورة ١٧٨ ، ١٧٩ :

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ .

(٦) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر المكي المقل للثقف سنة ٥٦٥ هـ ؛ صاحب كتاب

ينبوع الحياة في التفسير ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ؛ منه أجزاء متفرقة مخطوطة بدار الكتب المصرية ،

برقم ٣١٠ تفسير .

وقال القسرون في غريب القرآن : هما في المعنى كالآيتين المتقدمتين ، فكروا لنا كيد
وتشديد الوعيد .

ويمحتمل أن يكون « الحيف » في الأوليين^(١) يوم بدر ، و « الحين » في هاتين^(٢)
يوم فتح مكة .

ومن فوائد قوله تعالى في الأوليين : ﴿ وَأَنْبِئُهُمْ ﴾ وفي هاتين : ﴿ فَأَنْبِئُهُ ﴾ أن الأولى
بنزول العذاب بهم يوم بدر قتلا وأسرا وهزيمة ورعبا ، فما تضمنت التشقي بهم قيل له :
﴿ أَنْبِئُهُمْ ﴾ ، وأما يوم الفتح فإنه اقترن بالظهور عليهم الإنعام بتأمينهم والهداية إلى إيمانهم
فلم يكن وقفا للتشقي بهم ، بل كان في استسلامهم ، وإسلامهم لمينته قوة ، ولقلبه مسرة ،
ف قيل له : ﴿ أَنْبِئُهُ ﴾ .

ويمحتمل على هذا - إن شاء الله - أن يكون من فوائد قوله تعالى في هذه : ﴿ فَسَوْفَ
يُبَصِّرُونَّ ﴾ أي يبصرون منك عليهم بالأمان ، ومثنا عليهم بالإيمان .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾^(٣) .

وللتكرار [هنا] فائدتان :

إحداها : أن التحريم قد يكون في الطرفين ؛ ولكن يكون المانع من إحداها ؛
كما لو ارتدت الزوجة قبل الدخول ؛ يحرم النكاح من الطرفين ؛ والمانع من جهتها ،
فذكر الله سبحانه الثانية ؛ ليدل على أن التحريم كما هو ثابت في الطرفين كذلك
المانع منهما .

والثانية : أن الأولى دلت على ثبوت التحريم في الماضي ؛ ولهذا أتى فيها بالاسم الدال
على الثبوت ؛ والثانية في المستقبل ، ولهذا أتى فيها بالفعل للمستقبل .

(٢) آيتا ١٧٨ ، ١٧٩

(١) آيتا ١٧٤ ، ١٧٥

(٣) سورة الممتحنة ١٠

ومنه تكرار الإضراب .

واعلم أن « بل » إذا ذكرت بعد كلام موجب فتحناها بالإضراب .
وهو إما أن يقع في كلام اتلقت ؛ ومعناه إبطال ماسبق على طريق الفاظ من التكلم ؛
أو أن الثاني أولى .

وإما أن يقع في كلام الله تعالى ، وهو ضربان :
أحدهما : أن يكون ما فيها من الرد راجعا إلى العباد ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَضَلَّتْ
أَحْلَامَ بَلٍ أَفْقَاهُ بَلٍ هُوَ شَاعِرٌ ﴾^(١) .
والثاني : أن يكون لإبطالا ؛ ولكنه على أنه قد انقضى وقته ؛ وأن الذي بعده
أولى بالذكر ، كقوله تعالى : ﴿ بَلِ آدَارَاكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ
ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابٍ ﴾^(٢) .

وزعم ابن مالك في شرح «الكافية» أن «بل» حيث وقعت في القرآن القرآن فإنها
للاستئناف لفرض آخر لا لإبطال الأول ؛ وهو مردود بما سبق ، وقوله : ﴿ وَقَالُوا
أَتَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾^(٣) ؛ فأضرب بها عن قولهم ،
وأبطل كذبهم .

وقوله : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾^(٤) ، أضرب بها عن حقيقة إتيانهم الذكور
وترك الأزواج .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾^(٥) ،

(٢) سورة مر ٨

(٤) سورة الشعراء ١٦٦

(١) سورة الأنبياء ٢٢

(٣) سورة الأنبياء ٢٦

(٥) سورة الصافات ٢

فالأول للمطلقين والثاني للشهود ؛ نحو : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾^(١) ، أو لها للأزواج ، وآخرها للأولياء .

ومنه تكرار الأمثال ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ . وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾^(٢) .

وكذلك ضرب مثل المنافقين أول البقرة^(٣) ثناء الله تعالى .

قال الزخشرى : « والثاني أبلغ^(٤) من الأول لأنه أدل على قرط الحيرة ؛ وشدة الأمر وفظايعه » ، قال : « ولذلك أُخبر ، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأمور إلى الأغاظ » .

ومنه تكرار القصص في القرآن ؛ كقصص إبليس في السجود لآدم ، وقصة موسى وغيره من الأنبياء ، قال بعضهم : ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعا من كتابه ، قال ابن العربي^(٥) في « القوامص » : ذكر الله قصة نوح في خمسة وعشرين آية ، وقصة موسى في سبعين آية . انتهى .

وإنما كررها لفائدة خلت عنه في الموضع الآخر وهي أمور :

(١) سورة البقرة ٢٣٢

(٢) سورة طه ١٩ - ٢٢

(٣) يشير إلى قوله تعالى في الآية السابعة عشرة من سورة البقرة : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .
مع قوله في الآية التاسعة عشر : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُبَاتٌ يُخْجَلُونَ أَصَابِعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ... ﴾

(٤) هو الإمام أبو بكر بن العربي صاحب

(٥) انكشاف ١ : ٦١

كتاب القوامص من القوامص .

أحدهما : أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئا ، ألا ترى أنه ذكر الحية^(١) في عصا موسى عليه السلام ، وذكرها في موضع آخر ثعبانا ، فقادثته أن ليس كل حية ثعبانا^(٢) ، وهذه عادة البلغاء ، أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة ، لصفة زائدة .

الثانية : أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين ؛ وكان أكثر من آمن به مهاجريا ؛ فلولا تكرار القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى آخرين ، وكذلك سائر القصص ، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها ، فيكون فيه إفادة القوم ، وزيادة [تأكيد وتبصرة]^(٣) ، لآخرين وهم الحاضرون ، وغير عن هذا ابن الجوزي وغيره .

الثالثة : نسيته لقلب النبي صلى الله عليه وسلم مما اتفق للأنبياء مثله مع أمهم^(٤) قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ بِرُفُودِكَ^(٥) .

الرابعة : أن إيراد الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة .

الخامسة : أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام ، فلهذا كررت القصص دون الأحكام .

(١) في قوله تعالى في سورة طه ٢٠ : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ .

(٢) من قوله تعالى في سورة الأعراف ١٠٧ : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

وقوله في سورة الشعراء ٣٢ : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

(٤) ت « أمهم » ، صوابه من م .

(٣) تسكة من م .

(٥) سورة هود ١٢٠

السابعة : أن الله تعالى أنزل هذا القرآن ، وعَجَزَ القوم عن الإتيان بمثل آية ، لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بين وأوضح الأمر في هجزم ؛ بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، لإعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأى نظم جاءوا ، بأى عبارة عبروا ، قال ابن فارس ^(١) : وهذا هو الصحيح .

السابعة : أنه لما سخر العرب بالقرآن قال : ﴿ قَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ ^(٢) ، وقال في موضع آخر : ﴿ قَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ ﴾ ^(٣) ، فلو ذكر قصة آدم مثلا في موضع واحد واكتفى بها لقال العربى بما قال الله تعالى : ﴿ قَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ ، « إيتونا أنتم بسورة من مثله » ، فأنزلها سبعاته في تعداد السور ، دَفَعًا لِحَقِّبِهِمْ من كل وجه .

الثامنة : أن القصة الواحدة من هذه القصص ؛ كقصة موسى مع فرعون - وإن ظنَّ أنها لا تنابر الأخرى - قد يوجد في ألفاظها زيادة وتقصان وتقديم وتأخير ، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ ؛ فإن كل واحدة لا بد وأن تختلف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه ، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها ؛ فكان الله تعالى فرق ذكر مادار بينهما وجعله أجزاء ، ثم قسم تلك الأجزاء على تارات ^(٤) التكرار لتوجد متفرقة فيها ؛ ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المقدمة ؛ من افراد كل قصة منها بموضع ؛ كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام خاصة ، فاجتمعت في هذه الخاصة ؛ من نظم القرآن عدة معاني مجيبة :

منها : أن التكرار ^(٥) فيها مع سائر الألفاظ لم يُوقع في اللفظ هيئته ، ولا أحدث مَلَلًا ، فباين بذلك كلام الخطوبين .

ومنها : أنه ألبسها زيادة وتقصانا وتديما وتأخيرا ؛ ليخرج بذلك الكلام أن

(٢) سورة البقرة ٢٣

(٤) م : « منارات » .

(١) فقه اللغة ١٧٨

(٣) سورة هود ١٣

(٥) م : « منها » .

تكون ألقاظه واحدة بأعيانها ، فيكون شيئاً معاداً ؛ فنزّهه عن ذلك بهذه التغيرات .
ومنها : أن للمعانى التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة
في تارات التكرير فيجد البليغ - لما فيها من التغير - ميلا إلى سماعها ، لما جُبلت عليه
النبؤكس من حبّ التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصّة من الالتذاذ
به مستأنفة .

ومنها : ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد ؛ وقد كان
المشركون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم يستحبون من اتساع الأسر في تكرير هذه
القصص والأنباء مع تمايز أنواع النظم ، وبيان وجوه التأليف ، فمَرَفهم الله سبحانه أن
الأمر بما يتمحبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية ، ولا يقع على كلامه عدد ؛ لقوله
تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ
رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾^(١) وكقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ
وَالْبَحْرُ يَمْدُ . . . ﴾^(٢) الآية .

وقال القفال^(٣) في تفسيره : ذكر الله في أفاصيص بني إسرائيل وجوها من المقاصد :
أحدها : الدلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أخبر عنها من غير تعلم ؛
وذلك لا يمكن إلا بالوحى .

الثاني : تعديد النعم على بني إسرائيل ، ومامن الله على أسلافهم من الكرامة والفضل ؛
كالنجاة من آل فرعون ، وفرق البحر لهم ، وما أنزل عليه في التيه من المن والسوى ،
وتفجير الحجر ، وتظليل النعام .

(٢) سورة لقمان ٢٧

(١) سورة الكهف ١٠٩

(٣) هو محمد بن أحمد بن الحسين الناشي القفال ؛ رئيس إلشافية في عصره . توفي سنة ٥٠٧ .

(ابن خلكان) : ٦٤

الثالث : إخبار الله نبيه بتقديم كفرهم وخلافهم وشقاوتهم ونعتهم على الأنبياء ، فسكاته تعالى يقول : إذا كانت هذه ماملتهم مع نبيهم الذي أعزهم الله به ، وأخذهم من العذاب بسببه ؛ فغير يدع ما يامله به أخلافهم محمداً صلى الله عليه وسلم .

الرابع : تحذير أهل الكتاب الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من نزول المذاب بهم ؛ كما نزل بأسلافهم .

وهنا سؤالان :

أحدهما : ما الحكمة في عدم تكرار قصة يوسف عليه السلام ، وسوقها مساقاً واحداً في موضع واحد ، دون غيرها من القصص ؟ .

والجواب من وجوه :

الأول : فيها من تشبيب النسوة به ، وتضمن الإخبار عن حال امرأة ونسوة افتتن بأبدع الناس جمالا ، وأرفهم مثالا ، فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك . وقد صحح الحاكم في مستدركه حديثا مرفوعا : النهي عن تعليم النساء سورة يوسف .

الثاني : أنها اختصت بمحصول القرّج بعد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص ، فإنّ ما ملأ إلى الوبال ، كقصة إبليس ، وقوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ؛ وغيرهم ، فلما اختصت هذه القصة في سائر القصص ؛ بذلك انفتحت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص .

الثالث : قاله الأستاذ أبو إسحاق الإفرايبي إنما كرر الله قصص الأنبياء ، وساق قصة يوسف مساقاً واحداً ، إشارة إلى عجز العرب ، كأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم :

إن كان من تلقاء نفسه تصديره على النصيحة ، فاضلوا في قصة يوسف ما فعلت في قصص سائر الأنبياء .

السؤال الثاني : أنه سبحانه وتعالى ذكر قصة قوم نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، ولوط ، وموسى ، في سورة الأعراف وهود والشعراء ، ولم يذكر معهم قصة إبراهيم ، وإنما ذكرها في سورة الأنبياء ، ومريم ، والمنكبوت ، والصفات .

والسر في ذلك أن تلك السور الأولى ذكر الله فيها نصر رسله بإهلاك قومهم ، ونجاء الرسل وأتباعهم ، وهذه السور لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الأمم ؛ بل كان للتقصود ذكر الأنبياء وإن لم يذكر قومهم ؛ ولهذا سميت سورة الأنبياء ؛ فذكر فيها إكرامه للأنبياء ؛ وبدأ بقصة إبراهيم ، إذ كان المقصود ذكر كرامته الأنبياء قبل محمد ، وإبراهيم أكرمهم على الله ، وهو خير البرية ، وهو أب أكثرهم ، وليس هو أب نوح ولوط ؛ لكن لوط من أتباعه ، وأيوب من ذريته ، بدليل قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ ﴾ ^(١) .

وأما سورة المنكبوت ؛ فإنه سبحانه وتعالى ذكر فيها امتحانه للمؤمنين ، ونصره لهم ، وحاجتهم إلى الجهاد ؛ وذكر فيها حسن العاقبة لمن صبر ، وعاقبة من كذب الرسل ؛ فذكر قصة إبراهيم ؛ لأنها من النمط الأول .

وكذلك في سورة الصفات قال فيها : ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ . فَنَظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ ^(٢) ؛ وهذا يقتضى أنها عاقبة رديئة ؛ إما بكونهم غلبوا وذلوا ؛ وإما بكونهم أهلكوا ؛ ولهذا ذكر قصة إلياس دون غيرها ولم يذكر إهلاك قومه ، بل قال : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَاتَّبَعُوا لِمُحْضِرُونَ ﴾ ^(٣)

(٢) سورة الصفات ٧١ ، ٧٣

(١) سورة الأنعام ٨٤

(٣) سورة الصفات ١٢٧

وقد رُوي أن الله رفع إيلس ؛ وهذا يقتضى عنايتهم فى الآخرة ؛ فإن إيلس لم يَمُتْ بينهم ، وإيلس المعروف بعد موسى من بنى إسرائيل ، وبعد موسى لم يهلك للكافرين بمذاب الاستئصال ؛ وبعد نوح لم يهلك جميع النوع ، وقد بعث الله فى كل أمة نذيراً ، والله سبحانه لم يذكر عن قوم إبراهيم أنهم أهلَكوا ، كما ذكر ذلك عن غيرهم ؛ بل ذكر أنهم ألقوه فى النار ، فجعلها برداً وسلاماً ، وفى هذا ظهور بُرْهانه وآياته ؛ حيث أذلَّهم ونصره ؛ ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ ^(١) وهذا من جنس المجاهد [الذى يرضى عدوه ، والقصص الأول من جنس المجاهد الذى] ^(٢) قتل عدوه ، وإبراهيم بعد هذا لم يَمُتْ بينهم بل هاجر وتركهم ؛ وأولئك الرسل لم يزالوا مقيمين بين أظهرهم حتى هلَكوا ، ولم يوجد فى حق إبراهيم سبب الهلاك ؛ وهو إقامته فيهم ، وانتظار المذاب النازل ؛ وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه ، لم يَمُتْ فيهم ، بل خرج عنهم حتى أظهره الله عليهم بعد ذلك ؛ ومحمد وإبراهيم أفضل الرسل ؛ فإنهم إذا علموا حصل القصد ، وقد يتوب منهم من تاب ، كاجرئى لقوم يونس ؛ فهذا - والله أعلم - هو السر فى أنه سبحانه لم يذكر قصة إبراهيم مع هؤلاء ؛ لأنها ليست من جنس واقعتهم .

فإن قيل : فما وجه الخصوصية بمحمد وإبراهيم بذلك ؟

فالجواب : أمّا حالة إبراهيم فكانت إلى الرحمة أميل ؛ فلم يسع فى هلاك قومه لا بالدعاء ولا بالمقام ودوام إقامة الحجة عليهم ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ^(٣) ، وكان كل قوم يطلبون هلاك نبيهم فعوقبوا ؛ وقوم إبراهيم وإن أوصَلوه إلى المذاب ؛ لكن جعله الله عليه برداً وسلاماً ،

(٢) تسكئة من ت .

(١) سورة الصافات ٩٨

(٣) سورة إبراهيم ١٣ ، ١٤

ولم يفعلوا بعد ذلك ما يستحقون به المذاب ؛ إذ الدنيا ليست دار الجزاء العام ؛ وإنما فيها من الجزاء ما تحصل به الحكمة والمصلحة ؛ كما في العقوبات الشرعية ، فمن أرادوا عداوة [أحدياً] من أتباع الأنبياء ليهلكوه فعضمه الله ، وجعل صورة الملاك نعمة في حقه ؛ ولم يهلك أعداءه بل أخزاهم ونصره ؛ فهو أشبه إبراهيم عليه السلام ؛ إذ عصمه الله من كيدهم ، وأظهره حتى صارت الحرب بينهم وبينه سجلاً ، ثم كانت له الماقبة فهو أشبه بحال محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن محمداً سيد الجميع ، وهو خليل الله ، كما أن إبراهيم عليه السلام خليله ، واغليلان هما أفضل الجميع ، وفي طريقتهما من الرأفة والرحمة ما ليس في طريق غيرهما ، ولم يذكُر الله عن قوم إبراهيم ذنباً غير الشرك ، وكذلك عن قوم نوح ، وأما عاد فذكر عنهم التجبر ، وعمارة الدنيا ، وقوم صالح ذكر عنهم الاشتغال بالدنيا عن الأنبياء ، وأهل مدين الظلم في الأموال مع الشرك ، وقوم لوط استغلال الفاحشة ، ولم يذكر أنهم أقروا بالنوحيد ، بخلاف سائر الأمم ، وهذا يدل على أنهم لم يكونوا مشركين ، وإنما كان ذنبهم استغلال الفاحشة وتوابع ذلك ، وكانت عقوبتهم أشد .

وهذه الأمور تدل على حكمة الرب وعقوبته لكل قوم بما يناسبهم ؛ ولما لم يسكن في قوم نوح خير يرجى غرق الجميع . والله المستعان .

فتأمل هذا الفصل وعظم فوائده وتدبر حكمته ، فإنه سر عظيم من أسرار القرآن العظيم ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ آبَنِ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ نَحْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ ^(١) ، فأعاد ذكر « الأنهار » مع كل صنف ؛ وكان يكفي أن يقال فيها : « أنهار من ماء ، ومن لبن ، ومن خمر ، ومن

عسل « ؛ لكن لما كانت الأنهار من الماء حقيقة ؛ وفيما عدا^(١) الماء مجازا للتشبيه ؛
فلو اقتصر على ذكرها مع الماء وعطف الباقي عليه لجمع بين الحقيقة والمجاز .
فإن قلت : فهلا أفرد ذكر الماء وجمع الباقي صيغة واحدة ؟ قيل : لو فعل
ذلك لجمع بين محامل من المجاز مختلفة في صيغة واحدة ، وهو قريب في المنع من
الذي قبله .

فائدة

[في صنيعهم عند استئصال تكرار اللفظ]

قد يستعملون تكرار اللفظ فيملكون لعناه ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَهَلِ الْكَافِرِينَ
أَمْلَهُمْ رُويْدًا ﴾^(٢) ؛ فإنه لما أعيد اللفظ غير « قتل » إلى « أفل » فلما تلت ترك اللفظ
أصلا ، قال : « رويدا » .

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا ﴾^(٣) ، ثم قال : ﴿ إِمْرًا ﴾^(٤) .
قال السكاكي : معناه شيئا منكرا كثيرا الدهاء من جهة الإنكار ؛ من قولهم :
أمر القوم إذا كثروا .

قال الفارسي : وأنا أستعين بقوله هذا .

وقوله تعالى : ﴿ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ﴾^(٥) ، قال الفارسي : ﴿ وَرَاءَكُمْ ﴾ في موضع فعل الأمر
أي تأخروا ؛ والمعنى ارجعوا تأخروا ؛ فهو تأكيدي وليست ظرفا ؛ لأن الظروف لا يؤكّد بها .
وإذا تكرّر اللفظ بمصادفه جازت الإضافة ؛ كقوله تعالى : ﴿ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ

(١) سورة الطارق ١٧

(٢) سورة الحديد ١٣

(٣) ت : « وما »

(٤) سورة الكهف ٧٤ ، ٧٥

أَلَيْمٌ ﴿٣٦﴾ ، والتصد للبالغة ، أى عذاب مضاعف ، وبالعطف كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ﴿٣٧﴾ ، وقوله : ﴿ فَأَعْتُوا وَاصْفَحُوا ﴾ ﴿٣٨﴾ .

القسم الخامس عشر

الزيادة فى بنية الكلمة

واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه ؛ فلا بد أن يتضمن من اللفى أكثر مما تضمنه أولاً ؛ لأن الألفاظ أدلة على الماتى ؛ فإذا زيدت فى الألفاظ وجب زيادة الماتى ضرورة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ ﴿٣٩﴾ ؛ فهو أبلغ من « قادر » لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة ؛ لا يردّ شىء عن اقتضاء قدرته ؛ ويسى هذا قوة اللفظ لقوة اللفى .

وقوله تعالى : ﴿ وَاصْطَلِمْ ﴾ فإنه أبلغ من الأمر بالعبر من « اصبر » .
وقوله : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ﴿٤٠﴾ لأنه لما كانت السبئة ثقيلة وفيها تكلف زيد فى لفظ فعلها .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ ﴿٤١﴾ ؛ فإنه أبلغ من « يتصارخون » .
وقوله تعالى : ﴿ فَكُتِبُوا فِيهَا ﴾ ﴿٤٢﴾ ولم يقل « وكتبوا » قال الزخشرى ﴿٤٣﴾ : والكسبة تكرر الكسب ، جليل التكرير فى اللفظ دليلاً على التكرير فى اللفى ، كأنه إذا ألقى

(٢) سورة يوحنا ٨٦

(٤) سورة القمر ٤٢

(٦) سورة قاطر ٣٧

(٨) الكشاف ٣ : ٢٥٣

(١) سورة سبأ ٥

(٣) سورة البقرة ١٠٩

(٥) سورة البقرة ٢٨٦

(٧) سورة الشعراء ٩٤

قلت : وصف بالقلة من حيث صيرورته إلى فساد ونقص وفناء .
واعلم أن زيادة للمنى في هذا القسم مقيد بنقل صيغة الرباعى غير موضوعة لمعنى ؛ فإنه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثى إلى مثل تلك الصيغة ؛ قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَسْكِينًا ﴾ ^(١) ؛ لا يدل على كثرة صدور الكلام منه ؛ لأنه غير منقول عن ثلاثى . وكذا قوله : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ ^(٢) يدل على كثرة القراءة على هيئة التأتى والتدبر .
وكذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾ ^(٣) ، ليس النفى للبالغة ؛ بل نفى أصل الفعل .

القسم السادس عشر

التفسير

وتعلمه العرب في مواضع التعظيم ، كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ^(١) ، قال البيهقي في شرح الأسماء الحسنى : قرأت في تفسير الجنيدى أن قوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ ﴾ ^(٢) ، تفسير للقيوم .
وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْغَيْرُ مَنُوعًا ﴾ ^(٣) .
وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٤) فإن هذا تفسير للوعد .

(٢) سورة الزمل ٢

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(٦) سورة اللائمة ٩٥ .

(١) سورة النساء ١٦٤

(٣) سورة يس ٦٩

(٥) سورة المارج ١٩ ، ٢١

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾^(١)
تفسير الوعد وتبيين له ، لا مفعول ثان ؛ فلم يمتد الفعل منها إلا إلى واحد .

وقوله تعالى: ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٢)
« خلقه » تفسير للمثل .

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْهُ﴾^(٣) ، « يَذَّبُونَ » وما
بعده تفسير للسؤال ، وهو في القرآن كثير .

قال أبو الفتح بن جني : ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها
لأن تفسير الشيء لاحق به ، ومتمم له ، وجارٍ مجرى بعض أجزائه ؛ كاصلة من الموصول ،
والصفة من الموصوف .

وقد يحىء لبيان العلة والسبب ، كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ
مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُمْلِنُونَ﴾^(٤) ؛ وليس هذا من قولهم ، وإلا لما حزن الرسول ؛ وإنما
يحىء به لبيان السبب في أنه لا يحزنه قولهم .

وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْإِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٥) .

ولو جاءت الآيتان على حدة ما جاء قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٦) ، لكانت « أن » مفتوحة ، لكنها جاءت
على حد قوله . . .^(٧)

(٢) سورة آل عمران ٥٩

(٤) سورة يس ٧٦

(٦) سورة المائدة ٩

(١) سورة النور ٥٥

(٣) سورة البقرة ٤٩

(٥) سورة يونس ٦٥

(٧) كذا ورد الكلام ناقصاً في الأصلين ت ، م

فائدة

قيل : الجملة التفسيرية لا موضع لها من الإعراب . وقيل : يكون لما موضع إذا كان للمفسر موضع ؛ ويقرب منها ذكره تفضيلا ، كما سبق في قوله : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِمِثْرِ قَتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ ^(١) .
ومثل : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾ ^(٢) .

القسم السابع عشر

خروج اللفظ مخرج الغالب

كقوله تعالى : ﴿ وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ ^(٣) ، فإن الحِجْر ليس بقيد عند العلماء ؛ لكن فائدة التقيد تأكيد الحكم في هذه الصورة مع ثبوته عند عدمها ؛ ولهذا قال بعده : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٤) ولم يقل : « ﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَ ﴾ ولم يكن في حُجُوركم » فدل على أن الحِجْر خرج مخرج العادة .

واعترض بأن الحرمة إذا كانت بالمجموع فالحل يثبت بانتفاء المجموع ، والمجموع ينتفى بانتفاء جزئه ، كما ينتفى بانتفاء كل فرد من المجموع .

وأجيب بأنه إذا نُقِيَ أحدُ شرطَي العلة كان جزء العلة ثابتا ؛ فيعمل عملها .

فإن قيل : لا قال : ﴿ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بَيْنَ ﴾ ^(٥) ، قال في الآية بعدها :

(٢) سورة البقرة ٩٦

(١) سورة الأعراف ١٤٢

(٣) سورة النساء ٢٣

﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾^(١) عِلْمٌ مِنْ مَجْمُوعِ ذَلِكَ أَنَّ الرِّبِيَّةَ لَا تَحْرُمُ إِذَا لَمْ يَدْخُلْ بِأَمْنِهَا ؛ فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾^(٢) ؟
 قيل : فائِدَتُهُ أَلَّا يَتَوَهَّمُ أَنَّ قَيْدَ الدَّخُولِ خَرَجَ مَخْرَجَ النَّالِبِ لَا مَخْرَجَ الشَّرْطِ ؛ كَافِيَ الْحَبْرَ الْمَقْهُومَ إِذَا خَرَجَ مَخْرَجَ النَّالِبِ ، فَلَا تَقْيِيدَ فِيهِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ ، خِلَافًا لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ وَالشَّيْخِ عَزَّ الدِّينَ بِنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَالْمِرَاقِ ، حَيْثُ قَالُوا : إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حُجَّةً بِلَا خِلَافٍ إِذَا لَمْ تَغْلِبْ ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ إِذَا كَانَتْ غَالِبَةً دَلَّتْ الْعَادَةَ عَلَيْهَا ؛ فَاسْتَفْتَى الْمُتَكَلِّمُ بِالْعَادَةِ عَنْ ذِكْرِهَا ، فَلَمَّا ذَكَرَهَا مَعَ اسْتِغْنَائِهِ عَنْهَا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرَدِّ الْإِخْبَارُ بِوُقُوعِهَا لِلْحَقِيقَةِ ؛ بَلْ لِيَتَرْتَّبَ عَلَيْهَا نَقْيُ الْحُكْمِ مِنَ السَّكُوتِ ؛ أَمَّا إِذَا لَمْ تَكُنْ غَالِبَةً أُمُكِنَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّمَا ذَكَرَهَا لِيَعْرِفَ السَّامِعُ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ تَعْرِضُ لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ﴾^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَلِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾^(٤) ،
 وَجُوزُوا أَنَّ الرِّهَانَ لَا يَخْتَصُّ بِالسَّفَرِ ، لَكِنْ ذِكْرُهُ لِأَنَّ قَدْرَ الْكَاتِبِ يَكُونُ فِيهِ غَالِبًا ،
 فَلَمَّا كَانَ السَّفَرُ مَقْلَبًا لِعَوَازِ الْكَاتِبِ وَالشَّاهِدِ لِلْوُثُوقِ بِهِمَا ، أُمِرَ عَلَى سَبِيلِ الْإِرْشَادِ بِمَحْفَظِ مَالِ الْمُسَافِرِينَ بِأَخْذِ الْوُثُوقِ الْآخَرَى ؛ وَهِيَ الرِّهَانُ .

وقوله تعالى : ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ كُنْتُمْ﴾^(٥) ،
 وَالْقَصْرُ جَائِزٌ مَعَ أَمْنِ السَّفَرِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ خَرَجَ مَخْرَجَ النَّالِبِ لَا الشَّرْطِ ، وَغَالِبَ أَسْفَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ لَمْ تَحُلْ مِنْ خَوْفِ الْمَوْتِ .

ومنه من جعل الخوف هنا شرطًا إن حمل القصر على ترك الركوع والسجود والنزول

(٢) سورة النساء ٢٣

(٤) سورة البقرة ٢٨٣

(١) سورة النساء ٢٤

(٣) الاسراء ١٦

(٥) سورة النساء ١٠١

عن الدابة والامتنال ونحوه ؛ لا في عدد الركعات ، لكن ذلك شدة خوف لا خوف ،
وسبب النزول لا يساعده .

وكقوله تعالى : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾^(١) .

القسم الثامن عشر

القسم

وهو عند النحويين جملة يؤكد بها الخبر ، حتى إنهم جعلوا قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ ﴾^(٢) قسماً وإن كان فيه إخبار ، إلا أنه لما جاء توكيداً
للخبر سمي قسماً .

ولا يكون إلا باسم معظم ، كقوله : ﴿ قَوْلَ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ قَوْلَ رَبِّكَ لَنَنْخَسِرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ قَوْلَ رَبِّكَ لَفَسَا لَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٧) .

وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿ فَلَا أَفْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾^(٩) .

فهذه سبعة مواضع أقسم الله فيها بنفسه والباقي كله أقسم بمخلوقاته .

(٢) سورة المنافقين ١

(٤) سورة يونس ٥٤

(٦) سورة مريم ٦٨

(٨) سورة مريم ٦٨

(١) سورة النور ٢٣

(٣) سورة القاديات ٢٣

(٥) سورة النباين ٧

(٧) سورة الحجر ٩٢

(٩) سورة الماعز ٤٠ .

كقوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَرْجُونَ﴾^(١).

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَمْشُونَ عَظِيمٌ﴾^(٢).

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالنُّجُومِ . الْجَوَارِى الْكُنُوسِ﴾^(٣).

وإنما يحسن في مقام الإنكار .

فإن قيل : ما معنى القسم منه سبحانه ؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن ، فالمؤمن يصدق بمجرد الإخبار ؛ وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد .

فلجواب : قال الأستاذ أبو القاسم القشيري : إن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها ، وذلك أن الحكم بفصل باثنين : إما بالشهادة ، وإما بالقسم ، فذكر تعالى النوعين حتى لا يبقى لهم حجة .

وقوله : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٤)

وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ . فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾^(٥) صاح وقال : من الذي أغضب الجليل حتى ألباه إلى اليمين ؟ قالها ثلاثا ، ثم مات .

فإن قيل : كيف أقسم بمخلوقاته وقد ورد النهي علينا ألا نقسم بمخلوق ؟

قيل : فيه ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنه حذف مضاف ، أى « ورب الفجر » و « رب الثين » ، وكذلك الباقي .

والثاني : أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسّم بها ؛ فنزل القرآن على ما يعرفون .

(٢) سورة الواقعة ٩٥

(٤) سورة الحجر ٧٢

(١) سورة الثين ٩

(٣) سورة التكاوير ١٥ ، ١٦

(٥) سورة القاريات ٢٢ ، ٢٣ .

والثالث : أن الأقسام إنما تجب بأن يُقسم الرجل بما يعظمه ، أو بمن يحلّه ؛ وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه ؛ فأقسم تارة بنفسه ، وتارة بمصنوعاته ، لأنها تدلّ على باريّ وصانع ؛ واستحسنه ابن خالويه .

وقسمه بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ لَعْمُرُكَ ﴾ ليعرّف الناس عظمته عند الله ، ومكانته لديه ، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري في « كنز اليواقيت » : والقسم بالشئ لا يخرج عن وجهين : إما لفضيلة أو لمنفعة ؛ فالفضيلة كقوله تعالى : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا آلْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ ^(١) ، والمنفعة نحو : ﴿ وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ ^(٢) .

وأقسم سبحانه بثلاثة أشياء :

أحدها : بذاته ، كقوله تعالى : ﴿ قَوْلَ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٣) ﴿ قَوْلَ رَبِّكَ لَنَا لَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(٤) .

والثاني : بقوله ، نحو : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا . وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا . وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ ^(٥) .

والثالث : بمفعوله ، نحو : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ ^(٧) .

وهو ينقسم باعتبار آخر إلى مظهر ومضمّر :

فالظاهر كقوله تعالى : ﴿ قَوْلَ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٧) ونحوه .

(٢) - سورة الذاريات ٢٣

(٤) - سورة الشمس ٥ ، ٦

(٦) - سورة الطور ١

(١) - سورة التين ٢ ، ٣

(٣) - سورة الحجر ٩٢

(٥) - سورة النجم ١

(٧) - سورة الذاريات ٢٣

والضرر على قسمين : قسم دلت عليه لام القسم ، كقوله : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾^(١) وقسم دل عليه للنفي ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾^(٢) تقديره « والله » .

وقد أقسم تعالى بطوائف اللاتكة في أول سورة الصافات^(٣) ، والمرسلات^(٤) ، والنازعات^(٥) .

فوائد

الأولى : أكثر الأقسام المحذوفة الفعل في القرآن ؛ لا تكون إلا بالواو ، فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِأَلْفِ جَهْدٍ أَيْمَانِهِمْ ﴾^(١) ﴿ يَحْلِفُونَ بِأَلْفِهِ ﴾^(٢) . ولا تجيء الباء والفعل محذوف إلا قليلا ؛ وعليه يحمل بعضهم قوله : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾

(٢) سورة مريم ٧١

(١) سورة آل عمران ١٨٦

(٣) وهو قوله تعالى : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا . فَالْزَّاجِرَاتِ زَجْرًا . فَالَّتَالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾

قال الزمخشري في الكشاف ٤ : ٢٥ : أقسم الله سبحانه بطوائف اللاتكة أو بنفوسهم الصافات أقسامها في الصلاة .

(٤) وهو قوله تعالى : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا . فَالْمَاصِيغَاتِ وَعَصًا . وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا .

فَالْمُفَارِقَاتِ فَرْقًا . فَالْمَلَكِيَّاتِ ذِكْرًا . عَذْرًا أَوْ نَذْرًا إِنَّنَا تَوَعْدُونَ لَوَاقِعُ ﴾

قال الزمخشري في الكشاف ٤ : ٥٤١ : أقسم سبحانه بطوائف من اللاتكة أرسلين بأوامره فمصنف في مضمين كما تصف الرياح ؛ تخففا في امتثال أمره .

(٥) وهو قوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غُرَفًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا . وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا .

فَالسَّاقِيَّاتِ سَبْقًا . فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ قال الزمخشري في الكشاف

٤ : ٥٥٣ : أقسم سبحانه بطوائف اللاتكة التي تنزع الأرواح من الأجساد ؛ والطوائف التي تنشطها ، أي تخرجها والطوائف التي تسبح في مضيها ، أي تسرع فتسبق إلى ما أمروا به ، فتدبر أمرا من أمور العباد بما يصلحهم في دينهم أو دنياهم .

(٧) سورة التوبة ٦٢ .

(٦) سورة النحل ٣٨

لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ^(١) وقال : الباء باء القسم ؛ وليست متعلقة بـ « تُشْرِكْ » ، وكأنه يقول : « يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ » ثم ابتداء فقال : « يَا لَلَّهِ » لا تُشْرِكْ ؛ وحذف « لا تُشْرِكْ » لدلالة الكلام عليه : وكذلك قوله : « ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ^(٢) » ؛ قيل : إن قوله : « بما عاهد » قسم ؛ والأولى أن يقال : إنه سؤال لا قسم .

وقوله : « مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ^(٣) » حذف على (لِ) وتبتدىء (بحق) فجعله قسما .

هذا مع قول النحويين : إن الواو فرع الباء ؛ لكنه قد يكثر الفرع في الاستعمال ويقبل الأصل .

الثانية : قد علمت أن القسم إما جئ به لتوكيد المقسم عليه ؛ فتارة يزيدون فيه للعبارة في التوكيد ، وتارة يحذفون منه للاختصار وللعلم بالمحذوف .

فما زادوه لفظ « إِي » بمعنى « نعم » ، كقوله تعالى : « قُلْ إِي وَرَبِّي^(٤) » .
ومما يحذفونه فعل القسم وحرف الجر ، ويكون الجواب مذكورا ، كقوله تعالى : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ^(٥) أَى » والله .

وقوله : « لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ^(٦) » ، « لَنَسْمَأَ بِالذَّاصِيَةِ^(٧) » ، « لَيْسُ جَنِّ وَلَيْسُ كُونًا مِنْ الصَّاغِرِينَ^(٨) » .

وقد يحذفون الجواب ويبقون القسم للعلم به ، كقوله تعالى : « ص . وَالْقُرْآنِ

(٢) سورة الزخرف ٤٩

(٤) سورة يونس ٥٣

(٦) سورة الشعراء ٤٩

(٨) سورة يوسف ٣٢

(١) سورة نهم ١٣

(٣) سورة المائدة ١١٦

(٥) سورة الأحزاب ٢١

(٧) سورة الملق ١٥

ذِي الذِّكْرِ^(١) على أحد الأقوال ؛ أن الجواب حُذِفَ لطول الكلام ؛ وتقديره « لأعذبهم على كفرهم » .

وقيل : الجواب : إن ذلك لحق .

ومما حذف فيه القسم به قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾^(٢) ، أى غاف
إنك لرسول الله ؛ لأن الشهادة بمعنى التمين ، بدليل قوله : ﴿ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةٌ ﴾^(٣) .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾^(٤) ، فالأول قسم بمنزلة ، « والحق »
جوابه « لأملأن » ، وقوله : ﴿ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾^(٥) نو كيد للقسم .

وأما قوله : ﴿ وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ ﴾^(٦) ، ثم قال : ﴿ قَتَلَ أَصْحَابَ الْأَخْذُودِ ﴾^(٧)
قالوا : وهو جواب القسم ، وأصله « لقد قتل » ثم حذف اللام وقد .

الثالثة : قال الفارسي في الحجة : الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان :

أحدهما : ما تكون جارية كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم ، فلتجانب بجوابه ،
كقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٨) ، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾^(٩) ، ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ
لَكُمْ ﴾^(١٠) ؛ فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسمًا وأن يكون حالًا لخلوه من الجواب .

والثاني : ما يتعلق بجواب القسم ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا

(١) سورة النافقين ١ .

(٢) سورة س ٨٤

(٣) سورة البروج ١١

(٤) سورة البقرة ٦٣

(٥) سورة من ١٠٤

(٦) سورة النافقين ٢٠

(٧) سورة س ٨٤

(٨) سورة الحديد ٨

(٩) سورة المجادلة ١٨

الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ» ^(١) ، «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْيُنِهِمْ» ^(٢) .

الرابعة : القسم والشرط ، يدخل كل منهما على الآخر ؛ فإن تقدم القسم ودخل الشرط بينه وبين الجواب كان الجواب للقسم ؛ وأغنى عن جواب الشرط ؛ وإن عكس فبالعكس ؛ وأيهما تصدر كان الاعتماد عليه والجواب له .

ومن تقدم القسم قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ ^(٣) ، تقديره « والله إن لم تنته » ، فاللام الداخلة على الشرط ليست بلام القسم ، ولكنها زائدة ، وتسمى للموطئة للقسم ويمنون بذلك أنها مؤذنة بأن جواب القسم متتظر ؛ أى الشرط لا يصلح أن يكون جواباً ؛ لأن الجواب لا يكون إلا خيراً .

وليس دخولها على الشرط بواجب ، بدليل حذفها في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهِوا عَمَّا يُعْمَلُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٤) .

والذى يدل على الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام فيه ؛ وأنه ليس بمجزوم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِعِثْلٍ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ ^(٥) . ولو كان جواب الشرط لسكان مجزوما .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ مَتَّ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تَحْشَرُونَ ﴾ ^(٦) ؛ فاللام في « ولئن » هى الموطئة للقسم ، واللام في « لآلى الله » هى لام القسم ؛ ولم تدخل نون التوكيد على الفعل للفصل بينه وبين اللام بالجاء والجورور . والأصل « إن ممت أو قتلتم لتتحشرون إلى الله » فلما قدم معمول الفعل عليه حذف منه .

(٢) سورة النحل ٣٨

(٤) سورة المائدة ٧٣

(٦) سورة آل عمران ١٥٨

(١) سورة آل عمران ١٨٧

(٣) سورة مريم ٤٦

(٥) سورة الإسراء ٨٨

القسم التاسع عشر

إبراز الكلام في صورة الاستحيل على طريق المبالغة ليدل على بقية جملة

كقول العرب : لا أكلك حتى يبيض القار ، وحتى يشيب الفراب ، وكقوله تعالى : ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(١) ، بمعنى والجل لا يلبج في السم ، فهو لا يدخلون ، فهو في المني متعلق بالخال ، فاللغى أنهم لا يدخلون الجنة أصلاً ، وليس للغاية هنا مفهوم ، ووجه التأكيذ فيه كدعوى الشيء بيئته ، لأنه جعل ولوج الجل في السم غاية لنفي دخولهم الجنة ، وتلك غاية لا توجد ، فلا يزال دخولهم الجنة منتفياً .

وغالى بمض الشعراء في وصف جسمه بالنحول ، فجاء بما يزيد على الآية ، فقال :
وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ خَالِدٌ
وهذا على طريقة الشعراء في اعتبار المبالغة ، وإلا فمارضات القرآن لا تجوز ، كما سبق التنبيه عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا فَرَغْتُمْ﴾^(٢)
فإن المعنى : إن كان ماسلف في الزمن السالف يمكن رجوعه غله ثابت ، لكن لا يمكن رجوعه أبداً ، ولا يثبت حله أبداً ، وهو أبلغ في النهى الجرد .
ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَائِدِينَ﴾^(٣) ، أي ولكن ليس له ولد ، فلا أعيد سواه .

(١) سورة الأعراف ٤٠

(٢) سورة النساء ٢٢

(٣) سورة الزخرف ٨١

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾^(١) ، أى إن كان تسليم بعضهم على بعض ، أو تسليم الملائكة عليهم لغوا ، فلا يسمعون لغوا إلا ذلك ؛ فهو من باب قوله وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُبُوحَهُمْ بَيْنَ قُلُوبٍ مِنْ قُرَاجِ الْكِتَابِ^(٢) ومنه قوله : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾^(٣) ، فإن الناس استشكلوا وجه الاستثناء ، مع أنهم لا يذوقون فيها الموت مطلقاً . ومقتضى استثنائها من النفى أنهم يذوقونها فى الجنة وليس كذلك .

ووجه الزمخشري^(٤) بأنه من التوكيد فى الدلالة ، والموتة الأولى لا يذوقونها أصلاً ؛ إذ يستحيل عود ما وقع ؛ فلا يذوقون فيها الموت أصلاً ، أى إن كانوا يذوقون فلا يكون ذلك إلا الموتة الأولى ، وإن كان إيقاع الموتة الأولى فى الجنة مستحيلاً ، فمعرض بالاستثناء إلى استحالة الموت فيها .

هذا إن جملنا الاستثناء متصلاً ؛ فإن كان منقطعاً ، فالغنى : « لكن الموتة الأولى قد ذاقوها » .

ويحتمل على الاتصال أن يكون الغنى فيها ، أى فى مقدماتها ، لأن الذى يرى مقامه فى الجنة عند الجنة عند موته ينزل منزلة من هو فيها ، بتأويل الذوق على معنى المستحيل . فهذه ثلاثة أوجه .

القسم الثانى العشر

الاستثناء والاستدراك

ووجه التأکید فيه أنه تكرر مرتين ، مرة فى الجملة ومرة فى التفصيل .

(٢) البيت الثانية الديان ، ديوانه ٦

(٤) انظر الكتاب ١ : ٢٢٣

(١) سورة مريم ٦٢

(٣) سورة الدخان ٥٦

فإذا قلت : قام القوم إلا زيدا ، فكأنه كان في جملتهم ، ثم خرج منهم ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾^(١) ؛ فإن فيه معنى زائدا على الاستثناء ، هو تعظيم أمر الكبيرة التي أتى بها إبليس ، من كونه خرق إجماع الملائكة ، وفارق جميع الملأ الأهل بحجوجه مما دخلوا فيه من السجود لآدم ؛ وهو بمثابة قولك : أمر الملك بكذا فأطاع أمره جميع الناس ؛ من أمير ووزير إلا فلانا ؛ فإن الإخبار عن معصية الملك بهذه الصيغة ، أبلغ من قولك : أمر الملك فصاء فلان .

وفي ضمن ذلك وصف الله سبحانه بالعدل فيما ضربه على إبليس من خزى الدنيا ، وختم عليه من عذاب الآخرة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ أََلَّا حَسِبِينَ عَمَّا ﴾^(٢) فإن في الإخبار عن المدة بهذه الصيغة تهويلا على السامع ؛ ليشهد عذر نوح عليه السلام في الدعاء على قومه . وحكمة الإخبار عن المدة بهذه الصيغة تعظيم المدة ؛ ليكون أول ما يباشر السمع ذكر « الألف » واختصار اللفظ ؛ فإن لفظ القرآن أخصر من « تسعمائة وخمسين عاما » ؛ ولأن لفظ القرآن يفيد حصر العدد المذكور ولا يحتمل الزيادة عليه ولا النقص .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾^(٣) فإنه سبحانه لما علم أن وصف الشقاء بعم اللؤم الماص والكافر ، استغنى من حكم مخلوده في النار لفظ مطمع ، حيث أثبت الاستثناء المطلق ، وأكد به قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ قَمَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ؛ أى أنه لا اعتراض عليه في إخراج أهل الشقاء من النار . ولما علم أن أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة أكد خلودهم بعد الاستثناء بما يرفع أصل الاستثناء ، حيث قال : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ

(٢) سورة التكبوت ١٤

(١) سورة الحجر ٣٠ ، ٣١

(٣) سورة هود ١٠٦ ، ١٠٧

تَجَذُّوْذٍ^(١) أى غير منقطع ؛ لئيم أن عطاءه لم الجنة غير منقطع . وهذه المأنى زائدة على الاستثناء اللغوى .

وقيل : وجه الاستثناء فيه الخروج من الجنة إلى منزلة أعلى كالرضوان والرؤية ، ويؤيده قولُ بعض^(٢) الصحابة :

* وَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا *

وصوبه النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وجعل الزمخشري الاستثناء الأول لخروج أهل النار إلى الزمهرير ، أو إلى نوع آخر من المذاب بناء على مذهبه من تخليد أهل الكبائر فى النار ، وجعل الاستثناء الثانى دألاً على نجاة أهل الكبائر من المذاب ، فكأنه تصور^(٣) أن الاستثناء الثانى لما يحمل على انقطاع النعيم ، لقوله تعالى : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ تَجَذُّوْذٍ ﴾ فكذا الاستثناء الأول لا يحمل على انقطاع عذاب الجحيم لتناسب أطراف الكلام . وقال : معنى قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَتَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ عقب الاستثناء الأول فى مقابلة قوله : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ تَجَذُّوْذٍ ﴾ عقب الثانى ، أَنَّ الله تعالى يفعل بأهل النار ما يريد من المذاب ، كما يعطى لأهل الجنة عطاءه الذى لا انقطاع له^(٤) .

قيل : وما أصدق فى سياق الزمخشري فى هذا اللوضع قول القائل :

* حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ *

وذلك لأن ظاهر الاستثناء ؛ هو الإخراج عن حكم ما قبله ، ولا موجب للدول

(١) سورة هود ١٠٨

(٢) هو النابتة الجمىدى ؛ أتى النبى صلى الله

عليه وسلم فأنشده قصيدته ؛ فلما بلغ إلى قوله :

بَلَقْنَا السَّمَاءَ تَجْدُنًا وَجْدُونًا وَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لى أين بأبأ لى ؟ » ، فتنا : إلى الجنة ؛ فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : « لى شاء الله » الشعر والشراء ٢٥٧ (٣) م : « يتصور » .

(٤) راجع الكشف ٢ : ٣٣٦

عن الظاهر في الاستثناء الأول ، فحل على النجاة . ولما كان إنجاء المستحق العذاب محل
تعجب وإنكار ، عقبه بقوله : ﴿ إِنْ رَبِّكَ قَالُ لِمَا يُرِيدُ ﴾ ؛ أى من العذاب
والإنجاء منه ، بفضل ، ولا يتوجه عليه اعتراض أحد ؛ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .
وأما الاستثناء الثانى فلما لم يكن على ظاهره ، كان إخراج أهل الجنة للمستحقين
للتواب وقطع النعم لا يناسب إنجاء أهل النار المستحقين للعذاب ، فلذا عقب بقوله :
﴿ عَطَاءٌ غَيْرُ تَجْدُوذٍ ﴾ ^(١) بيانا المقصود .

ورعاية هذا الباب أولى من رعاية الباب الذى توم الزخشرى ؛ فإن حاصله يرجع
إلى أن الاستثناء الثانى لما لم يكن على ما هو الظاهر في باب الاستثناء ؛ بنى ألا
يكون الاستثناء الأول أيضاً على ما هو الظاهر . ولا يخفى على النصف أنه تستف .
وأما قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ ^(٢) فالمنى لطعام لم أصلا ؛ لأن
الضريع ليس بطعام البهائم فضلا عن الإنس ؛ وذلك كقولك : ليس لقلاز ظل إلا الشمس ؛
تريد بذلك نفى الظل عنه على التوكيد ، والضريع نبت ذو شوك يسمى الشبرق في حال
خضرته وطراوته ، فإذا يبس سُمي الضريع ، ، والإبل ترعاه طريقاً لا يابياً .
وقريب منه تأكيد للدح بما يشبه الدم ، بأن يستقى من صفة ذم منفية عن الشئ صفة
مدح ، بتقدير دخولها فيها ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا . إِلَّا قِيلًا
سَلَامًا سَلَامًا ﴾ ^(٣) التأكيد فيه من وجهين : على الاتصال في الاستثناء والاتطاع .

الفهم الحادى والعشره

المبالغة

وهى أن يكون للشئ صفة ثابتة ؛ فتزيد في التعريف بمقدار شدته أو ضعفه ؛ فيدعى

(٢) سورة الفاشية ٦

(١) سورة هود ١٠٨

(٣) سورة الواقعة ٢٥ ، ٢٦

له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع ؛ أو ^(١) يحيل عقله ثبوته .
ومن أحسنها قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ مُّجْتَمِعٍ يَبْغِشُهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ ^(٢) ، وهي ^(٣) ظلمة البحر وظلمة الموج فوقه ، وظلمة السحاب فوق الموج .

وقوله تعالى : ﴿ بَلَّغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ ﴾ ^(٤) ، أى كادت تبلغ ؛ لأن القلب إذا زال عن موضعه مات صاحبه .

وقيل : هو حقيقة ، وإن الخوف والروع يوجب للخائف أن تنتفخ رثته ، ولا يبعد أن ينهض بالقلب نحو الخنجر . ذكره الفراء وغيره .

أو أنها لما اتصل وجيبها واضطربا بلغت الحناجر .

ورد ابن الأنباري ^(٥) تقدير « كادت » فإن « كاد » لا تضمن .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَرْوُلْنَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ نَكَادُ السَّمَاوَاتِ يَمْقَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا . أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ .

ومنه المبالغة في الوصف بطريق التشبيه ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ ^(٧) .

(١) م « إذ » ؛ والصواب ما أثبتته من ب . (٢) سورة النور : ٤٠

(٣) : « فتنى » ، والصواب ما أثبتته من ث .

(٤) سورة الأحزاب : ١٠ (٥) هو أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ؛

وقله أيضا الشريف المرتضى ؛ ورده . وانظر غرر الفوائد : ٣٣٤

(٦) سورة إبراهيم : ٣٦ (٧) سورة مريم : ٩٠

(٨) سورة المرسلات : ٣٢ ، ٣٣

وقد يخرج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر المبالغة وهو مجاز، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(١)، فجعل بجى جلائل آياته، بحيث لا له سبحانه، على المبالغة.

وكقوله سبحانه: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوَاقُهُ حِسَابَهُ﴾^(٢)؛ فجعل ثله بالملكة من دار العمل إلى دار الجزاء وجدانا للجازى.

ومنه ما جرى مجرى الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنًا يَرْقِيَهُ بَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾^(٣)، فإن اقتران هذه بـ «يكاد» صرفها إلى الحقيقة، فاقطب من الامتناع إلى الإمكان.

وقد تبحر المبالغة مدحجة، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَمَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^(٤)، فإن المبالغة في هذه الآية مدحجة في القابلة، وهى بالنسبة إلى المخاطب، لا إلى المخاطب؛ معناه أن علم ذلك متمدّر عندك؛ وإلا فهو بالنسبة^(٥) إليه سبحانه إيس بمبالغة.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ لَاجِرٌ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى...﴾^(٦) الآية، قيل^(٧): سببها أن اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: كيف عُنُقْنَا بهذا القول: ﴿وَمَا أَوْتَيْنَاهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٨)، ونحن قد أوتينا التوراة، وفيها كلام الله^(٩)، وأحكامه، ونور وهدى! فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «التوراة قليل من كثير»، ونزلت هذه الآية.

(٣) سورة: شور ٣٩ (٣) سورة: النور ٤٣

(٥) كذا في م، وفي ت: «الله».

(٧) قوله الواحدى في أسباب القول ٢٢٥،

(٨) سورة الإسراء ٨٥

(٩) عبارة أسباب النور: «أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً».

(١) سورة انفجر ٢٢

(٢) سورة الرعد ١٠

(٣) سورة الكهف ١٠٩

عن ابن عباس.

وقيل : إنما نزلت : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾^(١) .

قال المفسرون : والقرض من ذلك الإعلام بكثرة كلاته ؛ وهي في نفسها غير متناهية وإما قرب الأمر على أفهام البشر بما يتناهى ؛ لأنه غاية ما يمهده البشر من الكثرة .

وقال بعض المحققين : إن ما تضمنت الآية أن كلات الله تعالى لم تكن لتنفد ، ولم تقتض الآية أنها تنفذ بأكثر من هذه الأقلام والبحور ؛ وكما قال الخضر عليه السلام : ما نقص عليّ وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا المصنور من ماء البحر حين غمس منقاره فيها .

وعد بعضهم من هذا القيل ما جاء من اللبائفة في القرآن من الإغضاء عن العيوب ، والصفح عن الذنوب ، والتغافل عن الزلات ، والستر على أهل الروايات ، كقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٢) .
وقيل في تفسيره : أن تصل من قطعك ، وتمطى من حرمك وتمفؤ من ظلك .
وقوله تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾^(٣) الآية .

(١) سورة لقمان ٢٧ ، وفي أسباب النزول لقواحدى من ٢٦٠ أيضاً : « قال المفسرون : سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ أتاه أخبار اليهود فقالوا : يا محمد ، بلغنا عنك أنك تقول : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أضعفنا أم قومك ؟ فقال : كلا عيتي ؛ قالوا : أأنت تتلو فيما جاءك إننا قد أوتينا النبوة وفيها علم كل شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هي في علم الله سبحانه قليل ، ولقد آتاكم الله ما إن علمتم به انتفضتم به » ، فقالوا : يا محمد ، كيف تزعم هذا وأنت تقول : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ وكيف يجمع هذا ! علم قليل وخير كثير ! فأنزله الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ... ﴾

تنبيه

(١) تمحصل مما سبق أن قصد المبالغة يستلزم في الحال الإيجاز؛ إنما بالحذف، وإما بمجمل الشيء نفس الشيء، أو بتكرار لفظ يتم بتكرره التهويل والتعظيم، ويقوم مقام أوصاف، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٢).
وقد نص سيبويه على هذا كله في مواضع شتى من كتابه لاقترافها في أحكام.

فائدة

[في اختلاف الأقوال في تقدير المبالغة في الكلام]

اختلف في المبالغة على أقوال :

أحدها : إنكار أن تكون من محاسن الكلام لاشتمالها على الاسمات .

والثاني : أنها النافية في الحسن ؛ وأعذب الكلام ما بولغ فيه ؛ وقد قال النابغة :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْفَرْ يُلْعَنُ فِي الضُّعَى وَأَسِيفُنَا يَقَطْرُنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

والثالث : وهو الأصح ؛ أنها من محاسن الكلام ؛ ولا ينحصر الحسن فيها - فإن

فضيلة الصدق لا تُنكر - ولو كانت معيبة لم ترد في كلام الله تعالى ؛ ولها طريقان :

أحدهما : أن يستعمل اللفظ في غير معناه لغة ، كما في الكناية والتشبيه والاستمارة وغيرها ، من أنواع المجاز .

والثاني : أن يُشْعَمَ ما يُفهم المعنى بالمعنى على وجه يتقضى زيادة ؛ فتترادف (٣) الصفات

(٢) سورة الحاقة ١

(١) هذا التنبيه ساقط من ت .

(٣) ق : « قتراد » .

بقصد التهويل ، كما في قوله تعالى : ﴿ فِي بَحْرِ لُجِّي يَنْشَأُ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِرٍ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِرٍ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ (١) .

القسم الثاني والعشرون

الاعتراض

وأسماء قدامة^(٢) : « التفاتا »^(٣) ، وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى ، بشئ يتم الغرض الأصلي بدونه ، ولا يفوت بفواته ، فيكون فاصلا بين الكلام والكلامين ، لنكتة .

وقيل : هو إرادة وصف شيئين : الأول منهما قصداً ، والثاني بطريق الانجرار ؛ وله تعليق بالأول بضرب من التأكيد .

وعند النحاة جملة صغرى تتخلل جملة كبرى على جهة التأكيد .

وقال الشيخ عز الدين في أماليه : الجملة للمعترضة تارة تكون مؤكدة ، وتارة تكون مشددة ؛ لأنها إما ألا تدل على معنى زائد على ما دل عليه الكلام بل دلت عليه فقط ، فهي مؤكدة . وإما أن تدل عليه وعلى معنى زائد ، فهي مشددة . انتهى .

وذكر النحاة مما تميز به الجملة الاعتراضية عن الحالية كونها طلبية ، كقوله تعالى :

(١) سورة النور . ٤٠

(٢) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر ؛ صاحب كتاب نقد الشعر .

(٣) قال : « ومن ضوت للمعاني الالتفات ؛ وهو أن يكون الشاعر آخفا في معنى ؛ فكأنه يعترضه ؛ إما شك فيه . أو من أن رادا يرد عليه قوله ؛ أو سائلا يسأله عن سببه ؛ فيعود راجعا إلى ما قدمه ؛ فإذا أن يذكر سببه ؛ أو يجعل الشك فيه » وانظر نقد الشعر ٨٧ ، وبيد القرآن ٤٢

﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١) ، فإنه معترض بين : ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^(٢) ، وبين : ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾^(٣) .

وله أسباب :

منها تقرير الكلام ، كقولك : فلان أحسن بفلان - ونم مافل . ورأى من رأى كذا - وكان صوابا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَآ جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٤) ، ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ اعتراض ؛ والمراد تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة .

وقوله : ﴿وَأَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(٥) .

﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً وَكَذَّالِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٦) ، واعتراض بقوله : ﴿وَكَذَّالِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٧) ، بين كلامها^(٨) .

وقوله : ﴿وَأَتَوَاهِ مَنَاصِبَهَا﴾^(٩) .

ومنها قصد التنزيه ، كقوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْآلِنَاتِ - سُبْحَانَهُ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(١٠) ، فاعتراض ﴿سُبْحَانَهُ﴾ لفرض التنزيه والتعظيم ، وفيه الشناعة على من جعل البنات لله .

ومنها قصد التبرك ، وكقوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾^(١١) .

(٢) سورة يوسف ٢٣

(١) سورة آل عمران ١٣٥

(٤) سورة النمل ٣٤

(٣) سورة القتال ٢

(٥) أى من كلام بلقيس ؛ وبقية كلامها : ﴿إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ۖ﴾ .

(٧) سورة النحل ٥٧

(٦) سورة البقرة ٢٥

(٨) سورة الفتح ٢٧

ومنها قصد التأكيـد: كقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَفْلَهُونَ عَظِيمٌ﴾^(١) .

وفيها اعتراضان ؛ فإنه اعترض بقوله ؛ ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾^(١) بين القسم وجوابه ، واعتراض بقوله : ﴿لَوْ تَفْلَهُونَ﴾^(١) بين الصفة والوصف ؛ وللمراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم ، وتأكيـد إجلاله في النفوس ، لا سيما بقوله : ﴿لَوْ تَفْلَهُونَ﴾^(١) .

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا . أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾^(٢) فـ « أولئك » الخبر و « إِنَّا لَا نُضِيعُ » اعتراض .

ومنها كون الثاني بياناً للأول ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٣) ؛ فإنه اعتراض وقع بين قوله: ﴿فَاتُوهُنَّ﴾^(٣) ، وبين قوله: ﴿نِسَاءُكُمْ حَرِّثَ لَكُمْ﴾^(٤) ، وهما متصلان معنى ؛ لأن الثاني بيان للأول ؛ كأنه قيل : فاتوهن من حيث يحصل منه الحرث . وفيه اعتراض بأكثر من جملة .

ومنها تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيـد على أمر علق بهما ، كقوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنَةً أُمُّهُ وَهَنًا حَلِيٌّ وَهْنٌ وَفِصَالُهُ فِي عَمَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾^(٥) ، فاعتراض بقوله : ﴿حَلَّتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا حَلِيٌّ وَهْنٌ وَفِصَالُهُ فِي عَمَيْنِ﴾^(٥) بين « ووصينا » وبين الموصى به ، وفائدة ذلك إذكـار الولد بما كابدته أُمُّه من المشقة في حملـه وفصالـه ، فذكر الحمل والفصال يفيد زيادة التوصية بالأُم ، لتحمّلها من المشاق والمتاعب في حمل الولد ما لا يشكّله الولد ، ولهذا جاء في الحديث التوصية بالأُم ثلاثاً ، وبالأب مرة .

(٢) سورة الكهف ٣٠ ، ٣١

(٤) سورة البقرة ٢٢٣

(١) سورة الواقعة ٧٥ ، ٧٦

(٣) سورة البقرة ٢٢٢

(٥) سورة لقمان ١٥٠

ومنها زيادة الرد على الخصم ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا... ﴾^(١) الآية قوله : ﴿ وَأَلَّهْ تُخْرِجُ ﴾^(٢) اعتراض بين المطفوف والمطفوف عليه . وقادته أن يقرر في أنفس المخاطبين أن تدارؤ بني إسرائيل في قتل تلك الأفس لم يكن نافعا لهم في إخفائه وكنائه ، لأن الله تعالى مظهر لتلك^(٣) وخروجه ، ولو جاء الكلام خالياً من هذا الاعتراض لكان ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾^(٤) ﴿ قَتَلْنَا أَسْرِيَهُ بِبَيْعِهَا ﴾^(٥) . وقوله : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾^(٦) ، فاعتراض بين « إذ » وجوابها بقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ ﴾^(٧) ؛ فكأنه أراد أن يجيبهم عن دعواهم فجعل الجواب اعتراضاً .

قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾^(٨) إلى قوله : ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَتْلُمُونَ ﴾^(٩) .

وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١٠) إلى قوله : ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَمِزُّونَ ﴾ اعتراض في أثناء الكلام . وهو قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَزَتْ ﴾ الآية ، وذلك لأن قوله : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ ﴾ سبب عن قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَزَتْ ﴾ على معنى أنهم يشمزون من توحيد الله تعالى ، ويستبشرون بالشرك الذي هو ذكر الآلهة ؛ فإذا مس أحدهم ضرٌّ أو أصابته شدة تناقض في دعواه ، فدعا من أشاز من ذكره وانقبض من توحيده ولجأ إليه دون الآلهة ، فهو اعتراض بين السبب والسبب ، فتيد القول بما فيه من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بأمره بذلك ، ويقول : ﴿ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ ﴾ ، ثم عقبه من الوعيد العظيم أشد التأكيد وأعظمه وأبلغه ؛

(٢) م : ذكك .

(٤) سورة النحل ١٠١

(١) سورة البقرة ٧٢

(٣) سورة البقرة ٧٣

(٥) سورة الزمر ٤٥ - ٤٩

ولذلك كان اتصال قوله: ﴿وَإِذْ آمَسَ الْإِنْسَانُ ضُرَّةَ دَعَارِبِهِ﴾^(١) للسبب الواقع فيها، وخلق الأول، منه من الأمر اشتراك جملة مع جملة، ومناسبة أوجبت العطف بالواو للوضوغة لطلق الجمع، كقولهم: قام زيد وعمرو. وتسبب السبب مع ما في ظاهر الآية من اشتراطهم ليس يقتضى التجاهل إلى الله تعالى، وإنما يقتضى إعراضهم عنه من جهة أن سياق الآية يقتضى إثبات التناقض؛ وذلك أنك تقول: زيد يؤمن بالله تعالى؛ فإذا مسه الضرر لجأ إليه فهذا سبب ظاهر مبني على اطراد الأمر وتقول: زيد كافر بالله، فإذا مسه ضرر لجأ إليه، فتجئ بالفاء هنا كالأول لنقض التزام التناقض، أو العكس، حيث أنزل الكافر كفره منزلة الإيمان في فصل سبب الالتجاء؛ فأنت تلزمه العكس؛ بأنك إنما تقصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب من فعله^(٢).

وقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) بقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾. له مقاليد السموات والأرض^(٤) اعتراض واقع في أثناء كلام متصل؛ وهو قوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٥)، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٦)، وهو على مهبج أسلوب القرآن؛ من ذكر الضد عقب الضد؛ كقيل:

* وبضدها تبين الأشياء *

ومنها الإدلاء بالحجة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾^(٧)، فاعترض بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا﴾ بين قوله: ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ وبين قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾^(٨) إظهاراً لقوة الحجة عليهم.

(١) كذا وردت الباردة في الأصول وفيها غش.

(٢) سورة الزمر ٦٣

(٣) سورة التعل ٤٣، ٤٤

(٤) سورة الزمر ٥٨

(٥) سورة الزمر ٦٢

(٦) سورة الزمر ٦٤

وبهذه الآية رد ابن مالك على أبي على الفارسي قوله : إنه لا يعترض بأكثر من جملة واحدة .

ورد أن جملة الأمر دليل للجواب عند الأكثرين ونفسه عند آخرين ، فهو مع جملة الشرط ، كالجملة الواحدة . نعم جوزوا في قوله تعالى : ﴿ مُتَكِنِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَاطُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾^(١) ، أن يكون حالا من قوله : ﴿ وَلَمِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾^(٢) ، فلزم الاعتراض بسبع جل مستقلات ؛ إن كان : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾^(٣) ، خبر مبتدأ محذوف ؛ وإلا فيكون بست جل .

وقال الزخشري في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . أَقَامِينَ أَهْلَ الْقُرَىٰ . . . ﴾^(٤) الآية : إن في هذه الآية الكريمة سبع جل معترضة : جملة الشرط ، و « اتقوا » و « فتحننا » و « كذبوا » و « أخذناهم » و « بما كانوا يكسبون » . وزعم أن « أقامين »^(٥) معطوف على « فَأَخَذْنَاهُمْ بِنِقَّةٍ ﴾^(٦) ، وكذا نقله ابن مالك عن الزخشري وتبعه أبو حيان ، ولم يوجد ذلك في كلام الزخشري .

قال ابن مالك : ورد عليه من ظن أن الجملة والكلام مترادفان ، قال : وإنما اعترض بأربع جل ؛ وزعم أن من عند ﴿ وَلَوْ أَنَّ ﴾^(٧) إلى ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾^(٨) جملة ؛ لأن الفائدة إنما تم بمجموعه .

وفي القولين نظر ؛ أما على قول ابن مالك فينبغي أن يكون بعدها ثمان جل ؛ أحدها :

(٢) سورة الرحمن ٤٦

(٤) سورة الأعراف ٩٦

(٦) سورة الأعراف ٩٥

(١) سورة الرحمن ٥٤

(٣) سورة الرحمن ٤٨

(٥) سورة الأعراف ٩٧

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وأربعة في حيز «لَوْ» وهي ﴿آمَنُوا﴾ و﴿اتَّقُوا﴾ و﴿فَضَعْنَا﴾ ،
والركبة مع أَنَّ وصلتها مع «ثَبِتَ» مقيداً على الخلاف في أنها فعلية أو اسمية ، والسادسة
﴿وَلَكِنْ كَذِبُوا﴾ والسابعة ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ والثامنة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

وأما قول المترض فلأنه كان من حق أن يهدأ ثلاث جمل : أحدها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ؛
لأنها حال مرتبطة بعاملها وليست مستقلة برأسها ؛ والثانية «لَوْ» وما في حيزها ، جملة واحدة
فعلية إن قدر : «لو ثبت أن أهل القرى آمنوا واتقوا» ، أو اسمية وفعلية إن قدر :
إيمانهم ، واتقوا ثابتان ، والثالثة ﴿وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)
كله جملة .

وينبغي على قواعد البيانين أن يمدوا الشكل جملة واحدة لارتباط بعضها ببعض ،
وعلى رأى النحاة ينبغي أن يكون ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾^(٢) جملة واحدة
لارتباط الشرط بالجزاء لفظاً ، ﴿وَلَكِنْ كَذِبُوا﴾ ثانية أو ثالثة ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ ثالثة
أو رابعة ، و﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ متعلق بـ «أَخَذْنَاهُمْ» فلا يمدّ اعتراضاً .

وقوله : ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾^(٣) ، فهذه ثلاث
جمل معترضة بين ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ﴾^(٤) وبين ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ .

وفيه اعتراض في اعتراض ؛ فإن ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ معترض بين ﴿غِيضَ الْمَاءِ﴾
وبين ﴿وَاسْتَوَتْ﴾ .

ولا مانع من وقوع الاعتراض في الاعتراض ، كقوله : ﴿وَأَنَّهُ لَنَسَمَ لَوْ تَعْلَمُونَ
عَظِيمٌ﴾^(٥) .

(٢) سورة هود ٤٤

(١) سورة الأعراف ٩٦

(٣) الواقعة ٧٦

ومنه قوله تعالى في سورة العنكبوت ذاكراً عن إبراهيم قوله : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾^(١) ، ثم اعترض نسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿وَإِنْ نَكَدْتُمْ إِيَّاهُ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ عَنْهُ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٢) ، وذكر آيات ، إلى أن قال : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾^(٣) يعني قوم إبراهيم ، فرجع إلى الأول .
وجعل الزمخشري قوله تعالى : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾^(٤) ، وفي آخر الصفات معطوفاً على ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾^(٥) في أول السورة^(٦) : وقال في قول بعضهم في : ﴿نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ﴾^(٧) :
إنه حال من فاعل ﴿قُم﴾^(٨) في أول هذه السورة ، هذا من يدع التفسير^(٩) وهذا الذي ذكره في الصفات منه .

ومن العجب دعوى بعضهم كسر همزة «إِنْ» في قوله تعالى : ﴿إِنْ ذَلِكَ تَلَقَّوْا مَخَاصِمُ أَهْلِ النَّارِ﴾^(١٠) على جواب القسم في قوله تعالى : ﴿وَالْقُرْآنُ ذِكْرٌ لَكَ﴾^(١١) ، حكاه الرماني .

فإن قيل : أين خبر «إِنْ» في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾^(١٢) قيل انظر : ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(١٣) .

(٢) سورة العنكبوت ٢٤

(١) سورة العنكبوت ١٦

(٣) سورة الصفات ١٤٩ ، والآية : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُيُوتُ﴾ .

(٤) سورة الصفات ١١ ، والآية : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَمْ أَسْأَلُكُمْ خَلْقًا أَمْ خَلْقًا لِأَخْلَافِهِمْ﴾ .

مِنْ طِينٍ لَا زَيْبَ لَهُ .

(٦) سورة الذر ٢٨ ، وهو قوله تعالى :

(٥) سورة العنكبوت ٣٦

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ .

(٧) الكشف ٤ : ٤٨ ، وعبارته : «معطوف على مثله في أول السورة وإن تباعدت بينهما المسافة» .

(٨) سورة فصلت ٩

(٩) الكشف ٤ : ٥٢٢

(١٠) سورة فصلت ٤٤

فوائد

قال ابن عمرون^(١) : لا يجوز وقوع الاعتراض بين واو العطف وما دخلت عليه : وقد أجازوه قوم في « ثم » و « أو » فتقول : « زيد قائمٌ ثم والله عمرو » . وقوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾^(٢) اعتراض بين الشرط وجوابه مع أن فيه فاء والجملة مستندة لـ « يَكُنْ » .

قال الطيبي : سئل الزخشرى عن قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴾^(٣) : أهو اعتراض ؟ قال : لا ، لأن من شرط الاعتراض أن يكون بالواو ونحوها ؛ وأما بالفاء فلا . وفهم صاحب « فرائد القلائد » من هذا اشتراط الواو ، فقال : وقد ذكر الزخشرى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾^(٤) هذه الجملة اعتراض بين البدل وبين اللبيل منه ، أعنى « إبراهيم » و « إذ » قال : هذا ممتز لأن الاعتراض بدون الواو بعيد عن الطبع وعن الاستعمال ، وليس كما قال ، فقد يأتي بالواو كما سبق في الأمثلة ، وبدونها كقوله سبحانه : ﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾^(٥) . وقد اجتمعنا في قوله : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَطَلَّمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾^(٦) .

القسم الثاني والعشرون

الاعتراض

وهو أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد ، فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال ؛ كقوله

(١) هو محمد بن محمد بن أبي علي بن أبي سعد عمرون ، النحوى ؛ أخذ عن ابن عبيش ؛ وله شرح على الفصل ؛ توفى سنة ٦٤٩ . بنية الوعاة ٩٩

(٢) سورة النساء ٥٥

(٣) سورة النساء ١٣٥

(٤) سورة التحل ٥٧

(٥) سورة مريم ٤١ ، ٥٦

(٦) سورة الواقعة ٧٥ - ٧٧

تعالى : ﴿ أَسْلَمْتُ بِذِكِّكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءُ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ ^(١) ، فأحترس سبحانه بقوله : ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ عن إمكان أن يدخل في ذلك البهق والبرص .

وقوله تعالى : ﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٢) فإنه لو اقتصر على وصفهم بالدلة وهو السهولة لتوهم أن ذلك لضعفهم ، فلما قيل : ﴿ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ علم أنها منهم تواضع ؛ ولهذا عدى « اللل » بلى لتضمنه معنى العطف .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَخْطِئَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٤) قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٥) احتراز بين أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يخطئون نملة فافوقها إلا بالآل يشعروا بها .

وقد قيل : إنما كان تبسم سليمان سروراً بهذه الكلمة منها ؛ ولذلك أُسِّدَ التبسم بالضحك ؛ لأنهم يقولون : تبسم كتبسم الغضبان ؛ لينبه على أن تبسم تبسم سرور .

ومثله قوله تعالى : ﴿ فَتَضَيَّبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ^(٦) الضات إلى أنهم لا يقصدون ضرر مسلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ بُدْءُ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٧) ؛ فإنه سبحانه لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان ، عقَّبهم بالدعاء عليهم ، ووصفهم بالظلم ، ليعلم أن جميعهم كان مستحقاً للعذاب ،

(٢) سورة اللاتمة ٥٤

(٤) سورة النمل ١٨

(٦) سورة هود ٤٤

(١) سورة القصص ٢٢

(٣) سورة الفتح ٢٩

(٥) سورة الفتح ٢٥

احتراس من ضعف يؤم أن الهلاك بموموه ربما شمل من لا يستحق المذاب ؛ فلما دعا على المالكين ، ووصفهم بالظلم علم استحقاقهم لما نزل بهم وحل بساحتهم ، مع قوله أولا : ﴿ وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ﴾ ^(١) .

وأعجب احتراس وقع في القرآن قوله تعالى مخاطباً لنبيه عليه السلام : ﴿ وَمَا كُنْتُ بِمُحَاسِبِ الْقُرَى ﴾ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ ... ^(٢) الآية .

وقال حكاية عن موسى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ ^(٣) ، فلما تقي سبحانه عن رسوله أن يكون بالمكان الذي قضى لموسى فيه الأمر عرف بالمكان بالغري ^(٤) ولم يقل في هذا الوضع ﴿ الْأَيْمَنِ ﴾ كما قال : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ ^(٥) أدباً مع النبي صلى الله عليه وسلم أن يبنى عنه كونه بالجانب الأيمن ، أو يسلب عنه لفظاً مشتقاً من اليمين ، أو مشاركاً لادته ، ولما أخبر عن موسى عليه السلام ذكر الجانب الأيمن تشریفاً لموسى ؛ فراعى في اللقامين حسن الأدب معها ، تعليةً للأمة ، وهو أصل عظيم في الأدب في الخطاب .

وقوله : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَأَفِّقُونَ قَالُوا أَنْشَهُدُكَ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ يُشْهَدُ إِنَّ الْمُتَأَفِّقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ ^(٦) فإنه لو اختصر لترك : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ ؛ لأز سياق الآية لتكذيبهم في دعوى الإخلاص في الشهادة ، لكن حسن ذكره رفع توهماً أزعج التكذيب للمشهود به في نفس الأمر .

وقوله حاكياً عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ ^(٧) ولم يذكر الحب مع أن النعمة فيه أعظم لوجهين :

(٢) سورة القصص ٤٤

(٤) سورة النافقون ١

(١) سورة هود ٣٧

(٣) سورة مريم ٥٢

(٥) سورة يوسف ١٠٠

أحدهما: لئلا يستحيي إخوته ، والكريم ينفى ؛ ولا سيما في وقت الصفاء .

والثاني : لأن السجن كان باختياره ، فكان الخروج منه أعظم ، بخلاف الحب .

وقوله : ﴿ تَكَلَّمُ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا ﴾ ^(١) ؛ وإنما ذكر الكهولة مع أنه لا يحجاز فيه ؛ لأنه كان في العادة ، أن من يكلم في المهد أنه لا يعيش ولا يتأذى به العمر ، فجعل الاحتراس بقوله : ﴿ وَكَهَلًا ﴾ .

ومنه قوله : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّفْهُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ^(٢) ، والسف لا يكون إلا من فوق ؛ لأنه سبحانه رفع الاحمال الذي يقوم من أن السف قد يكون من تحت بالتسبية ؛ فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً تقوم وسقفاً لآخرين ؛ فرفع تعالى هذا الاحمال بشيئين وهما قوله : ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ولفظة ﴿ خَرَّ ﴾ لأنها لا تستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلو إلى سفلى .

وقيل : إنما أكد ليعلم أنهم كانوا حالين تحته ، والمرب يقول : خَرَّ علينا سقف ووقع علينا حائط ، فجاء بقوله : ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ، ليخرج هذا الشك الذي في كلامهم ، فقال : ﴿ من فوقهم ﴾ ، أى عليهم وقع ؛ وكانوا تحته ، فهلكوا وما أضلوا .
وقوله تعالى : ﴿ فَأَنُؤَا خَرَّكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ ^(٣) ؛ لأنه لما كان يحتمل معنى « كيف » و « أين » احتس بقوله : ﴿ خَرَّكُمْ ﴾ ؛ لأن الحرف لا يكون إلا حيث تنبت البذور ، وينبت الزرع ، وهو الحلل المخصوص .

وقوله : ﴿ وَأَن يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ ^(٤) ؛ وذلك لأن الاشتراك في اللصيبة يخفف منها ، ويسيل عنها ؛ فأعلم سبحانه أنه لا ينفعهم ذلك .

(٢) سورة الزخرف ٢٩

(٤) سورة النحل ٢٦

(١) سورة البقرة ٢٢٣

(٣) سورة المائدة ١١٠

فائدة

عاب قدامة على ذى الرثمة قوله :

أَلَا يَا أَسْلَمِي بِأَدَارَ حَيٍّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مِنْهَا بِجَرَ عَائِكَ الْقَطَرُ^(١)
فإنه لم يحرص ، وهلا قال كما قال طرفه^(٢) :

* فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُقْسِدِهَا *

وأجيب بأنه قدّم الدعاء بالسلامة للدار .

وقيل : لم يرد بقوله : « وَلَا زَالَ مِنْهَا » اتصال الدوام بالشئ من غير إقلاع ، وإنما ذلك بمثابة من يقول : ما زال فلان يزورنى ، إذا كان متعاهداً له بالزيارة .

القسم الرابع والعشرون

التذييل

مصدر « ذَيْلٌ » للمبالغة ؛ وهى لفة ، جعلُ الشئ ذيلالآخر . واصطلاحاً أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل فى معنى الأول ؛ تحقيقاً لدلالة منطوق الأول ، أو مفهومة ؛ ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ؛ ويكمل عند من فهمه .

كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾^(٣) ، ثم قال عز من قائل : ﴿ وَهَلْ

(١) ديوانه ٢٠٦

(٢) ديوانه ٧٢ (من مجموعة القيد الثمين) ، وبقيته :

* صَوَّبُ الرِّبِيعِ وَدِيمَةُ نَهْيِ *

(٣) سورة سبأ ١٧

يُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ^(١)، أى هل يجازى ذلك الجزء الذى يستحقه الكفور إلا الكفور؟ فإن جعلنا الجزء عاما كان الثانى مفيداً فائدة زائدة .

وقوله : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوًّا ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ أَخْلَدَ أَقَانِ مِتَّ فَعَمَّ أَخْلَادُونَ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْعٍ . إِنْ تَدْعُهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَتَوَلَّوْا سَمْعُومًا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْ كُمْ وَلَا بُشَيْرُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ تذييل لاشتماله على . . .^(٥)

وقوله : ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾^(٧) .

وجعل القاضى أبو بكر فى كتابه « الإيجاز » منه قوله تعالى : ﴿ إِنْ فِرْعَوْنُ عَلَا فِى الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ بَدِيعُ أُنْيَاءِهِمْ وَهُمْ يَسَاءُكُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْئِدِينَ ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿ فَالْقَطْعُ آلُ فِرْعَوْنَ لَيْسَ كُنْ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنْ فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَجُنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾^(٩) .

ويحتمل أن يكون من التعليل .

وقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾^(١٠) ، قوله :

(٢) سورة الإسراء ٨١

(٤) سورة طه ١٣ ، ١٤

(٦) سورة المؤمن ٤٦

(٨) سورة القصص ٤

(١٠) سورة الزخرف ٢٢

(١) سورة سبأ ١٧

(٣) سورة الأنبياء ٣٤

(٥) يائس فى الأصلين .

(٧) سورة الأعراف ١٣٣

(٩) سورة القصص ٩

﴿وَكَذَلِكَ﴾^(١)، تذييل ، أى ذلك شأن الأمم مع الرسل ، وقوله: ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾^(٢) ، جمل التذييل هنا من التفسير .

القسم الخامس والعشرون

التسميم

وهو أن يتم الكلام ، فيلحق به ما يكمله ، إما مبالغة ، أو احترازاً ، أو احتياطاً ؛
وقيل : هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح ؛ وربما كان السامع لا يتأمله
ليعود للتكلم إليه شارحاً ؛ كقوله تعالى : ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيًّا
وَأُسِيرًا﴾^(٣) ، فالتسميم في قوله : ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ ، جعل الماء كناية عن الطعام مع اشتباهه .
وكذلك قوله : ﴿وَأَنَّىٰ آلَمَالِ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾^(٤) .
وكقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
قَالُوا لَيْتَكَ بَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾^(٥) ، فتوله : ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تسميم في غاية الحسن .

القسم السادس والعشرون

الزيادة

والأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله ، ويسمونه التأكيد .
ومنهم من يسميه بالصلة . ومنهم من يسميه المقصم .

(٢) سورة الدهر ٨

(٤) سورة النساء ١٢٤

(١) سورة الزخرف ٢٣

(٣) سورة البقرة ١٧٧

قال ابن جنى : كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى .
وبابها الحروف والأفعال .

كقوله تعالى : ﴿ فَيَا قَضِيحُمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾ ^(١) . ﴿ فَيَا رَحْمَةً مِنْ أَلْفٍ ﴾ ^(٢) .
وقوله : ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُسْكَكُمْ مَنْ كَانَ فِي الْتَمِيدِ صَبِيًّا ﴾ ^(٣) قيل : ﴿ كان ﴾ هاهنا
زائدة ؛ وإلا لم يكن فيه إيجاز ؛ لأن الرجال كلهم كانوا في المهد ، وانقضب ﴿ صبيًّا ﴾
على الحال .

وقال ابن عصفور : هي في كلامهم زيدة في وسط الكلام للتأكيد ؛ وهي مؤكدة
للماضى في ﴿ قالوا ﴾ .

ومنه زيادة « أصبح » ، قال حازم : إن كان الأمر الذى ذكر أنه أصبح فيه [يكن
أسمى فيه ، فليست زائدة ، وإلا فعى زائدة ؛ كقولك : أصبح المصل حلوا .
وأجاب الرماني عن قوله : ﴿ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ ^(٤) ، فإن العادة أن من به علة
تزداد عليه بالليل يرجو الفرج عند الصباح ، فاستعمل « أصبح » لأن الخسران جعل لم
في الوقت الذى يرجون فيه الفرج ، فليست زائدة .

وهو معنى قول غيره : إنها تأتي للدوام واستمرار الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحُوا
لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ يَمْنُوا بِالْأَمْسِ ﴾ ^(٦) .
وأما قوله تعالى : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ^(٧) فهو على الأصل ، لظهور
الصفة نهارا ، والمراد الدوام أيضاً ، أى استقرت له الصفة نهارة ^(٨) .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩

(٤) سورة للأنعام ٥٣

(٦) سورة القصص ٨٢

(٨) كلمة : نهارة ، ساقطة من ت .

(١) سورة المائدة ١٣

(٣) سورة مريم ٢٩

(٥) سورة الأحقاف ٢٥

(٧) سورة النمل ٥٨

واعلم أن الزيادة والتلو من عبارة البصريين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين، قال^(١) سيبويه عقب قوله تعالى : ﴿ فَيَا قُضَيْمٍ ﴾^(٢) : إن « ما » لئو ، لأنها لم تُحْدَث شيئا .

والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى ، فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب ، لا من جهة اللفظ ، فإن قوله : ﴿ فَيَا رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَبِيٌّ لَخَافَتُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَلَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ لَخَرَبْتُمْ وَتَرَكْتُمْ أَخْفَادَكُمْ وَظَنَنتُمْ أَنَّكُمْ لَسَاءُ مَا يَكُونُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامِ ﴾^(٣) معناه : « ما لئنا لم إلا رحمة » ؛ وهذا قد جمع نفيًا وإثباتًا ، ثم اختصر على هذه الإرادة ، وُجِّع فيه بين لفظي الإثبات وأداة النفي التي هي « ما » .

وكذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾^(٤) ذ « إِنَّمَا » ها هنا حرف تحقيق وتمحيق ، إن هنا للتحقيق ، وما للتمحيق فاختصر ، والأصل : « ما الله إثنان فصاعدا ، وأنه إله واحد » .

وقد اختلف في وقوع الزائد في القرآن ؛ فمنهم من أنكره ، قال الطرطوسي في « الثمذة »^(٥) : زعم للبرد وطلب الأصل في القرآن ، والدَّهْمَاءُ من الملاء والقهواء وللقسرين على إثبات الصَّلَاتِ في القرآن ، وقد وجد ذلك على وجه لا يسمنا إنكاره فذكر كثيرا .

وقال ابن الخباز^(٦) في التوجيه^(٧) : وعند ابن السراج أنه ليس في كلام العرب زائد ، لأنه تكلم بغير فائدة ، وما جاء منه حملة على التوكيد .

(٢) سورة النساء ١٥٥

(١) الكتاب ٢ : ٣٠٥

(٤) سورة النساء ١٧١

(٣) سورة آل عمران ١٥٩

(٥) موكب سبعة المسكاف فيما لا يتخذ من الأحكام ؛ للناضى نجم الدين إبراهيم بن علي الطرطوسي الحنفى المتوفى سنة ٧٥٨ . كشف الظنون ١١٦٦ - ١١٦٧

(٦) هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي ، الإربلي الضرير ، المعروف بابن الجباز ؛ توفى سنة ٦٣٩

(٧) ذكره صاحب كشف الظنون .

نكت المبيان ٩٦

ومنه من جَوَّزَه وجمل وجوده كالمعلم ؛ وهو أفسد الطرق .

وقد رُدَّ على نغر الدين الرازي قوله : **إِنَّ الْحَقِّقِينَ عَلَى أَنَّ الْمَهْلَ لَا يَجْعُ فِي كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؛ فَأَمَّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَبْأَ رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾** ^(١) فيمكن أن تكون استفهامية للتعجب ، والتقدير « فَبَأَى رَحمة » ؟ فجعل الزائد مهملًا ، وليس كذلك ، لأن الزائد ما أتى به لترض التقوية والتوكيد ، وللمهل ما لم تضمه العرب ، وهو ضدّ للاستعمل ، وليس المراد من الزيادة - حيث ذكرها النحويون - إهمال اللفظ ، ولا كونه لنوا فتحتاج إلى التمسك عن التعبير بها إلى غيرها ؛ فإتهم إتمامًا **تَمَوْا « ما »** زائدة هنا لجواز تمدى العامل قبلها إلى ما بعدها ، لا لأنها ليس لها معنى .

وأما ما قاله في الآية : **إِنَّهَا للاستفهام التعجبيّ** ، فقد انتقد عليه بأن قيل : تقديره « فَبَأَى رَحمة » دليل على أنه جعل « ما » مضافة للرحمة ، وأسماء الاستفهام التعجبي لا يضاف منها غير « أَيْ » ؛ وإذا لم تصح الإضافة كان ما بعدها بدلًا منها ، وللبدل من اسم الاستفهام يجب معه ذكر همزة الاستفهام ، وليست الهمزة مذكورة ، فدل على بطلان هذه الدعوى ؛ وسنبين في فصل زيادة الحروف الفائدة في إدخال « ما » ها هنا ، فانظر هناك .

تنبيهات

الأول : أهل الصناعة يُطلقون الزائد على وجوه : منها ما يتعلق به هنا وهو ما أقسم تأكيذاً ، نحو : **﴿ قَبْأَ رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ ﴾** ^(٢) . **﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً ﴾** ^(٣) . **﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾** ^(٤) .

(٢) - سورة آل عمران ١٥٩

(٤) - سورة الشورى ١١

(١) - سورة آل عمران ١٥٩

(٣) - سورة البقرة ٢٦

ومعنى كونه زائداً أن أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد ؛ فبوجوده حصل فائدة التأكيد ، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة .
ومثل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف ، وما ممناه ؛ إذ إسقاط الحرف لا يخل بالمعنى ؟ فقال : هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف ، قال : ومثال ذلك مثال المارف بوزن الشعر طبعاً ؛ فإذا تغير البيت بزيادة أو نقص أنكره وقال : أجده نفسي على خلاف ما أجده بإقامة الوزن ، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع عند قصصاتها ، ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بتقصاتها .

الثاني : حق الزيادة أن تكون في الحرف وفي الأفعال كما سبق ؛ وأما الأسماء فنصّ أكثر النحويين على أنها لا تزداد . ووقع في كلام كثير من المفسرين الحكم عليها في بعض المواضع بالزيادة ، كقول الزخشرى في قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١) : لأن اسم الجلالة مقحم ، ولا يتصور مخادعتهم لله تعالى ^(٢) .

الثالث : حقها أن تكون آخرًا وحشوا ؛ وأما وقوعها أولاً فلا فيه من التناقض ، إذ قضية الزيادة إمكان أطرافها ، وقضية التصدير الاهتمام ، ومن ثم ضعف قول بعضهم بزيادة « لا » في قوله تعالى : ﴿ لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٣) . وأبعد منه قول آخر : إنها بمعنى « إلا » ، والظاهر أنها ردّ لكلام تقدم في إنكار البعث ، أى ليس الأمر كما تقولون ، ثم قال بعده : ﴿ أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٤) ، وعليه فيجوز الوقف على « لا » وفيه بعد .

فصل

[في حروف الزيادة]

الزيادة إما أن تكون لتأكيد النفي ، كالباء في خبر ليس وما ، أو التأكيد الإيجاب كاللام الداخلة على المبتدأ .

وحروف الزيادة سبعة : إن ، وأن ، ولا ، وما ، ومن ، والباء ، واللام . بمعنى أنها تأتي في بعض الموارد زائدة ؛ لأنها لازمة للزيادة . ثم ليس المراد حصر الزوائد فيها ، فقد زادوا الكاف وغيرها ؛ بل المراد أن الأكثر في الزيادة أن تكون بها .

[زيادة « إن »]

فأما إن الخفيفة فطرد زيادتها مع ما النافية ، كقول امرئ القيس ^(١) :
حَلَقْتُ لِمَا بِاللَّهِ حَلَقَةً فَاجِرٍ لَنَأْمُوا خَا إِنِّ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالٍ
أى فإ حديث . فزاد « إن » للتوكيد ، قال الفراء : إن الخفيفة زائدة ، فجمعوا بينها وبين ما النافية ، تأكيداً للنفي ، فهو بمنزلة تكرارها ، فهو عند الفراء من التأكيد اللفظي ، وعند سيبويه من التأكيد المعنوي .

وقيل : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا إِن مَكَنَّاكُمْ فِيهِ ^(٢) ﴾ : أنها زائدة . وقيل نافية ؛ والأصل « في الذي ما مكناكم فيه » بدليل : ﴿ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ ^(٣) ﴾ ؛ وكأنه إنما عدل عن « ما » ثلثا تكرر فيقول اللفظ .

ووم ابن الحلاج ؛ حيث زعم أنها تُزاد بعد « لا » الإيجابية ؛ وإنما تلك في « أن » للفتوحة .

(٢) سورة الأحقاف ٢٦

(١) ديوانه ٣٢

(٣) سورة الأنعام ٦

[زيادة « أن »]

« وأما أن الفتوحة فتزاد بعد ما الظرفية ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا مِّنْهُمِ ﴾^(١) ، وإنما حكموا بزيادتها ؛ لأن « لما ظرف زمان ؛ ومعناها وجود الشيء لوجود غيره ؛ وظروف الزمان غير للتمكن لا تضاف إلى للفرد ، « وأن » للفتوحة تجمل الفعل بـسدها في تأويل للفرد ؛ فلم تبق « لما » مضافة إلى الجمل ؛ فلذلك حكموا بزيادتها .

وجمل الأخفش من زيادتها قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٢) ، ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٣) . وقيل : بل هي مصدرية ؛ والأصل « وما لنا في ألا نفعل كذا » ! فليست زائدة ؛ لأنها عملت النصب في المضارع .

[زيادة « ما »]

وأما « ما » فتزاد بعد خمس كلمات من حروف الجر ؛ فتزاد بعد « من » و « عن » غير كافة لما عن العمل ، وتزاد بعد السكاف ، ورب ، والباء ؛ كافة [تارة] وغير كافة أخرى . والسكافة إما أن تكف عن عمل النصب والرفع ؛ وهي للتصلة بأن وأخواتها ؛ نحو : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾^(٤) . ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ ﴾^(٥) . وجعلوا منها : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٦) ؛ ويحتمل أن تكون موصولة بمعنى « الذي » و « العلماء » خبر ، والمائد مستتر في « يخشى » ، وأطلقت « ما » على جماعة العقلاء ،

(١) سورة النكبت ٢٣

(٢) سورة البقرة ٢٤٦

(٣) سورة الأنفال ٦

(٤) سورة إبراهيم ١٢

(٥) سورة النساء ٧١

(٦) سورة طهر ٢٨

كافي قوله تعالى : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(١)

وإما أن تكف عن عمل الجبر ، كقوله تعالى : ﴿أَجْمَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا تَلَهُمْ آلِهَةٌ﴾^(٢) .
وقيل : بل موصولة ؛ أي « كالتي هو لم آله » .

وغير الكافة تقع بعد الجازم ؛ نحو : ﴿وَأَمَّا يَنْزَغُكَ﴾^(٣) ، ﴿أَبَا مَا تَدْعُوا﴾^(٤) .
﴿أَيْمَانًا تَكُونُوا﴾^(٥) .

وبعد الخافض ؛ حرفاً كان : ﴿فَمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾^(٦) ، ﴿فَمَا تَشْفِينُ مِيثَاقَهُمْ﴾^(٧) .
﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾^(٨) . ﴿مِمَّا خَطَبَاتِهِمْ﴾^(٩) ، أو اسماً ، نحو : ﴿أَيُّهَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ﴾^(١٠) .

وتتراد بعد أداة الشرط ؛ جازمة كانت ، نحو : ﴿أَيُّهَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ
الْمَوْتُ﴾^(١١) . أو غير جازمة ، نحو : ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا شَرِدَ عَذِيمُهُمْ تَمْتَمُهُمْ﴾^(١٢) .

وبين اللتبع وتابيه ؛ نحو : ﴿مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ﴾^(١٣) ، قال الزجاج : ما حرف زائد
للتوكيد عند جميع البصريين .

ويؤيده سقوطها في قراءة ابن مسعود . و« بعوضة » بدل . وقيل « ما » اسم تكررة
صفة لـ « مثلاً » ، أو بدل و« بعوضة » عطف بيان .

وقيل في قوله : ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١٤) بأنها زائدة لجرد تقوية الكلام ؛ نحو :

- | | |
|----------------------|-------------------------|
| (١) سورة النساء ٣ | (٢) سورة الأعراف ١٢٨ |
| (٣) سورة الأعراف ٢٠٠ | (٤) سورة الإسراء ١١٠ |
| (٥) سورة النساء ٧٨ | (٦) سورة آل عمران ١٥٩ |
| (٧) سورة المائدة ١٣ | (٨) سورة هـ المؤمنون ٥٠ |
| (٩) سورة نوح ٢٥ | (١٠) سورة القصص ٢٨ |
| (١١) سورة النساء ٧٨ | (١٢) سورة فصلت ٢٠ |
| (١٣) سورة البقرة ٢٦ | (١٤) سورة البقرة ٨٨ |

﴿فَبِأَرْحَمَةٍ﴾^(١) و « قليلا » في معنى النفي ، أولافادة التقليل كما في نحو « أكلت أكلاما » ،
وعلى هذا فيكون : « قليلا بعد قليل ^(٢) » .

[زيادة « لا »]

وأما « لا » فتزاد مع الواو بعد النفي ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا
السَّيِّئَةُ﴾^(٣) ؛ لأن « استوى » من الأفعال التي تطلب اسمين أي لا تليق بفاعل واحد ؛
نحو « اختلف » ، فتم أن « لا » زائدة . وقيل : دخلت في السيئة لتحقيق أنه لا تساوي الحسنة
السيئة ، ولا السيئة الحسنة .

وتزاد بعد « أن » المصدرية ؛ كقوله : ﴿لَيْثَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾^(٤) ؛
أي ليسلم ؛ ولولا تهدير الزيادة لانعكس المعنى ؛ فزيدت « لا » لتوكيد النفي . قاله
ابن جني .

واعترضه ابن ملكون ؛ بأنه ليس هناك نفي حتى تكون هي مؤكدة له . ورد عليه
السكوني بأن هنا ما معناه النفي ؛ وهو ما وقع عليه العلم من قوله : ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى
شَيْءٍ﴾^(٥) ؛ ويكون هذا من وقوع النفي على العلم ، وللرأى ما وقع عليه العلم كقوله : « ما علمت
أحدًا يقول ذلك إلا زيدا » فأبدلت من الضمير الذي في « يقول » ما بعد « إلا » ؛ وإن
كان البديل لا يكون إلا في النفي ؛ فكما كان النفي هنا واقفاً على العلم ، وحكم ما وقع عليه
العلم بحكمه ، كذلك يكون تأكيد النفي أيضاً على ما وقع عليه العلم ، ويحكم العلم بحكم النفي ،
فيدخل على العلم توكيد النفي ، وللرأى تأكيد نفي ما دخل عليه العلم .

(١) في المتن « قليلا بعد قليل » .

(٢) سورة الحديد ٢٩

(١) سورة آل عمران ١٥٩

(٣) سورة فصلت ٣٤

وإذا كانوا قد زادوا « لا » في الوجوب للمعنى لما توجه عليه فعل منفى في المعنى؛ كقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾^(١) ، للمعنى « أن تسجد » ، فزاد « لا » تأكيداً للمعنى المعنوى الذى تضمنه « منعك » ؛ فكذلك تَزَادُ « لا » في العلم للوجوب تأكيداً للمعنى الذى تضمنه الوجه عليه .

قال الشَّوْزِيُّ : وأما زيادة « لا » في قوله : ﴿ لَيْتَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾^(٢) فشىء متفق عليه ؛ وقد نصَّ عليه سيبويه ، ولا يمكن أن تحمل الآية إلا على زيادة « لا » فيها ، لأن ما قبله من الكلام وما بعده يقتضيه .

ويدل عليه قراءة ابن عباس وعاصم والحيدى : « لَيْتَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ » وقراء ابن مسعود وابن جبير « لَيْكَيَّ يَعْلَمَ » وهاتان القراءتان تفسير لزيادتها ؛ وسبب النزول يدل على ذلك أيضاً ؛ وهو أن المشركين كانوا يقولون : إن الأنبياء منّا . وكفروا مع ذلك بهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْتَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ . . . ﴾^(٣) الآية . ومنه : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ ﴾^(٤) ، بدليل الآية الأخرى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾^(٥) ؛ وليس المعنى : ما منعك من ترك السجود ؟ فإنه ترك ؛ فلا يستقيم التوبيخ عليه .

وقيل : ليست بزائدة من وجهين :

أحدهما : أن التقدير ما دعاك إلى ألا تسجد ؟ لأن الصارف عن الشيء داع إلى تركه ، فيشتركان في كونهما من أسباب عدم الفعل .
الثانى : أن التقدير ما منعك من ألا تسجد .

(٢) سورة الحديد ٢٩

(٣) سورة الأعراف ١٢

(١) سورة الأعراف ١٢

(٣) سورة الحديد ٢٩٠

(٥) سورة ص ٧٥

وهذا أقرب مما قبله ؛ لأن فيه إبقاء النع على أصله ، وعدم زيادتها أولى ؛ لأن حذف حرف الجر مع « أن » كثير كثرة لا تصل إلى المجاز ، والزيادة في درجته .

قالوا : وفائدة زيادتها تأكيد الإثبات ؛ فإن وضع « لا » نفي ما دخلت عليه ، فهي معارضة للإثبات ؛ ولا يخفى أن حصول الحكم مع المراض أثبت مما إذا لم يرضه المعارض ، أو أسقط معنى ما كان من شأنه أن يسقط .

ومنه : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ ^(١) .

وقيل : وقد تراد قبل القسم ، نحو : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ رَبِّكَ أَلَمْ تَأْتِ الْبَنَاتِ ﴾ ^(٢) ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ^(٣) . ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٤) ؛ أى أقسم ببنيتها .

وصُفِّت في الأخيرة ، بأنها وقعت صدرا ، بخلاف ما قبلها ، لوقوعها بين النفا . ومعطوفها .

وقيل : زبدت توطئة لنفي الجواب ؛ أى لا أقسم بيوم القيامة ، فلا يتركون سُدًى . ورد بقوله تعالى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ... ﴾ ^(٥) الآيات ، فإن جوابه مثبت ، وهو : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ ^(٥) .
وقيل غير زائدة .

وقيل : هي رد لكلام قد تقدم من الكفار ، فإن القرآن كله كالسورة الواحدة ؛ فيجوز أن يكون الادعاء في سورة ، والرد عليهم في أخرى ؛ فيجوز الوقف على « لا » هذه .

(٢) سورة المارج ٤٠

(٤) سورة القيامة ١

(١) سورة طه ٩٢ ٩٣

(٣) سورة الواقعة ٧٥

(٥) سورة البلد ١ ، ٤

واختلف في قوله تعالى : ﴿ قُلْ نَسْأَلُوا أَنْتَ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُبْشِرُ كُوايِبَهُ ﴾^(١).

قيل : زائدة ليصح المعنى ؛ لأن المحرم الشرع .
وقيل : نافية أو ناهية .

وقيل : الكلام ثم عند قوله : ﴿ حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ ، ثم ابتداء : ﴿ عَلَيْكُمْ أَلَا تُبْشِرُ كُوايِبَهُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُبْشِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) ؛ فيمن فتح الهمزة^(٣) ،
قيل « لا » زائدة ، وإلا لكان عنراً للكفار .

ورده الزجاج بأنها نافية في قراءة الكسر^(٤) ، فيجب ذلك في قراءة الفتح .

وقيل : نافية وحذف المعلوم ؛ أي وأنهم يؤمنون .

وقوله تعالى : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾^(٥) .

وقيل : « لا » زائدة ، والمنع : يمنع^(٦) على أهل قرية قدرنا إهلاكهم لكفرهم أنهم
لا يرجعون عن الكفر إلى قيام الساعة .

وعلى هذا فـ « حرام » خبر مقدم وجواب لأن الخبر عنه « أَنْ وَصَلَهَا » .

وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ

(٢) سورة الأنعام ١٠٩

(١) سورة الأنعام ١٥١

(٣) مرواية الرازيين ناطقة عن أبي بكر من طريق يحيى ، قال صاحب إتحاف فضلاء البشر ٢١٥
« على أنها بمعنى لعل ؛ وهي في مصحف أبي كذلك ، أو على تقدير لام العلة ؛ والتقدير : إنما الآيات التي
يقترحوها إذا جاءت لا يؤمنون ، وما يشركم اعتراض بين العلة والمعلوم » .

(٤) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر ويعقوب وخلف . الإتحاف ٢١٥

(٦) تـ « يمنع » .

(٥) سورة الأنبياء ٩٥

يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ
الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ. وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ
أَرْبَابًا ^(١) عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ نَصَبَ ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ ^(٢) عطفًا على ﴿يُؤْتِيهِ﴾ فـ «لا» زائدة
مؤكدَةٌ لعنى النفي السابق .

وقيل : عطف على ﴿يَقُولُ﴾ ، وللعنى : ما كان لبشر أن ينصبه الله للدعاء إلى عبادته
وترك الأنداد ، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادًا له ، ويأمرهم أن تتخذوا للملائكة
والنبيين أربابًا .

وقيل : ليست زائدة لأنه عليه الصلاة والسلام كان ينهى قريشًا عن عبادة الملائكة ،
وأهل الكتاب عن عبادة عَزِيزٍ وَعِيسَى ، فلما قالوا له : أنتخذك ربًّا ؟ قيل لهم :
ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة ، ثم يأمر الناس بعبادته ، وبهم من
عبادة الملائكة والأنبياء .

[زيادة « من »]

وأما « من » فلأنها تزداد في الكلام الوارد بعد نفي أو شبهة ؛ نحو : ﴿وَمَا تَنْقُطُ مِنْ
رَوْقَةٍ إِلَّا يَكْتُبُهَا﴾ ^(٣) . ﴿مَا عَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى
مِنْ فُتُورٍ﴾ ^(٤) . ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ ^(٥) .

(١) سورة آل عمران ٧٩ ، ٨٠ (٢) قال صاحب كتاب إتحاف فضلاء
البشر ١٧٧ : « واختلط في ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ ، فابن عامر وعاصم وحزة وكذا يعقوب وخلف بنصب
الراء ؛ أى ولا له أن يأمرهم ، فإن مضرة ، أو منصوب بالطف على ﴿يُؤْتِيهِ﴾ ، والفاعل ضمير
« بشر » ، ووافهم الحسن واليزيدى والأعشى ؛ والباقرن بالرفع على الاستثنا ، وفاعله ضمير اسم الله
تعالى أو بشر » .
(٣) سورة الأنعام ٥٩
(٤) سورة المائدة ٣

(٥) سورة المؤمنون ٩١

وجوز الألفش زيادتها مطلقاً؛ محتجاً بنحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ
الْمُرْسَلِينَ﴾^(١). ﴿يَنْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾^(٢). ﴿يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ
ذَهَبٍ﴾^(٣). ﴿وَيُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنَ سَيِّئَاتِكُمْ﴾^(٤).

وأما «ما» في نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا رَحْمَةُ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ﴾^(٥)، وقوله: ﴿فَمَا
تَقْضِيهِمْ مِثْلَهُمْ لَعْنَاهُمْ﴾^(٦)، فهذه «ما» في هذين للموضين زائدة؛ إلا أن فيها فائدة جليلة؛
وهي أنه لو قال: فبرحة من الله لنت لهم، وبقتضهم لعناهم، جوزنا أن اللين واللين كانا
للسبين المذكورين ولنير ذلك، فلما أدخل «ما» في الموضوعين قطعنا بأن اللين لم يكن
إلا للرحمة، وأن اللين لم يكن إلا لأجل نقض الميثاق.

[زيادة الباء]

وأما الباء فتزاد في الفاعل؛ نحو «كفى بالله»، أى كفى الله، ونحو «أحسن زبدي»^(١)
إلا أنها في التعجب لازمة. ويجوز حذفها في فاعل «كفى بالله شبيداً»، «وكفى بنا
حاسبين»^(٢) وإما هو «كفى الله» و«كفانا».

وقال الزجاج: دخلت لتضمن «كفى» معنى اكتفى؛ وهو حسن.

وفي المفعول، نحو: ﴿وَلَا تُقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْهَيْكَلَةِ﴾^(٣)؛ لأن الفعل يعمد
بنفسه؛ بدليل قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾^(٤)، ونحو: ﴿وَهَزَمُوا إِلَيْكَ مِحْذَرُ
النَّصْلَةِ﴾^(٥). ﴿أَلَمْ يَكُنْ يَكْفُرُ بِأَنَّهُ يَرَى﴾^(٦). ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٧)

(١) سورة الأنعام ٣٤

(٢) سورة البقرة ٢٧١

(٣) سورة البقرة ١٤

(٤) سورة البقرة ١٩٥

(٥) سورة مريم ٢٥

(٦) سورة الحج ١٠١

(٧) سورة الحج ٢٣، والكهف ٣١

(٨) سورة آل عمران ١٥٩

(٩) سورة الأبياء ٤٧

(١٠) سورة الحجر ١٩

(١١) سورة الطلاق ١٤

﴿وَمَنْ يَرْذُ فِيهِ الْإِنَادِ يَظْلَمُ﴾^(١). ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾^(٢)، أى مسح السوق مَسْحًا .

وقيل فى الأول : ضَمَنَ « تَلَقَّوْا » معنى « تَفَضُّوا » .

وقيل : المعنى لا تلقوا أنفسكم بسبب أيديكم ؛ كما يقال : لا تفقد أَمْرَكَ بِرَأْيِكَ .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ تَنَزَّيْتُ بِالدُّهْنِ ﴾^(٣) : إن الباء زائدة ؛ والمراد : « تنبت الدهن » .

وفى المبتدأ ؛ وهو قليل ؛ ومنه عند سيبويه : ﴿ بِأَيْكُمُ الْمُفْتُونُ ﴾^(٤) .

وقال أبو الحسن : ﴿ بِأَيْكُمُ ﴾ متعلق باستقرار محذوف مخبر عنه بالفتون ؛

ثم اختلف فقيل : « الفتون » مصدر بمعنى الفتنة ، وقيل : الباء ظرفية ، أى فى أَيْكُمُ الجنون .

وفى خبر المبتدأ ؛ نحو : ﴿ جَزَاهُ سَيِّئَةً مِّثْلَهَا ﴾^(٥) . وقال أبو الحسن : الباء زائدة ،

بدليل قوله فى موضع آخر : ﴿ وَجَزَاهُ سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا ﴾^(٦) .

وفى خبر ليس ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْصِيَ الْمَوْتَى ﴾^(٧) .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾^(٨) .

وقال ابن عصفور فى « اللرب »^(٩) : وتزاد فى نادٍ كلام لا يُقَاسُ عليه ، كقوله

تعالى : ﴿ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْصِيَ الْمَوْتَى ﴾^(٧) . انتهى

(٢) سورة م، ٣٣

(٤) سورة ن ٦ والفتون : المجنون

(٦) سورة الشورى ٤٠

(٨) سورة الزمر ٣٦

(١) سورة الحج ٢٥

(٣) سورة المؤمنون ٢٠

(٥) سورة يونس ٢٧

(٧) سورة القيامة ٤٠

(٩) اللرب فى النحو ؛ لابن عصفور على بن مؤمن الحضرمي ؛ للتوفى سنة ٦٦٢ ؛ وعليه شرح له ؛

ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية . وانظر كشف الظنون .

ومرادہ الآیۃ الّتی أولھا : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لِنَفْسِهِ مِثْلَهُمْ بِقَادِرٍ﴾^(١) ، ولما صرح به ابن أبی الریبع^(٢) فی القراءتین .
 ویدلّ علی زیادۃ الآیۃ الّتی فی [الإسرائ] : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٣) .
 وزعم^(٤) ابن النحاس أنه أراد الآیۃ الأولى ، أعنی قوله : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْلِقَ أَلَمْوَنَ﴾^(٥) ، فاعتذر عنه بأنه : إنما قال ذلك - وإن كان فی خبر لیس - لأن « لیس » هنا بدخول الهمزة علیها لم یبق معناها من النفی ، فصار الکلام تقریراً ویمنی بقوله : « فی نادر » فی القیاس لا فی الاستعمال .

[زیادة اللام]

وأما اللام ، فزاد معترضة بین الفعل ومفعوله ؛ كقوله :
 وملکت ما بین العراق ویرث مُلکاً أجار لکم ومعاذیر
 وجعل منه للبرد قوله تعالى : ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾^(٦) ، والأكثر أن علی أنه ضَمَّنَ
 ﴿رَدِفَ﴾ معنی : « اقرب » ؛ كقوله : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾^(٧) .
 واختلف فی قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾^(٨) ، قيل
 زائدة ، وقيل للتعلیل والمفعول محذوف ، أي يريد الله التبيين وليبين لكم ويهديكم ، أي
 فيجمع لكم بین الأمرین .

(٢) هو أحمد بن سليمان الكناقي الأندلسي .

مسند القراءة بالأندلس . آوى سنة ٤٦٠ . طبقات لقراء ١ : ٨٥ .

(٤) كفا في م ، وفي ت : « وطن » .

(٦) سورة البقر ٧٢

(٨) سورة النساء ٢٦

(١) سورة الأحقاف ٣٣

(٣) سورة الإسراء ٩٩

(٥) سورة القيامة ٢٠

(٧) سورة الأنبياء ١

وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) ، في سورة الزمر^(٢) : لك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في « أردت لأن أفعل » ، ولا تزداد إلا مع « أن » خاصة دون الاسم الصريح ؛ كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه ؛ كما أنت^(٣) السين في « أسطاع » يعني يقطع الهمة عوضاً من ترك الأصل الذي هو « أطوع » والدليل على هذا محيطة بنير لام ؛ في قوله تعالى : ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤) . انتهى .

وزيادتها في « أردت لأن أفعل » لم يذكره أكثر النحويين ؛ وإنما تعرضوا لها في إعراب : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾^(٥) .

وتزاد لقوة العامل الضيف إما لتأخره ، نحو : ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَتَّبِعُونَ﴾^(٦) ، ونحو : ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّسُلِ تَعْتَبِرُونَ﴾^(٧) .

أو لكونه فرعاً في العمل ، نحو : ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾^(٨) ، ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾^(٩) ﴿زَعَاةَ الشَّيْءِ﴾^(١٠) .

وقيل منه : ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْوَانِكَ﴾^(١١) ، وقيل : بل يملق بمستقر محذوف صفة لعدو ؛ وهي للاختصاص .

وقد اجتمع^(١٢) التأخر والفرعية ، في نحو : ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(١٣) .

(٢) الكشاف ٤ : ٦٣

(١) سورة الزمر ١٢

(٣) عبارة الكشاف : « كما عوض الدين » .

(٤) سورة الزمر ١٢

(٥) سورة النساء ٢٦

(٦) سورة الأعراف ١٥٤

(٧) سورة يوسف ٤٣

(٨) سورة البقرة ٩١

(٩) سورة البروج ١٦

(١٠) سورة الماعز ١٦

(١١) سورة طه ١١٧

(١٢) م : « يجتمع » .

(١٣) سورة الأنبياء ٧٨

وأما قوله تعالى ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾^(١) ، فإن كان «نذيرا» بمعنى للنذر ، فهو مثل : ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾^(٢) ، وإن كان بمعنى الإنذار ، فاللام مثلها في : «سقياً لزيد» .

وقد تحيى اللام للتوكيد بعد النفي ، وتسمى لام الجحود ، وتقع بعد «كان» مثل : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾^(٣) ، اللام لتأكيد النفي ، كالباء الداخلة في خبر «ليس» ، ومعنى قولهم : «إنها لتأكيد» أنك إذا قلت : «ما كنت أضربك» بنفي لام ، جاز أن يكون الضرب مما يجوز كونه ؛ فإذا قلت : «ما كنت لأضربك» ، فاللام جعلته بمنزلة ما لا يكون أصلاً .

وقد أتى مؤكدة في موضع ، وتحذف في آخر لاقتضاء اللقاع ذلك .
ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بِمَذَلِكَ لَمَيْتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ بِوَمِ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾^(٤) ، فإنه سبحانه أكد إثبات الموت الذي لا ريب فيه تأكيدين ، وأكد إثبات البعث الذي أنكروه تأكيداً واحداً ، وكان للتبادر العكس ، لأن التأكيد إنما يكون حيث الإنكار ؛ لكن في النظم وجوه :

أحدها : أن البعث لما قامت البراهين القطعية عليه صار المنكر له كالمنكر للبيدهيات ؛ فلم يمتح إلى تأكيد ؛ وأما الموت فإنه - وإن أقروا به - لكن لما لم يسلوا ما بعده تزلوا منزلة من لم يقرر به ؛ فاحتاج إلى تأكيد ذلك ؛ لأنه^(٥) قد ينزل المنكر كثير المنكر إذا كان معه ما لو تأمله ارتدع عن الإنكار^(٦) . ولما ظهر على المخاطبين من التماذي في الغفلة والإعراض عن العمل

(١) ت «النذير» .

(١) سورة الدثر ٣٦

(٤) سورة الأهل ٣٣

(٣) سورة البروج ١٦

(٦) ت : « وذلك أن قد ينزل المنكر » .

(٥) سورة المؤمنون ١٥ ، ١٦

(٧) م : « عن إنكار » .

لما بعده والانهماك في الدنيا ، وهي من أمارات إنكار الموت ، فلها قال : « ميتون » ولم يقل : تموتون ؛ وإنما أكد إثبات البعث الذي أنكروه تأكيداً واحداً ، لظهور أدلته الزبيلة للإنكار ، إذا تأملوا فيها ، ولهذا قيل : « تبعثون » على الأصل ، وهو الاستقبال بخلاف « تموتون » .

الثاني : أن دخول اللام على « ميتون » أحق ؛ لأنه تعالى يردّ على الدهرية القائلين ببقاء النوع الإنساني ، خلفاً عن سلف ، وقد أخبر تعالى عن البعث في مواضع من القرآن ، وأكّده وكذّب منكره ، كقوله : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ ^(١) قاله الشيخ تاج الدين بن الفركاح ^(٢) .

الثالث : أنه لما كان المطف يقتضي الاشتراك في الحكم استغنى به عن إعادة لفظ اللام ؛ وكأنه قيل : « لتبعثون » واستغنى بها في الثاني لذكرها في الأول .

الرابع : قال الزمخشري : بولغ في تأكيد الموت ؛ تنبيهاً للإنسان أن يكون الموت نصب عينيه ، ولا يغفل عن رقبه ؛ فإن ماله إليه ؛ فكأنه أكّدت جلته ثلاث مرات ؛ لهذا المعنى ، لأن الإنسان في الدنيا يسمى فيها غاية السى ؛ كأنه غلّد ، ولم يؤكد جملة البعث إلا بـ « إن » لأنه أبرز بصورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع ، ولا يقبل إنكاراً . قلت : هذه الأجوبة من جهة المعنى ؛ وأما الصناعة فتوجب ما جاءت الآية الشريفة عليه وهو حذف اللام في « تبعثون » لأن اللام تخلص المضارع للحال ؛ فلا يجاء [به] مع يوم القيامة ، لأنه مستقبل ، ولأن « تبعثون » عامل في الطرف المستقبل . وأما قوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٣) ؛ فيمكن تأويلها بتقدير عامل .

(١) سورة النازعات ٧ (٢) هو عبد الرحمن بن إبراهيم المتوفى سنة ٦٩٠ م طبقات الشافعية ٥ : ٧٠

(٣) سورة النحل ١٢٤

ونظير هذا آية الواقعة؛ وهي قوله سبحانه: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾^(١). وقال سبحانه في الماء: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَابًا﴾^(٢) بغير لام؛ والفرق بينهما من أربعة أوجه:

أحدها: أن صيرورة الماء ملحا أسهل وأكثر من جعل الحث حطاما، إذ الماء العذب يمرُّ بالأرض السبخة فيصير ملحا، فالنوعد به لا يحتاج إلى تأكيد، وهذا كما أن الإنسان إذا توعد عبده بالضرب بهما ونحوه لم يحتاج إلى تأكيد، وإذا توعد بالقتل احتاج إلى تأكيد.

والثاني: إن جعل الحث حطاما - قلب للمادة والصورة، وجعل الماء أجابا قلب للكيفية قط، وهو أسهل وأيسر.

الثالث: أن «لو»^(٣) لما كانت داخلة على جملتين معلقة فانيتهما بالأولى تمايقت الجزءاء [بالشرط]^(٤) أتى باللام علما على ذلك، ثم حذف الثاني للعلم بها، لأن الذي إذا علم [وشهر موقعه، وصار مألوفاً ومأنوساً به]^(٥) لم يبكال يسفاطه عن اللفظ [استغناء بمعرفة السامع]^(٦) ويساوى لشهرته حذفه وإثباته، مع ما في حذفه من خفة اللفظ ورشاقتها؛ لأن تقدم ذكرها - والمساقة قصيرة - ينفي عن ذكرها ثانيا.

الرابع: أن اللام أدرخت في آية المظوم؛ للدلالة على أنه يقدم على أمر المشروب، وأن الوعيد يفقده أشد وأصعب، من قيل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمظوم؛ ولهذا قدمت آية المظوم على آية المشروب، ذكرها والى قبله الزمخشري.

ومن ذلك حذف اللام في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ

(١) سورة الواقعة ٦٥، ٧٠.

(٢) الكشاف ٤: ٢٧١؛ مع تصرف في العبارة. (٣) تكملة من الكشاف.

(٤) تكملة من الكشاف.

وَالرَّسُولِ ^(١) وَإِنَّمَا بِمَدْقُولِهِ : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُخْصِمُهُ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾ ^(٢) الآية ، والجواب أنك إذا عطفت على مجرور ^(٣) ...

القسم السابع والعشرون

باب الاشتغال

فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا أَضْمِرَ ثُمَّ فُسِّرَ كَانَ أَنْفِخَ مِمَّا إِذَا لَمْ يَتَقَدَّمْ بِإِضَارٍ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَجِدُ اهْتِزَازًا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ^(١) ۖ ﴾ .
وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ^(٢) ۖ ﴾ .
وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَاللَّظَالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ^(٣) ۖ ﴾ .
وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ^(٤) ۖ ﴾ - لَا تَجِدُ مِثْلَهُ إِذَا قُلْتَ : وَإِنْ اسْتَجَارَكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَجِرْهُ . وَقَوْلُكَ : لَوْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي . وَقَوْلُكَ : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَأَعَدَّ لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ^(٥) ۖ ﴾ وَقَوْلُكَ : هَدَىٰ فَرِيقًا وَأَضَلَّ فَرِيقًا ؛ إِذِ الْفِعْلُ الْمَقْسَرُ فِي تَقْدِيرِ الْمَذْكُورِ مَرَّتَيْنِ .
وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ^(٦) ۖ ﴾ ، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ^(٧) ۖ ﴾ ، وَنَظَائِرُهُ ، فَهَذِهِ فَائِدَةُ اشْتِغَالِ الْفِعْلِ عَنِ الْمَقْعُولِ بِضَمِيرِهِ ^(٨) .

(٢) سورة الأنفال ١٦

(٤) سورة التوبة ٦

(٦) سورة البقر ٢١

(٨) سورة الانشقاق ١

(١٠) هذا القسم جيمه ساقط من نسخة ت .

(١) سورة الأنفال ١

(٣) كذا ورد الكلام ناقصا في الأصول .

(٥) سورة الإسراء ١٠٠

(٧) سورة الأعراف ٣٠

(٩) سورة الانشقاق ١

القسم الثامن والعشرون

التعليل

بأن يُذكر الشيء معللاً؛ فإنه أبلغ من ذكره بلا علة، لوجهين :
أحدهما : أن العلة للنصوصة قاضية بسوم المعلول ؛ ولهذا اعترفت الظاهرية بالتباس في
العلة المنصوصة .

الثاني : أن النفوس تنبث إلى نقل الأحكام العلة ، بخلاف غيرها ؛ وغالب التعليل في
القرآن، فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى، وهو سؤال عن العلة .
ومنه : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ ^(١) . ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٢) .
﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ ^(٣) .

وتوضيح التعليل أن الفاء السببية لو وضعت مكان « إِنَّ » لحسن .

والطرق المالة على العلة أنواع :

الأول : التصريح بلفظ الحكم ، كقوله تعالى : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ ^(١) .
وقال : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ^(٢) ، والحكمة هي العلم النافع .
والعمل الصالح .

(٢) سورة الحج

(٤) سورة القمر

(١) سورة يوسف ٥٣

(٣) سورة التوبة ١٠٣

(٥) سورة النساء ١١٣

الثاني : أنه فعل كذا لكذا ، أو أمر بكذا لكذا ، كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(١) .
وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ
بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا ﴾^(٢) .

﴿ جَمَلَ اللَّهُ الْكَلِمَةَ الْبَيِّنَاتِ الْخُرَافَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾^(٣) .
﴿ لَيْسَ يَسْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾^(٤) .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾^(٥) .
﴿ وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِكُمْ بِهِ ﴾^(٦) .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾^(٧) ، وهو كثير .

فإن قيل : اللام فيه لامعاقبة ، كقوله تعالى : ﴿ فَالْقَلْبَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ لَيْسَ كُونُ لَهُمْ
عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾^(٨) ، وقوله : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً ﴾^(٩) ، وإنا قلنا ذلك لأن
أفعال الله تعالى لا تمل .

فالجواب : إن معنى قولنا : إن أفعال الله تعالى لا تمل ، أي لا تجب ، ولكنها لا تخلو
عن الحكمة ، وقد أجاب للملائكة عن قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾^(١٠) بقوله :
﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(١١) .

ولو كان فعله^(١٢) سبحانه مجرداً عن الحكم والغايات لم يسأل الملائكة عن حكمته
ولم يصح الجواب بكونه يعلم ما لا يعلمون من الحكمة والمصالح ، وفرق بين العلم والحكمة ؛

- | | |
|---------------------|---------------------------|
| (١) سورة المائدة ٩٧ | (٢) سورة الطلاق ١٢ |
| (٣) سورة الحديد ٢٩ | (٤) سورة البقرة ١٤٣ |
| (٥) سورة الأنفال ١١ | (٦) سورة آل عمران ١٢٦ |
| (٧) سورة القصص ٨ | (٨) سورة الحج ٥٣ |
| (٩) سورة البقرة ٣٠ | (١٠) م : « عليه » تصحيف . |

ولأنّ لام العاقبة إنما تكون في حق من يجهل العاقبة ، كقوله : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(١) ؛ وأما مَنْ هو بكل شيءٍ عليمٌ فستحيله في حقه ؛ وإنما اللام الواردة في أحكامه وأفعاله لام الحكمة والناية للعلوية من الحكمة . ثم قوله : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ هو تعليل لقضاء الله بالتقاطه وتقديره لهم ، فإن التقاطهم له إنما كان بقضائه وقدره ، وذكر فعلهم دون قضائه ؛ لأنه أبلغ في كونه حزنًا لهم وحسرة عليهم .

قاعدة تفسيرية^(٢) :

حيث دخلت واو العاطف على لام التعليل فله وجهان :
أحدهما : أن يكون تعليلًا مملؤه محذوف ، كقوله تعالى : ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾^(٣) ؛ فالملئى وللإحسان إلى المؤمنين فعمل ذلك .
الثاني : أن يكون معطوفًا على علة أخرى مضمرة ، ليظهر صحة العطف ، كقوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَاحْقُّ وَلَيْتُجَزَى﴾^(٤) ؛ التقدير : ليستدل بها المكلف على قدرته تعالى وليتجزى . وكقوله : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ﴾^(٥) ؛ التقدير : ليتصرف فيها ولنعلّمه .

والفرق بين الوجهين أنه في الأول عطف جملة على جملة ، وفي الثاني عطف مفرد على مفرد . وقد يحتملها الكلام ، كقوله تعالى : ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾^(٦) ، فالتقدير على الأول ، ولنجعل آية فعلنا ذلك ، وعلى الثاني : ولنبين للناس قدرتنا ولنجعل آية . ويظهر الوجهان في نظرانه ، ويرجح كل واحد بحسب المقام ، وحذف الملل هاهنا أرجح ، إذ لو فرض علة أخرى لم يكن بد من مملأ محذوف ، وليس قبلها ما يصلح له .

(٢) هذه القاعدة مما سقط من ت .

(٤) سورة البقرة ٢٢

(٦) سورة البقرة ٢٥٩

(١) سورة القصص ٨

(٣) سورة الأفعال ١٢

(٥) سورة يوسف ٢١

فإن قلت : لم قدر للملئ مؤخرًا ؟

قلت : فائدة هذا الأسلوب هو أن يجاء بالملء بالواو للاهتمام بشأن الدلة المذكورة ؛ لأنه إما أن يقدر علة أخرى ليعطف عليها ، فيكون اختصاص ذكرها لكونها أهم ، وإما أن يكون على تقدير فعل ؛ فيجب أن يكون مؤخرًا ليشعر بتدعيمه بالاهتمام .

الثالث : الإتيان بكى ؛ كقوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلًا بِكُونِ دَوْلَةٍ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾^(١) ، فملئ سبحانه قسمة التي بين هذه الأصناف كَيْلًا يتداوله الأغنياء دون الفقراء .

وقوله : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾^(٢) ، وأخير سبحانه أنه قدر ما يصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن تبرا الأفس أو المصيبة أو الأرض أو المجموع ، ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه وأنه دين عليه ، وحكمته البالغة التي منها ألا يحزن عباده على ما فاتهم ، ولا يفرحوا بما آتاهم ، فإنهم إذا علموا أن المصيبة فيه مقدرة كائنة ، ولا بد قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الفات ، فلم يأسوا عليه ولم يفرحوا .

الرابع : ذكر المفعول له وهو علة لافعل الملئ به ، كقوله : ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَرْبَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً ﴾^(٣) .

ونُصِبَ ذلك على المفعول له أحسن من غيره ، كما صرح به في قوله : ﴿ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ وَلَا تَمِمْ نِفْمِي عَلَيْكُمْ وَلَكَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾^(٣) ، أى لأجل الذكر ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ فَالْمُتْلِفَاتِ ذِكْرًا . عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴾^(٥) ، أى للإعذار والإنذار .

وقد يكون مملولا بعلّة أخرى ، كقوله تعالى ﴿ يَحْتَسِلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾^(٦) ، فـ « من الصّواعق » يحتمل أن تكون فيه « من » لا ابتداء الغاية فتتملّق بمحذوف ، أى خوفاً من الصّواعق ، ويجوز أن تكون مملّلة بمعنى اللام كما في قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ﴾^(٧) ، أى لغمٍّ .

وعلى كلا التقديرين فـ « من الصّواعق » في محل نصب ؛ على أنه مفعول له ، والعامل فيه ﴿ يحملون ﴾ . و « حذر الموت » مفعول له أيضاً فالعامل فيه « من الصّواعق » ، فـ « من الصّواعق » علة لـ « يحملون » . مملول لحذر الموت ، لأن المفعول الأول الذى هو « من الصّواعق » يصلح جواباً لقولنا : لم يحملوا أصابعهم في آذانهم ؟ والمفعول الثانى الذى هو « حذر الموت » يصلح جواباً لقولنا : لم يخافون من الصّواعق ؟ فقد ظهر ذلك .

الخامس : اللام في المفعول له ، وتقوم مقامه الباء ، نحو : ﴿ فَيُظْلَمُونَ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا ﴾^(٨) .

(١) سورة البقرة ١٥٠

(٢) سورة الدخان ٥٨

(٣) سورة البقرة ١٩

(٤) سورة النساء ١٦٠

(١) سورة النمل ٤٤

(٢) سورة القمر ١٧

(٣) سورة المرسلات ٤٤

(٤) سورة الحج ٧٢

ومن ، نحو : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا ﴾^(١) .

والكاف ، نحو : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ ﴾^(٣) ، وقال : ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ ﴾^(٤) ، أى لإرسالنا وتعليمنا .

السادس : الإتيان بإن ، كقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٥) .

﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾^(٦) .

﴿ وَمَا أَرْبَىٰ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾^(٧) .

﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾^(٨) .

وكقوله : ﴿ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾^(٩) ، وليس هذا

من قولهم ، لأنه لو كان قولهم لما حزن الرسول ، وإنما جيء بالجملة لبيان العلة والسبب في أنه لا يحزنه قولهم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾^(١٠) والوقف على

القول في هاتين الآيتين والابتداء بإن لازم .

وقد يكون علة كقوله : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا . إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾^(١١)

وفيها وجهان لأهل المأني .

(٢) سورة البقرة ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٣٩

(٤) سورة التوبة ١٠٣

(٦) سورة طه ١٠

(٨) سورة يونس ٦٥

(١) سورة المائدة ٣٢

(٣) سورة الزمل ٢٠

(٥) سورة يوسف ٥٣

(٧) سورة يس ٧٦

(٩) سورة الفرقان ٦٥ ، ٦٦

أحدهما : أن سؤالهم لعرف المذاب معلل بأنه غرام ، أى ملازم التريم ، وبأنها ساءت مستقرا ومقاما .

الثانى : أن « ساءت » . تعليل لكونه غراما .

السابع : أن والفعل المستقبل بعدها ؛ تعليل لما قبله ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ ^(٣) كأنه قيل : لم فاضت أعينهم من الدمع ؟ قيل : للحزن ، قيل ^(٤) : لم حزنوا ؟ قيل : لتلا يجدوا .

وقوله : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ ^(٥) .

ونظائره كثيرة . وفى ذلك طريقان :

أحدهما للكوفيين ؛ أن اللفى لتلا يقولوا ، ولتلا قول نفس .

الثانى للبصريين ؛ أن المفعول له محذوف ؛ أى كراهة أن يقولوا ، أو حذار أن يقولوا .

فإن قيل : كيف يستقيم الطريقان فى قوله : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ ^(٥) ؟ فإنك إذا قدرت : « لتلا تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا » لم يستقم عطف « فتذكر » عليه ؛ وإن قدرت « حذار أن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا » لم يستقم العطف أيضاً ؛ لأنه لا يصح أن تكون الضلالة علة لشهادتهما .

(٢) سورة الزمر ٥٧

(٤) ت : « فتل » .

(١) سورة الأنعام ١٥٦

(٣) سورة التوبة ٩٢

(٥) سورة البقرة ٢٨٢

قيل : بظهور المعنى يزول الإشكال ؛ فإن المقصود إذكّار إحداهما الأخرى إذا ضلّت . نسبت ؛ فلما كان الضلال سبباً للإذكّار جعل موضع الدلة ، قول : « أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فأدعيم بها » ؛ فلما أعددتها للدعم لا لليل^(١) ؛ وأعددت هذا الهواء أن أمرض فأداوى به ونحوه ، هذا قول سيبويه والبصريين . وقال الكوفيون : تقديره في « تُذكّر إحداهما الأخرى » إن ضلّت ، فلما تقدم الجزء اتصل بما قبله ، ففتحت أن .

الثامن : « من أجل » في قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾^(٢) فإنه لتلليل الكتب ، وعلى هذا فيجب الوقف على : ﴿ مِنْ النََّادِمِينَ ﴾^(٣) . وظن قوم أنه تلليل لقوله : ﴿ مِنْ النََّادِمِينَ ﴾ ؛ أي من أجل قتله لأخيه ؛ وهو غلط ، لأنه يشوش صحّة النظم ، ويُخل بالفائدة .

فإن قلت : كيف يكون قتل أحد ابني آدم للأخ علة للحكم على أمة أخرى بذلك الحكم ؟ وإذا كان علة فكيف كان قتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلّهم ؟ قيل : إن الله - سبحانه - يجعل أقضيته وأقداره عللاً لأسبابه الشرعية وأمره ، فجعل حكمه الكوني التقديري علة لحكمه أمره الديني ؛ لأنّ القتل لما كان من أعلى

(١) الكتاب لسيبويه ١ : ٤٣ ؛ وعبارته بعد أن أورد الآية : بضبط (فَتَذَكَّرُ) : « فالتصّب لأنه أمر بالإشهاد لأن تذكر إحداهما الأخرى ، ومن أجل أن تذكر . فإن قال إنسان : كيف جاز أن تقول : أن تضل ولم يعد هذا الضلال وللانقباض ، فلما ذكر ﴿ أَنْ تَضِلَّ ﴾ ؛ لأنه سبب الإذكّار ؛ كما يقول الرجل : أعددت أن يميل الحائط فأدعيمه ؛ وهو لا يطلب بإعداد ذلك ميلان الحائط ؛ ولكنه أخبر به أن يدعم وبسيبه ، وقرأ أهل الكوفة : ﴿ فَتَذَكَّرُ ﴾ رصاً ، وانظر الكتاب أيضاً ١ : ٤٧٦

أنواع الظلم والفساد، فَنُفِمْ أمره، وعظم شأنه، وجُعِلَ إيمه أعظم من إيم غيره، ونَزَلَ قاتِلُ
النفس الواحدة منزلةَ قاتِلِ الأُنسِ كُلِّها في أصلِ العذاب؛ لا في وصفه.

التاسع: الصلِيل بِلَمْلَ، كقوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَقْوَى﴾^(١)، قيل: هو تَطِيل لقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾^(٢)، وقيل
لقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾.

وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ
تَقْوَى﴾^(٣)؛ حيث لمع فيها معنى الرجاء رجعت إلى الخطابين.

العاشر: ذَكَرَ الحكم السكوتي أو الشرعي عقب الوصف المناسب له، فإشارة يذكر
بأن، وتارة بالقاء، وتارة بجرود.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ
خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(٤) إلى قوله: ﴿خَاشِعِينَ﴾. وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾^(٥).

والثاني: كقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(٦). ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي
فَأَجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٧).

والثالث: كقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾^(٨). ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(٢) سورة الأنبياء ٨٩

(٤) سورة المائدة ٣٨

(٦) سورة الحجر ٢٤ ، ٢٦

(١) سورة البقرة ٢١ ، ١٨٣

(٣) سورة القاريات ١٥ ، ١٦

(٥) سورة النور ٢

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(١) .

الحادى عشر : تعليله سبحانه عدم الحكم بوجود المانع منه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً جَلَعْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرِّحْنِ . . .﴾^(٢) الآية .

وقوله : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) .

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾^(٤) ، أى آيات الافتراح ، لا الآيات الدالة على صدق الرسل التى تأتى منه سبحانه ابتداء .

وقوله : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾^(٦) ، فأخبر

سبحانه عما يمنع^(٧) من إنزال الملك عيانا بحيث يشاهدونه ، وإن عنايته وحكمته بحلقه تقتض من ذلك ؛ بأنه لو أنزل عليه الملك ثم عاينوه ولم يؤمنوا به لمعجلوا بالمقوبة ، جعل الرسول بشراً ليكنهم التلقى عنه والرجوع إليه . . . ولو جعله ملكاً ؛ فلما أن يدعه لى هيئته للملكية ، أو يجعله على هيئة البشر ؛ والأول يمنعهم من التلقى عنه ، والثانى يحصل مقصوده ؛ إذا كانوا يقولون : هو بشر لا ملك .

الثانى عشر : إخباره عن الحكم والغايات التى جعلها فى خلقه وأمره ، كقوله :

(٢) سورة الزخرف ٤٣

(٤) سورة الإسراء ٥٩

(٦) سورة الأنعام ٨

(١) سورة البقرة ٢٧٧

(٣) سورة الشورى ٢٧

(٥) سورة فصلت ٤٤

(٧) م : « منع » .

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾^(١) الآية.

وقوله : ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا...﴾^(٢) الآية .

وقوله : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...﴾^(٣) الآية .

وكا يقصدون البسط والاستيفاء يقصدون الإجمال والإيجاز ، كما قيل :

يَرْمُونُ بِالْخَطْبِ الطُّوَالَ وَتَارَةً وَحَى لِلْلاَحِظِ خِيفَةُ الرُّقَبَاءِ^(٤)

وقوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾^(٥) .

(٢) سورة نساء ٦

(١) سورة البقرة ٢٢

(٣) سورة النحل ٨٠

(٤) البيت لأبي حنيفة بن حنيفة بن حنيفة : ذكره إسماعيل في البيان وتبيين ١ : ٤٤ ، ١٥٥

(٥) سورة الروم ٢١

الأسلوب الثاني الحذف

وهو لغة الإسقاط ؛ ومنه حذفتُ الشعر إذا أخذتُ منه .

واصطلاحاً إسقاطُ جزء الكلام أو كله لدليل . وأما قول النحويين : الحذف
لتعريف دليل ، ويسمى اقتصاراً ؛ فلا تحريرَ فيه ، لأنه لا حذفَ فيه بالكيفية كما سنبينه فيما
يلتبس به الإجمارُ والإيجاز .

والفرق بينهما أن شرط الحذف والإيجاز أن يكون [في الحذف] مَقْدَرٌ ؛ نحو :
(وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ) ^(١) بخلاف الإيجاز ؛ فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني اللمعة بنفسه .
والفرق بينه وبين الإجمار أن شرط للضمير بقاء أثر المقدّر في اللفظ ، نحو : ﴿يُدْخِلُ
مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعْدَاءَ يَا أَيُّهَا﴾ ^(٢) . ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ ^(٣) .
(أَتَتْهُوَ خَيْرًا لَكُمْ) ^(٤) . أى اتخروا أمراً خيراً لكم ؛ وهذا لا يشترط في الحذف .
ويدل على أنه لا بدّ في الإجمار من ملاحظة المقدّر باب الاشتقاق ؛ فإنه من أضمرت
الشيء ، أخفيته ، قال :

* سيقى لها في مُضْبَرٍ القلب والحشا * ^(٥)

(١) سورة يوسف ٨٢

(٢) سورة البقر ٣١

(٣) سورة الأحزاب ٢٤

(٤) سورة النساء ١٧١ وانظر الكشاف ٢ : ٤٦٠

(٥) بقرته :

* سَرِيْرَةٌ وَفَرَّ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ *

من أبيات نسبها صاحب السان (١٦٢ : ٦) إلى الأحوس بن عمدة الأنصارى .

وأما الحذف ؛ فمن حذف الشيء قطعه ؛ وهو يُشعر بالطرح ، بخلاف الإضمار ، ولهذا قالوا : « أن » تنصب ظاهرة ومضمرة .

ورّد ابن ميمون قول النحاة : إن الفاعل ^(١) يحذف في باب المصدر ، وقال : الصواب أن يقال : يضم ولا يحذف ؛ لأنه عمدة في الكلام .

وقال ابن جنى في « خاطرياته » : من اتصال الفاعل بالمتعلّق أنك تضميره في لفظ إذا عرفته نحو قم ؛ ولا تحذفه ^(٢) كحذف اللبّدأ ؛ ولهذا لم يجر عندنا ما ذهب إليه الكسائي في « ضربتي ، وضربت قومك » .

فصل

[في أن الحذف نوع من أنواع المجاز على المشهور]

المشهور أن الحذف مجاز ؛ وحكى إمام الحرمين ^(٣) في « التلخيص » عن بعضهم : أن الحذف ليس بمجاز ؛ إذ هو استعمال اللفظ في غير موضعه ، والحذف ليس كذلك . وقال ابن عطية في تفسير سورة يوسف : وحذف المضاف هو عين المجاز أو مظهره ؛ وهذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر ، وليس كل حذف مجازاً . انتهى . وقال الزنجاني في « المياري » ^(٤) : إنما يكون مجازاً إذا تغيّر بسببه حكم ^(٥) ؛

(١) كذا في ت ، وفي م : « بأن » . (٢) ساقطة من م .

(٣) هو أبو المال عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي المعروف بإمام الحرمين ؛ توفي سنة ٤٧٨ ؛ ولتأنيده تلخيص التنزيل ؛ ذكره ابن خلكان ١ : ٤٨٧ .

(٤) هو كتاب ميار الطائر في علوم الأسماء لزم الدين أبي المال عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني ؛ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٣٦ م أدب .

(٥) م : « إذا تغيّر به حكمه » .

فأما إذا لم يتغير به حكم ، كقولك : زيد منطلق وعمره ، بحذف الخبر ؛ فلا يكون مجازاً
إذا لم يتغير حكم ما بقي من الكلام .
والتحقيق أنه إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ في غير موضعه فالحذف ليس كذلك ،
لعدم استعماله ، وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره - وهو المجاز العقلي - فالحذف كذلك .

فصل

[في أن الحذف خلاف الأصل]

والحذف خلاف الأصل ؛ وعليه يفتي فرعان :
أحدهما : إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحل على عدمه أولى ، لأن لأصل
عدم التفسير .

والثاني : إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته ؛ كان الحل على قلته أولى .

[أوجه الكلام على الحذف]

ويقع الكلام في الحذف من خمسة أوجه : في قائلته ، وفي أسبابه ، ثم في أدلته ، ثم في
شروطه ، ثم في أقسامه .

[فوائد الحذف]

الوجه الأول في فوائده :

فمنها التفتيح والإعظام ؛ لما فيه من الإيهام ، لذهاب الذهن في كل مذهب ، وتشوّهه
إلى ما هو المراد ، فيرجع^(١) قاصراً عن إدراكه ، فمنذ ذلك يعظم شأنه ، ويملو في
النفس مكانه . ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يحتاج في الوهم من
المراد ، وخلّص للذكور

(١) م : « فرجع » ، وما أتبعه عن ت .

ومنها : زيادة لثة بسبب استنباط القهن المحذوف ، وكلما كان الشعور بالحذوف أعسر ، كان الالتئاذ به أشد وأحسن .
ومنها : زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك ؛ بخلاف غير المحذوف ، كما تقول في العلة المستنبطة والنصوصة .

ومنها : طلب الإيجاز والاختصار ، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل .
ومنها : التشجيع على الكلام ؛ ومن ثم سماه ابن جني : « شجاعة العربية » .
ومنها : موقفه في النفس في موقعه على الذكر ؛ ولهذا قال شيخ الصناعتين عبدالقاهر الجرجاني : ما من آسم حُذِفَ في الحالة التي ينبغي أن يَحْدَفَ فيها إلَّا وحذفه أحسن من ذكره . والله در القائل :

إذا نطقت جاءت بكلِّ مكيعة وإن سكنت جاءت بكلِّ مليحة

[أسباب الحذف]

الثاني في أسبابه :

فمنها : مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث ببناء على الظاهر ، نحو : الهلال والله ، أي هذا ، فحذف المبتدأ استغناء عنه بقرينة شهادة الحال ، إذ لو ذكره مع ذلك لكان عبثاً من القول .
ومنها : التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف ، وأن الاشتغال بذكره يُفْضِي إلى تقويت اللهم ، وهذه هي فائدة باب التحذير ؛ نحو : إياك والشر ، والطريق الطريق ، الله الله . وباب الإغراء هو لزوم أمر يحمّد به ، وقد اجتمع في قوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ ^(١) على التحذير ؛ أي احذروا ناقة الله فلا تقربوها ، و « سقياها » إغراء بتقدير الزموا ناقة الله .

ومنها التغميم والإعظام ؛ قال حازم في « منهاج البناء » : إنما يحسن الحذف ما لم

يشكل به المعنى ، لقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد أشياء ، فيكون في تعدادها طول وسامة ، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه ، وترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال . قال : وبهذا التصديق يؤثر في اللواضع التي يراد بها التعجب والتحويل على النفوس ، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾^(١) . فحذف الجواب ؛ إذ كان وصف ما يجدونه ويقفونه عند ذلك لا يثنائى ، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، وترك النفوس تهدر ما شأنه ، ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

قلت : ومنه : ﴿ فَتَشِيهَهُمْ مِنْ آلِيمٍ مَا عَشِيَهُمْ ﴾^(٢) ما لا يعلم كنهه إلا الله ، قال الزغشري : وهذا من باب الاختصار ومن جوامع الكلم للتعلمة مع قلتها للمعاني الكثيرة . ومنها : التخفيف ؛ لكثرة دورانه في كلامهم ، كما حذف حرف النداء ، في نحو : ﴿ يَوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾^(٣) وغيره . قال سيبويه : العرب تقول لا أدر ؛ فيحذفون الياء ، والوجه « لا أدرى » ، لأنه رفع ، وتقول : « لم أبل » ، فيحذفون الألف ، والوجه « لم أبال » . ويقولون : « لم يك » ، فيحذفون النون ؛ كل ذلك يفعلونه استخفافاً لسكثرتهم في كلامهم .

ومنها : حذف نون التثنية والجمع وأثرها باق ، نحو « الضارباً زيدا » و « الضاربون زيدا » وقراءة من قرأ : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾^(٤) كأن النون تاجية ، فعلوا ذلك لاستعانة الموصول

(٢) سورة طه ٧٨

(١) سورة الزمر ٧٣

(٤) سورة الحج ١٢٥ بالنصب وهي قراءة أبي عمرو ؛ على نون النون ؛ وأن حذفها لتخفيف لطول الاسم ؛ وأنشد سيبويه :

(٣) سورة يوسف ٢٩

الحافِظُ عورةَ المشيرة لا يأتِيهِمْ مِنْ ورائِنا نُفُطُ

وانظر الكتاب ١ : ٩٥ ، وتفسير القرطبي ١٢ : ٥٩ .

في الصلة ، نحو : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾^(١) حذف الياء للتخفيف .

ويحكى عن الأخفش أن المؤرج السدوسي سأله : [عن ذلك] قال : لا أجيبك حتى تنام على بابي ليلة ، فقبل ، فقال له : إن عادة العرب إذا عدلت بالشئ عن معناه نقصت حروفه ، والليل لما كان لا يسرى ، وإنما يسرى فيه ، نقص منه حرف ، كافي قوله : ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُكُ بَغِيًّا﴾^(٢) ، الأصل « بغية » فلما حوّل ونقل عن فاعل نقص منه حرف . انتهى .

ومنها : رعاية الفاصلة ، نحو : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾^(٣) . ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾^(٤) ونحوه . وقال الرماني : إنما حذف الياء في الفواصل لأنها على نية الوقف ، وهي في ذلك كالقوافي التي لا يوقف عليها بغير ياء .

ومنها : أن يُحذف صيانة له ؛ كقوله تعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) إلى قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾^(٦) ؛ حذف للبتداء في ثلاثة مواضع : قبل ذكر الرب ، أي هو رب السموات . والله ربكم . والله رب المشرق ؛ لأن موسى عليه السلام استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال تهيباً وتضعيماً ، فاقصر على ما يستدل به من أفعاله الخاصة به ، ليمرّفه أنه ليس كمثل شئ ، وهو السميع البصير .

ومنها : صيانة اللسان عنه ، كقوله تعالى : ﴿مِمَّ بِكُمْ عُتَى﴾^(٧) ، أي هم .

(٢) سورة مريم ٢٨

(١) سورة الفجر ٤

(٤) سورة الفجر ٤

(٣) سورة الضحى ٣

(٥) سورة الشعراء ٢٣ - ٢٨ والآيات بنماها : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ .

قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ .

(٦) سورة البقرة ١٨

ومنها : كونه لا يصلح إلا له ، كقوله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(١) . ﴿قَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾^(٢) .

ومنها : شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء ، قال الزمخشري : وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان اللقال ، كقول رؤبة : خير ، جواب من قال : كيف أصبحت ؟ خفف الجار ، وعليه حل قراءة حمزة : ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(٣) لأن هذا مكان شهر بشكرير الجار ، فقامت الشهرة مقام الذكر .

وكذا قال الفارسي متخلصاً من عدم إعادة حرف الجر في المطفوف على الضمير الجرور : إنه مجرور بالجار المقدر ، أي و « بالأرحام » وإنما حذفت استثناء به في للضمير الجرور قبله .

فإن قلت : هذا القدر يحيل للسألة ؛ لأنه يصير من عطف الجار والجرور على مثله ! قلت : إعادة الجار شرط لصحة العطف ؛ لا أنه مقصود لثاته .

[أدلة الحذف]

الوجه الثالث في أدلته :

ولما كان الحذف لا يجوز إلا للدليل احتيج إلى ذكر دليله .

والدليل تارة يدل على محذوف مطلق ، وتارة على محذوف معين .

فمنها : أن يدل عليه العقل حيث تستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محذوف ، كقوله تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(٤) ؛ فإنه يستحيل عقلاً تكلم الأمانة إلا بجزء . ومنها : أن تدل عليه العادة الشرعية ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْمَةَ﴾^(٥) .

(٢) سورة البروج ١٦

(٤) سورة يوسف ٨٢

(١) سورة المؤمنون ٩٢

(٣) سورة النساء ١

(٥) سورة النحل ١١٥

فإن الذات لا تتصف بالحِلّ والحُرمة شرعا ، وإنما هما من صفات الأفعال الواقعة على القنات ، فلم أن الحذف التناول ؛ ولكنه لما حذف وأقيمت للية مقامه أسند إليها الفعل ، وقطع النظر عنه ، فلذلك أنث الفعل في بعض الصور ، كقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ ﴾ ^(١) ، وقول صاحب التلخيص ^(٢) : إن هذه الآية من باب دلالة العقل ممنوع ، لأن العقل لا يدرك محل الحِلّ ولا الحرمة ، فلهذا جعلناه من دلالة المادة الشرعية .

ومنها : أن يدلّ العقل عليهما ، أى على الحذف والتعيين ، كقوله تعالى : ﴿ وَبَاءَ رَبُّكَ ﴾ ^(٣) ، أى أمره أو عذابه أو ملائكته ؛ لأن العقل دلّ على أصل الحذف ، ولا استحالة محيى البارى عقلا ؛ لأن المحيى من سمات الحدوث . ودلّ العقل أيضاً على التعيين ، وهو الأمر ونحوه ، وكلام الزمخشري يقتضى أنه لا حذف البتة ؛ فإنه قال : هذه الآية ^(٤) السكرية تمثيل ؛ مثلث حاله سبعانه وتعالى في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه . وكقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٥) ؛ لأنه في معرض التوحيد ، فمدم الفساد دليل على عدم تعدد الآلهة ، وإنما حذف لأن انتفاء اللازم يستلزم انتفاء الملزوم ضرورة ، ولذلك لم يذكر المقدمة الثانية عند استعمال الشرط بلوغاً لها .

ومنها : أن يدلّ العقل على أصل الحذف ، وتدلّ عادة الناس على تعيين الحذف ، كقوله تعالى : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتُنِي فِيهِ ﴾ ^(٦) ؛ فإن يوسف عليه السلام ليس ظرفاً للوئيم ؛ فتميّز أن يكون غيره ؛ فقد دلّ العقل على أصل الحذف . ثم يجوز أن يكون الظرف حبه ، بدليل : ﴿ شَفَعَهَا حُبًّا ﴾ ^(٧) ، أو مرادوته بدليل : ﴿ تَرَاوَدُّ فَتَاهَا ﴾ ^(٨) ، ولكن

(١) تلخيص الفتاح في التلخيص .

(٢) الكشاف ١ : ٦٠٠

(٣) سورة يوسف ٢٢

(١) سورة المائدة ٣

(٣) سورة الفجر ٢٢

(٥) سورة الأنبياء ٢٢

(٧) سورة يوسف ٣٠

القول لا يمين واحدًا منها ؛ بل المادة دلت على أن المحذوف هو الثاني ، فإن الحب لا يلام عليه صاحبه ؛ لأنه يقهره ويغلبه ، وإنما اليوم فيا لنفس فيه اختيار ، وهو للراودة ، فقدرته على دفعها .

ومنها : أن تدلّ المادة على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا ﴾^(١) ، أي مكان قتال ، وللمراد مكانًا صالحًا للقتال ، لأنهم كانوا أخيرًا الناس بالقتال ؛ والمادة تمنع أن يريدوا : لو نعلم حقيقة القتال ؛ فلذلك قدره مجاهد : « مكان قتال » .

وقيل : إن تعيين المحذوف هنا من دلالة السياق لا المادة .

ومنها : أن يدلّ اللفظ على الحذف ، والشروع في الفعل على تعيين المحذوف كقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾^(٢) فإن اللفظ يدل على أن فيه حذفًا ؛ لأن حرف الجر لا بد له من متعلق ودلّ الشروع على تعيينه ؛ وهو الفعل الذي جعلت التسمية في مبدئه ؛ من قراءة ، أو أكل أو شرب ونحوه ، ويقدر في كل موضع ما يليق ، ففي القراءة : أقرأ ، وفي الأكل : أكل ؛ ونحوه .

وقد اختلف : هل يقدر الفعل أو الاسم ؟ وعلى الأول ، فهل يقدر عام كالابتداء أو خاص كما ذكرنا ؟

ومنها اللغة كضربت ؛ فإن اللغة قاضية أن الفعل للمتعدّي لا بد له من مفعول ؛ نعم هي تدلّ على أصل الحدث لا تعيينه . وكذلك حذف المبتدأ والخبر .

ومنها : تقدم ما يدلّ على المحذوف وما في سياقه ، كقوله : ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾^(٣) ، وفي موضع آخر نحو : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾^(٤) . وفي موضع :

(٢) سورة الفاتحة ١

(٤) سورة م ٧٥

(١) سورة آل عمران ١٦٧

(٣) سورة الصافات ١٧٩

﴿الَّا تَسْجُدْ﴾^(١) . وكفوه : ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ﴾^(٢) أى هذا ،
بدليل ظهوره في سورة إبراهيم ، قال تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾^(٣) ، ونظائره .
ومنها اعتضاده^(٤) بسبب النزول ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾^(٥) ،
فإنه لا بد فيه من تقدير قال زيد بن أسلم : أى قم من الصاجع - يعنى النوم - وقال غيره :
إنما يعنى إذا قم محدثين .

واحتمج زيد بأن هذه الآية إنما نزلت بسبب فقدان عائشة رضى الله عنها عيها ،
فأخروا الرحيل إلى أن أضاء الصبح ، فطلبوا الماء عند قيامهم من نومهم فلم يجدوه ؛ فأنزل
الله هذه الآية .

وبما رجح من طريق النظر بأن الأحداث للذكورة بعد قوله : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ ﴾^(٦)
الأولى أن يحمل قوله ﴿ إِذَا قُمْتُمْ ﴾ معنى غير الحدث ، لما فيه من زيادة الفائدة ، فكون
الآية جامعة للحدث ولسبب الحدث ؛ فإن النوم ليس بحدث بل سبب للحدث .

[شروط الحذف]

الوجه الرابع في شروطه :

فنهى : أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف ؛ إما من لفظه أو من سياقه ، وإلا
لم يقتك من معرفته ، فيصير اللفظ محلاً بالهم . ولثلا يصير الكلام لثراً فيهمجن^(٧) في
الفصاحة ، وهو معنى قولم : لا بد أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقى .
وتلك الدلالة مقالية وحالية .

فالقالية قد تحصل من إعراب اللفظ ، وذلك كما إذا كان منصوباً ، فيعلم أنه لا بد له

(٢) سورة الأحاف ٣٥

(٤-٥) ساقط من

(٦) ت : « فيهمجر »

(١) سورة الأعراف ١٢

(٣) سورة إبراهيم ٥٢

(٥) سورة الثالثة ٦

من ناصب ، وإذا لم يكن ظاهرا لم يكن بُدَّ من أن يكون مقدرا ، نحو : أهلا وسهلا ومرحبا ، أى وجدت أهلا ، وسلكت سهلا ، وصادفت رجبا . ومنه قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾^(١) على قراءة النصب . وكذلك قوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾^(٢) والتقدير : احمدا والحد ، واحفظوا الأرحام ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِغَةً ﴾^(٣) . ﴿ هَلْ أُمِيتَكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٤) .

والحالية قد تحصل من النظر إلى المعنى والنظر العلم ؛ فإنه لا يتم إلا بمحذوف ، وهذا يكون أحسن حالا من النظم الأول لزيادة عمومه ، كافى قولهم : فلان يحل ويربط ، أى يحل الأمور ويربطها ، أى ذو تصرف .

وقد تدل الصناعة النحوية على التقدير ؛ كقولهم فى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٥) : إن التقدير لأننا أقسم لأن فعل الحال لا يقسم عليه . وقوله تعالى : ﴿ تَقْتُلُوا نَذْرًا يَوْمَ يَوْمِ ﴾^(٦) ، التقدير : لا تقتل ؛ لأنه لو كان الجواب مثبتا لدخلت اللام والنون ، كقوله : ﴿ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾^(٧) .

وهذا كله عند قيام دليل واحد ، وقد يكون هناك أدلة يعتمد التقدير بحسبها ، كافى قوله تعالى : ﴿ أَقْمِنِ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾^(٨) ، فإنه يحتمل ثلاثة أمور : أحدها : كمن لم يزين له سوء عمله ، والمعنى : ﴿ أَقْمِنِ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ

(١) سورة الفاتحة ٢ : قال أبو عبد الله القرطبي : « وروى عن سفيان بن عيينة ورواية بن الحجاج ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ، بنفس الدال ، على إضمار فعل . وقراءة الرفع هى قراءة القراء السبعة وجمهور الناس . الجامع لأحكام القرآن ١ : ١٣٥

(٣) سورة البقرة ١٣٨

(٢) سورة النساء ١

(٥) سورة القيامة ١

(٤) سورة الحج ٧٨

(٧) سورة التين ٧

(٦) سورة يوسف ٨٥

(٨) سورة فاطر ٨

حَسَنًا^(١) من الفريقين اللذين تقدم ذكرهما ، ممن لم يزين له ١ ثم كَانَ النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له ذلك ، قال : لا ، قيل : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾^(٢) .

ثانيها : تقدير : ذهبَ نفسك عليهم حسرات خذف دلالة ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ .

ثالثها : تقدير : « كن هداه الله » ، خذف دلالة : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣) .

واعلم أن هذا الشرط إنما يحتاج إليه إذا كان المحذوف الجملة بأسرها ؛ نحو : ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾^(٤) ، أى سَلَمْنَا سلاما ، أو أحد ركنيها نحو : ﴿ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾^(٥) ، أى « سلام عليكم أنتم قوم منكرون » ، خذف خبر الأولى ومبتدأ الثانية .

وأما إذا كان المحذوف فصلة فلا يشترط لخذه دليل ؛ ولكن يشترط ألا يكون فى خذه إخلال بالمعنى أو اللفظ ، كما فى حذف العائد للنصوب ونحوه .

وشرط ابن مالك فى حذف الجار أيضاً أَمْنُ اللبس ، ومنع الخذف فى نحو : رغبت أن تفعل ، أو عن أن تفعل ، لإشكال المراد بعد الخذف .

وأورد عليه ﴿ وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾^(٦) ، خذف الحرف .

وجوابه أن النساء يشتملن على وصفين ، وصف الرغبة فيهن وعين ، خذف للتعظيم .

(٢) سورة هود ٦٩

(٤) سورة النساء ٢٧

(١) سورة طاهر ٨

(٣) سورة الذاريات ٢٥

وشرط بعضهم في الدليل اللغوي أن يكون على وفق المحذوف . وأنكر قول القراء في قوله تعالى : ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عِظْلَهُ . يَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ ^(١) أن التقدير : يلى حسبنا قادرين ، والحساب للذكور بمعنى الظن ، والمحذوف بمعنى العلم ؛ إذ التردد في الإعادة كفر ، فلا يكون مأمورا به .

ويجاء بأن الحساب للتقدير بمعنى الجزم والاعتقاد ؛ لا بمعنى الظن ، وتقديره بذلك أولى ، لموافقته للمفهوم .

وقد يدل على المحذوف ذكره في مواضع أخر :
منها - وهو أقواها ، كقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْغَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ ^(٢) أى أمره ، بديل قوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ ^(٣) .
وقوله في آل عمران : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ ^(٤) ، أى كمرض ؛ بديل التصريح به في آية الحديد ^(٥) .

وفيه إيجاز بليغ ؛ فإنه إذا كان المرص كذلك . فما ظنك بالظلول ! كقوله : ﴿ بَطَّأَتْهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ ^(٦) .

وقيل : إنما أراد التعظيم والسعة لأحقية المرض ، كقوله :
كَأَنَّ بِلَادَ أَهْلِ وَحْيٍ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِيفِ لِلظُّلُمِ كِفَّةٌ حَاطِلٍ
ومنها : ألا يكون الفعل طالبا له بنفسه ^(٧) ، فإن كان امتنع حذفه كالفاعل ، ومفعول ما لم يسم فاعله ، واسم كان وأخواتها ، وإنما لم يحذف لما في ذلك من نقص المرض .

(١) سورة التوبة ٤٣
(٢) سورة الأنعام ١٠٨
(٣) سورة الحل ٣٣
(٤) سورة آل عمران ١٣٣
(٥) آية ٢١ : وهو قوله تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٦) سورة الرحمن ٥٤ قال صاحب الكشف : « إذا كانت البطائن من إستبرق ، فما ظنك بالظواهر ! » .
(٧) ت : « بينة » .

ومنها: قال أبو الفتح بن جني : ومن حق الحذف أن يكون في الأطراف لا في الوسط ؛ لأن طرف الشيء أضف من قلبه ووسطه ، قال تمال : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾^(١) ، وقال الطائي الكبير^(٢) :

كَانَتْ هِيَ الْوَسْطَ الْمَنْوَعِ فَاسْتَلَبْتُ مَا حَوْلَهَا الْخَلِيلُ حَتَّى أَصْبَحْتُ طَرْفَا
فَكَانَ الطَّرْفَيْنِ سِيَاحٌ لِلْوَسْطِ وَمِذْلُوانٍ لِلْمَوَارِضِ دُونَهُ ، ولذلك تجدد الإعلال
عند التصريفيين ، بالحذف منها^(٣) ، فحذفوا الفاء في المصادر من باب وعد ، نحو المدة والزنة
والهبة واللام في نحو اليد والهم والتم والأب والأخ ، وقتلنا نجد الحذف في المعين لما ذكرناه ،
وبهذا يظهر لطف هذه اللغة العربية .

تنبيهات

الأول: قد توجب صناعة النحو التقدير. وإن كان المعنى غير متوقف عليه ؛ كما في قوله :
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » فإن الخبر محذوف ، وقدره النحاة : « موجود » أو « لنا » .
وأنكره الإمام نجر الدين ، وقال : هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير ، وتقديرهم فاسد ،
لأن نفي الحقيقة مطلقة أعم من نفيها مقيدة ، فإنها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلاً على سلب
الماهية مع القيد ، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر .

ولا معنى لهذا الإنكار ؛ فإن تقدير « في الوجود » ، يستلزم نفي كل إله غير الله قطعاً
فإن العدم لا كلام فيه ، فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيدة . ثم لا بد من تقدير
خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ، ظاهراً أو مقدراً ؛ وإنما يقدّر النحوي القواعد
حقها وإن كان المعنى مفهوماً ، وتقديرهم هنا أو غيره ليروا صورة التركيب من حيث

(١) سورة الرعد ٤١

(٢) هو أبو تمام حبيب بن أوس ، ديوانه ٢ : ٣٧٤ .

(٣) أي من الأطراف .

اللفظ مثلاً ، لا من حيث المعنى ، ولم تقديران : إعرابى ، وهو الذى خفي على المعترض ،
ومعنوى وهو الذى أزمه ، وهو غير لازم .
ومن للنكر فى هذا أيضاً قول ابن الطراوة : إن الخبر فى هذا « إلا الله » ، وكيف
يكون للببتدأ نكرة والخبر معرفة !

الثانى : اعتبر أبو الحسن فى الحذف التدرج حيث أمكن ؛ ولهذا قال فى قوله تعالى
﴿وَأَقْوَمُوا يُومًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾^(١) : إن أصل الكلام : « يوم لا تجزى
فيه » لحذف حرف الجر ، فصار « تجزيه » ، ثم حذف الضمير فصار « تجزى » .
وهذا ملاطفة فى الصناعة ، ومذهب سيبويه أنه حذف فيه دفعة واحدة .

وقال أبو الفتح^(٢) فى « المحتسب » : وقول أبى الحسن أوتق فى النفس وآنس
من أن يحذف الحرفان مما فى وقت واحد .

الثالث : المشهور فى قوله تعالى : ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ﴾^(٣) ، أنه مطوف على جملة
محذوفة ، التقدير : « فضرِب فانفجرت » ، وذلّ « انفجرت » على المحذوف ، لأنه يُعلم
من الانفجار أنه قد ضرب .

وكذا : ﴿أَنْ اَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾^(٤) ، إذ لا جائز أن يحصل الانفجار
والانفلاق دون ضرب .

وابن عصفور يقول فى مثل هذا : إن حرف المطف للذكور مع المطفوف هو الذى كان
مع المطفوف عليه ، وإن المحذوف هو المطفوف عليه ، وحذف حرف المطف من المطفوف ،

(٢) هو أبو الفتح عثمان بن جى ؛ وكتابه

(١) سورة البقرة ٤٨

المختب فى إعراب التواذ ؛ نشر بائجلس الأعلى لشتون الإسلامية - بمصر . (٣) سورة البقرة ٦٠

(٤) سورة الشعراء ٦٣

نالفاء في « انقلق » هو فاء الفعل الخنوف وهو « ضرب » فذكرت فاؤه وحذف ضلها وذكر فعل « انقلق » وحذفت فاؤه ليدل للذكور على الخنوف ؛ وهو تحيل غريب .

[أقسام الحذف]

الخامس في أقسامه :

الأول : الاقتطاع ، وهو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي ، كقوله :

• دَرَسَ الْمَنَّا بِمَتَالِحٍ قَأْبَانَ •

أى للنازل ، وأنكر صاحب « المثل السائر »^(١) ورود هذا النوع في القرآن العظيم ، وليس كما قال .

وقد جعل منه بعضهم فوائح السور ؛ لأن كل حرف منها يدل على اسم من أسماء الله تعالى ، كما روى ابن عباس « آلم » معناه : « أنا الله أعلم وأرى » ، و « أَلَس » أنا الله أعلم وأفصل ؛ وكذا الباقي .

وقيل في قوله : ﴿ وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾^(٢) : إن الباء هنا أول كلمة « بعض » ثم حذف الباقي ، كقوله^(٣) :

• قلت لما قفي لنا قالت قاف •

أى وقتت ، وفي الحديث : « كفى بالسيف شا » أى شاهدا .

(١) المثل السائر لابن الأثير ١١٣:٢ ؛ قال : « واعلم أن ضرب قد حذفت من أصل الألفاظ شيئا لا يجوز القياس عليه ، كقول بعضهم [علقمة بن عتبة] :

كَأَنَّ لِمُرَيْقِهِمْ ظُلْمًا عَلَى شَرْفٍ مُقَدَّمٌ بِسَاءِ الْكَتَانِ مَلُثُومٌ

فقوله : « ساء الكتان » ، يريد : « سائب ، نكتان » ، وكذلك قول الآخر :

يُذَرِّينَ جَنْدَلَ حَائِرٍ لَجْنُوِيَهَا فَكَلَّ مَا تَذْكُرِي سَنَا يَكْمُ الْحَبَا

فهذا وأمثاله مما يفتح ولا يحسن ؛ وإن كانت العرب استعملته فإنه لا يجوز لما أن نשמعه .
(٢) سورة المائدة ٦
(٣) هو الوليد بن عتبة ، وبعده :

• لَا تَحْسِينَا قَدْ نَسِينَا الْإِيحَافَ •

وانظر شواهد النافية ٢٧١ ، والخصائص ٣٠:١

وقال الزخشرى فى قوله : « من الله » فى القسم : إنها « آيىن » التى تستعمل فى القسم ، حذفت نونها^(١) .

ومن هذا الترقيم ، ومنه : قراءة بعضهم : ﴿ يَا مَالِ ﴾^(٢) على لغة من يفتقر ، ولما سمعها بعضُ السلف قال : ما أشغل أهل النار عن الترقيم ! وأجاب بعضهم بأنهم لشدة حاتم فيه مجزوا عن إتمام الكلمة .

الثانى : الاكتفاء وهو أن يقتضى اللقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ؛ فيكتفى بأحدهما عن الآخر ، ويخص بالارتباط المطلق غالباً ؛ فإن الارتباط خمسة أنواع : وجودى ، وزمى ، وخبرى ، وجوابى ، وعطفى .

ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق ؛ بل لأن فيه نكتة تقتضى الاختصار عليه .

والمشهور فى مثال هذا النوع قوله تعالى : ﴿ سَرَّائِلَ قَهِيكُمُ الْخَرَّةِ ﴾^(٣) أى والبرد ، هكذا قدره . وأوردوا عليه سؤال الحكمة من تخصيص الحر بالذكر . وأجابوا بأن انطباع العرب ، وبلادهم حارة ، والوقاية عندهم من الحر أهم ؛ لأنه أشد من البرد عندهم .

والحق أن الآية ليست من هذا القسم ، فإن البرد ذكر الامتنان بوقايته قبل ذلك صريحاً فى قوله : ﴿ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْمَارِهَا ﴾^(٤) وقوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ

١ (١) انظر الفصل ٣٤٤ ، وابن ينيش ٩ : ٩٢ (٢) هى قراءة ابن مسعود الآية ٧٧ الزخرف :

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْثُكَ ﴾ ؛ وانظر الكشاف ٤ : ٢٠٨

(٤) سورة النحل ٨٠

(٣) سورة النحل ٨١

الْجِبَالِ أَكْشَنًا^(١) ، وقوله في صدر السورة : ﴿وَالْأَنْهَارَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ^(٢)﴾ .
 فإن قيل : فما الحكمة في ذكر الوافجين بعد قوله : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ
 ظِلَالًا^(٣)﴾ ؛ فإن هذه وقاية الحر ، ثم قال : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْشَنًا^(٤)﴾ ،
 فهذه وقاية البرد على عادة العرب ؟

قيل : لأن ما تقدم بالنسبة إلى الساكن ، وهذه إلى اللابس ، وقوله : ﴿وَجَعَلَ
 لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْشَنًا^(٥)﴾ لم يذكره^(٦) السجلى ، وفيه الجوابان السابقان .
 وأمثلة هذا القسم كثيرة ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَهُ مَسْكَنٌ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^(٧)﴾
 فإنه قيل : المراد : « وما تحرك » ، وإنما أثر ذكر السكون لأنه أغلب الحالين على الخلق
 من الحيوان والجماد ، ولأن الساكن أكثر عدداً من المتحرك . أو لأن كل متحرك يصير
 إلى السكون ، ولأن السكون هو الأصل ، والحركة طارئة .

وقوله : ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ^(٨)﴾ تقديره « والشر » ، إذ مصادر الأمور كلها بيده جل جلاله ؛
 وإنما أثر ذكر الخير ؛ لأنه مطلوب المباد ومرغوبهم إليه ؛ أو لأنه أكثر وجوداً في العالم
 من الشر ؛ ولأنه يجب في باب الأدب ألا يضاف إلى الله تعالى ، كما قال صلى الله عليه وسلم :
 « والشر ليس إليك » .

وقيل : إن الكلام إنما ورد ردّاً على المشركين فيما أنكروه مما وعده الله به على لسان
 جبريل ، من فتح بلاد الروم وفارس ؛ ووعد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك ؛
 فلما كان الكلام في الخير خصّه بالذكر باعتبار الحال .

(٢) سورة النحل ٥

(٤) سورة الأنعام ١٣

(١) سورة النحل ٨١

(٣) م : « ولم ينقله » .

(٥) سورة آل عمران ٢٦

وقوله : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(١) أى والشهادة ؛ لأن الإيمان بكل منهما واجب ، وأثر الغيب لأنه أبداع^(٢) ، ولأنه يستلزم^(٣) الإيمان بالشهادة من غير عكس . ومثله : ﴿أَمْ يَحْسَبُ لَهُ رَئْيُ أَمْدًا . عَالِمُ الْغَيْبِ﴾^(٤) ، أى وَالشَّهَادَةِ ، بدليل التصريح به فى موضع^(٥) آخر .

وقوله : ﴿بِكَادُ الْبَرِّ يُخْطَفُ أَبْصَارُهُمْ﴾^(٦) ؛ فإنه سبحانه ذكر أولاً الظلمات والرعد والبرق ، وطوى الباقي .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْمُرُّ فِي الْبَحْرِ﴾^(٧) أى والبر ، وإنما أثر ذكر البحر لأن ضرره أشد .

وقوله : ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ السَّمَاءِ﴾^(٨) ، أى والمغارب .

وقوله : ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾^(٩) ، أى ولا غير إلحاق .

وقوله : ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾^(١٠) ، أى وأخرى غير قائمة .

وقوله : ﴿وَلَتَسْفِيَنَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(١١) ، أى والمؤمنين .

وقوله : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٢) ، أى والكافرين . قاله ابن الأنباري ، ويؤيده

قوله : ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾^(١٣) .

(٢) كذا فى ت ، ولى م : ذ أمدح .

(١) سورة البقرة ٣

(٤) سورة البقرة ٢٥ ، ٢٦

(٣) ت : مستلزم .

(٥) ذكر الغيب مع الشهادة فى القرآن فى أكثر من موضع ؛ منها قوله تعالى فى الأنعام ٧٣ :

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ، وفى التوبة ٩٤ : ﴿ثُمَّ تُرْجَوْنَ إِلَىٰ عَالِمِ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ؛ و ١٠٥ : ﴿وَسُتَرْجَوْنَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ وغير هذا كثير .

(٦) سورة البقرة ٢٠

(٨) سورة الصافات ٥

(٧) سورة الإسراء ٦٧

(١٠) آل عمران ١١٣

(٩) سورة البقرة ٢٧٣

(١٢) سورة البقرة ٢

(١١) سورة الأنعام ٥٥

(١٣) سورة البقرة ١٨٥

وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾^(١) ، قيل . المعنى وآخر كافر به ، لحذف الموطوف لدلالة قوة الكلام ، من جهة أن أول الكفر وآخره سواء ، وخصت الأولوية بالذكر لقبها بالابتداء .

وقوله : ﴿ أَوْ لَمْ يَرْوَا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُنَّ ﴾^(٢) ، أى وييسطن ، قاله الفارسي .

وحكى في « التذكرة »^(٣) عن بعض أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿ أَكَادُ أَخْيَهَا لِنُجْزَى ﴾^(٤) أن المعنى : « أكاد أظهرها أخفيها لتجزى » ، فعذف « أظهرها » لدلالة « أخفيها » عليه .

قال : وعندى أن المعنى : « أزيل خفاءها » ، فلا حذف .

وقوله : ﴿ لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾^(٥) ، أى بين أحد وأحد^(٦) .

وقوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ ﴾^(٧) ، أى ومن أنفق بعده وقاتل ، لأن الاحتواء يطلب اثنين ؛ وحذف للموطوف لدلالة الكلام عليه ؛ ألا تراه قال بعده : ﴿ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾^(٩) ، أى ومن لا يستنكف ولا يستكبر ؛ بدليل التقسيم بعده بقوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(١٠) ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا ﴾^(١١) .

(٢) سورة الملك ١٩

(١) سورة البقرة ٤١

(٣) كتاب التذكرة المعروف بتذكرة أبى على ؛ ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « وهو كبير في

مجلدات لحقه أبو الفتح عثمان بن جنى النجوى » .

(٥) سورة البقرة ٢٨٥

(٤) سورة طه ١٥

(٧) سورة الحديد ١٠

(٦) ت : « واحد وواحد » .

(٩) سورة النساء ١٧٣

(٨) سورة النساء ١٧٢

وقوله : ﴿ ثُمَّ لَا يَذَرُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ ^(١) ، فاكثفي هنا بذكر الجهات الأربع عن الجهاتين .
وقوله : ﴿ إِذْ جَاءَهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ ^(٢) ، الاكتفاء بجهتين عن سائرهما .

وقوله : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمَسُّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ^(٣) ، أى ولم تعبدنى .
وقوله : ﴿ إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ ^(٤) ، أى ولا والد ؛ بدليل أنه أوجب للأخت النصف ؛ وإنما يكون ذلك مع فقد الأب ؛ فإن الأب يُسقطها .

وقوله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَحَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ ^(٥) .
ولم يذكر القسم الآخر الذى تقتضيه « أما » ؛ إذ وضعا لتفصيل كلام مجمل ؛ وأقل أقسامها قسمان ، ولا ينفك عنهما فى جميع القرآن إلا فى موضعين هذا أحدهما ؛ والتقدير : وأما من لم يتب ولا يؤمن ولم يعمل صالحا فلا يكون من المفلحين . والثانى فى آل عمران : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ ^(٦) إلى قوله ﴿ إِلَّا أَقْبَىٰ ﴾ ^(٧) هذا أحد القسمين ، والقسم الثانى ما بعده ، وتديره ، وأما الراسخون فى العلم فيقولون .

وقوله : ﴿ قَبِلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ ^(٨) ، أى وفعل غير الذى أمروا به ؛ لأنهم أمروا بشئين : بأن يدخلوا الباب سجدًا ، وبأن يقولوا حطة ، فبدلوا القول فى « حطة » « حطة » وبدلوا الفعل بأن دخلوا يزحفون على أستاههم ولم يدخلوا ساجدين ؛ وللمنى : إرادتنا حطة ، أى حط عنا ذنوبنا .

وقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُمُتُ

(٢) سورة فصلت ١٤ .

(٤) سورة النساء ١٧٦ .

(٦) سورة آل عمران ٧٠ .

(١) سورة الأعراف ١٧ .

(٣) سورة الشعراء ٢٢ .

(٥) سورة القصص ٦٧ .

(٧) سورة البقرة ٥٩ .

وَلَا الْخُرُورُ^(١) ، قال ابن عطية : دخول « لا » على نية التكرار كأنه قال : ولا الظلمات والنور ، ولا النور والظلمات ، واستغنى بذكر الأوائل عن التواني ؛ ودلّ بذكر الكلام على متروكه .

وقوله : (حَتَّى يَنْبَسِينَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)^(٢) .

فإن قيل : ليس للفجر خيط أسود ، إنما الأسود من الليل .

فاجيب : إن (مِنَ الْفَجْرِ) متصل بقوله : (الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ) والمعنى : حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل ؛ لكن حذف « من الليل » لدلالة الكلام ثم عليه ولوقوع الفجر في موضعه ؛ لأنه لا يصح أن يكون (مِنَ الْفَجْرِ) متعلقاً بالخيط الأسود ؛ ولو وقع (مِنَ الْفَجْرِ) في موضعه متصلاً بالخيط الأبيض لضعفت الدلالة على المحذوف ؛ وهو « من الليل » فحذف « من الليل » للاختصار ، وأخر « من الفجر » للدلالة عليه .

الثالث : من هذا قسم يسمى الضمير والمثيل ؛ وأعنى بالضمير أن يضر من القول المجاور لبيان أحد جزأيه ؛ كقول الفقيه : النبيذ مسكر فهو حرام ، فإنه أخمر « وكل مسكر حرام » .

ويكون في القياس الاستثنائي ، كقوله : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)^(٣) .

وقوله : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ)^(٤) ، وقد شهد الحسن والعيان أنهم ما انقضوا من حوله ؛ وهى للضمرة ؛ واتفق عنه صلى الله عليه وسلم أنه فظ غليظ القلب .

(٢) سورة البقرة ١٨٧

(٤) سورة آل عمران ١٥٩

(١) سورة طاهر ١٩ - ٢١

(٣) سورة الأنبياء ٢٢

وقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(١)؛
الغنى لو أنهم سمعوا لما أجدى عليهم التفهم ؛ فكيف وقد سلبوا القوة الفاعلة ! فعمل بذلك
أنهم مع اعتناء الفهم أحقُّ بقصد القبول والمداية .

الرابع : أن يستدلّ بالفصل لشيئين وهو فى الحقيقة لأحدهما ؛ فيضمر للآخر فعل
يناسبه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾^(٢) أى واعتقدوا الإيمان .
وقوله تعالى : ﴿يَتَّبِعُوا لَهَا تَتَّطَفَّأً وَزَفِيرًا﴾^(٣) ، أى وشتوا لها زفيراً .
وقوله تعالى : ﴿لَهْذَمْتُ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتُ﴾^(٤) ، والصلوات لا تهضم ؛
فالتقدير : ولتركت صلوات .

وقوله : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾^(٥) فالفاكهة ولحم الطير والخور العين
لا تطوف ، وإنما يطاف بها .

وأما قوله تعالى : ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(٦) ، فنقل ابن فارس عن
البصريين أن الواو بمعنى «مع» أى شركائكم ، كما يقال : لو تركت الناقة وفصيلتها لرضعها ؛
أى مع فصيلتها .

وقال الآخرون : أجمعوا أمركم وادعوا شهداءكم ، اعتباراً بقوله تعالى : ﴿وَادْعُوا
مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٧) .

واعلم أن تقدير فعل محذوف للثانى ليصحّ المطف هو قول الفارسى والفراء وجماعة
من البصريين والكوفيين لتعذر المطف . وذهب أبو عبيدة والأصمى واليزيدى وغيرهم
إلى أن ذلك من عطف للفرادات ، وتضمن العامل معنى ينتظم المطفوف والمطفوف عليه جميعاً ؛

(٢) سورة الحشر ٩

(٤) سورة الحج ٤٠

(٦) سورة يونس ٢١

(١) سورة الأهل ٢٣

(٣) سورة الفرقان ١٢

(٥) سورة الواقعة ١٧

(٧) سورة هود ١٣

فَيَقْدَرُ آتَرُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ^(١)، ويبقى النظر في أنه: أيهما أولى؟ ترجيح الإيمار أو التضمين؟ واختار الشيخ أبو حيان^(٢) تفصيلاً حسناً وهو: إن كان العامل الأول تصح نسبته إلى الاسم الذي يليه حقيقة كان الثاني محمولاً على الإيمار؛ لأنه أكثر من التضمين؛ نحو «يبدع الله أنفه وعينه»، أي ويفقأ عينيه، فتسبب الجدع إلى الأنف حقيقة؛ وإن كان لا يصح فيه ذلك كان العامل مضمناً معنى ما يصح نسبته إليه؛ لأنه لا يمكن الإيمار؛ كقولهم:

* عَقَّتْهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا^(٣) *

وجمل ابن مالك من هذا القليل قوله تعالى: ﴿أَسْكَنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٤) قال: لأن فعل أمر المخاطب لا يعمل في الظاهر؛ فهو على معنى «اسكن أنت ولتسكن زوجك»، لأن شرط للمطوف أن يكون صالحاً لأن يعمل فيه ما عمل في المطوف عليه، وهذا متعذر هنا؛ لأنه لا يقال: «اسكن زوجك».

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ﴾^(٥) ولا يصح أن يكون «مولود» معطوفاً على «والدة» لأجل ناه المضارعة، أو للأمر؛ فالواجب في ذلك أن تُقدَّر مرفوعاً بمقدر من جنس المذكور؛ أي ولا يضار مولود له.

وقوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ﴾^(٦)، قال القراء: التقدير: «وسخرنا له الطير» عطفاً على قوله: ﴿فَضْلاً﴾ وقيل: هو مفعول معه، ومن رفعه قليل: على للضمر في «آتي»،

(١) أي في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾.

(٢) في التفسير الكبير للسي: «البحر المحيط» ٨: ٢٤٧ مع تصرف في العبارة.

(٣) تبي الرمة وقيله:

* لَا حَطَطَتْ الرُّحْلُ عَنْهَا وَارِدًا *

وانظر الحزانة ١: ٤٩٩

(٤) سورة البقرة ٣٥

(٥) سورة البقرة ٢٣٣

(٦) من قوله تعالى في سورة سبا ١٠: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّئِي مَعَهُ

وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ أَكْثِدِيدَ﴾.

وجاز ذلك لطول الكلام بقوله : ﴿معه﴾ ، وقيل : يا ضمار فل أى ولتؤوب معه الطير .

الخامس : أن يقتضى الكلام شيئين فيقتصر على أحدهما ؛ لأنه المقصود ؛ كقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿فَن رَّبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ ^(١) ، ولم يقل : « وهارون » لأن موسى المقصود المتحمل أعباء الرسالة ، كذا قاله ابن عطية .

وغاص الزمخشري فقال : أراد أن يتم الكلام فيقول : « وهرون » ، ولكنه نكّل عن خطاب هرون توقيا لفصاحته وحدة جوابه ووقع خطابه ؛ إذ الفصاحة تنكّل الخضم عن الخضم للجدل ، وتنفكه عن معارضته .

السادس : أن يذكر شيئان ، ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر ، كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ ^(٢) ، قال الزمخشري : تقديره : إذا رأوا تجارة انفضوا إليها ، أو لهواً انفضوا إليه ؛ خذف أحدهما للدلالة للذكر عليه .

ويبقى عليه سؤال ؛ وهو أنه : لم أوتر ذكر التجارة ؟ وهلا أوتر اللهو ؟

وجوابه ما قاله الراغب في تفسير سورة البقرة : إن التجارة لما كانت سبب انفضاض الذين نزلت فيهم هذه الآية أعيد الضمير إليها . ولأنه قد تشغل التجارة عن العبادة ما لا يشغله اللهو .

واختاف في مواضع : منها قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ^(٣) ، فإنه سبحانه ذكر الذهب والفضة ، وأعاد الضمير

(٢) سورة الجمعة ١١

(١) سورة طه ٤٩

(٣) سورة التوبة ٣٤

على النضة وحدها ؛ لأنها أقرب للذكورين ؛ ولأن النضة أكثر وجودا في أيدي الناس ؛ والحاجة إليها أمس ، فيكون كثرة أكلها ، وقيل أعاد الضمير على المعنى ؛ لأن للكنوز دنانير ودرهم وأموال .

ونظيره : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ ^(١) ؛ لأن الطائفة جماعة . وقيل : من عادة العرب إذا ذكرت شيئين مشتركين في المعنى تكتفى بإعادة الضمير على أحدهما استثناء بذكره عن الآخر استكالا على فهم السامع ، كقول حسان .
إِنْ شَرَحَ الشَّابَابَ وَالشَّمَرَ الْأَمْسَ وَدَمَّالَمْ بِمَا صَ كَانَ جُنُودًا ^(٢)
ولم يقل « بما صا » .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ ^(٣) وقد جعل ابن الأنباري في كتاب « الماهات » ^(٤) ضمير ﴿ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ راجعا إلى الجنود .
وقيل عن قتادة قال : هم لللائكة . والأشبه أن يأتي هنا بما سبق .
ومنها قوله تعالى : ﴿ وَآلَهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥)
تقيل : « أحق » خبر عنهما ، وسهل إيراد الضمير بعدم إفراد « أحق » وأن إرضاء الله سبحانه إرضاء لرسوله .

وقيل : « أحق » خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحذف من الأول للدلالة الثاني عليه .
وقيل : العكس ، وإنما أفرد الضمير لثلاثي جمع بين اسم الله ورسوله في ضمير واحد ، كجاء في الحديث : « قل ومن يرض الله ورسوله » قال الزمخشري : قد يقصدون ذكر الشيء .

(٢) ديوانه ٤١٣

(١) سورة المجرات ٩

(٣) سورة الأنزات ٩

(٤) كتاب الماهات لأبي بكر محمد بن تميم الأنباري النحوي ، ذكره صاحب كشف الظنون ١٤٧١

(٥) سورة التوبة ٦٢

فيذكرون قبله ما هو سبب منه ، ثم يطفونه عليه مضافاً إلى ضميره ، وليس لم قصد إلى الأول كقوله : سرّني زيد وحسّن جاله ؛ وللراد حسن حاله . وفائدة هذا الدلالة على قوة الاختصاص بذكر المني ، ورسول الله أحق أن يرضوه . ويدلّ عليه ما تقدمه من قوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾^(١) ؛ ولهذا وحده الضمير ، ولم يثن .

ومنها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ ﴾^(٢) ومنها قوله : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾^(٣) ؛ فقيل : الضمير للصلاة لأنها أقرب المذكورين . وقيل : أعاده على المني ؛ وهو الاستعانة بالمفهوم من استعينوا . وقيل : المني على التثنية ؛ وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيثًا ﴾^(٤) ؛ وهو نظير آية الجمعة كما سبق .

وفي هاتين الآيتين لطيفتان : وهما أن الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما أعاده في آية الجمعة على التجارة ، وإن كانت أبعد ، ومؤنثة أيضاً ؛ لأنها أجذب للقلوب عن طاعة الله من اللهو ؛ لأن للشغلتين بالتجارة أكثر من الشغلتين باللهو ؛ أو لأنها أكثر نفعاً من اللهو ، أو لأنها كانت أصلاً واللهو تبعاً ، لأنه ضرب بالطبل لقدمه ، كاجاء في صحيح البخاري : « أقبلت غير يوم الجمعة » ، وأعاده في قوله : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ﴾^(٥) على الإثم رعاية لمرتبة القرب والتذكير ؛ فتقدير ذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَيَذَلِّكَ فَلَيقَرْحُوا ﴾^(٦) ، أي بذلك القول .

(٢) سورة الأنفال ٢٠

(٤) سورة النساء ١١٢

(٦) سورة يونس ٥٨

(١) سورة التوبة ٦١

(٣) سورة البقرة ٤٥

(٥) سورة النساء ١١٢

السابع الحذف القابل : وهو أن يجتمع في الكلام متباينان ، فيُحذف من واحد منهما مقابله ؛ للدلالة الآخر عليه ، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرِيءٌ مِّمَّا يُخْرِمُونَ ﴾ ^(١) ، الأصل : فإن افتريته فعلى إجماعي وأنتم برآء منه ، وعليكم إجماعكم وأنا برىء مما تخرمون ، فنسبة قوله تعالى : « إجماعي » ، وهو الأول إلى قوله : « وعليكم إجماعكم » - وهو الثالث - كنسبة قوله : « وأنتم برآء منه » - وهو الثاني - إلى قوله : « وعليكم إجماعكم » - وهو الثالث - كنسبة قوله : « وأنتم برآء منه » - وهو الثاني - إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا بِرِيءٌ مِّمَّا يُخْرِمُونَ ﴾ ^(٢) ، وهو الرابع ، واكتفى من كل متناسين بأحدهما .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ ^(٣) ، تقديره : إن أرسل فلينا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنِ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٤) ، تقديره كقَالَ المفسرون : « ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم ، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم » ، عند ذلك يكون مطلق قوله : فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم مقيداً بمدة الحياة الدنيا . وقوله تعالى : ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ ^(٥) ؛ فتقديره : لا تقربوهن حتى يطهرن ويظهرن ^(٥) ، فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن ؛ وهو قول مركب من أربعة أجزاء ؛ نسبة الأول إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ؛ ويحذف من أحدهما للدلالة الآخر عليه .

واعلم أن دلالة السياق قاطمة بهذه الحذوفات ؛ وبهذا التقدير يتضد القول بالانع من وطء الحائض إلا بعد الطهر وانتظر جميعاً ؛ وهو مذهب الشافعي .

(١) سورة هود ٣٥

(٢) سورة الأنبياء ٥

(٣) سورة الأحزاب ٢٤

(٤) سورة البقرة ٢٢٢

(٥) يقال : طهرت المرأة ، إذا انقطع عنها الدم ؛ فإذا اغتسلت قيل : طهرت بتعديد الطاء .

(٦) - برهان - ثالث

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾^(١) ،
تقديره : « أدخل يدك لتسل ، وأخرجها تخرج » ؛ إلا أنه قد عرّض في هذه المادة تناسب
بالطباق ؛ فذلك بقى القانون فيه ، الذى هو نسبة الأول إلى الثالث ، ونسبة الثانى إلى الرابع
على حالة الأكثرية ؛ فلم يتغير عن موضعه ؛ ولم يجعل بالنسبة التى بين الأول والثانى ،
وبين الثالث والرابع وهى نسبة النظير ، كقوله :

وَأِنِّى لَتَمُرُّوا بِذِكْرَالْهِزَّةِ كَمَا انْتَفَضَ الْمَصْفُورُ بِلَلِّهِ الْقَطَرِ^(٢)

أى هزة بعد انتفاضة ، كما انتفض المصفور بلله القطر ، ثم اهتز . كذا قاله جماعة .
وأنكره ابن الصائغ ، وقال : هذا التقدير لا يحتاج إليه ولو يكون لكان خلفا ؛
ولمّا أحوجهم إليه أنهم رأوا أنه لا يلزم من إدخالها خروجها ؛ و« يخرج » مجزوم على الجواب ،
فاحتاج أن تقدّر جوابا لازما ، وشرطا ملزوما ؛ حذفّا لأنهما نظير ما ثبت ؛ لكن وقع
في تقدير ما لا يفيد ؛ لأنه معلوم أنه إن أدخلها تدخل ، لكنه قد يقدره تقديرا بعيدا ؛
وهو : أدخلها تدخل كما هى ، وأخرجها تخرج بيضاء ؛ وهو بعد ذلك ضعيف ، فيقال له :
لا يلزم في الشرط وجوابه أن يكون اللزوم بينهما ضروريا بالفضل ؛ فإذا قيل : إن جاءنى
زيد أكرمته ؛ فهذا اللازم بالوضع ؛ وليس بالضرورة ، والإكرام لازم للمجيء ، بل لوضع
الكلمة فالوضع هنا أن الإدخال سبب فى خروجها بيضاء بقدرة الله تعالى ؛ ألا ترى أنه
لا يلزم من إخراجها أن تخرج بيضاء لزوما ضروريا إلا بضرورة صدق الوعد . فإن قال :
لم أرد هذا ؛ ولمّا أردت أنها لا تخرج إلا حتى تخرج . قيل : هذا من المعلوم الذى لا معنى
للتنصيص عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرُوجُوا اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾^(٣) ،

(٢) البيت لأبى صخر المذلى ؛ أمالى القالى : ١ : ١٤٩

(١) سورة النمل ١٢

(٣) سورة التوبة ١٠٢

أصل الكلام : خلطوا عملاً صالحاً بسيئاً ، وآخر سيئاً بصالحاً ؛ لأن الخلط يستلزم خلوطاً ومخلوطاً به ؛ أى تارة أطاعوا وخلطوا الطاعة بكبيره ، وتارة عصوا وتداركوا المصيبة بالتوبة . وقوله : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ ^(١) الآية ، فإن مقتضى التقسيم اللفظي : من اتبع الهدى فلا خوف ولا حزن بلحظه ، وهو صاحب الجنة ، ومن كذب بلحظه الخوف والحزن وهو صاحب النار ؛ فحذف من كل ما أثبت نظيره في الأخرى .

قيل : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْفِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ ^(٢) ، قال سيبويه ^(٣) في « باب استعمال القفل في اللفظ لا في المعنى » : لم يشبهوا بالناقع ؛ وإنما شبهوا بالمنفوق به ؛ وإنما المعنى : ومثلهم ^(٤) ومثل الذين كفروا كمثل الناقع والمنفوق به الذي لا يسمع إلا دعاء ؛ ولكنه جاء على سمة الكلام والإيجاز اعلم المخاطب بالمعنى . انتهى .

والذي أحوجه إلى هذا التقدير ، أنه لما شبه الذين كفروا بالذي صلى الله عليه وسلم ، وهذا بناء على أن الناقع بمعنى الداعي ؛ وليس بجمعين ؛ لجواز ألا يراد به الداعي ؛ بل الناقع من الحيوان - شبههم في تألقهم وتأنيهم بما ينفق من القم بصاحبه ؛ من أنهم يدعون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم ما يريد ، فيكون تم حذف .

وقيل : ليس من هذا النوع إلا الاكتفاء من الأول والثالث ؛ لتسبة بينهما ؛ وذلك أنه اكتفي بالذي ينفق - وهو الثالث للشبه به - عن المشبه ، وهو الكناية للضاف إليها في قوله : ومثلهم ، وهو الأول وأقرب إلى هذا التشبيه المركب والمتعاقبة ؛ وهو الذي غلط من وضعه في هذا النوع ؛ وإنما هو من نوع الاكتفاء فلا ارتباطا بالمعنى ؛ على ما ساف .

(٢) سورة البقرة ١٧١

(١) سورة طه ١٢٣

(٣) الكتاب ١ : ٨٠

(٤) م ٥ وملك ٥ : وما أثبت عن ت والكتاب .

وقد قال الصغار : هذا الذى صار إليه سيبويه - من أنه حذف من الأول المطفوف عليه ، ومن الثانى المطفوف - ضيف لا ينبغي أن يصار إليه إلا عند الضرورة ، لأن فيه حذفاً كثيراً مع إبقاء حرف المطفوف ؛ وهو الواو . ألا ترى أن ما قبلها مستأنف ، والأصل مثلك ومثلهم ؛ إلا أن بدعى أن الأصل ومثلك ومثلهم ، ثم حذف « مثلك » والواو التى عطفت ما بعدها ، وبقيت الواو الأولى ؛ ويزعم أن الكلام زبط مع ما قبله بالواو ؛ وليس بينهما ارتباط . وفيه ما ترى .

وقال ابن الحجاج : عندي أنه لا حذف فى الآية ، والقصد تشبيه الكفار فى عبادتهم لأصنام بالذى ينطق بما لا يسمع ؛ فهو تمثيل دافع بداع محقق لا حذف فيه ؛ والكفار على هذا داعون ؛ وعلى التأويل الأول مدهوون .

ونظيرها قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(١) فإن فيه مجلتين ؛ حذف نصف كل واحدة منهما اكتفاء بنصف الأخرى . وأصل الكلام : أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى ممن يمشى سويّاً على صراط مستقيم ، أمّن يمشى سويّاً على صراط مستقيم أهدى ممن يمشى مكباً ! وإنما قلنا : إن أصله هكذا ؛ لأن أفعل التفضيل لا بدّ فى معناه من المفضل عليه .

وهاهنا وقع السؤال عنّ فى نفس الأمر : هل هذا أهدى من ذلك أم ذاك أهدى من هذا ؟ فلا بد من ملاحظة أربعة أمور ، وليس فى الآية إلا نصف إحدى المجلتين ونصف الأخرى ؛ والذى حذف من هذه مذكور فى تلك ، والذى حذف من تلك مذكور فى هذه ، فحصل المقصود مع الإيجاز والفصاحة . ثم ترك أمر آخر لم يتعرّض له ؛ وهو الجواب الصحيح لمذنبين الاستفهامين ، وأيهما هو الأهدى ؟ لم يذكره فى الآية أصلاً ، اعتماداً على أن العقل يقول : الذى يمشى على صراط مستقيم أهدى ممن يمشى مكباً على وجهه .

وهذا كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ؟﴾^(١). وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟﴾^(٢).

فائدة

قد يحذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، وقد يعكس ، وقد يحتمل اللفظ الأمرين .
فالأول كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(٣) في قراءة من رفع «ملائكته» ، أى إن الله يصل ، تحذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، وليس عطفاً عليه .
والثاني كقوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ﴾^(٤) ، أى ما يشاء .
وقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(٥) ، أى برى أيضاً .
وقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾^(٦) .
وقوله: ﴿يَتَسَنَّ مِنَ الْمَنِيِّ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَادْتُمُ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنْ﴾^(٧) ، أى ثلاثة .

وجعل منه أبو الفتح قولاً تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾^(٨) التقدير: وأبصر بهم ؛ نسكنه حذف لدلالة ما قبله عليه : حيث كان بلفظ الفضلة ؛ وإن كان مفعلاً في الفاعل .
وهذا التوجيه إنما يتم إذا قلنا : إن الجار والمجرور ؛ في «أسمع بهم وأبصر» في محل الرفع : فإن قلنا في محل النصب فلا .

(٢) سورة الزمر ٩

(١) سورة النحل ١٧

(٤) سورة الرعد ٣٩

(٣) سورة الأحزاب ٥٦ ؛ وهى قراءة . . .

(٦) سورة إبراهيم ٤٨

(٥) سورة التوبة ٣

(٨) سورة مريم ٣٨

(٧) سورة الطلاق ٤

وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ^(١) ،
 والتقدير خلقهنَّ الله ، لحذف « خلقهنَّ » قرينة تقدمت في السؤال .
 وقوله : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٢) ، ولم يقل :
 « إنا كذلك » اختياراً واستثناء عنه بقوله فيما سبق : ﴿ إنا كذلك » .
 والثالث كقوله : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ ^(٣) ، فقد قيل : إن « أحق »
 خبر عن اسم الله تعالى ، وقيل بالعكس .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ
 بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ﴾ ^(٤) ، فالقائدة في إعادة الجار والمجرور ؛ أعني « بها » . لأنه لو حذف من
 الثاني لم يحصل الربط لوجوب الضمير فيما وقع مفعولاً ثانياً ، أو كالمفعول الثاني لـ « سمعتم » ،
 ولو حذف من الأول لم يكن نصاً على أن الكفر يتعلق بالإثبات ؛ لجواز أن يكون متعلق
 الأول غير متعلق الثاني .

الثامن الاختزال ؛ وهو الافصال ؛ من خزله ، قطع وسطه ، ثم نقل في الاصطلاح إلى
 حذف كلمة أو أكثر : وهي إما اسم ، أو فعل ، أو حرف .

(٢) سورة الصافات ١٠٩ ، ١١٠

(٤) سورة النساء ١٤٠

(١) سورة الزمر ٣٨

(٣) سورة التوبة ٦٢

الأول المسمى

[حذف للببدأ]

فنه حذف للببدأ ، كقوله تعالى : ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ و ﴿خَمْسَةٌ﴾ ؛ و ﴿سَبْعَةٌ﴾^(١) ، أى هم ثلاثة ، وهم خمسة ، وهم سبعة .
 وقوله : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَاتِ فِتْنَةٌ﴾^(٢) ، أى إحداها ، بدليل قوله بعده : ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾^(٣) .
 وقوله : ﴿بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ﴾^(٤) ، أى هذا بلاغ .
 وقوله : ﴿بِلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾^(٥) ، أى هم عباد .
 وعلى هذا قال أبو علي : قوله تعالى : ﴿يُشْرِي مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ﴾^(٦) ، أى هي النار .

وقوله : ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ . النَّارُ﴾^(٧) ، أى هو النار .
 ويمكن أن يكون « النار » في الآيتين مبتدأ والخبر الجملة التي بعدها ، ويمكن في الثانية أن تكون النار بدلاً من « سوء العذاب » .

(١) من قوله تعالى في سورة الكهف ٢٢ :

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْنَاهُمْ كَذِبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَكُنْتُمْ كَذِبُهُمْ﴾ .

(٢) سورة الأحقاف ٣٥

(٣) سورة آل عمران ١٣ ، وستأتي

(٤) سورة الأنبياء ٢٦

(٥) سورة الحج ٧٧ : ﴿وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِي كَفَرُوا وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ .

(٦) سورة الزمر ٤٥ ، ٤٦ ، وتنتها : ﴿يُمْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ .

وقوله : ﴿ قَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾^(١) ، أى ساحر .

وقوله : ﴿ إِنْ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾^(٢) . ﴿ وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٣) .

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٤) ، أى هذا الحق من ربكم ؛ وليس هذا كما يظنه بعض الجهال ، أى قل القول الحق ؛ فإنه لو أريد هذا لنصب « الحق » ؛ والمراد إثبات أن القرآن حق ، ولهذا قال : ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ؛ وليس المراد هنا قول حق مطلق ؛ بل هذا المسمى المذكور فى قوله : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾^(٧) ؛ أى هذه سورة .

﴿ مَنْ يَحْمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾^(٨) ، أى فعمله لنفسه وإساءته عليها .

وقوله : ﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْوِثْ ﴾^(٩) أى فهو يثوب .

﴿ لَا يَصْرُفُكَ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾^(١٠) ، أى تقلبهم متاع ، أو ذاك متاع .

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَطْمَةُ . نَارُ اللَّهِ الَّتِي وَقَدَتْ ﴾^(١١) ، أى والخطمة نار الله .

﴿ إِنْهَا تَرْمِي بِشَرِّ رِيشٍ كَالْقَصْرِ ﴾^(١٢) ، أى كل واحدة منها كالقصر ؛ فيكون من باب

قوله : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ نَجْمًا نِينَ جَلْدَةً ﴾^(١٣) ، أى كل واحد^(١٤) منهم ، والحوج إلى ذلك أنه لا يجوز أن يكون الشر كله كقصر واحد ؛ والتصر هو البيت من آدم^(١٥) ، كان يضرب

- | | |
|----------------------|------------------------------|
| (١) سورة المؤمن ٢٤ | (٢) سورة القاريات ٥٢ |
| (١) سورة الفرقان ٥ | (٤) سورة الكهف ٢٩ |
| (٥) سورة الأنعام ١٥٢ | (٦) سورة الأعراف ١٩٦ |
| (٧) سورة النور ١ | (٨) سورة فصلت ٤٦ |
| (٩) سورة فصلت ٤٩ | (١٠) سورة آل عمران ١٩٦ ، ١٩٧ |
| (١١) سورة الهنزة ٦٠ | (١٢) سورة المرسلات ٣٢ |
| (١٣) سورة النور ٤ | (١٤) ١٤-١٤ - سقط من ت . |

على المال ، ويؤيده ^(١) قوله : ﴿ جَاءَتْهُمُ الضُّرُ ﴾ ^(٢) ، أفلا تراه كيف شبهه بالجماعة أى كل واحدة من الشرر كالجبل لجماعته ، فجاءته إذن مثل الجبال الضفر ، وكذلك الأول ، شررة منه كالقصر . قاله أبو الفتح بن جنى .

وأما قوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾ ^(٣) ، فقول : إن « ثلاثة » خبر مبتدأ محذوف تقديره : « آلهتنا ثلاثة » .

واعترض باستلزامه ^(٤) إثبات الإلهية لانصراف النفي الداخل على المبتدأ أو الخبر إلى المعنى المستفاد من الخبر لا إلى معنى المبتدأ ، وحينئذ يقتضى نفي عدة الآلهة لا نفي وجودهم .

قول : وهو مردود ؛ لأن نفي كون آلهتهم ثلاثة يصدق بالآ يكون للآلهة الثلاثة وجود بالسكينة ؛ لأنه من السالبة المحصلة ^(٥) ، فمنها : ليس آلهتكم ثلاثة ، وذلك يصدق بالآ يكون لهم آلهة وإنما حذف إيداناً بالهوى عن مطلق المدد للفهم للسواة بوجه ما ؛ فما ظنك بمن صرح بالشركة ؛ كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ ^(٦) ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ ^(٧) ، فأفهم أنه لو وجد الإله يكون غيره معه خطأ لإفهامه مساواة ما ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ^(٨) ، ولزم من نفي الثلاثة لامتناع المساواة المعلومة عقلاً ، وللدلول عليها بقوله : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ ^(٩) ، نفي الشركة مطلقاً ؛ فإن تخصيص النفي وقم في مقابلة الفعل ، ودليلاً عليه ؛ فإنهم كانوا يقولون في الله وعيسى وأمه : ثلاثة .

(٢) سورة الرسالات ٣٣

(٤) ت : « استلزامه » ؟؟

(٦) سورة المائدة ٧٣

(٨) سورة النساء ١٧١

(١) ت : « ويؤكد » .

(٣) سورة النساء ١٧١

(٥) ت : « المحصلة » .

(٧) سورة الأنعام ١

ونحوه في الخروج على السبب : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا أُضْمًا قَاطِبَةً ﴾^(١) .
وقال صاحب « إسفار الصباح »^(٢) : الوجه تقدير كون ثلاثة ، أو « في الوجود » ، ثم
حذف الخبر الذي هو « لنا » ، أو « في الوجود » الحذف المطرد ، وما دلّ عليه توحيد
لا إله إلا الله .

ثم حذف للببدأ حذف للموصوف كالعدد ؛ إذا كان معلوما . كقولك : عندي ثلاثة .
أى دراهم ؛ وقد علم بقرينة قوله : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾^(٣) .

وقد عورض هذا بأن نفي وجود ثلاثة لا ينفي وجود إلهين . وأجيب بأن تقديره
« ألهتنا ثلاثة » يؤجّب ثبوت الآلهة ؛ وتقدير « لنا آلهة » لا يوجب ثبوت إلهين .
فمورض بأنه كما لا يؤجبه فلا ينفيه .

فأجيب بأنه إذا لم ينفع فقد نفاه ما بعده من قوله : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ .

فمورض بأن ما بعده إن نفي ثبوت إلهين فكيف ثبوت آلهة ؟
فأجيب بأنه لا ينفيه ، ولكن يناقضه ، لأن تقدير ألهتنا ثلاثة يثبت وجود إلهين ؛
لانصراف النفي في الخبر عنه ، بخلاف تقدير : « لنا آلهة ثلاثة » ، فإنه لا يثبت وجود
إلهين لانصراف النفي إلى أصل الإثبات للآلهة .
وفي أجوبة هذه المقدمات نظر .

قلت : وذكر ابن جني أن الآية من حذف المضاف ؛ أى ثالث ثلاثة لقوله في موضع
آخر : ﴿ أَقْدَرُ كَفَرًا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ .

(٢) ذكره صاحب كشف الظنون .

(١) سورة آل عمران ١٣٠

(٣) سورة النساء ١٧١

حذف الخبر

نحو: ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلَّهَا﴾^(١)، أى دائم .

وقوله في سورة ص بعد ذكر من اقتص ذكركه من الأنبياء، قال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾^(٢)
ثم لما ذكر مصيرهم إلى الجنة وما أعد لهم فيها من النعيم قال: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ
لَشَرًّا مَّآبٍ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُئْسَ آلَيْهَا: هَذَا﴾^(٣) قد أشارت الآية إلى مآل أمر
الطاغين، ومنه يفهم الخبر .

وقوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٤) أى أهذا
خير أمَّن جعل صدره ضيقاً حرجاً وقسا قلبه، غذف بدليل قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِ
فُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٥) .

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا صَبْرَ﴾^(٦) .

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾^(٧) .

وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا﴾^(٨) قال سيبويه: الخبر^(٩) محذوف، أى فيما
أتلوه السارق والسارقة، وجاء ﴿فَاقْطَعُوا﴾ جملة أخرى . وكذا قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾^(١٠)
فما نقص لكم .

وقال غيره: السارق مبتدأ، فاقطعوا خبره؛ وجاز ذلك لأن الاسم عام، فإنه لا يريد

(٢) سورة ٤٩ ص

(١) سورة الرعد ٣٥

(٤) سورة الزمر ٢٢

(٣) سورة ص ٥٥ - ٥٦

(٥) سورة الشعراء ٥٠ والآية تناسبا: ﴿قَالُوا لَا صَبْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ .

قال الزمخشري في مناه: «لا خير علينا في قتله» .

(٧) سورة المائدة ٣٨

(٦) سورة سبأ ٩١

(٩) سورة التور ٢

(٨) الكتاب ١ : ٧١

به سارقاً مخصوصاً ، فصار كأنما الشرط ؛ تدخل الفاء في خبرها لعمومها ؛ وإنما قدر سيوبه ذلك لجعل الخبر أمراً ؛ وإذا ثبت الإضمار فالقاء داخله في موضعها ، تربط بين الجملتين . وبما يدل على أنه على الإضمار إجماع القراء على الرفع ؛ مع أن الأمر الاختيارية فيه النصب . قال : وقد قرأ ناس بالنصب ^(١) ارتكاناً للوجه القوي في العربية ؛ ولكن أبت العامة إلا الرفع . وكذا قال في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٢) : مثل ، هنا خبر مبتدأ محذوف ؛ أي فيما قصص عليكم مثل الجنة . وكذا قال أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَاعْدُوهُمَا ﴾ : إنه على الإضمار ^(٣) .

وقد رد بأنه أي ضرورة تدعو إليه هنا ؟ فإنه إنما صرنا إليه في السارق ونحوه لتقديره دخول الفاء في الخبر ، فاحتيج للإضمار حتى تكون الفاء على بابها في الربط ؛ وأما هذا فقد وُصِلَ بفعل هو بمنزلة : الذي يأتيك فله درهم .

وأجاب الصقار بأن الذي حمله على هذا أن الأمر دائر مع الضرورة كيف كان ؛ لأنه إذا أضمر فقد تكلف ، وإن لم يضرر كان الاسم مرفوعاً وبدء الأمر ، فهو قليل بالنظر إلى « للذين يأتيانها » فكيفما عمل لم يخل من قبح .

وإن قدر منصوباً ، وجاء القرآن بالألف على لمة من يقول « الزيدان » في جميع الأحوال وقع أيضاً في محذور آخر ؛ فلهذا قدره هذا التقدير ، لأن الإضمار مع الرفع يتسكفان .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ ^(٤) ، الخبر محذوف ، أي يعدّون . ويجوز أن يكون الخبر : ﴿ أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ^(٥) .

(١) عبارة الكتاب : « وقد قرأ أناس ﴿ وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ ﴾ ، و ﴿ الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي ﴾

وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة .

(٣) سورة النساء ١٦

(٢) سورة الزمعة ٣٥

(٥) سورة فصلت ٤٤

(٤) سورة فصلت ٤١

وقوله : ﴿لَوْ لَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾^(١) ؛ فأنتم مبتدأ والخبر محذوف ؛ أى .
حاضرون ؛ وهو لازم الحذف هنا .

وقوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ مِنَ الدِّينِ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَلًّا لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلًّا لَهُمْ
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٢) ؛
أى حل لكم كذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٣) ، أما على قراءة التنوين فلا حذف
لأنه يجعله مبتدأ ؛ و «ابن الله» خبر ؛ حكاية عن مقالة اليهود ؛ وأما على قراءة من لم ينون ؛
ف قيل : إنه صفة والخبر محذوف ؛ أى عزير ابن الله إلهنا ، وقيل : بل للمبتدأ محذوف ،
أى إلهنا عزير ، وابن صفة .

ورُدَّ بوجهين :

أحدهما : أنه لا يطابق : ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٤) .

والثاني : أنه يلزم عليه أن يكون التكذيب ليس عائدا إلى النبوة ، فكذب لأن
صدق الخبر وكذبه راجع إلى نسبة الخبر لا إلى الصفة . فلو قيل : زيد القائم قتيه ، فكذب
انصرف التكذيب لإستناد قتيه ؛ لا لوصفه بالقائم .

وفيه نظر ؛ لأن الصفة ليست إنشاء فهي خبر ؛ إلا أنها غير تامة الإفادة ، فيصح
تكذيبها . والأولى تقويته ، وأن يقال الصفة والإضافة ونحوها في السند إليه لواحق بصورة
الإفراد ؛ أى يريد أن يصوره بهيئة خاصة ؛ ويحكم عليه كذلك ؛ لكن لا سبيل إلى
كذبها ، مع أنها تصوّرت ، فالوجه أن يقال : إن كذب الصفة بإسناد مستند إلى

(٢) سورة المائدة ٤

(١) سورة سبأ ٣١

(٣) سورة التوبة ٣٠

معدوم الثبوت . ونظير هذه المسألة في الفقه ما لو قال : والله لا أشرب ماء هذا الكوز ؛ ولا ماء فيه .

وقال بعضهم : ﴿عَزِيزٌ أَبْنُ اللَّهِ﴾ خبر الجملة ، أى حَكَمَ فيه لفظهم ، أى قالوا هذه العبارة القبيحة ؛ وحيثُ فلا يقدَّر خبر ولا مبتدأ .

وقيل : « ابن الله » خبر وحذف التنوين من « عزيز » للجمعة والعلمية .

وقيل : حذف تنوينه لا لتقاء الساكنين ؛ لأن الصفة مع الموصوف كشيء واحد ، كقراءة : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(١) ، على إيراد التنوين ؛ بل هنا أوضح ؛ لأنه في جملة واحدة .

وقيل : « ابن الله » نعت ولا محذوف ؛ وكأنَّ الله تعالى حَكَمَ أنهم ذكروا هذا اللفظ إنكاراً عليهم ؛ إلا أن فيه نعتاً ، لأن سبويه قال : إن قلت وضعت العرب لتعجب به ما كان كلاماً لا قولاً . وأيضاً إنه لا يطابق قوله : ﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٢) ، والظاهر أنه خبر . والقولان منقولان .

والصحيح في هذه القراءة أنه ليس الغرض إلا أن اليهود قد بلغوا في رسوخ الاعتقاد في هذا انشئ إلى أن يذكرون هذا النسكر ، كما تقول في قوم تغالوا في تعظيم صاحبهم : أراهم اعتقدوا فيه أمراً عظيماً ثابتاً ، يقولون : زيد الأمير !

ما يحتمل الأسرين

قوله تعالى : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^(٣) يحتمل حذف الخبر ، أى أجمل^(٤) ، أو حذف للمبتدأ ، أى فأمرى صبر جميل . وهذا أولى لوجود قرينة حالية - هي قيام الصبر به - دالة على

(٢) سورة التوبة ٣٠

(٤) قدره صاحب الكشاف : « أشئ » .

(١) سورة الإخلاص ٢٠١

(٣) سورة يوسف ١٨

المحذوف ، وعدم قرينة حالية أو مقالية تدلّ على خصوص الخبر ، وأن الكلام سوق للإخبار بمحصل الصبر له واتصافه به ، وحذف للابتداء بحصل ذلك دون حذف الخبر ؛ لأن معناه أن الصبر الجليل ؛ أجل من ^(١) لأن التشكلم متلبس به .

وكذلك يقوله مَنْ لم يكن وصفه له ؛ ولأن الصبر مصدر ، والمصدر معناها الإخبار ؛ فإذا حمل على حذف للابتداء فقد أُجْرِيَ على أصل معناه ؛ من استعماله خبراً ، وإذا حُمل على حذف الخبر فقد أخرج عن أصل معناه ^(٢) .

ومثاله قوله : ﴿ طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ﴾ ^(٣) أى أمتل ، أو أولى لكم من هذا ، أو أمركم الذى يطلب منكم .

ومثله قوله : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ ^(٤) ؛ إما أنت يقدر : فيها أوحينا إليك سورة ، أو هذه سورة .

وقد يحذفان جملة ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَنْشَنَ مِنَ الْمَهِضِ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ ^(٥) الآية .

حذف الفاعل

للمشهور امتناعه إلا فى ثلاثة مواضع :

أحدها : إذا بنى الفعل للمفعول .

ثانيها : فى المصدر ، إذا لم يذكر معه الفاعل ؛ مظهرأ يكون محذوفاً ، ولا يكون مضمراً ، نحو ﴿ أَوْ إِنْطَامَ ﴾ ^(٦) .

(١) كذا فى الأصول وموضع النقص يابى فى ت . (٢) كذا وردت العارة فى الأصلين ؛ وفيها غموس .

(٣) سورة النور ١

(٤) سورة النور ٣

(٥) سورة الطلاق ٤ وبقيت الآية : ﴿ فَعَلِدُنَّهِنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَنَلَايَ لَمْ يَحِضْنَ . . . ﴾

والتعدير فعديتهن ثلاثة أشهر ؛ قال صاحب الكشف : « غذف لدلالة المذكور عليه » .

(٦) سورة البقرة الآية ١٤

ثالثها : إذا لاقى الفاعل ساكناً من كلمة أخرى ، كتقولك للجماعة : اضربُ القوم ، وله مخاطبة : اضربِ القوم .

وجوز السكّاني حذفه مطلقاً إذا وجد ما يدلّ عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ ^(١) أى بلغت الروح .

وقوله : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ^(٢) أى الشمس .

﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ ^(٣) يعنى العذاب ، لقوله قبله : ﴿ أَقْبِمْدَا إِنَّا يَسْمَعُ جُلُودَ ﴾ ^(٤) .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ ﴾ ^(٥) تقديره : فلما جاء الرسول سليمان .

والحق أنه فى المذكورات مُضْمَرٌ لا محذوف ، وقد سبق الفرق بينهما .

أما حذفه وإقامة المفعول مقامه ، مع بناء الفعل للمفعول فله أسباب :
منها العلم به ، كقوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ^(٦) . ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ ^(٧) ، ونحن نعلم أن الله خالقه .

قال ابن جنى : وضابطه أن يكون الغرض إنمّا هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول ؛ ولا غرض فى إبانة الفاعل من هو .

ومنها تعظيمه ، كقوله : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ ^(٨) ، إذ كان الذى قضاه عظيم القدر .

وقوله : ﴿ وَغِيضَ أَلْمَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ ^(٩) .

- (٢) سورة ص ٣٢
(٤) سورة الصافات ١٧٦
(٦) سورة الأنبياء ٣٧
(٨) سورة يوسف ٤١

- (١) سورة القيامة ٢٦
(٣) سورة الصافات ١٧٧
(٥) سورة النمل ٣٦
(٧) سورة الناء ٢٨
(٩) سورة هود ٤٤

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ^(١) قال الزحشرى فى كشفه القديم : هذا أدل على كبرياء المنزل وجلالة شأنه من القراءة الشاذة « أُنزِلَ » ^(٢) مبنياً للفاعل ، كما تقول : للكَ أمر بكذا ، ورسم بكذا ؛ وخاصة إذا كان الفعل فعلاً لا يقدر عليه إلا الله ، كقوله : ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ^(٣) قال : كأن طي ذكر الفاعل كالواجب ؛ لأمرين : أحدهما : أنه إن تعين الفاعل وعلم أن الفعل مما لا يتولاها إلا هو وحده ، كان ذكره فضلاً ولنوا .

والثانى : الإيذان بأنه منه ؛ غير مشارك ولا مدافع عن الاستتار به والتفرد بإيجاده . وأيضاً فإنا فى ذلك من مصير أن اسمه جدير بأن يسان ويرفع به عن الابتزال والامتهان . وعن الحسن : لولا أنى مأذون لى فى ذكر اسمه لربأت به عن مسلك الطعام والشراب . ومنها مناسبة الفواصل ، نحو : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ ^(٤) ، ولم يقل يُجزئها .

ومنها مناسبة ما تقدمه ، كقوله فى سورة براءة : ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ آخِلُو الْبَيْتِ وَطَيْبٍ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ^(٥) ؛ لأن قبلها : ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ ^(٦) على بناء الفعل للمفعول ؛ فجاء قوله : ﴿وَطَيْبٍ﴾ ليناسب باختتام المطلق ، بخلاف قوله فيما بعدها : ﴿وَطَيْبٍ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٧) ، فإنه لم يقع قبلها ما يقتضى البناء ، فجاءت على الأصل .

(٢) على لفظ ماسى ناعله ؛ وهى قراءة يزيد بن قطيب ، واظفر الكشاف .

(٥) سورة التوبة ٨٧

(٧) سورة التوبة ٩٣

(١) سورة البقرة ٤

(٣) سورة هود ٤٤

(٤) سورة الليل ١٩

(٦) سورة التوبة ٨٦

حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه

وهو كثير ، قال ابن جني : وفي القرآن منه زهاء ألف موضع . وأما أبو الحسن ، فلا يقيس عليه ؛ ثم رده بكثرة المجاز في اللغة ، وحذف المضاف مجاز . انتهى .

وشرط المبرد في كتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » لجوازه وجود دليل على المحذوف من عقل أو قرينة ، نحو : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ ^(١) ، أي أهلها ، قال ^(٢) : ولا يجوز على هذا أن تقول : جاء زيد ، وأنت تريد غلام زيد ؛ لأن الجيء يكون له ، ولا دليل [في مثل هذا] ^(٣) على المحذوف .

وقال الزمخشري في الكشاف القديم : لا يستقيم تقدير حذف المضاف في كل موضع ؛ ولا يُقدّم عليه إلا بدليل واضح وفي غير مُلبس ؛ كقوله : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ ^(٤) . وضف بذلك قول من قدر في قوله : ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ ^(٥) ، أنه على حذف مضاف . فإن قلت : كما لا يجوز مجيئه ^(٥) لا يجوز خداعه ؛ فحين جرك إلى تقدير المضاف امتناع مجيئه ، فهلا جرك إلى مثله امتناع خداعه !

قلت : يجوز في اعتقاد المناهقين تصور خداعه ؛ فكان الوضع ملبسا فلا يقدر . انتهى . فنه قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ ^(٦) ، أي رحمته ويخاف عذابه .

(٢) ما اتفق لفظه واختلف معناه ٣٢

(١) سورة يوسف ٨٢

(٤) سورة النساء ١٤٢

(٣) تسكئة ما اتفق لفظه واختلف معناه

(٦) سورة الأحزاب ٢١

(٥) من قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَيَأْجُوجُ ﴾^(١) أى سد ياجوج وماجوج .
 ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾^(٢) ، أى شعر الرأس .
 ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ﴾^(٣) ، أى بقراءة صلاتك ، ولا تخافت
 بقرائتها .

﴿ وَلَكِنَّ الْآلِ مِنَ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾^(٤) ، أى برّ من آمن بالله .
 ﴿ فَلَمَّا أَنَا مَا نُودِيَ ﴾^(٥) أى ناحيتها ، والجهة التى هو فيها .
 ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَ نَسْمًا إِذْ تَدْعُونَ ﴾^(٦) أى هل يسمعون دعاءكم ، بليل الآيات الأخرى
 ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾^(٧) .
 ﴿ عَلَىٰ خَوَافٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ﴾^(٨) ، أى من آل فرعون .
 ﴿ إِذَا لَأَذْنَابَكَ ضِعْفَ الْجَلَاءِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾^(٩) ، أى ضعف عذابها .
 ﴿ وَنَسْتَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْتَقِ ﴾^(١٠) ، أى ومثل واعظ الذين كفروا
 كغناقى الأنعام .

﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾^(١١) ، أى مثل أمهاتهم .
 ﴿ وَتَحْمِلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾^(١٢) ، أى شكر رزقكم . وقيل تحملون
 التكذيب شكر رزقكم .

وقوله : ﴿ وَأَتَيْنَا مَا وَعَدْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾^(١٣) ، أى على السنة رسلك .
 وقوله : ﴿ وَتَحْنُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾^(١٤) أى ذوى أماناتكم ، كالودع والمعيير والموكل

(٢) سورة مريم ٤

(٤) سورة البقرة ١٧٧

(٦) سورة الشعراء ٧٢

(٨) سورة يونس ٨٣

(١٠) سورة البقرة ١٧١

(١٢) سورة الواقعة ٨٢

(١٤) سورة الأنفال ٢٧

(١) سورة الأنبياء ٩٦

(٣) سورة الإسراء ١١٠

(٥) سورة طه ١١

(٧) سورة فاطر ١٤

(٩) سورة الإسراء ٧٥

(١١) سورة الأحزاب ٦

(١٣) سورة آل عمران ١٩٤

والشريك ، ومن يدك في ماله أمانة لا يذنبان ، ويجوز أن لا حذف فيه ؛ لأن « خنت » من باب « أعطيت » ؛ فيتمدّى إلى منقولين ، ويقتصر على أحدهما .
وقوله : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾^(١) ، أى أهل مدين ؛ بدليل قوله : ﴿ وَمَا كُنْتُ نَارِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾^(٢) .

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾^(٣) ، أى أهل القرية ؛ وأهل المير .
وقيل : فيه وجهان : أحدهما أن القرية يُراد بها نفس الجماعة ، والثاني أن للراد الأبنية نفسها ؛ لأن المخاطب نبيّ صاحب معجزة .

﴿ الْحُجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ ﴾^(٤) ؛ ويجوز أن يقدر : الحج حجّ أشهر معلومات .
﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ ﴾^(٥) أى أمرُ ربك .
﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾^(٦) ، أى حب المجل ؛ قال الراغب^(٧) :
إنه على بابهِ ؛ فإن في ذكر المجل تنبيهًا على أنه لقرط محبّتهم صار صورة المجل في قلوبهم لا تنجلي .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادِي إِمْرَءَ ﴾^(٨) ؛ فإمر اسم لوضع وهو في موضع جرّ ؛ إلا أنه منع الصرف للعلمية والتأنيث ؛ أما العلمية فواضح ، وأما التأنيث فلقوله : ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ .

وقوله : ﴿ قَدْ سَأَلْنَا قَوْمَ مِن قَبْلِكُم مَّا أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾^(٩) أى بسؤالها ؛ غفد للضاف ؛ ولم يكفروا بالسؤال ؛ إنما كفروا بربهم المستول عنه ، فلما كان السؤال سببًا للكفر فيما سألوها عنه نُسب الكفر إليه على الاتساع .

(٢) سورة القصص ٤٥

(٤) سورة البقرة ١٩٧

(٦) سورة البقرة ٩٣

(٨) سورة الفجر ٦ ، ٧

(١) سورة هود ٨٤

(٣) سورة يوسف ٨٢

(٥) سورة الفجر ٢٢

(٧) الترددات ٢٥٨ ؛ وهو أحد أقواله .

(٩) سورة المائدة ١٠٢

وقيل : الماء عائدة على غير ما تقدم لقوة هذا الكلام ؛ بدليل أن الفعل تمدى بنفسه والأول بنيره ؛ وإنما هذه الآية كناية عما سأل قوم موسى ، وقوم عيسى من الآيات ، ثم كفروا ، فعنى السؤال الأول والثاني ^(١) الاستفهام ، ومعنى الثالث طلب الشيء .

وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ ^(٢) ، أى تناولها ، لأن الأحكام لا تتعلق بالأجرام إلا بتأويل الأفعال .

وقيل : إن الميتة يمتد بها عن تناولها فلا حذف ؛ ولو كان تم حذف لم يؤث الفعل ؛ ولأن المركب إنما يحذف إذا كان للكلام دلالة غير الدلالة الإفرادية ؛ والفهم من هذا التركيب تناول من غير تقدير ؛ فيكون اللفظ موضوعاً له ، والشهور في الأصول أنه من محال الحذف .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ ^(٣) : فيها إظهار ؛ لأن فاعلاً لولا قال : « من عمل صالحاً جملة في جملة الصالحين » لم يكن فائدة ؛ وإنما المعنى لندخلهم في زمرة الصالحين .

وقوله : ﴿ تَجَمَّلُونَهُ قَرَأَاطِيسَ ﴾ ^(٤) ، أى ذا قراطيس ، أو مكتوباً في قراطيس .
﴿ تُبَدُّونَهَا ﴾ ^(٥) ، أى تبدون مكتوبها .

وقوله : ﴿ وَتُخْفَنُونَ كَثِيرًا ﴾ ^(٦) ؛ ليس المعنى تخفونها إخفاء كثيراً ؛ ولكن التقدير : تخفون كثيراً من إنكار ذى القراطيس ؛ أى يكتمونه فلا يظهره ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي

(١) من قوله تعالى أول الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ إِلَيْكُمْ تُسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ . . . ﴾ .

(٣) سورة النكبة ٩

(٢) سورة الناقة ٣

(٤) سورة الأسماء ٩١

الْكِتَابِ^(١) . وَيُلْهِ قَوْلُهُ : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ فَسَأَلَتْ أُوْدِيَّةٌ يَقْدِرُهَا ﴾^(٣) ؛ أى يقدر مياها .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودُومَ رَبِّهَا ﴾^(٤) ؛ أى همّ بدفنها ، أى عن نفسه فى هذه .
التأويل بتزويه يوسف صلى الله عليه وسلم عما لا يليق به ؛ لأنّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الصنائر والكبائر ، وعليه فينبى الوقف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودُومَ رَبِّهَا ﴾ .

نبيه

[فى جواز حذف المضاف مع الالتفات إليه]

اعلم أنّ المضاف إذا علم جاز حذفه مع الالتفات إليه ؛ فيعامل معاملة الملقوظ به ؛ من عود الضمير عليه . ومع اطراحه يصير الحكم فى عود الضمير للقائم مقامه .
فمثال استهلاك حكمه وتناسى أمره قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجْجٍ يَنْشَاءُ مُوْجٌ ﴾^(٥) : فإنّ الضمير فى ﴿ يَنْشَاءُ ﴾ عائد على المضاف المحذوف بتقدير أو كذى ظلمات .

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾^(٦) أى كمثل ذوى صيب ؛ ولهذا رجع الضمير إليه مجموعا فى قوله : ﴿ يَجْمَعُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾^(٧) ؛ ولو لم يراع لأفرده أيضا .

(٢) سورة البقرة ١٥٠

(٤) سورة يوسف ٢٤

(٦) سورة البقرة ١٩

(١) سورة البقرة ١٥٩

(٣) سورة الزمعة ١٧

(٥) سورة النور ٤٠

وقوله : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾^(١) ، ولولا ذلك لحذفت التاء ؛ لأن القوم مذكور ، ومنه قول حسان :

يَسْتُونُ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بَرَدَى يُصْقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ^(٢)
بالياء ، أى ماء بردى ، ولوراعى للذكور لأنى بالتاء .

قالوا : وقد جاء فى آية واحدة مراعاة التانيث والحذف ، وهى قوله تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾^(٣) أنت الضمير فى ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ ، و﴿فجاءها﴾ ، لإعادتها على القرية للؤتة ، وهى التابذة ، ثم قال : ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ غائى بضمير من يقل حلا على «أهلها» المحذوف .

وفى تأويل لإعادة الضمير على التانيث وجهان : أحدهما أنه لما قام مقام المحذوف صارت للعاملة معه . والثانى أن يقدّر فى الثانى حذف اللضاف ؛ كما قدر فى الأول . فإذا قلت : سألت القرية وضربتها ، فمناه : وضربت أهلها ، لحذف اللضاف كما حذف من الأول إذ وجه الجواز قائم .

وقيل : هنا مضاف محذوف ، والمعنى أهلكننا أهلها . وبيانا ، حال منهم ، أى مبيتين و﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾^(٣) جملة معطوفة عليها ، ومحلها النصب .

وأنكر السلاويين مراعاة المحذوف ، وأول ما سبق على أنه من باب الحل على المعنى ونقله عن المحققين ؛ لأن القوم جماعة ولهذا يؤنث تانيث الجمع ، نحو هى الرجال ؛ وجم التكسير عندهم مؤنث وأسماء الجوع تجرى مجراها ، وعلى هذا جاء التانيث ، لاعلى الحذف ؛ وكذا القول فى البيت .

(١) سورة الصراء ١٠٥

(٢) ديوانه ٣٠٩ . البريس وبردى : نهران بدمشق . ويصق : يمزج ، ولم يقل «تصق» والرحيق :

الجر البيضاء . واللسل : اللينة السهلة . (٣) سورة الأعراف ٤

وفي قراءة بعضهم : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(١) ، قدروه « عرض الآخرة » .
والأحسن أن يقدّر : « ثواب الآخرة » ؛ لأن العرض لا يبقى ، بخلاف الثواب .

حذف المضاف إليه

وهو أقل استعمالاً ، كقوله : ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٢) .
وقوله : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٣) .
وكذا كل ما قطع عن الإضافة ، مما وجبت إضافته معنى لا لفظاً ، كقوله تعالى :
﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٤) ، أى من قبل ذلك ومن بعده .

حذف المضاف والمضاف إليه

قد يضاف المضاف إلى مضاف ؛ فيحذف الأول والثاني ويبقى الثالث ، كقوله تعالى :
﴿وَتَجْمَعُونَ رِزْقَكُمْ﴾^(٥) أى بدل شكر رزقكم .
وقوله : ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُفْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٦) ، أى كدوران
عين الذى يفشى عليه من الموت .

وقيل : الرزق فى الآية الأولى الخط والنصيب ؛ فلا حاجة إلى تقدير . وكذلك ،
قدرت فى الثانية « كالذى » حالاً من الماء والميم فى « أعينهم » ، لأن المضاف بعض
تقدير .

(٢) سورة الأنبياء ٣٣

(٤) سورة الروم ٤

(٦) سورة الأحزاب ١٩

(١) سورة الأنفال ٩٧

(٣) سورة البقرة ٢٥٣

(٥) سورة الواقعة ٨٢

وقوله : ﴿ تَمَّا أَصَبْتُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ ^(١) ، وقدره أبو الفتح في « المختص » على أفعال أهل النار .

وأما قوله : ﴿ مِنْ الْمَوْتِ ﴾ ^(٢) فالتقدير من مداناة الموت أو مقاربه ؛ ولا ينكر عُسره على الإنسان ولكن إذا دُفِع إلى أمر هابه .

ومثله الآية الأخرى : ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَفَرًا مَمْنُونًا عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ قَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ ^(٤) ، أى من أثر حافر فرس الرسول .

وقوله : ﴿ مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ ^(٥) ، أى من أموال كفار

أهل القرى . .

وقوله : ﴿ فَأَنهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ^(٦) ، أى من أفعال ذوى تقوى القلوب .

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ ... ﴾ ^(٧) الآية ، فإنّ التقدير كمثل ذوى صيب ،

غذف المضاف والمضاف إليه ، أما حذف المضاف فلقريئة عطفه على : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ

نَارًا ﴾ ^(٨) وأما المضاف إليه فلدلالة : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ ^(٩) عليه فأعاد الضمير

عليه مجموعاً ، وإنما صير إلى هذا التقدير ؛ لأن التشبيه بين صفة المنافقين وصفة ذوى الصيب ،

لا بين صفة المنافقين وذوى الصيب .

حذف الجار والمجرور

كقوله : ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا ﴾ ^(١٠) ، أى بسيء ﴿ وَأَخْرَجَ سَيِّئًا ﴾ ^(١١) أى بصالح .

(٢) سورة الأحزاب ١٩

(٤) سورة طه ٩٦

(٦) سورة الحج ٣٢

(٨) سورة البقرة ١٧

(١٠) سورة البقرة ١٠٢

(١) سورة البقرة ١٧٥

(٣) سورة القتال ٢٠

(٥) سورة المفسر ٧

(٧) سورة البقرة ١٩٠

(٩) سورة البقرة ١٩

وكذا بعد أفعل التفضيل ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ^(١) ، أى من كل شئ .

﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ ^(٢) أى من السر ، وكلام الزمخشري في المفصل يقتضى أنه بما قطع ^(٣) فيه عن متعلقه قصداً لنفى الزيادة ، نحو فلان يمتطى ، ليكون كالتعليل للتمددى . إذا جمل قاصراً للمبالغة ؛ فعلى هذا لا يكون من الحذف ، فإنه قال : أفعل التفضيل له معنيان : أحدهما أن يراد أنه زائد على المضاف إليه في الجملة التى هو وهم فيها شركاء . والثانى أن يوجد مطلقاً له الزيادة فيها إطلاقاً ، ثم يضاف للتفضيل على المضاف إليه ؛ لكن بمجرد التخصيص كما يضاف مالا تفضيل فيه ؛ نحو قولك : الناقص والأشجع أعدا لى مروان كأنك قلت : عادلا . انتهى .

حذف الموصوف

يشترط فيه أمران :

أحدهما : كون الصفة خاصة بالموصوف ؛ حتى يحصل العلم بالموصوف ؛ ففى كانت الصفة عامة امتنع حذف الموصوف . نص عليه سيبويه فى آخر باب ترجمة « هذا باب مجارى أو آخر الكلام العربية » . وكذلك نص عليه أرسطاطاليس فى كتابه الخطابة .
الثانى : أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث هى ، لتعلق غرض السياق ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٤) . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥) ؛ فإن الاعتماد فى سياق القول على مجرد الصفة لتعلق غرض القول من اللدح أو اللطم بها .

(٢) سورة طه ٧

(٤) سورة آل عمران ١١٠

(١) سورة الضحى ٤٥

(٣) المقفل ص ٢٣٤

(٥) سورة البقرة ٩٥

- كقوله تعالى : ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ ^(١) ، أى حور قاصرات .
 وقوله : ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ ^(٢) ، أى وجنة هانية .
 وقوله : ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ^(٣) ، أى العبد الشكور .
 وقوله : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ ^(٤) ، أى القوم المتقين .
 وقوله : ﴿وَحَلَّلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَابٍ وَمُوسِرٍ﴾ ^(٥) ، أى سفينة ذات ألواح .
 وقوله : ﴿ذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ﴾ ^(٦) ، أى الأمة القيمة .
 وقوله : ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ ^(٧) ، أى دروعاً سابغات .
 وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ ^(٨) ، أى يا أيها الرجل الساحر .
 وقوله : ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ^(٩) ، أى القوم المؤمنين .
 وقوله : ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ^(١٠) ، أى عملاً صالحاً .

حذف الصفة

- وأكثر ما يرد للتضخيم والتعظيم في الذكريات ، وكأن النفس كبر حينئذ علم عليه ، كقوله تعالى :
 ﴿فَلَا تُعْجِبْهُمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزُنًا﴾ ^(١١) ، أى وزناً نافلاً .
 وقوله : ﴿الَّذِي أَلْطَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْسَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ ^(١٢) ، أى من جوع شديد
 وخوف عظيم .

وقوله : ﴿يَبْأُهَا لَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ^(١٣) ، أى شىء نافع .

(١) سورة الصافات ٤٨	(٢) سورة الإنسان ١٤
(٣) سورة سبأ ١٣	(٤) سورة البقرة ٢
(٥) سورة القمر ١٣	(٦) سورة البينة ٥
(٧) سورة سبأ ١١	(٨) سورة الزخرف ٤٩
(٩) سورة النور ٣١	(١٠) سورة القصص ٦٧
(١١) سورة الكهف ١٠٥	(١٢) سورة قريش ٤
(١٣) سورة المائدة ٦٨	

وقوله: ﴿ مَا شَهِدْنَا مَمْلَكَ أَهْلَهُ ﴾^(١)، أى ما شهدنا مملك أهله ومملكه، بدليل قوله: ﴿ لَنُبَيِّنَنَّ وَأَهْلَهُ ﴾^(٢)؛ وما روى أنهم كانوا عزموا على قتله وقتل أهله؛ وعلى هذا فقولهم: ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾^(٣) كذب فى الإخبار، وأوهوا قومهم أنهم قتله وأهله سرّاً ولم يشمر بهم أحد؛ وقالوا تلك المقالة يوهمون أنهم صادقون، وهم كاذبون. ويحتمل أن يكون من حذف للمطوف عليه؛ أى ما شهدنا مهلكه ومملك أهله. وقال بعض التأخرين: أصله ما شهدنا مملك أهلك بالخطاب؛ ثم عدل عنه إلى الغيبة، فلا حذف.

وقد يحذف للمطوف مع حرف العطف، مثل: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَتَى مِنَ الْقِبْلِ الْمُتَحَرِّ وَكَانَ ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَدُوا فِيهَا ﴾^(٥)؛ أى أمرنا مترفيها، ففعلوا الأمر، ففسدوا. وبهذا التقدير يزول الإشكال من الآية؛ وأنه ليس النسق مأموراً به. ويحتمل أن يكون: ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ صفة للقريه لا جواباً لقوله: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾، التقدير: وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنا أمرنا مترفيها ففسدوا فيها؛ ويكون إذا على هذا لم يأت لها جواب ظاهر استثناء بالسياق، كما فى قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾^(٦).

حذف المعطوف عليه

﴿ لَنَنْزِلَنَّ يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ مِلًّا الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْخَذَىٰ بِهِ ﴾^(٧)، أى لو افخذى به.

(٢) سورة الحديد ١٠

(٤) سورة الزمر ٧٣

(١) سورة النمل ٤٩

(٣) سورة الإسراء ١٦

(٥) سورة آل عمران ٩١

ويجوز حذفه مع حرف المطف ، كقوله : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١) ، أى فأفطر ضمة .
 وقوله : ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِمِصْرَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلِقَ﴾^(٢) التقدير : فضرب فانفلق ،
 فحذف للمطوف عليه ، وهو « ضرب » ، وحرف المطف وهو الفاء المتصلة بـ « انفلق »
 فصار : ﴿فانفلق﴾ فالقاء الفاخلة ، على « انفلق » هى الفاء التى كانت متصلة بـ « ضرب »
 وأما المتصلة بـ « انفلق » فمحذوفة .

كذا زعم ابن عصفور والأبدي قالوا : والذى دل على ذلك أن حرف المطف
 إنما نوى به مشاركة الأول للثانى ؛ فإذا حذف أحد اللفظين—أعنى لفظ للمطوف أو للمطوف
 عليه—ينبغى ألا يؤتى به ليزول ما أتى به من أجله .

وقال ابن الضائع : ليس هذا من الحذف بل من إقامة المطوف مقام للمطوف عليه ؛
 لأنه سببه ، ويقام السبب كثيرا مقام سببه ؛ وليس ما بعدها معطوفاً على الجواب ؛ بل
 صار هو الجواب ؛ بدليل ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ هو جواب الأمر .

حذف المبدل منه

اختلفوا فيه ، وخرج عليه قوله : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا كُنْتُمْ بِالْكَذِبِ . هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾^(٣)

حذف الموصول

قوله : ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾^(٤) ، أى والذى أنزل إلينا ؛
 لأن « الذى أنزل إلينا » ليس هو الذى أنزل إلى من قبلنا ؛ ولذلك أعيدت « ما » بد « ما »

(٢) سورة الشعراء ٦٣

(١) سورة البقرة ١٨٤

(٣) سورة النحل ١١٧ وقوله : ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ بدل من الكذب .

(٤) سورة النكبات ٤٦

في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١). وهو نظير قوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢). وقوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَكَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^(٣). وقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(٤) أى من له .
وشرط ابن مالك في بعض كتبه لجواب الحذف كونه معطوفاً على موصول آخر؛
ويؤيده هذه الآية . قال : ولا يحذف موصول حرفي إلا « أن » ، كقوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾^(٥) .

حذف المخصوص في باب نعم

إذا علم من سياق الكلام

كقوله تعالى: ﴿نِعِمَّ الْمَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١) التقدير: نعم العبد أويوب، أو نعم العبد هو،
لأن التصة في ذكر أويوب؛ فإن قدرت: نعم العبد هو؛ لم يكن « هو » عائداً على العبد
بل على أويوب؛

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَوَعَيْنَا لِدَاوُدَ وَسَلَمَانَ نِعْمَ الْمَبْدُ﴾^(٢)، فليجان هو المخصوص
الممدوح، وإتما لم يكرر لأنه تقدم منصوباً .

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾^(٣)، أى نحن .

وقوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤)، أى الجنة، أو دارهم .

﴿فَنِعْمَ عَقْبُ الدَّارِ﴾^(٥)، أى عقبهم .

(٢) سورة النساء ١٣٦

(٤) سورة الصافات ٦٤

(٦) سورة ص ٣٠

(٨) سورة المرسلات ٢٣

(١٠) سورة الرعد ٢٤

(١) سورة البقرة ١٣٦

(٣) سورة الرعد ١٠

(٥) سورة الروم ٢٤

(٧) سورة ص ٣٠

(٩) سورة النحل ٣٠

﴿وَنِمَّ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(١)، أى أجرهم .
 وقال: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾^(٢) أى من ضربه أقرب من نفعه .
 وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتُومَا يَا مُرْسُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾^(٣)، أى إيمانكم بما أنزل عليكم ،
 وكفركم بما وراءه .
 وقد يحذف الفاعل والمخصوص ، كقوله تعالى : ﴿يُسْ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٤) ، أى
 بئس البديل لإبليس وذريته ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « فَيَهَا وَرَنَمَتْ » ، أى
 نعت الرخصة .

حذف الضمير المنصوب المتصل

يقع في أربعة أبواب :
 أحدها : الصلة ، كقوله تعالى : ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(٥) .
 الثانى : الصفة ، كقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾^(٦) ، أى
 فيه ، بدليل قوله : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(٧) ولذلك بقدر فى الجمل
 للمطوف على الأولى ؛ لأن حكمهن حكمها ، فالتقدير : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَقَاقَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ
 مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٨) فيه .
 ثم اختلفوا ، قال الأخفش : حذفت على التدرج ؛ أى حذف المطف فالتصل الضمير ،
 فحذف . وقال سيبويه : حذفاً مماً لأول وهلة .

(١) سورة آل عمران ١٣٦

(٢) سورة الحج ١٣ ، وقبلها : ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَعْمِ لَيْسَ . . .﴾ .

(٣) سورة البقرة ٩٣

(٤) سورة السكف ٥٠

(٥) سورة الفرقان ٤٩ ، والتقدير : « به » . (٦) سورة البقرة ٤٨

وقيل : عُدِّي الفعل إلى الضمير أولاً اتساعاً ، وهو قول الفارسي .
 وجعل الواحدى من هذا قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُبْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً ﴾ ^(١) ،
 أى منه . وقوله : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَـجْمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ ^(٢) ، أى ما للظالمين منه .
 وفيه نظر ؛ أما الأولى فلا ، لأنَّ ﴿ يُبْنِي ﴾ جملة قد أضيف إليها اسم الزمان ، وليست صفة .
 وقد نصوا على أنَّ عود ضمير إلى المضاف من الجملة التي أضيف إليها الظرف غير
 جائز ؛ حتى قال ابن السراج : فإن قلت : أعجبتى يوم قت فيه امتنعت الإضافة ؛ لأن الجملة
 حينئذ صفة ، ولا يضاف موصوف إلى صفته . قال ابن مالك : وهذا مما خفي على أكثر
 النحويين . وأما الثانية ؛ فكأنه يريد أن ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَـجْمٍ ﴾ صفة ليوم ، المضاف
 إليها الأزمنة ؛ وذلك متممٌ ؛ لأن الجملة لا تقع صفة للمعرفة ، والظاهر أن الجملة حال منه ،
 ثم حذف العائد المجرور : « في » ، كما يحذف من الصفة .
 الثالث : الخبر ، كقوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ وَعَدَ اللَّهِ أَحْسَنُ ﴾ ^(٣) في قراءة ابن عامر .
 الرابع : الحال .

نبيه

[عن ابن الشجري في تفاوت أنواع الحذف]

قال ابن الشجري : أقوى هذه الأمور في الحذف الصلة ، لطول الكلام فيها ؛
 لأنه أربع كلمات ؛ نحو : جاء الذي ضربت ؛ وهو : للوصول ، والقيل ، والفاعل ، والفعول .
 ثم الصفة ؛ لأنَّ للوصول قائم بنفسه ، وإنما أتى بالصفة للتوضيح . ثم الخبر ؛ لافصاله عن
 المبتدأ باعتبار أنه محكوم عليه .

(٢) سورة المؤمن ١٨

(١) سورة الدخان ٣١

(٣) سورة النساء ٩٥

ووجه التفاوت أن الصفة رتبة متوسطة بين الصلة والخبر ؛ لأن الموصول وصلته كالسكلمة الواحدة ، ولهذا لا يفصل بينهما ؛ والصفة دونها في ذلك ؛ ولهذا يكثر حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، والخبر دون ذلك ، فكان الحذف أكد في الصلة من الصفة ، لأن هناك شيئين يدلان على الحذف ؛ الصفة تستدعي موصوفاً ، والمامل يستدعيه أيضاً .

ويستحسن ابن مالك هذا الكلام ، ولم يتكلم على الحال لرجوعه إلى الصفة .

حذف المفعول

وهو ضربان :

أحدهما : أن يكون مقصوداً مع الحذف فينوي الدليل ؛ ويقدر في كل موضع ما يليق به ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَمَالًا لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ^(١) أي يريد .

﴿ فَفَشَاهَا مَاعَشَى ﴾ ^(٢) أي غشاها إياه .

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ ^(٣) .

﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ ^(٤) .

﴿ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾ ^(٥) .

﴿ أَيْنَ شُرَكَاؤِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُزْعَمُونَ ﴾ ^(٦) .

وكل هذا على حذف ضمير المفعول ، وهو مراد ، حذف تخفيفاً لطول الكلام بالصفة ؛

ولولا إرادة للمفعول - وهو الضمير - خلعت الصلة من ضمير يود على الموصول ؛ وذلك لا يجوز ؛

(٢) سورة التجم ٥٤

(٤) سورة هود ٤٣

(٦) سورة القصص ٦٢

(١) سورة البروج ١٦

(٣) سورة الرعد ٢٦

(٥) سورة النمل ٥٩

وكان في حكم اللطوق به ؛ فالدلالة عليه من وجهين : اقتضاء الفعل له ، واقتضاء الصلة إذا كان المائد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾^(١) في قراءة حمزة والكسائي بنير هاء ، أى ماعلته ، بدليل قراءة الباقيين ، فـ « ما » في موضع خفض للعطف على ﴿ تَمَرِهِ ﴾ .

ويجوز أن تكون « ما » نافية ، والمعنى : لياكلوا من تمره ولم عمله أيديهم ؛ فيكون أبلغ في الامتنان . ويقوى ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزْرَعُونَ ﴾^(٢) ؛ وعلى هذا فلا تكون الماء مرادة ، لأنها غير موصولة .

وجعل بعضهم منه قوله تعالى : ﴿ وَيَشْرَبُ بِمَا تُشْرَبُونَ ﴾^(٣) ، وهو فاسد ، لأن « شرب » يتعدى بنفسه .

والنرض حينئذٍ بالخلف أمور :

منها : قصد الاختصار عند قيام القرائن ؛ والقرائن إما حالية كما في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾^(٤) ، لظهور أن المراد : أرني ذاك . ويعمل أن يكون هاب للواجهة بذلك ، ثم براه الشوق . ويجوز أن يكون آخر لياتى به مع الأمرح ؛ لتلا يكرّر هذا المطلوب العظيم على للواجهة إجلالا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ﴾^(٥) ؛ الظاهر أنه متعدّ حذف مفعوله ؛ أى تأجرني نفسك .

وجعل منه السكاكى قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ وَرَدَ مَاءٌ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرًا تَيْنًا تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ كَمَا قَالَتْ لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِّرَ

(١) سورة يس ٣٥ ؛ وقوله : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ﴾ .

(٢) سورة المؤمنون ٣٣

(٣) سورة الواقعة ٦٣ ، ٦٤

(٤) سورة القصص ٢٧

(٥) سورة الأعراف ١٤٣

الرَّعَاءِ ﴿١٢﴾ فَنُفِرَ أَيْ بِكسر الدال من ﴿يُضَدِّرُ﴾ فَإِنَّه حذف الفعل في خمسة مواضع، والأقرب أنه من الضرب الثاني كما سنبينه فيه إن شاء الله تعالى .

وقوله : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَاقَاتٍ ﴾ ^(٣) ، أى أنفكم .

وقوله : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ ^(٤) ، أى فذوقوا المذاب .

وقوله : ﴿ إِنِّي أَشْكُتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ ^(٥) ، أى ناسا أو فريقا .

وقوله : ﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا ﴾ ^(٦) ، أى شيئا .

وقوله : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ ^(٧) ، أى غير السموات .

وقوله : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ ^(٨) ؛ على أن الدعاء بمعنى القسمية ؛ التي تنمى إلى مفعولين ؛ أى سموه الله ، أو سموه الرحمن ؛ أيًا ما سمّوه ، فله الأسماء الحسنى ؛ إذ لو كان المراد بمعنى الدعاء للتصدي لواحد لزم الشرك إن كان مسمى الله غير مسمى الرحمن ؛ وعطف الشيء على نفسه إن كان عينه .

ومنها قصد الاحتقار كقوله : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ ^(٩) ؛ أى الكفار .

ومنها قصد التعميم ؛ ولا سيما إذا كان في حيز النفي ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنْفِي الْآيَاتِ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١٠) . وكذا ﴿ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١١) وكثيرا ما يمتري الحذف في ردوس الآي نحو : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١٢) .

و ﴿ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ ^(١٣) .

- (٢) سورة البقرة ١٩٨
(٤) سورة إبراهيم ٣٧
(٦) سورة إبراهيم ٤٨
(٨) سورة المجادلة ٢١
(١٠) سورة الأعراف ٧٢
(١٢) سورة الأعراف ٥٨

- (١) سورة القصص ١٢٣
(٣) سورة السجدة ١٤
(٥) سورة البقرة ٦١
(٧) سورة الإسراء ١١٠
(٩) سورة يونس ١٠١
(١١) سورة البقرة ١٠٢

﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾^(١).

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢).

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(٣)

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَمِرُّونَ﴾^(٤).

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٥).

وكذا كل موضع كانت الفرض إثبات للمعنى الذى دل عليه الفعل لفاعل غير متعلق بغيره .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَقْبَهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾^(٦) ، أى كل أحد ، لأن الدعوة عامة والمهذبة خاصة .

وأما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ أَوْ لِيُنْزِلُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَإِنْ يُحْسِرُوا عَلَيْهِمْ يَتَّخِذُونَ الْإِنْفُسَ فَسَادَ الْإِنْسَانِ إِلَّا الَّذِينَ اتَّخَذُوا لِلَّهِ الْحِمْلَ﴾^(٧) ، فكال ووزن يعتمدان إلى مفعولين : أحدهما باللام ، والتقدير : كالوا لهم ووزنوا لهم ، وحذف المفعول الثانى لقصد التعميم .

وما ذكرناه من كون « هم » منصوباً فى الموضع بعد اللام هو الظاهر ، وقرره ابن السجرى فى أماليه ، قال : وأخطأ بعض التأولين حيث زعم أن « هم » ضمير مرفوع أكدت به الواو كالضمير فى قولك : « خرجوا هم » ، فـ « هم » على هذا التأويل عائد على المطففين .

وبدل على بطلان هذا القول أمران :

(٢) سورة القصص ٧٢

(٤) سورة البقرة ١٤

(٦) سورة يونس ٢٥

(١) سورة القصص ٧١

(٣) سورة البقرة ٧٧

(٥) سورة البقرة ٢٢

(٧) سورة المطففين ٣

أحدهما : عدم ثبوت الألف في « كالوم » و « وزنوم » ؛ ولو كان كإلحاق لأثبتوها في خط المصحف ؛ كما أثبتوها في قوله تعالى : ﴿ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾^(١) ﴿ قَالُوا لَيْسَ لَهُمْ ﴾^(٢) ونحوه .

والثاني أن تقدم ذكر « الناس » يدل على أن الضمير راجع إليهم ؛ فالعنى : ﴿ إِذَا أَكْتَابُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾^(٣) وإذا كالوا للناس أو وزنوا للناس يخسرون . وجعل الزمخشري من حذف المفعول قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾^(٤) ؛ أى فى المصر . وعند أبى على أن الشهر ظرف ، والتقدير فمن شهد منكم للمصر فى الشهر .

ومنها تقدم مثله فى اللفظ ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَمْخُورُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُفِيْتُ ﴾^(٥) ، أى ويثبت ما يشاء .

فلما كان المفعول الثانى بلفظ الأول فى محومه واحتياجه إلى الصلة جاز حذفه ، لدلالة ما ذكر عليه ، كقوله : ﴿ اذْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ ﴾^(٦) . وقوله : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾^(٧) أى غير السموات . وقوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ ﴾^(٨) ، أى ومن أنفق من بعده وقاتل ؛ يدلل ما بعده .

وقوله : ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾^(٩) أى أبصرهم ، بدليل قوله : ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾^(٨) . وسبق عن ابن ظفر الممر فى ذكر المفعول فى الأول وحذفه فى الثانى فى هذه الآية الشريفة

(١) سورة البقرة ٢٤٣	(٢) سورة البقرة ٢٤٦
(٣) سورة المطففين ٢	(٤) سورة البقرة ١٨٥
(٥) سورة الرعد ٣٩	(٦) سورة المؤمنون ٩٦
(٧) سورة إبراهيم ٤٨	(٨) سورة الحديد ١٠
(٩) سورة الصافات ١٧٩	(١٠) سورة الصافات ١٧٥

أن الأولى اقتضت نزول المذاب بهم يوم بدر ، فلما تضمنت التثني قيل : ﴿ أَبْصِرْهُمْ ﴾ .
وأما الثاني فالمراد بها يوم الفتح ؛ واقترن بها مع الظهور عليهم تأميرهم والدعاء إلى إيمانهم ؛
فلم يكن وقتاً للتثني بل للبروز ؛ فقيل له : ﴿ أَبْصِرْ ﴾ ، والذي : فسيبصرون منك عليهم .
وقوله : ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ ﴾ ^(١) ، أى وعدكم ربكم ؛ لحذف لدلالة قوله
قبله : ﴿ مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ﴾ ^(٢) ، قاله الزمخشري .

وقد يقال : أطلق ذلك ليقنأول كل ما وعد الله من الحساب والبعث والثواب
والعقاب وسائر أحوال القيامة ؛ لأنهم كانوا يكذبون بذلك أجمع ، ولأن الموعد كله
مما ساءهم ؛ وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم ، فأطلق لذلك ليكون من الضرب الآتي .
وقوله : ﴿ أَقْمَنُ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ
لِلْقَاسِيَةِ ﴾ ^(٣) .

ومنها رعاية الفاصلة ، نحو : ﴿ وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ
وَمَا قُلْتُ ﴾ ^(٤) أى ما قلاك ، لحذف المفعول ، لأن فواصل الآية على الألف .
ويحتمل أنه للاختصار لظهور المحذوف قبله ؛ أى أفن شرح الله صدره للإسلام
كمن أقسى قلبه ؛ فحذف لدلالة : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ ﴾ ^(٥) .

ومنها البيان بعد الإيهام كافي مفعول المشيئة والإرادة ، فإنهم لا يكادون يذكرونه ،
كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ ^(٦) .
﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ ﴾ ^(٧) .

(٢) سورة الزمر ٢٢

(٤) سورة البقرة ٢٠

(١) سورة الأعراف ٤

(٣) سورة الضحى ١

(٥) سورة الأنعام ٥٠

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْذِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٢).

﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾^(٣).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾^(٤).

التقدير : لو شاء الله أن يفعل ذلك لفعل .

وشرط ابن النحوية^(٥) في حذف دخول أداة الشرط عليه كما سبق من قوله : ﴿فَإِنْ

يَشَأِ اللَّهُ يُخْذِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٦).

و ﴿لَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾^(٧).

﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٨).

والحكمة في كثرة حذف مفعول المشيئة للمستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مثلية الجواب ؛ ولذلك كانت الإرادة كالمشيئة في جواز أطراد حذف مفعولها ؛ صرح به الزمخشري في تفسير سورة البقرة ، وابن الزملاكي في البرهان^(٩) ، والتنوخي في الألفية^(١٠) . كقوله : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(١١) ، وإنما حذفه لأن في الآية قبلها ما يدل على أنهم أمروا بالكذب ؛ وهو بزعمهم إطفاء نور الله ، فلو ذكر أيضاً لكان

(٢) سورة الشورى ٢٤

(١) سورة النحل ٩

(٤) سورة الحجّة ١٣

(٣) سورة الأنعام ٣٩

(٥) هو بن يعقوب بن إلياس الدمشقي الإمام بدر الدين المعروف بابن النحوية ؛ اختصر الصباح لبدر

الدين بن مالك في المعاني ، وسماه ضوء الصباح وشرحه ؛ توفي سنة ٧١٨ . بقية الرواة ١١٧

(٧) سورة الأنفال ٣١

(٦) سورة الشورى ٢٤

(٨) سورة الأنعام ٣٩

(٩) هو كمال الدين محمد بن علي بن الزملاكي ، توفي سنة ٧٢٧ ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(١٠) هو زين الدين محمد بن محمد التنوخي ؛ صاحب كتاب أقصى القرب في صناعة الأدب ؛ ذكره

صاحب كشف الظنون .

(١١) سورة الصف ٨

كالشكر ؛ غذف وفسر بقوله : ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ آفَهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(١) ؛ وكان في الحذف تنبيه على هذا المعنى الغريب .

وينبغي أن يتمهل في تقدير مفعول المشيئة ؛ فإنه يختلف للمعنى بحسب التقدير ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾^(٢) ؛ فإن التقدير كما قاله عبد القاهر الجرجاني : ولو شئنا أن نؤتي كل نفس هداها لآتيناه ، لا يصح إلا على ذلك ؛ لأنه إن لم يقدر هذا للمعول أدى واليها بالله إلى أمر عظيم ، وهو نفي أن يكون لله مشيئة على الإطلاق ؛ لأن من شأن « لو » أن يكون الإثبات بعدها نفيًا ، ألا ترى أنك إذا قلت : لو جئتني أعطيتك ، كان المعنى على أنه لم يكن بجيء ولا إعطاء ؛ وأما قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾^(٣) ؛ فقد رده النحويون : فلم نشأ فلم نرفعه .

وقال ابن الخباز : الصواب أن يكون التقدير « فلم نرفعه فلم نشأ » ، لأن نفي اللزوم يوجب نفي اللزوم ، فوجود اللزوم يوجب وجود اللزوم ؛ فيلزم من وجود المشيئة وجود الرفع ، ومن نفي الرفع نفي المشيئة ؛ وأما نفي اللزوم فلا يوجب نفي اللزوم ، ولا وجود اللزوم وجود اللزوم . انتهى

ويؤيده قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٤) ، فإن المقصود انتفاء وجود الآلهة لا انتفاء لازمها وهو الفساد .

ويمكن توجيه كلام النحويين بأنهم جعلوا الأول شرطًا للثاني ، لأنهم عدوا « لو » من حروف الشرط ، وانتفاء الشرط يوجب انتفاء المشروط . وقد يكون الشرط مساويًا للمشروط ؛ بحيث يلزم من وجوده وجود المشروط ، ومن عدمه عدمه . والمقصود في الآية تعليل عدم الرفع بعدم المشيئة لا العكس .

(٢) سورة السجدة ١٣

(٤) سورة الأنبياء ٢٢

(١) سورة الصف ٨

(٣) سورة الأعراف ١٧٦

وأوضح منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، جعل انتفاء الملزوم سبباً لانتفاء اللازم؛ لأن «كذبوا» ملزوم عدم الإيمان والتقوى؛ فأخذهم بذلك ملزوم عدم فتح بركات السماء والأرض عليهم. والفاء في قوله ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ للسببية، وجعل التكذيب سبباً لأخذهم بكفرهم؛ ولعل ذلك يختلف باختلاف المواد ووقوع الأفراد، مع أن القول ما قاله ابن الخباز. وأما ما جاء على خلافه فذلك من خصوص المادة، وذلك لا يقدح في القضية الكلية؛ ألا ترى أنا نقول: الموجبة الكلية لا تنعكس كلية مع أنها تنعكس كلية في بعض المواضع، كقولنا: كل إنسان ناطق، ولا يمد ذلك مبطالا للقاعدة.

تنبيهات

التنبيه الأول

[متى يذكر مفعول المشيئة والإرادة]

يستثنى من هذه القاعدة ثلاثة أمور: أحدها ما إذا كان مفعول المشيئة عظيماً أو غريباً؛ فإنه لا يحذف، كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ...﴾^(٢) الآية، أراد رد قول الكفار: «اتخذ الله ولداً» بما يطابقه اللفظ؛ ليكون أبلغ في الرد؛ لأنه لو حذف فقال: «لو أراد الله لاصطفى» لم يظهر المعنى المراد؛ لأن الاصطفاء قد لا يكون بمعنى التبيين، ولو قال: لو أراد الله لاتخذ ولداً لم يكن فيه ما في إظهاره من تعظيم جرم قائله.

ومثله صاحب كتاب «القول الوجيز في استنباط علم البيان من الكتاب

العزیز « بقوله تعالى : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ ^(١) . وقوله : ﴿فَإِنْ يَشَاءَ اللَّهُ يُخْسِمَ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ ^(٢) . و ﴿مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَفْضِلْهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُعْزِلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ^(٣) .
وقفا ذكره نظر .

قلت : يحىء الذكر فى مفعول الإرادة أيضا ، إذ كان كقوله تعالى : ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَخْذُهَا﴾ ^(٤) .

الثانى : إذا احتيج لعود الضمير عليه ، فإنه يُذكر ، كقوله : ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَخْذُهَا﴾ ^(٥) ، فإنه لو حذف لم يبق للضمير ما يرجع عليه .

وقد يقال : الضمير لم يرجع عليه وإنما عاد على معمول معموله .

الثالث : أن يكون السامع منكرا لتلك ، أو كالنكر ، فيقصد إلى إثباته عنده ، فإن لم يكن منكرا ، فالحذف .

والحاصل أن حذف مفعول « أراد » و « شاء » لا يذكر إلا لأحد هذه الثلاثة .

التنبيه الثانى

[فى إنكار أبى حيان للقاعدة السابقة]

أنكر الشيخ أبو حيان فى باب عوامل الجزم من شرح « التسهيل » هذه القاعدة وقال : غلط البيانيون فى دعواهم لزوم حذف مفعول انشيئة ؛ إلا فيما إذا كان مستغنيا ؛ وفى القرآن : ﴿لَمِنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ^(٦) . ﴿لَمِنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ ^(٧) . ولم أن يقولوا : إن المفعول هاهنا عظيم ؛ فهذا صريح به فلا غلط

(٢) سورة الشورى ٢٤

(٤) سورة الأنبياء ١٧

(٦) سورة الدھر ٣٧

(١) سورة الأنفال ٣١

(٣) سورة الأنعام ٣٩

(٥) سورة التکویر ٢٨

على القوم ؛ وأما قوله تعالى : ﴿ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ ^(١) ؛ فإذا جعلت « ما ذا » بمعنى « الذى » ؛ فمفعول « أَرَادَ » متقدم عليه ، وإن جعلت « ذا » وحده بمعنى « الذى » فيكون مفعول « أَرَادَ » محذوفاً ، وهو ضمير « ذا » ولا يجوز أن يكون « مثلاً » مفعول « أَرَادَ » لأنه أحد معموليه ولكنه حال .

فصل

وقد كثرت حذف مفعول أشياء غير ما سبق ؛ منها الصبر ، نحو : ﴿ فَاصْبِرُوا وَأُولَا تَصْبِرُوا ﴾ ^(٢) : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ ^(٣) .

وقد يذكر ، نحو : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ^(٤) قال الزخشرى ^(٥) في تفسير سورة الحجرات : قولهم : صبر عن كذا ^(٦) ، محذوف منه للمفعول ؛ وهو النفس . ومنها مفعول « رأى » ، كقوله : ﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْا يَرَى ﴾ ^(٧) .

قال القارسي : الوجه أن « يرى » هنا للتعدية لمفعولين ؛ لأن رؤية النائب لا تكون إلا لعلماء ، والمعنى عليه قوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ ^(٨) وذكره العلم ، قال : وللمفعلان محذوفان ؛ فكانه قال : فهو يرى النائب حاضراً ، أو حذف ؛ كما حذف في قوله : ﴿ أَيْنَ شَرُّ كَاوُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ^(٩) ، أى تزعمونهم إياهم .

(٢) سورة الطور ١٦

(٤) سورة الكهف ٢٨

(١) سورة البقرة ٢٦

(٣) سورة آل عمران ٢٠٠

(٥) الكشف ٤ : ٢٨٥

(٦) في الأصلين : « هذا » والأجود ما أتبعه عن الكشف ٤ : ٢٨٥

(٨) سورة الجن ٢٦

(٧) سورة النجم ٣٥

(٩) سورة الأنعام ٢٢

وقال ابن خروف : هو من باب الحذف لدليل ، لأن المعنى دال على المفعولين ؛ أى فهو يعلم ما يفعله ويعتقده حقاً وصواباً ، ولا فائدة فى الآية مع الاختصار ، لأنه لا يعلم منه المراد . وقد ذهب إليه بعض المحققين وعدل عن الصواب .

ومنها وعدّ يتعدى إلى مفعولين ؛ ويجوز الاختصار على أحدهما كأعطيت ، قال تعالى : ﴿ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ ^(١) ، فـ « جانب » مفعول ثان ، ولا يكون ظرفاً لاختصاصه . والتقدير : واعدناكم إتيانه أو مكثاً فيه .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ ^(٢) .

﴿ وَإِذْ يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ ^(٣) فإحدى الطائفتين فى موضع نصب ؛ بأنه المفعول الثانى ؛ وأنها لكم ، بدل منه ، والتقدير : وإذ يبعدكم الله ثبات إحدى الطائفتين أو ملكها .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٤) ، فلم يبعده الفعل فيها إلا إلى واحد ، ﴿ وليستخلفنهم ﴾ تفسير للوعد ومبين له ، كقوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ ^(٥) ، فالجمله الثانية تبين الوصية ، لا مفعول ثان .

وأما قوله : ﴿ أَلَمْ يَبْعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًا حَسَنًا ﴾ ^(٦) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ ﴾ ^(٧) وعده الحق ؛ فإن هذا ونحوه يحتمل أمرين : انتصاب الوعد بالمصدر ، وبأنه القول الثانى على تسمية الموعد به وعدا .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ ^(٨) فما تعدى فيه « وعد »

(١) سورة المائدة ٩

(٢) سورة النور ٥٥

(٣) سورة طه ٨٦

(٤) سورة البقرة ٥١

(١) سورة طه ٨٠

(٢) سورة الأفعال ٧

(٣) سورة النساء ١١

(٤) سورة إبراهيم ٢٢

إلى اثنين ، لأن « الأربعين » لو كان ظرفاً لكان الوعد في جميعه ؛ يعنى من حيث إنه محدود ، فيلزم وقوع المظروف في كل فرد من أفرادهِ ، وليس الوعد واقعاً في « الأربعين » بل ولا في بعضها .

ثم قدر الواحدى وغيره محذوفاً مضافاً إلى « الأربعين » ، وجملوه للمفعول الثانى ، فقالوا : التقدير : وإذ واعدنا موسى انقضاء أربعين ، أو تمام أربعين ، ثم حذف وأقيم للضاف إليه مقامه .

قال بعضهم : ولم يظهر لى وجهُ عدولهم عن كون « أربعين » هو نفس المفعول إلى تقدير هذا المحذوف ؛ إلا أن يقال : نفس الأربعين ليلة لا توعدها لأنها واجبة الوقوع ، وإنما المعنى على تعليق الوعد بابتدائها وتتمامها ، ليرتب على الانتهاء شئ .

قلت : وقال أبو البقاء ^(١) : ليس أربعين ظرفاً ؛ إذ ليس للمعنى وعده في أربعين . وقال غيره : لا يجوز أن يكون ظرفاً ؛ لأنه لم يقع الوعد في كل من أجزائه ، ولا في بعضه .

ومنها « اتخذ » تصدى لواحد أو لاثنتين ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ نِسَاءً لَأَتَّخِذْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا ﴾ ^(٢) ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ ^(٣) ﴿ أَلَمْ اتَّخِذْكُمْ إِذَا قُلْتُ بِئْسَ الْيَوْمُ النَّاسُ ﴾ ^(٤) ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ ^(٥) . ومن الثانى : ﴿ اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ ^(٦) ، ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ ^(٧) ، ﴿ فَاتَّخِذْهُمْ سَخِرَياً ﴾ ^(٨) والثانى من المفعولين هو الأول في المعنى .

(٢) سورة الأنبياء ١٧

(٤) سورة الزخرف ١٦

(٦) سورة المنافقون ٢

(٨) سورة المؤمنون ١١٠

(١) املاء مامن به الرحمن ٢١

(٣) سورة الفرقان ٣

(٥) سورة الفرقان ٢٧

(٧) سورة المعنعة ١

قال الواحدى فأما قوله تعالى : ﴿ تَتَذَكَّرُ الْعِجْلُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ يَتَذَكَّرُ الْعِجْلُ ﴾ ^(٢) ﴿ تَتَذَكَّرُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ ^(٣) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾ ^(٤) ، فالتقدير في هذا كله : اتخذوه إلهًا ، فحذف للمفعول الثاني .

والدليل على ذلك أنه لو كان على ظاهره ؛ لكان من صاغ مجلًا أو نحوه ، أو عمله بضرب من الأعمال ، استحقّ النضب من الله ، لقوله : ﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ^(٥) . وفيما قاله نظر ؛ لأن الواقع أن أولئك عبده ؛ فالتقدير على هذا في التمدى لواحد أن الذين اتخذوا العجل وعبده ؛ ولهذا جوز الشيخ أثير الدين في هذه الآيات كلها أن تكون « اتخذ » فيها متمدية إلى واحد ، قال : ويكون تم جملة محذوفة ؛ تدل على المعنى ؛ وتقديره : « وعبده إلهًا » ورجعه على القول الآخر بأنها لو كانت متمدية في هذه القصة لاثنتين لصرح بالثاني ولو في موضع واحد .

الضرب الثاني :

ألا يكون المفعول مقصوداً أصلاً ؛ وينزل الفعل المتمدى منزلة القاصر ؛ وذلك عند إرادة وقوع نفس الفعل فقط ؛ وجعل المحذوف نسبياً منسياً ، كما ينسب الفاعل عند بناء لفعل ، فلا يذكر المفعول ، ولا يُقدَّر ؛ غير أنه لازم اثبتوث عقلاً لموضوع كل فعل متمدة ؛ لأن الفعل لا يدرى تعيينه .

وبهذا يعلم أنه ليس كل ما هو لازم من موضوع الكلام مقدراً فيه ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ ^(٦) .

(٢) سورة البقرة ٥٤
(٤) سورة الأعراف ١٥٢
(٦) سورة البقرة ٢٤

(١) سورة البقرة ٥١
(٣) سورة الأعراف ١٤٨
(٥) سورة الأعراف ١٥٢

وقوله : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ^(١) ، لأنه لم يرد الأكل من معين ، وإنما أراد وقوع هذين الفعلين .

وقوله : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْشُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمْشُونَ﴾ ^(٢) ، ويسمى للمفول حينئذٍ مائتا .

ولما كان التحقيق أنه لا يمد هذا من المحذوف ، فإنه لا حذف فيه بالكسبية ؛ ولكن تبينام في العبارة ؛ نحو فلان يعطى ؛ فاصداً أنه يفعل الإعطاء . وتوجد هذه الحقيقة إيهاما للبالغة بخلاف ما يقصد فيه نعيم الفعل ؛ نحو : هو يعطى ويمنع ؛ فإنه أعم تناولا ؛ من قولك : يعطى الدرهم ويمنعه ؛ والنائب أن هذا يستعمل في النفي ، كقوله : ﴿وَرَكَّاهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ ^(٣) ، والآخر في الإثبات ، كقوله : ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَاطِرُ لِقَوْمٍ يُعْقِلُونَ﴾ ^(٤) .

ومن أمثلة هذا الضرب قوله تعالى : ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿لَمْ تَعْبُدُوا مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ﴾ ^(٦) .

وقوله : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ﴾ ^(٧) الخ الآية ؛ حذف منها

المفعول خمس مرات ؛ لأنه غير مراد ؛ وهو قوله ﴿يسقون﴾ ، وقوله ﴿تذودان﴾ ،

وقوله : ﴿لَا تَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ ^(٨) مواشيهم ، ﴿فَسَقَى لَهَا﴾ غنمها .

وقوله : ﴿لَتَنْخِرَ جَنْكَ يَاشُعَيْبُ﴾ ^(٩) قيل : لو ذكر للمفعول فيها نقص المعنى ؛ والمراد

(٢) سورة الزمر ٩

(٤) سورة الروم ٢٤

(٦) سورة مريم ٤٢

(٨) سورة الأعراف ٨٨

(١) سورة البقرة ٦٠

(٣) سورة البقرة ١٧

(٥) سورة البقرة ٢٥٨

(٧) سورة القصص ٢٣

أن الله تعالى له الإحياء والإماتة؛ وأن إلههم ليس له سمع ولا بصر، وأن موسى عليه السلام وجد قوماً يمانون السقي، وامرأتين تمانيان الذؤد، وأخبرناه أننا لانستطيع السقي؛ فوجدنا من موسى عليه السلام لما السقي، ووجدنا من أيهما مكافأة على السقي. وهذا مما حذف لظهور المراد؛ وأن القصد^(١) الإعلام بأنه كان من الناس في تلك الحالة سقي، ومن المرأتين ذؤد، وأنهما قالتا: لا يكون منا سقي حتى يُصدّر الرعاء، وأن موسى سقي بعد ذلك؛ فأما أن للسقي غنم أو إبل أو غيره فمفارج عن المقصود؛ لأنه لو قيل: يذودان غنمهما لجاز أن يكون الإنكار لم يتوجه من موسى على الذؤد من حيث هو ذؤد؛ بل من حيث هو ذؤد غنم؛ حتى لو كان ذؤد إبل لم ينكره.

واعلم أننا جعلنا هذا من الضرب الثاني مواقة للزخشرى؛ فإنه قال: ترك المفعول لأن الفرض هو القتل لا القبول، ألا ترى أنه إنما رجعها لأنها كانتا على الذباد وهم على السقي، ولم يرجعها لأن مذودها غنم ومسيقتهما إبل، وكذلك قولها: (لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ) ، للمقصود منه^(٢) السقي لا للسقي.

وجعله السكاكي من الضرب الأول؛ أعنى مما حذف فيه للاختصار مع الإرادة. والأقرب قول الزخشرى، ورجح الجزرى قول السكاكي أنه للاختصار، فإن الغنم ليست ساقطة عن الاعتبار بالأصالة؛ فن فيها ضمنا عن المزاحمة، والمرأتان فيهما ضعف، فإذا انضم إلى ضعف المسقى ضعف الساق، كان ذلك أدعى للرحمة والإعانة. وكونه تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى)^(٣). وقوله: (وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى)^(٤).

(١) السكاك: «فيه» .

(٢) سورة النجم ٤٨

(١) ث: «للمقصود» .

(٣) سورة الليل ٥

وقوله : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضَعَكَ وَأَبْسَحَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَى﴾^(١) .

وإنما ذكر للمفعول في قوله : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾^(٢) ؛ لأن للراد جنس الزوجين فكأنه قال : يخلق كل ذكر وكل أنثى ، وكان ذكره هنا أبلغ ليدل على عموم ثبوت الخلق له بالتصريح .

وليس منه قوله تعالى : ﴿وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾^(٣) ، لوجود الموضع من المفعول به لفظاً ، أو هو للمفعول به وهو قوله : ﴿فِي ذُرِّيَّتِي﴾ ، ومعنى الدعاء به قصر الإصلاح له على النرية ؛ إشعاراً بمناجته بهم .

وقوله : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٤) ، أى عاقبة أمركم ؛ لأن سياق القول في التهديد والوعيد .

واعلم أن الغرض حينئذ بالخذف في هذا الضرب أشياء :

منها البيان بمد الإبهام كما في فعل المشيئة على ما سبق ؛ نحو : أمرته فقام ؛ أى بالقيام . وعليه قوله تعالى : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَتْوا فِيهَا﴾^(٥) أى أمرناهم بالفسق ؛ وهو مجاز عن تمكينهم وإقدارهم .

ومنها : المبالغة بترك التقييد ؛ نحو : ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿فَهُمْ لَا يُبْعِرُونَ﴾^(٧) ونفى الفعل غير متعلق بأبلغ من نفيه متعلقاً به ؛ لأن المنفى في الأول نفس الفعل ، وفي الثاني متعلقه .

(٢) سورة النجم ٤٥

(٤) سورة الشكاثر ٤ ، ٣

(٦) سورة يونس ٥٦

(١) سورة النجم ٤٣ ، ٤٤

(٣) سورة الأحقاف ١٥

(٥) سورة الإسراء ١٦

(٧) سورة يس ٩

تنبيه

قد يلحظ الأمان ؛ فيجوز الاعتباران ؛ كقوله تعالى : ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١) أجاز الرخشمي^(٢) في حذف الفعل منه الوجهين .

وكذلك في قوله في آخر سورة الحج : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾^(٣) .

حذف الحال

كقوله تعالى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٤) ،
أى قائلين سلام عليكم .

قال ابن أبي الربيع : اعلم أن العرب قد تحذف الحال إذا كانت بالفعل لدلالة مصدر الفعل عليه ؛ فتقول : قتله صبراً ، وأنته ركضاً ، قال تعالى : ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾^(٥) ، فدأبا يقدر بالفعل ؛ تقديره : « تدأبون » في موضع الحال .

قال أبو علي : لا خلاف بين سيبويه وأبي العباس في الحال المحذوف الذي المصدر منصوب به ، وإنما الخلاف بينهما في القياس ، فسيبويه يذهب إلى السماع ولا يقيس ، والأخفش والبرذ يقيسان .

(١) سورة المجرات ١

(٢) الكشاف ٤: ٢٧٧ ، وعبارته : وفي قوله تعالى : ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾ من غير ذكر مفعول وجبان : أحدهما أن يحذف ليقاوم كل ما يقع في النفس مما يقدم . والثاني ألا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ؛ ويتوجه بالنفي إلى نفس التقدمة ؛ كأنه قيل : لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل . ولا تجعلوه منكم ببيل ، كقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ .

(٣) سورة الرعد ٢٣ ، ٢٤

(٤) سورة الحج ٧٨

(٥) سورة يوسف ٤٧

حذف المنادى

قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا ﴾^(١) على قراءة الكسائي بتخفيف « ألا » على أنها تنبيه و « يا » نداء ، والتقدير ألا ياهؤلاء اسجدوا لله . ويجوز أن يكون « يا » تنبيهاً ولا منادى هناك ، وجميع بينهما تأكيداً ؛ لأن الأمر قد يحتاج إلى استعطاف السامع واستدعاء إقباله على الأمر .

وأما على قراءة الأكثر بالتشديد ؛ فلي أن أن الناصبة للفعل دخلت عليها لا النافية ، والفعل المضارع بعدها منصوب ؛ وحذفت النون علامة النصب ، فالفعل هنا مرفوع ، وفي تلك القراءة مبنى ، فاعرفه .

فائدة

[في حذف الياء من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم]

كثُر في القرآن حذفُ الياء من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ؛ نحو ياربُّ ، يا قوم ؛ وعُلِّل ذلك بأن النداء باب حذف ؛ ألا ترى أنه يحذف منه التنوين وبعض الاسم للترخيم ؛ وجاء فيه إثباتها ساكنة ، كقراءة مَنْ قرأ : ﴿ يَا عِبَادِيَ فَاتَّقُونِ ﴾^(٢) ، وبحركة بالفتح ؛ كقراءة من قرأ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٣) ، ومنقلبة عن الياء في قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي ﴾^(٤) .

حذف الشرط

﴿ قُلْ لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾^(٥) ؛ أي إن قلت لهم : أقيموا يقيموا .

(٢) سورة الزمر ١٦

(٤) سورة الزمر ٥٦

(١) سورة البقر ٢٥

(٣) سورة الزمر ٥٣

(٥) سورة إبراهيم ٣١

وجعل منه الزمخشري: ﴿ قُلْ أَتُخَذَمُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾^(١).
 وجعل أبو حيان منه قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ قَتَلْتُمُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢)، أى إن كنتم آمنتم بما أنزل إليكم فلم تقتلوه؟ وجواب «إن كنتم» محذوف دل عليه ما تقدم، أى فلم فعلتم؟ وكرر الشرط وجوابه مرتين للتأكيد، إلا أنه حذف الشرط من الأول وبقي جوابه، وحذف الجواب من الثانى وبقي شرطه انتهى.
 وهو حسن، إلا أنه قد كان خالف الزمخشري؛ وأنكر قوله بحذف الشرطى: ﴿ قَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾^(٣) وفى: ﴿ فَأَنْفَجَرَتْ ﴾^(٤)، وقال: إن الشرط لا يحذف في غير الأجوبة، والآن قد رجع إلى موافقته.

وقوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَتَوْا آلِيْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَيْتِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَيْتِ وَلَكِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٥)، تحديده: إن كنتم منكبين فهذا يوم البعث؛ أى قد تبين بطلان إنكاركم.

وقوله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾^(٦)، بمعنى إن افتخروهم بقتلهم فلم تقتلوه، فمدل عن الافتخار بقتلهم، لحذف لدلالة الفاعلية.
 وقوله: ﴿ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾^(٧)؛ تحديده: إن أرادوا أولياء فإله هو الولي بالحق، لا ولى سواه.

حذف جواب الشرط.

قوله: ﴿ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ

(٢) سورة البقرة ٩١

(٣) سورة البقرة ٦٠

(٤) سورة الأفعال ١٧

(١) سورة البقرة ٨٠

(٢) سورة البقرة ٥٤

(٣) سورة الروم ٦٥

(٤) سورة التورى ٩

كَلِّ مِثْلِهِ . فَاسْمَنْ وَاسْتَكَفِرْ مِنْهُ ^(١) ؛ أَى أَطْلَسَمْ ظَالِمِينَ ؟ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَقِبَهُ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٢) وَقَدَرَهُ الْبُغْوَى : مَنْ الْحَقُّ مَنَا وَمَنْ الْبَطْلُ ؟ وَهَلْ عَنْ أَكْثَرِ الْمَفْسِرِينَ .

وَمِنْ حَذَفِ جَوَابِ الْفِعْلِ : ﴿أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾ ^(٣) ، تَقْدِيرُهُ : « فَذَهَبَا إِلَيْهِمْ فَكَذَّبُوهُمَا فَدَمَّرْنَاهُمْ » ، وَالْفَاءُ الْمَاطِفَةُ عَلَى الْجَوَابِ الْمَحْذُوفِ هِيَ لِلْمُسَاءَةِ عِنْدَهُمْ بِالْفَاءِ الْفَصِيحَةِ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْفَتْحِ : وَانْظُرْ إِلَى الْفَاءِ الْفَصِيحَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَقَتُّوْا إِلَى بَارِئِكُمْ . فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ دُونِكُمْ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ ^(٤) ، كَيْفَ أَطَاعَتْ : « فَعَمَلْتُمْ تَابَ عَلَيْكُمْ » !

وَقَوْلُهُ : ﴿أَضْرِبُوهُ بِمِصْرَةٍ﴾ ^(٥) ؛ تَقْدِيرُهُ : فَضْرِبُوهُ لِحِيٍّ ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ ^(٦) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ﴾ ^(٧) تَقْدِيرُهُ : فَمَسَلَا بِهِ وَعَلَّمَاهُ ، وَعَرَفَا حَقَّ النِّعْمَةِ فِيهِ وَالْفَضِيلَةَ ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .

وَقَالَ السَّكَاكِيُّ : هُوَ إِخْبَارٌ عَمَّا صَنَعَ بِهِمَا وَعَمَّا قَالَاهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِيلَ : نَحْنُ فَعَلْنَا لِإِيْتَاءِ الْعِلْمِ ؛ وَهَذَا فَلَا الْحَمْدَ ، تَمْرِيزًا لِاسْتِثْنَاءِ الْحَمْدِ عَلَى إِيْتَاءِ الْعِلْمِ إِلَى فَهْمِ السَّامِعِ ، مِثْلَهُ « قُمْ يَدْعُوكَ » بَدَلُ « قُمْ فَإِنَّهُ يَدْعُوكَ » .

(٢) سورة الفرقان ٣٦

(٤) سورة البقرة ٧٣

(٦) سورة النمل ١٥

(١) سورة الأحقاف ١٠

(٣) سورة البقرة ٥٤

(٥) الكشاف ٣ : ٢٧٨

حذف الأجوبة

ويكثر ذلك في جواب لو، ولولا، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ﴾^(١)

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾^(٤)

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٥).

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾^(٦)، تقديره في هذه اللواضع «لرأيت عجبا» أو «أمرا عظيما»، «ولرأيت سوء منقلبهم»، أو «لرأيت سوء حالهم».

والسر في حذفه في هذه اللواضع أنها لما ربطت إحدى الجملتين بالأخرى حتى صارتا جملة واحدة، أوجب ذلك لها فضلا وطولا؛ تخفف بالحذف؛ خصوصا مع الدلالة على ذلك.

قالوا: وحذف الجواب يقع في مواقع التثني والتعظيم، ويموز حذفه لعم الخطأ، وإنما يحذف قصد البالغة، لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل منذهب، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند الصريح به فلا يكون لذلك الوقع، ومن ثم لا يحسن تقدير الجواب مخصوصا إلا بعد العلم بالسياق، كما قلنا بعض النحويين في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ...﴾^(٧) الآية، فقال: تقديره: لكان هذا القرآن

(٢) سورة الأنعام ٣٠

(٤) سورة الأنعام ٥٠

(٦) سورة الأنعام ٩٣

(١) سورة الأنعام ٢٧

(٣) سورة سبأ ٣١

(٥) سورة الجعدة ١٢

(٧) سورة الرعد ٣١

وحكاه أبو عمرو الزاهد في « الياقوتة » عن ثعلب والمبرد ، وهو مردود ، لأن الآية ما سقت لتفضيل القرآن ، بل سقت في معرض ذم الكفار ، بدليل قوله قبلها : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ نَبَّ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ ^(١) ، وبعبارة : ﴿ أَقْلَمَ يَنْشِسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ^(٢) فلقد راطبهم « لما آمنوا به » لكان أشد .

وقل الشيخ محي الدين النووي في كتاب « ردوس المسائل » كون الجواب « كان هذا القرآن » ، عن الأكثرين . وفيه ما ذكرت .

وقيل تقديره : لو قضيت أنه لا يقرأ القرآن على الجبال إلا سارت ورأوا ذلك ، لما آمنوا :

وقيل : جواب « لو » مقدم ، معناه : يكفرون بالرحمن ولو أن قرأنا سيرت به الجبال ، وهذا قول القراء .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْجَارٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، محذوف ، والتقدير : لنفذت هذه الأشياء وما نفذت كلمات الله . ويحتمل أن يكون « ما نفذت » هو الجواب مباينة في نفي النفاذ ؛ لأنه إذا كان نفي النفاذ لازما على تقدير كون ما في الأرض من شجرة أقلاما والبحر مداا لكان لزومها على تقدير علمها أولى .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضَاوُكَ ﴾ ^(٤) .

(٢) سورة الرعد ٣١

(٤) سورة النساء ١١٣

(١) سورة الرعد ٣٠

(٣) سورة لقمان ٢٧

فإنه قد قيل : ظاهره نفي وجود الممّ منهم بإضلاله ، وهو خلاف الواقع ؛ فإنهم همّوا وردّوا القول .

وقيل : قوله : ﴿ لَهْمَتْ ﴾ ليس جواب « لو » بل هو كلامٌ تقدم على « لو » ، وجوابها مقول على طريق القسم ، وجواب « لو » محذوف تقديره ﴿ لَهْمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾^(١) ، لولا فضل الله عليك لأضلوّك .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٍ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾^(٢) ، أى همت بمخالطته ، وجواب « لولا » محذوف ؛ أى لولا أن رأى برهان ربه غلطها^(٣) .

وقيل : لولا أن رأى برهان ربه لم يها ؛ والوقف على هذا ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٍ ﴾ ، والمعنى أنه لم يهمّ بها^(٤) .

ذكره أبو البقاء . والأوّل للزخشرى .

ولا يجوز تقديم جواب « لو » عليها لأنه فى حكم الشرط ، وللشرط صدور الكلام . وقوله : ﴿ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾^(٥) جواب الشرط محذوف ؛ يدلّ عليه قوله : ﴿ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾ أى إن شاء الله اهتدينا . وقد توسط الشرط هنا بين جزأى الجملة بالجزء ؛ لأنّ التقديم على الشرط ، فيكون دليل الجواب مستقداً على الشرط ؛ والذي حسن تقديم الشرط عليه الاهتمام بتعليق الهداية بمشيئة الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ لَوْ يَمْلِكُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَآحِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِ النَّارِ ﴾^(٦) ، تقديره : لما استعجلوا فقالوا متى هذا الوعد .

(٢) سورة يوسف ٢٤

(١) سورة النساء ١١٣

(٣) الكشاف ٢ : ٣٥٥

(٤) إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبرى ٢٨

(٦) سورة الأنبياء ٣٩

(٥) سورة البقرة ٧٠

وقال الزجاج : تقديره « لعلوا صدق الوعد » لأنهم قالوا : متى هذا الوعد ، وجعل الله الساعة موعدهم فقال تعالى : ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَفْئَةٌ ^(١) .

وقيل : تقديره : « لا أقاموا على كفرهم ولندموا أو تابوا » .

وقوله في سورة التكاثر : ﴿ لَوْ تَمْلِكُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ^(٢) ﴾ تقديره لا : ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ^(٣) .

وقيل : تقديره : لشغلكم ذلك عما أنتم فيه .

وقيل : لرجعت عن كفركم أو لتحققتم مصداق ما تحذرونه .

وقوله : ﴿ قَالُوا بَلْ نَنْبِئُكَ مَا أَتَيْنَا عَلَى آبَاءِنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ^(٤) ، أى لا يقيمونهم .

وقوله : ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَسْكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ^(٥) ﴾ تقديره : « لآمنتم » أو « لا كفرتم » أو « زهدتم في الدنيا » أو « لتأمنتم للقائنا » .

ومحوه : ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ^(٦) ، أى يهتدون في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة ، أو لما اتبعوهم .

وقوله : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ^(٧) ، قال محمد بن إسحاق : معناه لو أن لي قوة لحلت بينكم وبين النصية .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ ^(٨) ، أى رأيت ما يستدبره عبرة عظيمة .

(١) سورة التكاثر ١ ، ٤٠

(٢) سورة المؤمنون ١١٤

(٣) سورة هود ٨٠

(١) سورة الأنبياء ٤٠

(٣) سورة البقرة ١٧٠

(٥) سورة القصص ٦٤

(٧) سورة سبأ ١

وقوله عقب آية الأمان : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾^(١) ، قال الواحدي : قال الفراء : جواب « لو » محذوف لأنه معلوم للنفى ، وكل ما علم فإن العرب تكفي بترك جوابه ؛ ألا ترى أن الرجل يشتم الرجل ، فيقول للشعوم : أما والله لولا أبوك . . . فيعلم أنك تريد : لستمتك .

وقال البرد : تأويله والله أعلم : لملككم ، أو لم يبق لكم باقية ، أو لم يصلح أمركم ، ونحوه من الوعيد الموجع ، غذف لأنه لا يشكّل .

وقال الزجاج : للنفى نال الكاذب منكم أمر عظيم ؛ وهذا أجود مما قدّره للبرد . وكذلك « لولا » التي بعدها في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَهِيمٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢) ، جوابها محذوف ؛ وقدّره بعضهم في الأولى : لا فتضح فاعل ذلك ؛ وفي الثانية : لسجل عذاب فاعل ذلك ؛ وسوّغ الحذف طول الكلام بالمعطوف ، والطول داع للعطف .

وقوله : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُنَبِّحَ آيَاتِكَ ﴾^(٣) جوابها محذوف ، أي لولا احتجاجهم بترك الإرسال إليهم لما جلناهم بالقوبة .

وقال مقاتل : تقديره لأصابتهم مصيبة .

وقال الزجاج : لولا ذلك لم يحتج إلى إرسال الرسول ومواترة الاحتجاج .

وقوله : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَارِعًا إِنَّ كَادَتْ لِتَنبِذِي يَدَ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾^(٤) ، أي لأبذت .

(٢) سورة التور ٢٠

(٤) سورة القصص ١٠

(١) سورة النور ١٠

(٣) سورة القصص ٤٧

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنُّنْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾^(١) ، تقديره : لو تملكون ، [تملكون]^(٢) ، فأضمر « تملك » الأولى على شريطة التفسير وأبدل من الضير المتصل ، الذي هو « الواو » ضمير منفصل ، وهو « أنتم » لستقط ما يتصل به من الكلام ، فـ « أنتم » فاعلُ الفعل المضمر ، « و تملكون » تفسيره .

قال الزحشرى^(٣) : هذا ما يقتضيه^(٤) الإعراب ؛ فأما ما يقتضيه علم البيان ، فهو أن [أنتم]^(٥) تملكون فيه دلالة على الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالشئ المتتابع^(٦) ؛ وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل للفسر برز الكلام في صورة للبتدأ والخبر .

ومن حذف الجواب قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٧) ، أى أعرضوا ؟ بدليل قوله بعده : ﴿ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾^(٨) .

وقوله في قصة إبراهيم في الحجر : ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾^(٩) ، وفي غيرها من السور : ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾^(١٠) ، قال الكرماني : لأن هذه السورة متأخرة عن الأولى ، فاكتمى بما في هذه ؛ ولو ثبت تمدد الوقائع لنزلت على واقعيتين

(١) تكملة من الكشاف ٢ : ٤٣ .

(٢) سورة الإسراء ١٠٠

(٣) الكشاف ٢ : ٤٣ .

(٤) عبارة الزحشرى في الكشاف : « وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب » .

(٥) من الكشاف . (٦) في الكشاف منه : نحو قول حاتم :

* لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي *

وقول النلس :

* وَلَوْ غَيْرُ أَخُوَالِي أَرَادُوا قَيْصَتِي *

(٨) سورة الحجر ٢ .

(٩) سورة يس ٤٥ ، ٤٦ .

(١٠) سورة القاريات ٢٥ .

(١١) سورة الفرقان ٦٣ .

وكقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ ^(١) ، قال الزمخشري ^(٢) : حذف الجواب ، وتقديره مصرّح به في سورتي التكوير والافتطار ، وهو قوله : ﴿ عَلِمْتُ نَفْسٌ ﴾ ^(٣) .
وقال في : ﴿ وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ ﴾ ^(٤) : الجواب محذوف ، أى أنهم ملمونون ، يدلّ عليه قوله : ﴿ قَتِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴾ ^(٥) .

وكقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا ﴾ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ^(٦) ، أى « حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها » ، والواو واو حال ، وفي هذا ما حكى أنه اجتمع أبو عليّ الفارسي مع أبي عبد الله الحسين بن خالويه في مجلس سيف الدولة ، فمثل ابن خالويه عن قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا ﴾ فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ^(٧) ، في النار بنير واو ، وفي الجنة بالواو ! فقال ابن خالويه : هذه الواو نسى واو الثمانية لأن العرب لا تنطق الثمانية إلا بالواو ، قال : فنظر سيف الدولة إلى أبي عليّ وقال : أحق هذا ! فقال أبو عليّ : لا أقول كما قال ! إنما تركت الواو في النار ، لأنها مغلقة ، وكان يجيئهم شرطاً في فتحها ، قوله : ﴿ فَفُتِحَتْ ﴾ فيه معنى الشرط ، وأما قوله : ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ في الجنة ، فهذه واو الحال ، كأنه قال : جاءوها وهي مفتحة الأبواب ! أو هذه حالها .

وهذا الذي قاله أبو عليّ هو الصواب ، ويشهد له أمران :
أحدهما : أن المادة مطردة شاهدة في إهانة للمذنبين بالسجون ، من إغلاقها حتى يردوا عليها ، وإكرام للتممين بإعداد فتح الأبواب لهم بمبادرة وإهتماماً .

(١) سورة الانشقاق ١

(٢) الكشف ٤ : ٥٧٩ ، والبيان هناك : « حذف جواب إذا ليذهب القدر كل مذنب ، أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والافتطار » .

(٣) سورة التكوير ١٤ : ﴿ عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أُخْضِرْتُ ﴾ والافتطار ٥ : ﴿ عَلِمْتُ نَفْسٌ

(٤) سورة البروج ١ : ٤

مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ » .

(٥) سورة الزمر ٧٣

(٥) سورة الزمر ٧٣ .

والثاني : النفي في قوله : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ أَلْبَابُ ﴾^(١) .

وللتحويين في الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الواو زائدة ، والجواب قوله « فتحت » وهؤلاء قسمان : منهم من جعل هذه الواو مع أنها زائدة واو الثمانية ، ومنهم من لم يثبتها .

والثاني : أن الجواب محذوف عطفيه عليه قوله : ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ كأنه قال « حَتَّى إِذَا جَاءَهُمَا [جاءوها]^(٢) وَفُتِحَتْ » قال الزجاج وغيره : وفي هذا حذف للمطوف وإبقاء للمطوف عليه .

والثالث : أن الجواب محذوف آخر الكلام ؛ كأنه قال بعد الفراغ : استقروا ، أو خلدوا ، أو استمروا ؛ مما يقتضيه اللقار ؛ وليس فيه حذف معطوف . ويحتمل أن يكون التقدير : إذا جاءوها أُذِنَ لهم في دخولها وفتحت أبوابها ؛ المجيء ليس سببا مباشرا للفتح ؛ بل الإذن في الدخول هو السبب في ذلك .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾^(٣) أى رحمتهم ثم تاب عليهم ؛ وهذا التأويل أحسن من القول بزيادة « ثم » .

وحذف المطوف عليه وإبقاء للمطوف سائغ ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْنَا أَذْهَبْنَا إِلَى الْفُؤَمِ الَّذِينَ كَذَبُوا يَا بَنَاتِنَا فَدَمَّرْنَاَهُمْ تَذْمِيرًا ﴾^(٤) ، التقدير والله أعلم : فذهبنا قبلنا ، فكذبوا فدَمَّرْنَاَهُمْ ؛ لأن المعنى يرشد إلى ذلك .

وكذا قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾^(٥) ، أى فامتنعتم ، أو فعلتم فتاب عليكم .

(٢) تكملة من الكشف ٤ : ١١٤

(٤) سورة الفرقان ٣٦

(١) سورة ص ٥٠

(٣) سورة التوبة ١١٨

(٥) سورة البقرة ٥٤

وقوله : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ ﴾^(١) ، أى رُحِمَا سُعِيدَا وتله . وابن عطية يجعل التقدير : فلما أسلما أسلما ، وهو مشكل .
 وقوله : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَلِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا ﴾^(٢) ، للحنى : حتى إذا كان ذلك ندم الذين كفروا ولم يفهمهم إيمانهم ؛ لأنه من الآيات والأشراط .

وقد يحىء فى الكلام شرطان ؛ ويحذف جواب أحدهما اكتفاء بالآخر كقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِينَ ﴾^(٣) فى الاعتراض به مجرى الطرف ؛ لأن الشرط وإن كان جملة ؛ فإنه لالم يقيم بنفسه مجرى الجزء الواحد ، ولو كان عنده جملة لماجاز الفصل به بين « أما » وجوابها ، لأنه لا يجوز . أما زيد فنطلق ؛ وذهب الأخفش إلى أن لقاء جواب لها . ونظيره : ﴿ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ﴾^(٤) ، قوله : ﴿ لَعَذَّبْنَا ﴾^(٥) جواب للولا ولو جميعا .

واختار ابن مالك قول سيبويه أن الجواب « لأما » واستغنى به عن جواب « إن » لأن الجواب الأول الشرطين للتواليين فى قوله : ﴿ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾^(٥) ونظائره .

فإذا كان أول الشرطين « أما » كانت أحق بذلك لوجهين :
 أحدهما : أن جوابها إذا انفردت لا يحذف أصلا ؛ وجواب غيرها إذا انفردت يحذف كثيرا للدليل ؛ وحذف ما عُدَّ حذفه أولى من حذف ما لم يهد .

(٢) سورة الأنبياء ٩٧

(٤) سورة التتج ٢٥

(١) سورة الصافات ١٠٣

(٣) سورة الواقعة ٩٠

(٥) سورة هود ٣٤

والثاني : أن « أما » قد التزم معها حذف فعل الشرط، وقامت هي مقامه ، فلو حذف جوابها لكان ذلك إجحافاً ، وإنّ ليست كذلك . انتهى .

والظاهر أنه لاحذف في الآية الكريمة ، وإلما الشرط الثاني وجوابه جواب الأول ، والحذوف إلما هو أحد القاءين .

وقال الفارسي في قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْوَلَدِ ﴾ ^(١) الآية : إنه حذف منه : أَعَزَّنَا وَلَا تَذَلَّنَا .

وقال في قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْنَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ ^(٢) ، تقديره : « فكيف تجلدونهم مسرورين » أو « محزونين » ، فـ « كيف » في موضع نصب بهذا الفعل المضمر ، وهذا الفعل المضمر قد سدّ مسدّ جواب إذا .

حذف جواب القسم

للم سامع المراد منه ، كقوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا . وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا . فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ ^(٣) ، تقديره : كتعبثن ولتحاسبن ، بدليل إنكارهم للبعث في قولهم : ﴿ أَرَنَّا لِمَرْدُودُونَ فِي الْحَاوِرَةِ ﴾ ^(٤) .

وقيل : القسم وقع على قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن يَتَشَى ﴾ ^(٥) . وكقوله تعالى : ﴿ لَن نُّؤْتِرَكَ ﴾ ^(٦) وحذف لدلالة الكلام السابق عليه .

(٢) سورة النساء ٦٢

(٤) سورة النازعات ١٠

(٦) سورة طه ٧٢

(١) سورة آل عمران ٢٦

(٣) سورة النازعات ١ - ٦

(٥) سورة النازعات ٢٦

واختلف في جواب القسم في : ﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^(١) قال الزجاج :
﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ النَّارِ﴾^(٢) ، واستنبطه الكسائي .
وقال الفراء : قد تأخر كثيراً ، وجرت بينهما قصص مختلفة ، فلا يستقيم ذلك
في العربية .

وقيل : ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾^(٣) ، ومعناه : لكم أهلكننا ، وما بينهما اعتراض ، وحذفت
اللام لطول الكلام .

وقال الأخفش : ﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَبَ الرَّسُلَ﴾^(٤) ، وللمعترض بينهما قصة واحدة .
وعن قتادة : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾^(٥) ، مثل : ﴿قَ . وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ .
بَلِ عَجِبُوا﴾^(٦) .

وقال صاحب النظم في هذا القول : معنى « بل » تأكيد الأمر بعده ؛ فصار مثل أن
الشديدة تثبت ما بعدها ، وإن كان لها معنى آخر في نفي خبر مقدم ؛ كأنه قال : إن الذين
كفروا في عزة وشقاق .

وقال أبو القاسم الزجاجي : إن النحويين قالوا : إن « بل » تقع في جواب القسم
كما تقع « إن » لأن المراد بها تأكيد الخبر ؛ وذلك في ﴿صَ الْقُرْآنِ . . .﴾ الآية . وفي
﴿قَ . وَالْقُرْآنِ . . .﴾ الآية ؛ وهذا من طريق الاعتبار ، ويصلح أن يكون بمعنى « إن »
لأنه سائر في كلامهم ؛ أو يكون « بل » جواباً للقسم ؛ لكن لما كانت متضمنة رفع خبر
وإتيان خبر بعده كانت أو كدهن سائر التوكيدات ، فحسن وضعها موضع « إن » .

(٢) سورة ص ٦٤

(٤) سورة ص ١٤

(٦) سورة ق ١ ، ٢

(١) سورة ص ١

(٣) سورة ص ٣

(٥) سورة ق ٢

وقيل: الجواب مخوف، أى القرآن المجيد، ما الأمر كما يقول هؤلاء. أو الحق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.
وقال القراء فى قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(١) جوابه مخوف؛ أى فيومئذ يلاق حسابه.

وعن قتادة أن جوابه: ﴿وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ﴾^(٢) أى أن الواو فيها بمعنى السقوط، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ﴾^(٣)، أى نادينه.

حذف الجمله

هى أقسام: قسم هى مسببة عن المذكور، وقسم هى سبب له، وقسم خارج عنها؛ فالأول: كقوله تعالى: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾^(٤) فإن اللام الداخلة على الفعل لا بد لها من متعلق، يكون سبباً عن مدخول اللام، فلما لم يوجد لها متعلق فى الظاهر وجب تقديره ضرورة، فيقدر: قُلْ مَا ضَلَّ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ.

والثانى: كقوله تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾^(٥)؛ فإن الفاء، إنما تدخل على شيء مسبب عن شيء، ولا مسبب إلا له سبب، فإذا وجد للسبب - ولا سبب له - ظاهراً - أوجب أن يقدر ضرورة، فيقدر: فضر به فانفجر.

والثالث: كقوله تعالى: ﴿فَنِعِمَّ الْمَاهِدُونَ﴾^(٦)، أى نحن هم، أو هم نحن.
وقد يكون المحذوف أكثر من جملة كقوله تعالى: ﴿فَارْسُلُونِ يَوْسُفُ...﴾^(٧) الآية، فإن التقدير: «فارسلون إلى يوسف لأستمبره الرؤيا، فأرسلوه إليه لقلت، فجاء فقال له:

(٢) سورة الصافات ١٠٣، ١٠٤

(٤) سورة البقرة ٦٠

(٦) سورة يوسف ٤٥، ٤٦

(١) سورة الانشقاق ١، ٢

(٣) سورة الأنفال ٨

(٥) سورة القاريات ٤٨

يا يوسف ، وإنا قلنا : إن هذا الكل محذوف ؛ لأن قوله : ﴿ أَرْسِلُونِ ﴾ يدل لاحتالة على الرسل إليه ، فثبت أن « إلى يوسف » محذوف . ثم إنه لما طُلب الإرسال إلى يوسف عند المعجز الحاصل للعبريين عن تعبير رؤيا لذلك دل ذلك على أن المقصود من طلب الإرسال إليه استمباره الرؤيا التي عجزوا عن تفسيرها ومنه قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ يَكْتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ . . . ﴾^(١) الآية ، فأعقب بقوله حكاية عنها : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِىَ أَلْقَىٰ إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ ﴾ ، تقديره : فأخذ الكتاب فألقاه إليهم ، فرأته بلبس ، وقرأته ، و﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِىَ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ يَا عِصَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِينَاهُ الْحَكَمَ صَبِيحًا ﴾^(٣) ، حذف بطول ، تقديره : فلما ولد يحيى ونشأ وترعرع قلنا : ﴿ يَا عِصَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾^(٤) . ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم موسى : ﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ . قَالَ يَا هَٰؤُلَاءِ مَنْ مَمْلُوكُكُمْ إِذْ رَأَيْتُمْ ضُلُوكَ . أَلَا تُنْبِئِينَ أَفْصَحْتُ أَمْرِي ﴾^(٥) وقوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾^(٦) إلى قوله ﴿ نَكُرُوا لَهَا عَزِيزًا ﴾^(٧) . وقوله : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ آفَهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾^(٨) أى كن فاقبله ترك على ظله وكفره ؛ ودل على المحذوف قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ آفِهِ ﴾^(٩) . ومن حذف الجملة قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾^(١٠) قيل : المعنى جاعل في الأرض خليفة يفعل كذا وكذا ؛ وإلا فن أين علم الملائكة أنهم يفسدون وإياى الكلام يدل على المحذوف . وقوله : ﴿ أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾^(١١) ، قال

(٢) سورة مريم ١٢

(٤) سورة النمل ٤٠ ، ٤١

(٦) سورة البقرة ٣٠

(١) سورة النمل ٢٨ ، ٢٩

(٣) سورة طه ٩١ - ٩٣

(٥) سورة الزمر ٢٢

(٧) سورة المجرات ١٢

الفارسي : المعنى فكما كرهتموه فاكروهوا النبية : ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ ﴾ ، عطف على قوله : « فاكروهوا » وإن لم يذكر دلالة الكلام عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَانفَجَرَتْ ﴾^(١) ، أى فضرب فانفجرت . قوله : ﴿ كرهتموه ﴾ كلام مستأنف ، وإنما دخلت القاء لما فى الكلام من معنى الجواب ؛ لأن قوله : ﴿ أَيْحَبُّ أَحَدِكُمْ ﴾ كأنهم قالوا فى جوابه : لا ، فقال : فككرهتموه ؛ أى فكما كرهتموه فاكروهوا النبية .

قال ابن الشجري : وهذا التقدير بعيد ؛ لأنه قدر المحذوف موصولا ، وهو « ما » المصدرية ، وحذف الموصول ، وإجاء صلتها ضعيف ؛ وإنما التقدير : فهذا كرهتموه ؛ والجملة للقدرة المحذوفة ابتدائية لأمرية ، والمعنى : فهذا كرهتموه ، والنية مثله ؛ وإنما قدرها أمرية ليعطف عليها الجملة الأمرية فى قوله : ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ ﴾ .

حذف القول

قد كثر فى القرآن العظيم حتى إنه فى الإخبار بمنزلة الإظهار ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نُنَبِّئُكُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^(٢) ، أى يقولون : ما ننبئهم إلا للقرية .

ومنه : ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَّ وَالْحَسْرَةَ كُفُوا ﴾^(٣) ، أى وقلنا كلوا ، أو قائلين . وقوله : ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُفُوا وَاشْرَبُوا ﴾^(٤) ، أى قلنا . ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَزَعَفْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ﴾^(٥) ، أى وقلنا : خذوا .

(٢) سورة الزمر ٣

(٤) سورة البقرة ٦٠

(١) سورة البقرة ٦٠

(٣) سورة طه ٨٠ ، ٨١

(٥) سورة البقرة ٦٣

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ^(١) ،
أى وقلنا : اتخذوا .

وقوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾ ^(٢) ، أى
يقولان : ربنا . وعليه قراءة عبد الله .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آسَوْدَتْ أَوْجُهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ ^(٣) ؛ أى يقال لهم ، لأن «أما»
لا بد لها فى الظاهر من فاء ، فلما أضمر القول أضمر الفاء .

وقوله : ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أُنْزَابٌ﴾ ^(٤) ،
يقال لهم هذا .

وقوله : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ^(٥) ، أى
يقولون سلام .

وقوله : ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ^(٦) ، أى يقولون لهم ذلك .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ ^(٧) ، أى يقولون ما نعبدهم .

وقوله : ﴿فَقُلْهُمْ تَفْسِكُمُْونَ﴾ ^(٨) ، أى يقولون إنا لمرمون ؛
أى معذبون ، وتفسكهمون : تذبذبون .

وقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا﴾ ^(٩) أى يقولون ربنا .

(٢) سورة البقرة ١٢٧

(٤) سورة ص ٥٢ ، ٥٣

(٦) سورة الأنبياء ١٠٣

(٨) سورة الواقعة ٦٥ ، ٦٦

(١) سورة البقرة ١٢٥

(٣) سورة آل عمران ١٠٦

(٥) سورة الرعد ٢٣ ، ٢٤

(٧) سورة الزمر ٣

(٩) سورة الجدة ١٢

وقوله : ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ ﴾^(١) ، أى قالوا : قال الحق .

منزف الفعل

وينقسم إلى عام وخاص :

[الغلاص]

فالغلاص نحو « أغنى » مضمرأ ، وينتصب للفعول به فى اللوح ؛ نحو ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وَالْمُتَمَيِّنِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾^(٣) ، أى أمدح .

واعلم أنه إذا كان النعمت متعيناً لم يميز تقدير ناصب نعمته بأغنى ؛ نحو الحمد لله الحميد ؛ بل التقدر فيه ، وفى نحوه أذكر أو أمدح ، فأعرف ذلك . والتم نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ خَالَةً الْخَطْبِ ﴾^(٤) ، فى قراءة النصب ، والأخفش ينصب فى اللوح بأمدح ، وفى الهم بأذم .

واعلم أن مراد الملاح إبانة المدوح من غيره ، فلا بد من إبانة إعرا به عن غيره ، ليدل اللفظ على المعنى المقصود ، ويجوز فيه النصب بتقدير أمدح ، والرفع على معنى « هو » ؛ ولا يظهران لتلا يصيرا بمنزلة الخير .

والذى لا مدح فيه فاختزال العامل فيه واجب ، كاختزاله فى « والله لأفعلن » ؛ إذ لو قيل : « أحلف بالله » لكان عِدَّة لا قسماً .

(٢) سورة البقرة ١٧٧

(٤) سورة الهب ٤

(١) سورة صبا ٢٣

(٣) سورة النساء ١٦٢

[العام]

والعام كل منصوب دل عليه الفعل لفظاً، أو معنى، أو تقديرًا. ويحذف لأسباب:

أحدهما: أن يكون مفسراً، كقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(١)، ﴿وَلِيَّائِي فَارَهُبُونَ﴾^(٢).

ومنه: ﴿أَبْشِرْنَا مِنَّا وَاحِدًا نَنْفَعُهُ﴾^(٣). ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾^(٤). ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٥). ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾^(٦). ﴿إِنْ طَائِفَتَانِ﴾^(٧) فإنه ارتفع به «اقتل» مقدراً.

قالوا: ولا يجوز حذف الفعل مع شيء من حروف الشرط العاملة، سوى «إِنْ» لأنها الأصل.

وجعل ابن الزمكاني هذا مما هو دائر بين الحذف والذكر؛ فإن الفعل للفعل كالتسلط على المذكور؛ ولكن لا يتعين إلا بعد تقديم إبهام وقد يزيده الإضمار إبهاماً، إذا لم يكن للضمير من جنس اللفوظ به؛ نحو: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٨).

الثاني: أن يكون هناك حرف جر؛ نحو: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٩) فإنه يفيد

(٢) سورة البقرة ٤٠

(٤) سورة الرحمن ٧

(٦) سورة التوبة ٦

(٨) سورة الدهر ٣١

(١) سورة الانشقاق ١

(٣) سورة القمر ٢٤

(٥) سورة التكويم ١

(٧) سورة الحجرات ٩

(٩) سورة الفاتحة ١

أن المراد : بسم الله أقرأ أو أقوم ، أو أقصد عند القراءة ، وعند الشروع في القيام أو التعمود ، أى فعل كان .

واعلم أن النحاة اتفقوا على أن « بسم الله » بمنى جملة ، واختلفوا .

قال البصريون : الجملة اسمية ؛ أى ابتدأت بسم الله .

وقال الكوفيون : الجملة فعلية ، وتابهم الزخشرى في تقدير الجملة فعلية ؛ ولكن خالفهم في موضعين : أحدهما أنهم يُقدِّرون الفعل مقدما ، وهو يقدره مؤخرا . والثانى :

أنهم يقدرونه فعل البداية ، وهو يقدره في كل موضع بحسبه ، فإذا قال الذابح : بسم الله ، كان التقدير : بسم الله أذبح ، وإذا قال القارىء : بسم الله ، فالتقدير : بسم الله أقرأ .

وما قال أجود مما قالوا^(١) ؛ لأن مراعاة للناسبة أولى من إهمالها ، ولأن اسم الله أهم من الفعل ، فكان أولى بالتقديم ؛ وما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « باسمك ربى وضعت جنبي » ، فقدم اسم الله على الفعل للتعلق ثم الجار ، وهو « وضعت » .



الثالث : أن يكون جوابا لسؤال وقع ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٤) أى بل تتبع

(٢) سورة لقمان ٢٥

(١) كذا فى م ، وفى ت : « مما قالوه » .

(٤) سورة البقرة ١٣٥

(٣) سورة المائدة ٦٣

أو جواباً لسؤال مقدر؛ كقراءة: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾^(١)
 ببناء الفعل للمفعول؛ فإن التقدير: يُسَبِّحُهُ رِجَالٌ.

وفيه فوائد: منها الإخبار بالفعل مرتين. ومنها جعل التفضلة عمدة.
 ومنها: أن الفاعل قُتِرَ بعد اليأس منه كضائه وجدها بعد اليأس، ويصح أن
 يكون «يُسَبِّحُ» بدل من «يُذَكِّرُ»^(٢) على طريقة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٣)
 و«له فيها» خير مبتدأ هو «رجال».

مثله قراءة من قرأ: ﴿زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ
 شُرَكَاءُ لَهُمْ﴾^(٤)، قال أبو العباس: المعنى زَيْنَةُ شُرَكَائِهِمْ؛ فيرفع الشركاء بفعل مضمر
 دل عليه «زَيْن».

ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَمَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾^(٥) إن جملنا قوله «لله شركاء» مفعولى
 «جملوا»، لأن «لله» فى موضع الخير للفسوخ، وشركاء نصب فى موضع المبتدأ.
 وعلى هذا فيحتمل وجهين: أحدهما أن يكون مفعولاً بفعل محذوف دل عليه سؤال مقدر،
 كأنه قيل: أجملوا لله شركاء؟ قيل: جملوا الجن، فيفيد الكلام إنكار الشريك مطلقاً،
 فدخل اعتقاد الشريك من غير الجن فى إنكار دخول اتخاذ من الجن.

والثانى: ذكره الزحشرى أن الجن بدل من «شركاء»، فيفيد إنكار الشريك
 مطلقاً، كما سبق، وإن جعل «لله» صلة كان «شركاء الجن» مفعولين، قدم ثانيهما
 على أولهما؛ وعلى هذا فلا حذف.

فأما على الوجه الأول قليل: ﴿وَجَمَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ﴾^(٥)، ولم يقل: «وجملوا

(١) سورة التور ٣٦، ٣٧

(٢) من قوله تعالى قبلها فى الآية: ﴿وَيُذَكِّرُ فِيهَا أَنَّهُمْ يُسَبِّحُونَ...﴾.

(٣) سورة الأعلى ١

(٤) سورة الأنعام ١٣٧

(٥) سورة الأنعام ١٠٠

الجن شركاء لله « تعظيماً لاسم الله تعالى ؛ لأن شأن الله أعظم في النفوس ؛ فإذا قدم « الله » والكلام فيه يستدعى طلب الجمل له ما هو ؟ قليل : شركاء وقع في غاية التشنيع ؛ لأن النفس منتظرة لهذا النعم للعلق بهذا المظم نهاية التعظيم ؛ فإذا علم أنه علّق به هذا السبب في النهاية ، كان أعظم موقفاً من العكس ؛ لأنه إذا قيل : وجعلوا شركاء لم يعطه تشوف النفوس ؛ لجواز أن يكون : جعلوا شركاء في أموالهم وصدقاتهم أو غير ذلك .
الثالث : أن الجمل غالباً لا يعلّق بالله ويُنْخِرُ به إلا وهو جعل مستصحب كاذب ؛ إذ لا يستعمل جعل الله رحمة ومشينة وعلم ؛ ونحوه ، لاسيما بالاستقراء القرآني ؛ كـ ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾ ^(١) ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْفُرُونَ ﴾ ^(٢) إلى غير ذلك .

الرابع : أن أصل الجمل وإن جاز وإسناده إلى الله فيما إذا كان الأمر لائقاً ، فإن بابه مهول ؛ لأن الله تعالى قد علمنا عظيم خطره ، وألا نقول فيه إلا بالعلم ، كقوله : ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ ^(٤) ، إلى غير ذلك ، مع ما دلّ عليه الأدب عقلاً ، وكان نفس الجمل مستنكراً إن لم يتبع بمجمول لائق ، فإذا أتبع بمجمول غير لائق منهم ثم قسر بخاص مستنكر ، صار قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾ في قوة إنكار ذلك ثلاث مرات : الأول جساتهم في أصل الجمل ، الثاني في كون الجمل شركاء ، الثالث في أنهم شركاء جن .

الخامس : أن في تقديم « الله » إضافة تخصيصهم إياه بالشركة على الوجه الثالث ، دون جميع ما يعبدون ، لأنه الإله الحق .

السادس : أنه جرى بكلمة « جعلوا » لا « اعتقدوا » ولا « قالوا » لأنه أدل على إثبات المعتقد ، لأنه يستعمل في الخلق والإبداع .

(٢) سورة النحل ٦٢

(٤) سورة النجم ٢٨

(١) سورة النحل ٥٢

(٣) سورة البقرة ١٦٩

السابع: كلمة « شركاء » ولم يقل « شريكا » وفقا لمزيد ما ففتحوا من اعتقادهم .
الثامن: لم يقل « جنّا » ، وإنما قال « الجن » ، دلالة على أنهم اتخذوا الجن كلها جموله من حيث هو صالح لذلك؛ وهو أقيح من التنكير الذى وضعه المفردات للمعدولة.

الرابع: أن يدلّ عليه معنى الفعل الظاهر؛ كقوله تعالى: ﴿ اٰتٰهُمُوْا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾^(١)، أى واتّوا أمرا خيرا لكم؛ ففند سيبويه أن « خيرا »^(٢) انتصب بإضمار « انت » لأنه لما انتهاء علم أنه بأمره بما هو خير؛ فكأنه قال: « واتّوا خيرا »؛ لأنّ النهى عن الشيء أمرٌ بضده؛ ولأنّ النهى تكليف، وتكليف العلم محال؛ لأنه ليس مقدورا، فثبت أن متعلّق التكليف أمر وجودى، ينافى النهى عنه وهو الضدّ .

وحله الكسائى على إضمار « كان » أى يكن الانتهاء خيرا لكم . ويمتنع إضمار كان ، ولا تضمر فى كل موضع ، ومن جهة المعنى إذ من ترك ما نهى عنه فقد سقط عنه اللوم وعلم أن ترك النهى عنه خير من فعله ، فلا فائدة فى قوله « خيرا » .

وحله القراء على أنه صفة لمصدر محذوف ، أى انتهوا انتهاء خيرا لكم . وقال: إن هذا المحذوف لم يأت إلا فيما كان أفضل ، نحو خيرا لك ، وأفضل .

ورد مذهبه ومذهب الكسائى بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ اٰنتُمْ هَؤُلَاءِ اٰتٰهُمْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾^(٣)، لو حِيلَ على ما قال لا يكون خيرا، لأن من انتهى عن التثليث وكان معطلا لا يكون خيرا له . وقول سيبويه: واثت خيرا يكون أمرا بالتوحيد الذى هو خير . فله در الخليل وسيبويه ، ما أطلعهما على المعانى !

(٢) الكتاب ١: ١٢٣

(١) سورة النساء ١٧١

(٣) سورة النساء ١٧١

وقوله : ﴿فَاجْعُوا أَمْرَكُمْ وَأَسْرَكُمْ﴾^(١) ، إن لم يجعل مفعولاً معه ، أى وادعوا شركاءكم ، ويظهر « ادعوا » قرأ أ ب ، وكذلك هو مثبت فى مصحف ابن مسعود .
وقوله تعالى : ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾^(٢) ، قال ابن السجى : معناه مال عليهم بضربهم ضرباً . ويجوز نصبه على الحال ؛ نحو أتيتهم مشياً ، أى ماشياً .
﴿ثُمَّ آدَمُنَّ يَأْنَيْكَ سَمِيًّا﴾^(٣) أى ساعيات . وقوله : « باليمين » إما اليد أو القوة .
وجوز ابن السجى إرادة القسم والباء للتعليل ؛ أى لليمين التى حلقها ، وهى قوله تعالى :
﴿لَا كَيْدَ لَكُمْ أَصْنَامُكُمْ﴾^(٤) .

وزعم النووى فى قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً﴾^(٥) ، أن التقدير
ليكن منكم طاعة معروفة .

الخامس : أن يدلّ عليه العقل كقوله تعالى : ﴿قُلْنَا اضْرِبْ بِمِصْرِكَ الْحَجَرَةَ فَانْفَجَرَتْ﴾^(٦) ، أى فضرب فانفجرت .

وقوله : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ . . . فَفَتَحْنَا^(٧) ، قال النحاس : التقدير
فنصرناه ففتحناه ففتحننا أبواب السماء ؛ لأن ما ظهر من الكلام يدلّ على ما حذف .
وقوله : ﴿يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾^(٨) أى يكتب بذلك كلمات الله ما فتدت ،
قاله أبو الفتح .

وقوله : ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾^(٩) .
قوله : « ثم أحياهم » معطوف على فعل محذوف تقديره فاتوا ثم أحياهم ، ولا يصح

(٢) سورة المافات ٩٣

(٤) سورة الأنبياء ٥٧

(٦) سورة البقرة ٦٠

(٨) سورة لقمان ٢٧

(١) سورة يونس ٧١

(٣) سورة البقرة ٢٦٠

(٥) سورة النور ٥٣

(٧) سورة النور ١٠ ، ١١

(٩) سورة البقرة ٢٤٣

عطف قوله : « ثم أحياهم » على قوله : موتوا » لأنه أمر ، وفعل الأمر لا يطف على الماضي .

وقوله : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ﴾^(١) ، أى فاختلقوا فبعث ، وحذف لدلالة قوله : ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾^(٢) ، وهى فى قراءة عبد الله كذلك^(٣) .

وقيل : تقديره كان الناس أمة واحدة كفاراً ، فبعث الله النبيين ، فاختلقوا . والأول أوجه .

وقوله : ﴿ أَوْ عَجِيبٌ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٤) ، فالهمزة للإنكار ، والواو للمطف ، والمطوف عليه محذوف تقديره : أكذبتم وعجبتم أن جاءكم .

وقوله : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾^(٥) ، هو معطوف على محذوف مدته مسدده حرف الإيجاب ؛ كأنه قال إيجاباً لقولهم : ﴿ إِنَّا لَنَآءٌ لَأَجْرًا ﴾^(٦) ، نعم إن لكم أجراً وإنكم لمن المقربين .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾^(٧) ، أى فأفطر فدية ، خلافاً للظاهرية حيث أوجبوا الفطر على المسافر أخذاً من الظاهر .

وقوله : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ يَهُ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ ﴾^(٨) ، أى خلق فدية .

وقوله : ﴿ قُلْنَا اضْرِبُوهُ بِمِصْبَاهٍ ﴾^(٩) ، قال الزخشرى : التقدير فضر به فخي ،

(١) سورة البقرة ٢١٣

(٢) أى « كان الناس أمة واحدة فاختلقوا فبعث الله » وانظر الكشاف ٢ : ١٩٤

(٣) سورة الأعراف ٦٣ (٤) سورة الأعراف ١١٤

(٥) سورة الأعراف ١١٣ (٦) سورة البقرة ١٨٤

(٧) سورة البقرة ١٩٦ (٨) سورة البقرة ٧٣

خفف ذلك لدلالة قوله : ﴿ كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) .
وزعم ابن جني أن التقدير في قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾^(٢)
أن التقدير فكيف يكون إذا جئنا .

السادس : أن يدل عليه ذكره في موضع آخر ، كقوله : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾^(٣) ،
قال الواحدي : هو بإضمار « اذكر » ، ولهذا لم يأت لإذ بجواب . ومثله قوله تعالى :
﴿ وَإِلَىٰ مَمْدُودَ آخَاهُمُ صَالِحًا ﴾^(٤) ، وليس شيء قبله تراء ناصبال « صالحًا » ، بل علم
بذكر النبي وللرسل إليه أن فيه إضمار « أرسلنا » .

وقوله : ﴿ وَلِسَلَامَانَ الرَّيْحِ ﴾^(٥) أي وسخرنا .
ومثله : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٦) ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾^(٧) .

وكذا : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾^(٨) ، أي واذكر .

قال : ويدل على « اذكر » في هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ
قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٩) ، ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَتَرَكُمْ ﴾^(١٠) .

وما قاله ظاهر ، إلا أن مفعول « اذكر » يكون محذوفاً أيضاً تقديره : ﴿ واذكروا
أخالك » ونحوه إذا كان كذا ، وذلك ليكون « إذ » في موضع نصب على الظرف ،
ولو لم يند ذلك المحذوف لزم وقوع « إذ » مفعولاً به ؛ والأصح أنها لا تفارق الظرفية .

- (٢) سورة الفصاح ٤١
(٤) سورة هود ٦١
(٦) سورة الأنبياء ٧٦
(٨) سورة الأنبياء ٧٨
(١٠) سورة الأعراف ٨٦

- (١) سورة البقرة ٧٣
(٣) سورة البقرة ٧٢
(٥) سورة الأنبياء ٨١
(٧) سورة الأنبياء ٨٧
(٩) سورة الأفعال ٢٦

السابع : المشاكلة ، كحذف الفاعل في « بسم الله » لأنه موطن لا يفنى أن يتقدم فيه سوى ذكر الله ؛ فلو ذكر الفعل وهو لا يستغنى عن فاعله كان ذلك مناقضاً للمقصود ، وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى ؛ ليكون للبدوء به اسم الله كما تقول في الصلاة : الله أكبر ، ومعناه « من كل شيء » ، ولكن لا تقول هذا للقدّر ليكون اللفظ في اللسان مطابقاً لمقصود الجنان ؛ وهو أن يكون في القلب ذكر الله وحده . وأيضاً فلأن الحذف أعم من الذكر ؛ فإنّ أى فعل ذكرته كان المحذوف أعم منه ؛ لأن التسمية تشرع عند كل فعل .

الثامن : أن يكون بدلاً من مصدره ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَضْرَبَ الرَّقَابَ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ قَالُوا مَتَىٰ يَبْدَأُ وَإِذَا فَيَدَأُ ﴾ ^(٢) ؛ أى فلما أن تمثوا ، وإما أن تقادوا .

وقد اختلف في نصب « السلام » في قوله تعالى في سورة هود : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رَبُّنَا بِإِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ^(٣) وفي القاريات : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾ ^(٤) ؛ وفي نصبها وجهان :

أحدهما : أن يكون منصوباً بالقول ، أى يذكر قولاً « سلاما » فيكون من قلت حقا وصدقا .

الثاني : أن يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره : فقالوا سلمنا سلاما ، أى سلمنا تسلياً ؛ فيكون قد حكى الجملة بعد القول ، ثم حذفها واكتفى ببعضها .

والحاصل أنه هل هو منصوب بالقول ، أو بكونه مصدرا لفعل محذوف ؟

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ ^(٥) ،

(٢) سورة التتال ٤

(٤) سورة القاريات ٢٤ ، ٢٥

(١) سورة التتال ٤

(٣) سورة هود ٦٩

(٥) سورة النحل ٣٠

منصوب ، « بقالوا » كقولك قلت حقاً ، أو منصوب بفعل مضمر أى قالوا : أنزل خيراً ، من باب حذف الجملة المحكية وتبقي بعضها .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(١) فمرفوع ؛ لأنه لا يمكن نصبه على تقدير « قالوا أساطير الأولين » ، لأنهم لم يكونوا يرونه من عند الله حتى يقولوا ذلك ، ولا هو أيضاً من باب : قلت حقاً وصدقا ، فلم يبق إلا رفعه .

تنبيه

قد يشقبه الحال في أمر المحذوف وعدمه لعدم تحصيل معنى الفعل ، كما قالوا في قوله تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(٢) ، فإنه قد يظن أن الدعاء فيه بمعنى النداء ؛ فلا يقدر في الكلام حذف ، وليس كذلك ، وإلا لزم الاشتراك إن كانا متفاوتين ، أو عطف الشيء على نفسه ؛ وإنما الدعاء هنا بمعنى التسمية التي تتمدى لمفعولين ، أى سمّوه الله أو الرحمن .

وقد يشقبه في تعيين المحذوف لقيام قرينتين ، كقوله تعالى : ﴿ بَلَى قَادِرِينَ ﴾^(٣) قدره سيبويه بـ « بلى نجما قادرين » ، قادرين حال وحذف الفعل للدلالة : ﴿ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ ﴾^(٤) عليه^(٥) .

وقدره الفراء « بحسب » للدلالة ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ ﴾^(٦) أى بلى نحسبنا قادرين .

(٢) سورة الإسراء ١١٠

(٤) سورة القيامة ٣

(١) سورة النحل ٢٤

(٣) سورة القيامة ٤

(٥) الكتاب ١ : ١٧٣

وتقدير سيويه أولى؛ لأن «يلى» ليس جواباً لـ «يحسب» إنما هو جواب لـ «ألا إنَّ يجمع»
وقدره بعضهم: يلى قدر قادرين .

وقيل: منصوب، لوقوعه موقع الفعل، وهو باطل؛ لأنه ليس من نواصب الاسم وقوعه
موقع الفعل .

تنبيه آخر

إن الحذف على ضربين: أحدهما ألا يقام شئ مقام الحذف كما سبق. والثاني: أن
يقام مقامه بما يدل عليه، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ
إِلَيْكُمْ﴾^(١)؛ ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على قولهم؛ فالتقدير: فَإِنْ تَوَلَّوْا
فلا ملامَ على، لأنى قد أبلغتكم .

وقوله: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢) فلا تحزن واصبر.
وقوله: ﴿وَإِنْ يَمُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣)، أى يصيبهم ما أصاب الأولين.

حذف الحرف

قال أبو الفتح فى «المختب»: أخبرنا أبو عليّ قال: قال أبو بكر بن السراج:
حذف الحرف ليس بقاس، وذلك لأن الحرف نائب عن الفعل بفاعله، ألا تراك إذا قلت:
ما قام زيد، فقد نابت «ما» عن «أنى» كما نابت «إلا» عن «أستثنى»، وكانائب المدة
وهل عن «أستفهم»، وكانائب حروف المطف عن «أعطف»، ونحو ذلك. فلو ذهبت

(٢) سورة طاهر ٤

(١) سورة هود ٥٧

(٣) سورة الأتفال ٣٨

تمحذف الحرف ؛ لكان ذلك اختصاراً ، واختصارُ المختصرِ إجحاف به ؛ إلا إذا صحَّ التوجهُ إليه ، وقد جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه . انتهى .

فنه الواو ، تمحذف لتصد البلاغة ؛ فإنَّ في إثباتها ما يقتضى تباين التماطلة بين فإذا حذفتم أشعر بأن الكلَّ كالواحد : كقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾^(١) ؛ تقديره : ولا يألوكم خبالاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَّرْمِزُهُ نَاعِمَةٌ ﴾^(٢) ، أى ووجوه :

وخرج عليه الفارسي قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا . . . ﴾^(٣) الآية . وقال : تقديره : « قلت لا أجد » فهو معطوف على قوله : « أتوك » لأن جواب « إذا » قوله : ﴿ تَوَلَّوْا » .

ومنه ابن الشجري في أماليه ؛ وعلى هذا فلا موضع له من الإعراب ، لأنه معطوف على الصلة ؛ والصلة لا موضع لها من الإعراب ، فكذلك ما عطف عليها .

وقال الزمخشري : هي حال من الكاف في « أتوك » ، « وقد » قبله مضمرة كافي قوله : ﴿ أَوْجَاهُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾^(٤) ، أى إذا ما أتوك قائلاً : لا أجدُ تَوَلَّوْا^(٥) . وعلى هذا فله موضعٌ من الإعراب لأنه حال .

قال السبكي في أماليه : ليس معنى الآية كما قالوا ؛ لأنَّ رفع الحرج عن القوم ليس مشروطاً بالبكاء عند التوَلَّى ؛ وإنما شرطه عدم الجِدَّة ، ونزلت في السبعة الذين سعى أبو إسحاق ؛ ولو كان جواب « إذا أتوك » في قوله : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْهِمْ قَفِضُ ﴾^(٦) لكان من لم يَقْضِ عيناه من الدمع هو الذى حَرَجَ وأُثِمَ ؛ وما رفع الله الحرج عنهم إلا لأن الرسول

(٢) سورة الناشية ٨

(٤) سورة النساء ٩٠

(٦) سورة التوبة ٩٢

(١) سورة آل عمران ١١٨

(٣) سورة التوبة ٩٢

(٥) الكشاف ٢ : ٢٣٦

لم يجد ما يحلهم عليه . وإذا عطلت « قلت لا أجد » على « أتوك » كان الحرج غير مرفوع عنهم حتى يقال : ﴿ وَأَعْيَبُهُمْ تَقِيضٌ ﴾^(١) ، فجواب « إذا » في قوله « لا أجد » ، وما بعد ذلك خبر ونبأ على هؤلاء السبعة الذين كانوا سبب نزول هذه الآية ، ففضيلة البكاء مخصوصة بهم ، ورفع الحرج بشرط عدم الجدة عام فيهم وفي غيرهم .

وقال الواحدى في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾^(٢) : آية البقرة في مصاحف الشام بغير واو - يعنى قراءة ابن عاصر - لأن هذه الآية ملاية لما قبلها من قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾^(٣) لأن القائلين : « اتخذ الله ولداً » من جملة المتقدم ذكركم ، فيستغنى عن ذكر الواو لالتباس الجملة بما قبلها ، كما استغنى عنها في نحو قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٤) ، ولو كان « وهم » كان حسناً ؛ إلا أن التباس إحدى الجملتين بالأخرى يارتباطها بها أغنى عن الواو .

ومثله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْبُهُمْ ﴾^(٥) ولم يقل : « ورأيهم » كما قال : ﴿ وَتَأْمِيهِمْ ﴾^(٦) . ولو حذف الواو منها كما حذف من التي قبلها واستغنى عن الواو بالملابسة التي بينهما كان حسناً . ويمكن أن يكون حذف الواو لاستئناف الجملة ، ولا يهذف على ما تقدم . انتهى .

وحصل من كلامه أنه عند حذف الواو يجوز أن يلاحظ معنى العطف ، ويكتفى للربط بينهما وبين ما قبلها بالملابسة كما ذكر . ويجوز ألا يلاحظ ذلك ؛ فتكون الجملة مستأنفة .

قال ابن عمرون : وحذف الواو في الجمل أسهل منه في الفرد ، وقد كثر حذفها في الجمل

(٢) سورة البقرة ١١٦

(٤) سورة البقرة ٢٩

(١) سورة التوبة ٩٢

(٣) سورة البقرة ١١٤

(٥) سورة الكهف ٢٢

في الكلام المحمول بعضه على بعض، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لَنْ حَوَافَّهُ أَلَا نَسْتَعِينُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(١) كله محمول بعضه على بعض، والواو مزيدة، حذفت لاستقلال الجمل بأنفسها بخلاف المفرد؛ ولأنه في المفرد ربما أوقع لبساً في نحو « رأيت زيدا ورجلا عاقلا »، ولو^(٢) جاز حذف الواو احتمال أن يكون « رجلا » بدلا بخلاف الجملة .

وتقرب منه قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ^(٣) ، أَى : وقال .

ومنه القاء في جواب الشرط على رأى ، وخرج عليه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا آلَوْصِيَّةُ﴾^(٤) أى فالوصية .

والقاء في المطف كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُ نَاهِرُونا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٥)، تقديره « فقال أعوذ بالله »، ذكره ابن الشجري في أماليه .

وقوله تعالى: ﴿وإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾^(٦) حذفت حرف المطف من قوله: ﴿قال﴾ ولم يقل: « فقال » كما في قصة^(٧) نوح؛ لأنه على تقدير سؤال سائل قال: ما قال لهم هود؟ قليل: قال يا قوم اعبدوا الله واتقوه .

(٢) ت: « فلو » .

(٤) سورة البقرة ١٨٠

(٦) سورة الأعراف ٦٥

(١) سورة الشعراء ٢٣ - ٢٨

(٣) سورة القصص ٧٩

(٥) سورة البقرة ٦٧

(٧) من قوله تعالى في الأعراف ٥٩: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ...﴾ .

ومنه حذف همزة الاستفهام ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا
قَالَ هَٰذَا رَبِّي ^(١) ، أَىٰ أَهْذَارِي ؟

وقوله : ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ^(٢) أَىٰ أَفْنِ نَفْسِكَ ^(٣) !

وقوله : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمَسُّهَا عَلَىٰ ^(٤) أَىٰ أَوْ تِلْكَ نِعْمَةٌ !

وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ^(٥) على قراءة ابن كثير بكسر الهمزة ، على خلاف
في ذلك جميعه .

ومنه حذف ألف ما الاستفهامية مع حرف الجر للفرق بين الاستفهامية والتلوية كقوله
تعالى : ﴿ قَالِمُ قَتْلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ^(٦) ، ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ^(٧) ، ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ^(٨) ،
و ﴿ مِمَّ خُلِيَ ^(٩) .

ومنه حذف الباء في ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ^(١٠) للتخفيف ورعاية الفاصلة .

ومنه حذف حرف النداء ، كقوله : ﴿ مَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ^(١١) ، أَىٰ يَا هَؤُلَاءِ .

وقوله : ﴿ يُوسُفُ ^(١٢) ، أَىٰ يَا يُوسُفَ .

وقوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ ^(١٣) ، أَىٰ يَا رَب .

ويكثر في المضاف نحو : ﴿ فَأَطِيرَ السَّمَوَاتِ ^(١٤) . ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً ^(١٥) .

وكثر ذلك في نداء الرب سبحانه ؛ وحكمة ذلك دلالة على التعظيم والتعزير ؛ لأن

النداء يقشرب معنى الأمر ؛ لأنك إذا قلت : يا زيد ، فمعناه أَدْعُوكَ يا زيد ، فحذفت « يا »

من نداء الرب ؛ ليزول معنى الأمر ، ويتمتص التعظيم والإجلال .

(٢) سورة النساء ٧٩

(٣) ذكره أبو حيان في البحر ٣ : ٣٠١ ، والقريطي ٥ : ٢٨٥

(٤) سورة يوسف ٩٠

(٥) سورة التازعات ٤٣

(٦) سورة انطارق ٥

(٧) سورة آل عمران ٦٦

(٨) سورة مريم ٤

(٩) سورة المائدة ١١٤

(١) سورة الأنعام ٧٦

(٢) سورة الشعراء ٢٢

(٣) سورة البقرة ٩١

(٤) سورة التبا ١

(٥) سورة النجیر ٤

(٦) سورة يوسف ٢٩

(٧) سورة يوسف ١٠١

وقال الصغار: يجوز حذف حرف النداء من النداء، إلا إذا كان النداء نكرة مقبلا عليها؛ إذ لا دليل عليه؛ وإلا إذا كان اسم إشارة.

ومنه حذف «لو» في قوله تعالى: ﴿مَا آتَيْنَا اللَّهَ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١)، تقديره: لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق.

وقوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَخْلَوْ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحْطُؤُ بِسَمِيعِكَ إِذَنْ لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٢)، معناه لو كان كذلك لارتاب المبطلون.

ومنه حذف «قد» في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾^(٣)، أى وقد اتبعت؛ لأن الماضى لا يقع موقع الحال إلا و «قد» معه ظاهرة أو مقدره.

ومثلها: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾^(٤) أى وقد كنتم.

وقوله: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُّوهُمْ﴾^(٥) قيل معناه «قد حصرت» بدلالة قراءة يعقوب: «حَصْرَةٌ صُدُّوهُمْ». وقال الأخفش: الحال محذوفة، و «حصرت صُدُّوهُمْ» صفتها؛ أى جاءكم يوماً حصرت؛ دعاء عليهم بأن تُحَصَّرَ صُدُّوهُمْ عن قتالهم لقومهم طريقته قاتلهم الله. وردّه أبو عليّ بقوله أى قاتلوا قومهم فلا يجوز أن يدعى عليهم بأن تحصر صُدُّوهُمْ عن قتالهم لقومهم؛ لكن بقول: اللهم ألق بأسهم بينهم.

ومنه حذف «أن» في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ أَنْتَقَى خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(٦)، للمعنى أن يريكم.

(٢) سورة الشكوت ٤٨

(٤) سورة البقرة ٢٨

(٦) سورة الروم ٢٤

(١) سورة المؤمنون ٩١

(٣) سورة الشعراء ١١١

(٥) سورة النساء ٩٠

وحذف « لا » في قوله : ﴿ تَاللّٰهِ تَقْتُلُوْنَ نَذْرٌ كَرُورٌ ﴾^(١) ، أى لا تقتلوا ، لأنها لام لامعة للتنوين وممنها لا تبرح .

قوله : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾^(٢) ، أى لا تميد .

وقوله : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمَانِي وَإِيمَانِكَ ﴾^(٣) ، أى لا تبوء .

وبهذا يزول الإشكال من الآية : ﴿ وَظَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾^(٤) أى لا يطيقونه ، على قول .

قائده

[في حذف الجار ثم إيصال الفعل إلى المجرور]

كثر في القرآن حذف الجار ، ثم إيصال الفعل إلى المجرور به ، كقوله تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾^(٥) ، أى من قومه .

﴿ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَاجَاتٍ ﴾^(٦) .

﴿ لَا تَعَزُّوْا عَقْدَةَ الْكَافِرِ ﴾^(٧) ، أى على عقدة .

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾^(٨) ، أى يخوفكم بأوليائه ، ولذلك قال : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾^(٩) .

﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾^(١٠) ، أى يبنون لها .

- | | |
|----------------------|-----------------------|
| (١) سورة يوسف ٨٥ | (٢) سورة النحل ١٥ |
| (٣) سورة المائدة ٢٩ | (٤) سورة البقرة ١٨٤ |
| (٥) سورة الأعراف ١٥٥ | (٦) سورة البقرة ٢٥٣ |
| (٧) سورة البقرة ٢٣٥ | (٨) سورة آل عمران ١٧٥ |
| (٩) سورة الأعراف ٤٥ | |

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا﴾^(١) أى قدرنا له .
﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾^(٢) أى على سيرتها .

فصل

[فيما حذف في آية وأثبت في أخرى]

من الأنواع ما حذف في آية ، وأثبت في أخرى ؛ وهو قسمان :
أحدهما : أن يكون ما حذف منه محولا على المذكور ؛ كالملطَق في الرقبة^(٣) في كفارة
لظهار ، مقيدا بالمؤمنة في كفارة القتل^(٤) .

وكقوله : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٥) ، قيدت بالتشبيه في موضع آخر^(٦) .
ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ
الْعَمَامِ وَالْغُلَامِ﴾^(٧) وقوله في سورة النحل : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾^(٨) ، فإن هذه تقتضى أن الأولى على حذف مضاف .

(٣) سورة طه ٢١

(١) سورة يس ٣٩

(٢) وذلك قوله تعالى في سورة المجادلة ٣ : ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
إِلَيْهَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ .

(٤) وذلك قوله تعالى في سورة النساء ٩٢ : ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ .

(٥) سورة آل عمران ١٣٣

(٦) وذلك قوله تعالى في سورة الحديد ٢١ : ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ .

(٨) النحل ٣٣

(٧) سورة البقرة ٢١٠

والقسم الثاني : لا يسكون مرادا . فنه قوله تعالى في سورة المؤمنين : ﴿ لَكُمْ فِيهَا قَوَاعِدُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾^(١) ، وفي الزخرف : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾^(٢) .

وقوله في البقرة : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٣) وفي سورة الأعراف : ﴿ أُولَئِكَ كَانُوا لَنَا مِرْءًا أُولَئِكَ هُمُ الْأَفْءِلُونَ ﴾^(٤) .

وحكته أنه قد اختلف الخبران في سورة البقرة ؛ فلذلك دخل العاطف ، بخلاف الخبرين في الأعراف ؛ فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهما بالفعلة وتشبيهم بالبهائم واحد ؛ فسكنت الجملة الثالثة مقررّة ما في الأولى فهي من المطف بمزول .

ومنه قوله تعالى في البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾^(٥) وقال في يس : ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَذِّنْتَ لَهُمْ سَاعَةً أَنْ تَذَرَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾^(٦) مع العاطف ، وحكته أن ما في يس وما بعده جملة معطوفة على جملة أخرى ، فاحتاجت إلى العاطف . والجملة هنا ليست معطوفة ، فهي من المطف بمزول .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾^(٧) فأثبت الواو في الأعراف ، وحذفها في الكهف ، قال : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى ﴾^(٨) والفرق بينهما أن الذي في الأعراف خطاب لجمع ، وأصله « تدعونهم » ، حذف للجزم ، والتي في الكهف خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو واحد ، وعلامة الجزم فيه سقوط الواو . ومنه في آل عمران : ﴿ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾^(٩) وفي فاطر :

(٢) سورة الزخرف ٧٣

(٤) سورة الأعراف ١٧٩

(٦) سورة يس ١٠

(٨) سورة الكهف ٥٧

(١) سورة المؤمنون ١٩

(٣) سورة البقرة ٥

(٥) سورة البقرة ٦

(٧) سورة الأعراف ١٩٣

(٩) سورة آل عمران ١٨٤

﴿جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾^(١) والفرق أن الأولى حذفت الباء فيها للاختصار استغناء بالتي قبلها ، وخرجت عن الأصل للتوكيد ، وتقدير المعنى كماقول : مررت بك وبأخيك وبأبيك ؛ إذا اختصرت .

ومنه قوله في قصة نوح : ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٢) ، وفي قصة شعيب : ﴿وَمَا أَنْتَ﴾^(٣) بالواو ، والفرق أن الأولى جرى على انقطاع الكلام عند النحويين ، واستثناء ﴿مَا أَنْتَ﴾ ، فاستغنى عن الواو لما قرّر من الابتداء ، وفي الثانية جرى في العطف ، وأن يكون قوله : ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ معطوفا على ﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾^(٤) .

ومنه قوله تعالى في سورة النحل : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٥) ، وفي سورة النمل ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾^(٦) ، بإثبات النون ، وحكته أن القصة لما طالت في سورة النحل ناسب التخفيف بحذف النون ، بخلافه في سورة النمل ؛ فإن الواو استثنائية ، ولا تعلق لها بما قبلها .

وقوله في البقرة : ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾^(٧) ، وفي آل عمران : ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾^(٨) ؛ وحكته أن الخطاب في البقرة لليهود وهم أشدّ جدالا .

ومنه قوله في الأعراف : ﴿أَلَمْ تَأْتُوا عَلَىٰ شَهَدَاتِنَا﴾^(٩) وفي الأنعام : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾^(١٠) .

(١) سورة الشعراء ١٥٤

(١) سورة طه ٢٥

(٢) سورة الشعراء ١٨٦

(٣) في الآية التي قبل من سورة الشعراء ١٨٥ ، وهي : ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ .

(٤) سورة النمل ٧٠

(٥) سورة النحل ١٢٧

(٦) سورة آل عمران ٦٠

(٧) سورة البقرة ١٤٧

(٨) سورة الأنعام ١٣٠

(٩) سورة الأعراف ١٧٢

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِزَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(١) ، وفي سورة آل عمران : ﴿ بِزَيْرِ حَقٍّ ﴾^(٢) . والحكمة فيه أن الجملة في آل عمران خرجت مخرج الشرط ، وهو عام ، فناسب أن يكون النفي بصيغة التذكير ، حتى يكون عاما ، وفي سورة البقرة جاء عن أناس مهودين ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِزَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ، فناسب أن يؤتى بالترفيف ، لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأنفس عندهم كان معروفا ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾^(٣) ، فالحق هنا الذي قُتِلَ به الأنفس مهود معروف ، بخلاف ما في سورة آل عمران .

ومنه قوله تعالى في هود حاكيا عن شعيب : ﴿ وَيَا قَوْمِ اتَّخِذُوا عَلَىٰ مَنَاجِبِكُمْ لِيَأْتِيَنَّكُمْ سَفَاحٌ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾^(٤) ، وأمر نبيينا صلى الله عليه وسلم أن يقول لقريش : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(٥) .

ويمكن أن يقال : لما كررت مراجعته لقومه ، ناسب اختصاص قصته بالاستئناف الذي هو أبلغ في الإنذار والوعيد ؛ وأما نبيينا صلى الله عليه وسلم فكانت مدته إنذاره لقومه قصيرة ، فنسب علمهم على مكافأتهم بوعيدهم بالفاء ؛ إشارة إلى قرب نزول الوعيد لهم بخلاف شعيب ، فإنه طال مدته في قومه ، فاستأنف لم ذكر الوعيد .

ولعل قوم شعيب سألوه السؤال المتقدم ، فأجابهم بهذا الجواب ، والفاء لاحتسان فيه ، والنهي صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك جوابا للسؤال ، ولا يحسن معه الحذف .
ومنه أنه تعالى قال في خطاب المؤمنين : ﴿ هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ

(٢) سورة آل عمران ٢١

(٤) سورة هود ٩٣

(١) سورة البقرة ٦١

(٣) سورة المائدة ٤٥

(٥) سورة السجدة ٥٥

عَذَابٍ أَلِيمٍ^(١) ، إلى أن قال : ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٢) ، وقال في خطاب الكافرين : ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾^(٣) ، ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾^(٤) .

قال الزمخشري في تفسير سورة إبراهيم^(٥) : ما علمته جاء الخطاب هكذا في القرآن إلا في خطاب الكافرين ، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ، ولئلا يسوّى بين الفريقين في الميعاد .

واعترض الإمام نضر الدين بأن هذا التمييز إن حصل فلا حاجة إلى ذكر هذا الجواب ، وإن لم يحصل كان هذا الكلام فاسداً .

وقال الشيخ أنير الدين أبو حيان في تفسيره^(٦) : ويقال : ما فائدة الفرق في الخطاب وللمنى مشترك ؟ إذ الكافر إذا آمن وللمؤمن إذا تاب مشتركان في الغفران ، وما تخيلت فيه مغفرة بعض الذنوب من^(٧) الكافر إذا هو آمن^(٨) ، موجود في المؤمن إذا تاب . وسيأتى بسط الكلام على ذلك في آخر الكتاب .

الإيجاز

وهو قسم من الحذف ، ويسمى إيجاز القصر ؛ فإن الإيجاز عندهم قسمان : وجيز بلفظ ، ووجيز بحذف .

- | | |
|-------------------------------|---------------------|
| (٢) سورة الصف ١٢ | (١) سورة الصف ١٠ |
| (٥) سورة الأحقاف ٣١ | (٣) سورة إبراهيم ١٠ |
| (٦) البحر المحيط ٦ : ٤٠٩ | (٥) الكشاف ٢ : ٤٢٣ |
| (٨) البحر : « الذى هو آمن » . | (٧) البحر : « ف » . |

فالوجيز باللفظ أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل^(١) من القدر^(٢) للمهور عادة ؛
وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في النصاحة ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « أوتيت
جوامع الكلم » .

واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساوياً لمعناه وهو القدر ؛ أو أقل منه وهو المقصور .
أما القدر فمكثوه تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ۖ ﴾^(٣) الآية .
وقوله : ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾^(٤) ، وهو كثير .

وأما المقصور ؛ فلما أن يكون نقصان لفظه عن معناه لا حتمال لفظه لمعان كثيرة ، أو لا

الأول كاللفظ المشترك الذى له مجازان ، أو حقيقة ومجاز إذا أريد معانيه ؛ كما فى قول
تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾^(٥) ؛ فإن الصلاة من الله مغايرة للصلاة
من الملائكة ، والحق أنه من القدر المشترك وهو الاعتناء والتعظيم .
وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ﴾^(٦) الآية ؛
فإن السجود فى الكل يجمعه معنى واحد ؛ وهو الاقنياد .

والثانى كقوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٧) .
وقوله : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾^(٨)

(٢) سورة عبس ١٧

(٣) سورة الحج ١٨

(٦) سورة الأنعام ٨٢

(١) سورة النحل ٩٠

(٣) سورة الأحزاب ٥٦

(٥) سورة الأعراف ١٩٩

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(١) ، إذ مناه كبير ،
ولفظه يسير .

وقد نُظِرَ لقول العرب: «القتل أنفى للقتل» ؛ وهو بنون ثم فاء ، ويروى بناء ثم فاف
ويروى «أوقى» . والمعنى أنه إذا أقيم وتحقق حكمه خاف من يريد قتل أحد أن يقتص منه ،
وقد حكاه الخوفا في تفسيره عن علي بن أبي طالب ، وقال : قولُ عليّ في غاية البلاغة ؛
وقد أجمع الناس على بلاغته وفصاحته ؛ وأبلغ منه قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
حَيَاةٌ﴾^(٢) وقد تكلموا في وجه الأبلغية ، انتهى .

وقد أشار صاحب «الثلث السائر» إلى إنكار ذلك ، وقال : لانسبة بين كلام الخالق
عز وجل وكلام المخلوق ؛ وإنما العلماء يقتضون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك .
وهو كما قال ، وكيف يقابل المعجز بغيره مفاضلة ، وهو منه في مرتبة العجز عن
إدراكه :

وَمَاذَا يَقُولُ الْقَائِلُونَ إِذَا بَدَأَ بَحَالُ خُطَابٍ فَاتَ فَهُمْ اتَّخَلَّاثِ

وجملة ما ذكروا في ذلك وجوه :

أحدهما أن قوله : ﴿الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أوجز ؛ فإن حروفه عشرة ، وحروف «القتل»
أنفى للقتل» أربعة عشر حرفاً ، والتاء وألف الوصل ساقطان لفظاً ، وكذا التنوين
لتمام الكلام للتقصي للوقف .

الثاني : أن قولهم فيه كلفة بتكرير القتل ، ولا تكرير في الآية .

الثالث : أن لفظ «القصاص» فيه حروف متلازمة ؛ لما فيه من الخروج من التاف
إلى الصاد ، إذ التاف من حروف الاستعلاء ، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق ؛

(١) سورة البقرة ١٧٩

(٢) أغتر الجزء الثاني ص ١٢٥ من كتاب الثلث السائر .

بخلاف الخروج من القاف إلى التاء ، التي هي حرف منخفض ، فهو غير ملائم ، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة ، لبعد مادون طرف اللسان وأقصى الحلق .

الرابع : في النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت ، ولا كذلك تكرير القاف والفاء .

الخامس : تكرير ذلك في ^(١) كلمتين متماثلتين بعد فصل طويل ، وهو نقل في الحروف أو الكلمات .

السادس : الإنبات أول والنفي ثان عنه ؛ والإنبات أشرف .

السابع : أن القصاص البني على المساواة أوزن في المعادلة من مطلق القتل ، ولذلك يلزم التخصيص ، بخلاف الآية .

الثامن : الطباع أقبل للفظ « الحياة » من كلمة « القتل » ، لما فيه من الاختصار ، وعدم تكرار الكلمة ، وعدم تنافر الحروف ، وعدم تكرار الحرفين ؛ وقبول الطبع للفظ « الحياة » وصحة الإطلاق .

التاسع : أن نفي القتل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصة على ثبوتها التي هي الفرض المطلوب منه .

العاشر : أن قولهم لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة ، وقوله : ﴿ في القصاص حياة ﴾ مفهوم لأول وهلة .

الحادي عشر : أن قولهم خطأ ؛ فإن القتل كله ليس نافيًا للقتل ؛ فإن القتل المدواني لا ينفى القتل ، وكذا القتل في الردة والزنا لا ينفى ؛ وإنما ينفى قتل خاص

(١) ت : « من » ، وما أتبعه من م .

وهو قتل القصاص ؛ فالذى فى الآية تنصيص على القصد ، والذى فى المثل لا يمكن حمله على ظاهره .

الثانى عشر : فيه دلالة على ربط المقادير بالأسباب ، وإن كانت الأسباب أيضاً بالمقادير ، وكلام العرب يتضمنه ؛ إلا أن فيه زيادة وهى الدلالة على ربط الأجل فى الحياة ؛ بالسبب ، لا من مجرد نفي القتل .

الثالث عشر : فى تنكير « حياة » نوع تعظيم ؛ يدل على أن فى القصاص حياة متطاوله ، كقوله : « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَجِينَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ »^(١) ولا كذلك للمثل ؛ فإن اللام فيه للجنس ؛ ولهذا فسروا الحياة فيها بالبقاء .

الرابع عشر : فيه بناء أفضل التفضيل من متعمد ، والآية سالمة منه .
الخامس عشر : أن « أفعل » فى الغالب تقتضى الاشتراك ؛ فيكون ترك القصاص نافياً للقتل ؛ ولكن القصاص أكثر نفيًا ، وليس الأمر كذلك ، والآية سالمة من هذا .

السادس عشر : أن اللفظ المنطوق به إذا توالى حركاته تمكن اللسان من النطق ، وظهرت فصاحته ، بخلافه إذا تعقب كل حركة سكون ، والحركات تنقطع بالسكنات نظيره : إذا تحركت الدابة أدنى حركة ، نغست ، ثم تحركت نغست ، لا يتبين انطلاقها ، ولا تمكن من حركتها على ما يختاره ؛ وهى كالقيدة ، وقولهم : « القتل أنفى للقتل » ، حركاته متعاقبة بالسكون بخلاف الآية .

السابع عشر : الآية اشتملت على فن بديع ؛ وهو جعل أحد الضدين الذى هو الفناء والموت محلاً ومكاناً لضده الذى هو الحياة ، واستقرار الحياة فى الموت مبالغة عظيمة . ذكره فى الكشف .

الثامن عشر : أن في الآية طيباً ؛ لأن التقاص مُشعر بضد الحياة ، بخلاف للثل .
 التاسع عشر : التقاص في الأعضاء والنفوس ، وقد جُعل في الكل حياة ؛ فيكون
 جمعاً بين حياة النفس والأطراف ، وإن فُرض قصاص بالحياة فيه كالمس ؛ فإن مصلحة
 الحياة تنقص بذهابه ، ويصير كنوع آخر ؛ وهذه اللطيفة لا يتضمنها الثل .
 المشرون : أنها أكثر^(١) فائدة لتضمنه التقاص في الأعضاء ، وأنه نبه على حياة
 النفس من وجهين : من وجه به التقاص سريعاً ، ومن وجه التقاص في الطرف ؛ لأن
 أحد أحوالها أن يسرى إلى النفس فيزيلها ، ولا كذلك للثل .
 وقد قيل غير ذلك .

وأما زيادة (لَكُمْ) فيها لطيفة ؛ وهى بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص ،
 وأنهم المراد بحياتهم لا غيرهم ، لتخصيصهم بالمنى مع وجوده فيمن سواهم .
 والحاصل أن هذا من البيان للوجز الذى لا يقترن به شئ .

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . . . ﴾^(٢) الآية ،
 فلأنها نهاية التنزيه .

وقوله : ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾^(٣) ، وهذا
 بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالإمهال .
 وقوله : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُتُلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٤) .
 وقوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾^(٥) ، وهذا من أحسن الوعد والوعيد .

(٢) سورة الإخلاص ١ ، ٢

(٤) سورة الدخان ٤٠

(١) ت : د أكبر .

(٣) سورة الدخان ٢٦

(٥) سورة الدخان ٥١

وقوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ^(١) ، فهذه ثلاث كلمات اشتملت على جميع ما في الرسالة .

وقوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٢) ، فهذه جمعت مكارم الأخلاق كلها ؛ لأن في ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ صلة القاطمين ، والصفح عن الظالمين ، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الأرحام ، وصرف اللسان عن الكذب ، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم ، وتنزيه النفس عن مماراة السفينة .

قوله : ﴿ مُذْهَبَانِ ﴾ ^(٣) ، معناه مسودتان من شدة الخسرة .

وقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً وَمِنْهَا عَذَابٌ ﴾ ^(٥) ، فدلّ بأمرين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتنا ومتاعاً للأنام ، من العشب ، والشجر ، والحب ، والتمر ، والمصنف ، والخطب ، واللباس ، والنار ، وللح ؛ لأن النار من العيدان ، وللح من الماء .

وقوله : ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْعَلُ بَمَضٍ عَلَى بَمَضٍ فِي الْأَكْلِ ﴾ ^(٦) ، فدلّ على نفسه ولطفه ووحدايته وقدرته ، وهدى للحجة على من ضلّ عنه ؛ لأنه لو كان ظهور النمرة بالماء والترية ، لوجب في القياس ألا تختلف الطعوم والروائح ، ولا يقع التفاضل في الجنس الواحد إذا نبت في مغرس واحد ؛ ولكنه صنع اللطيف الخبير .

وقوله : ﴿ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾ ^(٧) ، كيف نفى بهذين جميع عيوب الخمر ، وجمع بقوله : ﴿ لَا يُنْزِفُونَ ﴾ ^(٧) عدم العقل وزهاب المال وفساد الشراب .

(٢) سورة الأعراف ١٢٩

(٤) سورة البقرة ٢٨٦

(٦) سورة الرعد ٤

(١) سورة الحجر ٩٤

(٣) سورة الرحمن ٦٤

(٥) سورة التازعات ٩١

(٧) سورة الواقعة ١٩

وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الْعُمْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَتَّقِلُونَ .
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴾ ^(١) فدل على
فضل السمع والبصر ، حيث جعل مع الصمم فقدان العقل ، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان
البصر وحده .

وقوله : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَابْتَحِمِي أَقْلِمِي وَغِيضَ أَلْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ
وَأَسْقَوْتُ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُدَا لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٢) كيف أمر ونهى ، وأخبر
ونادى ، ونفت وعتى ، وأهلك وأجى ، وأسعد وأشقى ، قص من الأنباء ما لشرح
ما اندرج في هذه الجملة من بدیع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان بلغت الأقلام
والمحسرات الأيدي .

وقوله تعالى عن النملة : ﴿ يَأَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ^(٣) فجعل في هذه
اللفظة أحد عشر جناً من الكلام ، نادت ، وكنت ، ونبتت وتمت ، وأمرت ، وقضت
وحذرت ، وخضت ، وعت ، وأشارت ، وغدرت ، فالنداء « يا » ، والسكينة « أي » ،
والتنبيه « ها » ، والتسمية النمل ، والأمر ، « ادخلوا » ، والتقصص « مساكنكم » ،
والتحذير « لا يطمئنكم » ، والتخصيص سليمان ، والتعميم جنوده ، والإشارة « وهم » ،
والندر لا يشعرون . فأدت خمس حقوق : حق الله ، وحق رسوله ، وحقها ، وحق رعيتهما
وحق جنود سليمان . فحق الله أنها استرعت على النمل فقامت بمقتهم ، وحق سليمان أنها
نبتت على النمل ، وحقها إسقاطها حق الله عن الجنود في نصحتهم ^(٤) ، وحق الجنود
بنصحتها لم يَدْخُلُوا مساكنهم ، وحق الجنود إعلاها إياهم وجميع الخلق أن من

(٢) سورة هود ٤٤

(٤) ت : « نصحتهم » .

(١) سورة يونس ٤٢ ، ٤٣

(٣) سورة النمل ١٨

استرعاه رعية فوجب^(١) عليه حفظها والذب عنها ؛ وهو داخل في الخبر المشهور : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

ويقال : إن سليمان عليه السلام لم يضحك في عمره إلا مرة واحدة ، وأخرى حين أشرف على وادى النمل فرآها على كبر الثعالب ، لها خراطيم وأنياب ، فقال رئيسهم : ادخلوا مساكنكم ، فخرج كبير^(٢) النمل في عظم الجواميس ، فلما نظر إليه سليمان هاله ، فأراه الخاتم ، فخضع له ، ثم قال : أهذه كلها نمل ؟ فقال : إن النمل لكبير ، إنها ثلاثة أصناف : صنف في الجبال ، وصنف في القرى ، وصنف في المدن . فقال سليمان عليه السلام : اعرضها علي ، فقال له : قف . فبقي سليمان عليه السلام تسمين يوما واقفا ، يمرّ عليه النمل ؛ فقال : هل اتقطعت عنا كركم ، فقال ملك النمل : لو وقفت إلى يوم القيامة ما اتقطعت . فذكر الجنيدي أن سليمان عليه السلام قال لعظيم النمل : لم قلت للنمل : ادخلوا مساكنكم ؟ أخفت عليهم من ظلمنا ؟ قال : لا ، ولكن خفت أن يفتنوا بما رأوا من ملكك ، فيشغلهم ذلك عن طاعة الله .

وقوله : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾^(٣) ، وهذا أشد ما يكون من الحجاج .
وقوله : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۚ ﴾^(٤) ، وهذا أعظم ما يكون من التحسير .

وقوله : ﴿ إِلَّا خِيَلَهُ يَوْمَئِذٍ بِمَعْصُومٍ لَبِئْسَ عَدُوًّا إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۚ ﴾^(٥) ، وهذا أشد ما يكون من التنفير عن الخلة إلا على التقوى .

(٢) م : « كثير » .

(٤) سورة الزخرف ٣٩

(١) ت : « فوجب » .

(٣) سورة يس ٧٨ ، ٧٩

(٥) سورة الزخرف ٦٧

وقوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّقْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾^(١)، وهذا أشد ما يكون من التعذير من التقریط .

وقوله: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢)، وهذا أشد ما يكون من التبعيد .

وقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٣)؛ فهذا أعظم ما يكون من التخير^(٤) .

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِرٌ وَثَمِيدٌ . لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٥)، وهذا أبلغ ما يكون من التذكير .

وقوله: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ أُنْتُوا صَوَابِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾^(٦)، وهذا أشد ما يكون في التفریع على التماهی فی الباطل .

وقوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ . يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَاجِمٍ آتٍ﴾^(٧)، وهذا أشد ما يكون من التقریع .

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٨)، وهذا غاية التهيب .

وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾^(٩)، وهذه غاية الترغيب .

(١) سورة الزمر ٥٦

(٢) سورة فصلت ٤٠

(٣) سورة فصلت ٤٠

(٤) في حاشية إحدى النسخ: «المروف عند

الأصوليين أن الأمر فيه للتهديد لا للإباحة والتخير - كذا من الأصل » . وق ت : « التحير » .

(٥) سورة ق ٢١ ، ٢٢

(٦) سورة القاريات ٥٢ : ٥٣

(٧) سورة الرحمن ٤٣ ، ٤٤

(٨) سورة آل عمران ١٨٥

(٩) سورة فصلت ٣١

وقوله: ﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ قَالَ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾^(١).

وقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾^(٢)، وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج؛ وهو الأصل الذى عليه أثبتت دلالة التمانع في علم الكلام.

وقوله: ﴿ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٣)، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بكل ما تميل إليه النفس من الشهوات، وتلذ الأعين من المراتب، ليعلم أن هذا اللفظ التليل جزئاً، حوى مما فى كثيرة لا تنحصر عدداً.

وقوله: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُونَ ﴾^(٤)، وهذا أشد ما يكون من الخوف.

وقوله: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٥).

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَنْتَظِرُكُمْ ﴾^(٦).

وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾^(٧).

وقوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٨).

وقوله: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾^(٩).

وقوله: ﴿ فَأَنْذِرْ آلِيَهُمْ كُلَّ سَوَاءٍ ﴾^(١٠)، معناه قائلهم بما يفعلونه معك، وعاملهم مثل

معاملتهم لك سواء، مع ما يدل عليه « سواء » من الأمر بالعدل.

وقوله: ﴿ وَغِيضَىٰ أَلَمَهُمْ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾^(١١)، فإنه أشار به إلى انقطاع مدتللها النازل

(٢) سورة الأنبياء ٢٢

(٤) سورة النافقون ٤

(٦) سورة يونس ٢٣

(٨) سورة البقرة ٢

(١٠) سورة الأنفال ٥٨

(١) سورة المؤمنون ٩١

(٣) سورة الزخرف ٢١

(٥) سورة طه ٤٣

(٧) سورة صبا ٥١

(٩) سورة تافر ١٨

(١١) سورة هود ٤٤

من السماء والتابع من الأرض . وقوله : ﴿ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أى هلك مَنْ قُضِيَ هلاكه ، ونجا مَنْ قُدرت نجاته ، وإنما عدل عن لفظه إلى لفظ التثنية ؛ لأمرين : اختصار اللفظ ، وكون المهلك والنجاة كانا بأمر مطاع ، إذ الأمر يستدعى أمرا ومطاعا ، وقضاؤه بدل على قدرته .

ومن أقسام الإيجاز الاختصار على السبب الظاهر للشيء ؛ اكفاء بذلك عن جميع الأسباب ، كما يقال : فلان لا يخاف الشجعان ، وللراد لا يخاف أحداً .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَلْطَلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾^(١) ، ولا شك أن من فسخت النكاح أيضاً تتربص ، لأن السبب الثابت للفراق الطلاق .

وقوله : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾^(٢) ، ولم يذكر النوم وغيره ؛ لأن السبب الضروري الناقض خروج الخارج : فإن النوم الناقض ليس بضروري ، فذكر السبب الظاهر ، وعلم منه الحكم في الباقي .

ومنه قوله : ﴿ يَعْلَمُ الْبُيُوتَ وَأَخْتَى ﴾^(٣) ، أى وهو عالم يتع في وم الضمير من المواجهين ، ولم يخطر على القلوب من مخيلات الوسوس .

ومنه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾^(٤) ، ونظائره .

وكذلك زيد وعمر قائم ، على القول بأن « قائم » خبر عن أحدهما ، واستغنى به عن خبر الآخر .

ومنها الاختصار على المبتدأ وإقامة الشيء مقام الخبر نحو : أقام الزيدان ، فإن « قائم » مبتدأ لا خبر له .

(٢) سورة النساء ٤٣

(٤) سورة الأحزاب ٥٦

(١) سورة البقرة ٢٢٨

(٣) سورة طه ٧

ومنها باب « علمت أنك قائم » ، إذا جعلنا الجملة سادة مسددة للمفعولين ؛ فإن الجملة
تحتل اسم واحد مسددة اسمين مفعولين من غير حذف .
ومنه باب النائب عن الفاعل ، في « ضُرب زيد » ، قد « زيد » دل على الفاعل بإعطائه
حكه ، وعلى المفعول بوضعه .

ومنها جميع أدوات الاستفهام والشرط ؛ فإن « كم مالك » ؟ ينفي عن عشرين
أو ثلاثين ، و « من يتم أكرمه ^(١) » ينفي عن زيد وعمره ، قاله ابن الأثير
في « الجامع » .

ومنه الألفاظ اللازمة للمعوم ، مثل أحد ودَيَّار ، قاله ابن الأثير أيضاً .
ومنه لفظ الجمع ؛ فإن « الزيديين » ينفي عن زيد وزيد وزيد ، وكذا التثنية أصلها
رجل ورجل ، فخذفوا المطف والمعلوف ، وأقاموا حرف الجمع والتثنية مقامهما اختصاراً
وصح ذلك لاتفاق اللاتين في التسمية بلفظ واحد ، فإن اختاف لفظ الاسمين رجعوا إلى
التكرار بالمطف ؛ نحو مررت بزيد وبكر .

ومنه باب الضمائر على ما سيأتي بيانه ؛ في قاعدة الضمير .
ومنه لفظ « فعل » فإنه مجيء كثيراً كناية عن أفعال متعددة ؛ قال تعالى : ﴿ لَيْسَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(٢) ﴿ وَكَوَلُوا لَهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَدُونَ يَدِ ﴾ ^(٣) .
﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ ^(٤) ، أى فإن لم تأتوا بسورة من مثله ، ولن تأتوا
بسورة من مثله .

(٢) سورة المائدة ٧٩

(٤) سورة البقرة ٧٤

(١) ساقطة من ت .

(٢) سورة النساء ٦٦

القول في التقديم والتأخير

هو أحد أساليب البلاغة ؛ فإنهم أتوا به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة ، ومكّنهم في الكلام واتقياده لم . وله في القلوب أحسن موقع ، وأعذب مذاق .
وقد اختلف في عده من الجاز ؛ فمنهم من عده منه ؛ لأنه تقديم ما رتبته التأخير ، كالمفعول ، وتأخير ما رتبته التقديم ، كالفاعل ، ^١قل كل واحد منهما عن رتبته وحقه .
والصحيح أنه ليس منه ؛ فإن الجاز قل ما وضع له إلى ما لم يوضع .
ويقع الكلام فيه في فصول :

الفصل الأول

[في أسباب التقديم والتأخير]

الأول : في أسبابه ، وهي كثيرة :

أحدها : أن يكون أصله التقديم ، ولا مقتضى للدول عنه ، كتقديم الفاعل على للمفعول ، وللبتداء على الخبر ، وصاحب الحال عليها ؛ نحو جاء زيد راكباً .

والثاني : أن يكون في التأخير إخلالٌ ببيان المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾^(١) ، فإنه لو أخر قوله : ﴿ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ ، فلا يفهم أنه منهم .

وجعل السكاكي^(٢) من الأسباب كون التأخير مانعاً ، مثل الإخلال بالمقصود ،

كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ آلِ خِرَةَ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١) ، بتقديم الحلال أعنى ﴿من قومه﴾ على الوصف، أعنى ﴿الذين كفروا﴾ ولو تأخر^(٢) لتوهم أنه من صفة الدنيا ؛ لأنها هاهنا اسم تفضيل ؛ من الدنو، وليست اسما، والدنو يشعده بـ « من » ، وحينئذ يشبه الأمر في القائلين أنهم أمم ؛ من قومه أم لا ؟ قدّم لاشتمال التأخير على الإخلال ببيان المعنى المقصود ؛ وهو كون القائلين من قومه . وحين أمّن هذا الإخلال بالتأخير قال تعالى في موضع آخر من هذه السورة : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾^(٣) ، بتأخير الجرور عن صفة للرفع

الثالث : أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب ، فيقدّم^(٤) لمشكلة الكلام ورعاية الفاصلة ، كقوله : ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٥) ، بتقديم « إياه » على « تعبدون » لمشكلة رموس الآي ، وكقوله : ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾^(٦) ، فإنه لو أخر ﴿في نفسه﴾ عن ﴿موسى﴾ ؛ فالتناسب الفواصل ؛ لأن قبله : ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَهَّا تَسْمَى﴾^(٧) ، وبعده : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾^(٨) .

وكقوله : ﴿وَنَسِئُ وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾^(٩) ؛ فإن تأخير الفاعل عن المفعول لمناسبة لما بعده .

وكقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١٠) ، وهو أشكل بما قبله ، لأن قبله : ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾^(١١) .

(٢) ت : ه : إذ :
(٤) م : ه : قدّم :
(٦) سورة طه ٦٦ ، ٦٨
(٨) سورة إبراهيم ٤٩

(١) سورة المؤمنون ٣٣
(٢) سورة المؤمنون ٢٤
(٥) سورة فصلت ٣٧
(٧) سورة إبراهيم ٥١ ، ٥٢

وجعل منه السكاكى^(١) : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾^(٢) ، بتقديم ﴿ هارون ﴾ مع أن ﴿ موسى ﴾ أحقُّ بالتقديم .

الرابع : لنظمه والاهتمام به ؛ وذلك أن من عادة العرب الفصحاء ، إذا أُخبرت عن مخبرٍ ما - وأناطت به حكما - وقد يشركه غيره في ذلك الحكم ، أو فنيا أخبر به عنه ؛ وقد عطف أحدهما على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب - فإنهم مع ذلك إنما يبدؤون بالأهم والأولى . قال سيبويه : كأنهم يقدمون الشيء شأنه أهم لهم ، وهم يبيانه أعتى ، وإن كانا جميعا يهتمانهم ويعتنيانهم . انتهى .

قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾^(٣) ، فبدأ بالصلاة لأنها أهم .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كَ تَعْبُدُ وَإِنَّا كَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٥) ؛ فقدّم العبادة للاهتمام بها .

ومنه تقدير المخلوف في بسم الله مؤخرا .

وأوردوا : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾^(٦) ؛ وأجيب بوجهين :

أحدهما : أن تقديم الفعل هناك أهم ، لأنها أول سورة نزلت .

والثاني أن : ﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ متعلق بـ ﴿ اقْرَأْ ﴾^(٧) الثاني ، ومعنى الأول : أوجد

القراءة ، والقصد التعميم .

الخامس : أن يكون الخطاط ملتفتا إليه والهمة معقودة به ؛ وذلك كقوله تعالى :

(٢) سورة طه ٧٠

(٤) سورة التباين ١٢

(٦) سورة الطلق ١ ، ٣

(١) انظر مفتاح العلوم ١٢٩

(٣) سورة البقرة ٤٣

(٥) سورة فاتحة الكتاب ٥

﴿وَجَمَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾^(١) ، بتقديم الجرور على المفعول الأول ؛ لأن الإنكار متوجه إلى الجمل لله ، لا إلى مطلق الجمل .

السادس : أن يكون التقديم لإرادة التبعيت والتعجيب من حال المذكور ؛ كتقديم المفعول الثانى على الأول فى قوله تعالى : ﴿وَجَمَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ﴾^(٢) ، والأصل «الجن شركاء» ؛ وقدم ، لأن المقصود التوبيخ ، وتقديم الشركاء أبلغ فى حصوله .
ومنه قوله تعالى فى سورة يس : ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾^(٣) ، وسند كره .

السابع : الاختصاص ، وذلك بتقديم المفعول ، والتخير ، والظرف ، والجار والجرور ، ونحوها على القمل ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنْتُمْ بِأَيَّامٍ نَعْبُدُونَ﴾^(٤) ، أى نخضك بالعبادة فلانعبد غيرك .
وقوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٥) ، أى إن كنتم تخصونه بالعبادة .
والتخير كقوله : ﴿قَالَ أَرَأَيْبَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي﴾^(٦) ، وقوله : ﴿وَقُلُوا أَنَّهُمْ مَا نَعْبُدُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾^(٧) .

وأما تقديم الظرف ؛ فميه تفصيل ، فإن كان فى الإثبات دل على الاختصاص ، كقوله تعالى : ﴿إِنْ إِلَٰهِنَا إِلَّا يَٰأَبَاهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^(٨) ، وكذلك : ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾^(٩) ، فإن ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى ؛ وقوله : ﴿لِإِلَٰهِ اللَّهِ تَخَشَرُونَ﴾^(١٠) .

- (٢) سورة يس ٢٠
(٤) سورة النحل ١١٤
(٦) سورة الحجر ٢
(٨) سورة التباين ١

- (١) سورة الأنعام ١٠٠
(٣) سورة فاتحة الكتاب ٥
(٥) سورة مريم ٤٦
(٧) سورة الناشية ٢٥ ، ٢٦
(٩) سورة آل عمران ١٥٨

أى لا إلى غيره ، وقوله : ﴿لَتَسْكُوتُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١) ، أخرت صلة الشهادة في الأول وقدمت في الثانى ؛ لأنَّ الفرض في الأول إثباتُ شهادتهم على الأمم ، وفي اختصاصهم بكون الرسول شهيذاً عليهم .
وقوله : ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾^(٢) ، أى لجميع الناس من العجم والعرب ، على أن التعريف للاستغراق .

وإن كان في النفي فإن تقديمه يفيد تفضيل النفي عنه ، كما في قوله تعالى : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾^(٣) ، أى ليس في خر الجنة ما في خره غيرها من الغول .
وأما تأخيرها فلأنها تعيد النفي فقط ، كما في قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٤) فكذلك إذا قلنا لا عيب في الدار ؛ كان معناه : نفي العيب في الدار ، وإذا قلنا لا في الدار عيب ، كان معناه : أنها تفضل على غيرها بعدم العيب .

تنبيه

ما ذكرناه من أن تقديم الممول يفيد الاختصاص ، فهمه الشيخ أبو حيان في كلام الزمخشري وغيره ، والذي عليه محققو البيانين أن ذلك غالب لا لازم ، بدليل قوله تعالى : ﴿كَلَّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾^(٦) ، إن جعلنا ما بعد الظرف مبتدأ .

وقد ردَّ صاحب « الفلك »^(٧) الدائر « القاعدة بالآية الأولى ، وكذلك ابن الحاجب والشيخ أبو حيان ، وخالفوا البيانين في ذلك ، وأنت إذا علمت أنهم

(٢) سورة النسا . ٧٩

(١) سورة البقرة ١٤٣

(٤) سورة البقرة ٢

(٣) سورة الصافات ٤٧

(٦) سورة إبراهيم ١٠

(٥) سورة الأنعام ٨٤

(٧) هو عز الدين أبو المعبود ، صاحب كتاب الفلك الدائر على مثل السائر ؛ تقد فيه كتاب ابن الأثير

ذكروا في ذلك قيد الغلبة سهّل الأمر . نعم له شرطان :
 أحدهما ألا يكون الممول مقدما بالوضع ؛ فإن ذلك لا يسمى تقديمًا حقيقة ، كاسماء
 الاستفهام ، والمبتدأ عند من يجعله معمولًا عليه .
 والثاني : ألا يكون التقديم لمصلحة التركيب ، مثل : ﴿ وَأَمَّا نُمُودَ فَبَدِّينَاكُمْ ﴾ ^(١)
 على قراءة النصب .
 وقد اجتمع الاختصاص وعلمه في آية واحدة ؛ وهي قوله : ﴿ أَعْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ﴾ ^(٢) ، التقديم في الأول قطعًا ليسر
 للاختصاص ، بخلاف الثاني .

الفصل الثاني

في أنواعه

وهي إما أن يُقدّم والمعنى عليه ، أو يُقدّم وهو في المعنى مؤخر ، أو بالعكس .

النوع الأول

ما قدم والمعنى عليه

ومقتضياته كثيرة ، قد يستر الله منها خمسًا وعشرين ، والله درّ ابن عبدون في قوله :
 سَفَاكَ أَلْحِيًا مِنْ مَعَانٍ سَفَاكَ فَكَمْ لِي بِهَا مِنْ مَعَانٍ فَصَاكَ

أحدهما

السبق

وهو أقسام : منها السبق بالزمان والإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿ إِن أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾^(١) قال ابن عطية : المراد بالذين اتبعوه في زمن الفترة .

وقوله : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾^(٢) ؛ فإن مذهب أهل السنة تفضيل البشر ، وإننا قدّم للآل لسبقه في الوجود .

وقوله : ﴿ بَنَاهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ ﴾^(٣) ؛ فإن الأزواج أسبق بالزمان ؛ لأن البنات أفضل منهن ، لكونهن بضعة منه صلى الله عليه وسلم .
وقوله : ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾^(٤) .

واعلم أنه ينغم إليه مع ذلك التشريف ، كقوله : ﴿ إِن اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾^(٦) .
﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾^(٧) .

وأما قوله : ﴿ أَمْ لَمْ يُكْتَبَ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾^(٨) فإنما قدّم ذكر موسى لوجهين : أحدهما أنه في سياق الاحتجاج عليهم بالترك وكانت صحف موسى منشورة أكثر انتشارا من صحف إبراهيم ، وثانيهما مراعاة رموس الآي .

(٢) سورة الحج ٧٥

(٤) سورة الفرقان ٧٤

(٦) سورة الأحزاب ٧

(٨) سورة النجم ٣٦ ، ٣٧

(١) سورة آل عمران ٦٨

(٣) سورة الأحزاب ٥٩

(٥) سورة آل عمران ٣٣

(٧) سورة الأعلى ١٩

وقد ينضم إليه التحقير ، كما في قوله : ﴿ غَيْرِ الْمُتَضَوِّبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^(١)؛
 قدّم اليهود لأنهم كانوا أسبق من النصارى ، ولأنهم كانوا أقرب إلى المؤمنين بالمجاورة.
 وقد لا يلحظ هذا كقوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مِثْلِهِمْ ﴾^(٢)
 وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبَقِيَ ﴾^(٣) .
 ومن التقديم بالإيجاد تقديم السّنة على النوم في قوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٤)
 لأن العادة في البشر أن تأخذ المبد السّنة قبل النوم ، فجاءت العبارة على حسب
 هذه العادة .

ذكره السهيلي وذكر معه وجها آخر ؛ وهو أنها وردت في معرض المدح والثناء
 وافتقار السّنة أبلغ في التنزيه فبدى بالأفضل ؛ لأنه إذا استحال عليه السّنة فأحرى أن
 يستحيل عليه النوم .

ومنه تقديم الظّلة على النور في قوله تعالى : ﴿ وَجَمَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ ﴾^(٥) فَإِنَّ
 الظلمات سابقة على النور في الإحساس ، وكذلك الظّلة المعنوية سابقة على النور للمعنى ؛
 قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَمَلَ لَكُمْ
 السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾^(٦) فانتفاء العلم ظّلة ، وهو متقدم بالزمان على
 نور الإدراكات .

ومنه تقديم الليل على النهار : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾^(٧) ﴿ سِيرُوا فِيهَا
 لَيَالِيَّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾^(٨) . ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾^(٩) . ﴿ حِينَ يُنْمَوْنَ وَحِينَ

(٢) سورة النكبات ٣٨

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(٦) سورة النحل ٧٨

(٧) سورة سبأ ١٨

(١) سورة الفاتحة ٧

(٣) سورة النجم ٥٠ ، ٥١

(٥) سورة الأنعام ١

(٧) سورة الإسراء ١٢

(٩) سورة سبأ ٣٣

تُصْبِحُونَ^(١) ولذلك اختارت العرب التاريخ بالليالي دون الأيام ؛ وإن كانت الليالي مؤنثة والأيام مذكرة ، وقاعدتهم تغليب المذكر إلا في التاريخ .
فإن قلت : فما تصنع بقوله تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾^(٢) .

قلت : استشكل الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في قواعده^(٣) بالإجماع على سبق الليلة على اليوم . وأجاب بأن المعنى : تُدْرِكُ الْقَمَرَ في سلطانه ، وهو الليل ، أى لانحسار الشمس في [أثناء] الليل ، قوله بعده : ﴿ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٤) ، أى لا يأتي في بعض سلطان الشمس وهو النهار . وبين الجنتين مقابلة .

فإن قيل : قوله تعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ ﴾^(٥) مُشْكِلٌ عَلَى هَذَا ؛ لِأَنِ الْإِبْلَاجَ إِدْخَالُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ ، وَهَذَا الْبَحْثُ يَنَاقِضُهُ .

قلت : المشهور في معنى الآية أن الله يزيد في زمن الشتاء مقدراً من النهار ، ومن النهار في الصيف مقدراً من الليل ؛ وتقدير الكلام : يُولِجُ بَعْضُ مَقْدَارِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ ، وَبَعْضُ مَقْدَارِ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ . وعلى غير المشهور ، يحمل الليل في المكان الذي كان فيه النهار ويحمل النهار في المكان الذي كان فيه الليل ، والتقدير : يُولِجُ اللَّيْلُ فِي مَكَانِ النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي مَكَانِ اللَّيْلِ .

ومنه تقديم المكان على الزمان في قوله : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ

(٢) سورة يس ٢٠

(١) سورة الروم ١٧

(٣) القواعد الكبرى ، في فروع النافذة للشيخ عز الدين عبد السلام ، ذكره صاحب كشف الظنون ، وقال : ليس لأحد مثله . وكثير منه مأخوذ من حطب الإيمان للعلامة ، وله القواعد الصغرى أيضا .

(٥) سورة الحديد ٦

(٢) تكملة من م .

(٦) م : م . هـ في «

وَالنُّورُ»^(١) ، أى الليل والنهار ، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَافًا مَحْفُوفًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ . وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٢) .
وهذه مسألة مهمة قلَّ مَنْ تَمَرَّضَ لها ، أعنى سبق للسكان على الزمان ، وقد صرح بها الإمام أبو جعفر الطبري في أول تاريخه ، واحتج^(٣) على ذلك بحديث ابن عباس : إن الله خلق التربة يوم السبت ، وخلق الشمس والقمر ، وكان ذلك كله ولايل ولا نهار ، إذ كانتا إنما هما أسماء لمعلومة من قَطَعَ الشمس والقمر [دَرَجَ الفلك]^(٤) ، وإذا كان ذلك صحيحاً وأنه لا شمس ولا قمر ، كان معلوماً أنه لا ليل ولا نهار . قال : وحديث أبي هريرة - يعنى في صحيح مسلم - صريح فيه ؛ فإن فيه : « وخلق [الله]^(٥) النور يوم الأربعاء » ، قال : ويعنى به^(٥) الشمس إن شاء الله .

والحاصل أن تأخر خلق الأيام عن بعض الأشياء للذكورة في الخبر لازم .
فإن قلت : الحديث كالمصرح بخلافه ؛ فإنه قال : خلق الله التربة يوم السبت ، حين خلق البرية وهى أول المخلوقات للذكورة ، فلا يمكن أن يكون خلق الأيام كلها متأخراً عن ذلك .

قلت : قد نبّه الطبري على جواب ذلك بما حاصله : أن الله تعالى سَمَّى أسماء الأيام قبل خلق التربة ، وخلق الأيام كلها ، ثم قدر كل يوم مقداراً ، فخلق التربة في مقدار يوم السبت قبل خلقه يوم السبت ، وكذا الباقي .

وهذا وإن كان خلاف الظاهر لكن أوجبه ما قاله الطبري ؛ من أنه يتعين تأخير الأيام لما ذكرناه من الدليل للاستفاد من الخبرين .

والحاصل أن الزمان قسمان : تحقيقاً وتقديرى ؛ والمذكور في الحديث التقديرى .

(٢) سورة الأنبياء ٣٢ ، ٣٣

(٤) من تاريخ الطبري

(١) سورة الأنعام ١

(٣) تاريخ الطبري ١ : ١٣

(٥) الطبري : يعنى بالنور .

ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ ^(١) . ﴿ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾ ^(٢) ؛ ولذلك لمسا استغنى عن أحدهما ذكر الشرق قط ، فقال : ﴿ وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ ^(٣) . ﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ﴾ ^(٤) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ ^(٦) . ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ ^(٧) .

ويمكن فيه وجوه آخر :

منها أن فيه قهراً للخلق ، وللقام بقتضيه .

ومنها أن حياة الإنسان كالحياة ، ومآله إلى الموت ، ولا حياة إلا بعد الموت .

ومنها أن الموت تقدم في الوجود ، إذ الإنسان قبل ففتح الروح فيه كان ميتاً لعدم الروح وهذا إن أريد بالموت عدم الوجود ؛ بدليل : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ ، وإن أريد به بعد الوجود ، فالناس متنازعون في الموت : هل هو أمر وجودي كالحياة أولاً ؟

وقيل بالوقف ، فقالت الفلاسفة : الموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً .

والجمهور على أنه أمر وجودي يضاد الحياة ، محتجين بقوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ ، والحديث في الإتيان بالموت في صورة كبش وذبحه .

وأجيب عن الآية بأن الخلق بمعنى التقدير ، ولا يجب في المقدّر أن يكون وجودياً ،

وعن الثاني بأن ذلك على طريق التمثيل ؛ لبيان انقطاع الموت وثبوت الخلود .

فإن قلنا : عدوى ، فالتقابل بينه وبين الحياة تقابل المدّم والمملكة ، وعلى الصحيح

تقابل التضاد . وعلى القول بأنه وجودي يجب أن يقال : تقديم الموت الذي هو عدم الوجود ؛

(٢) سورة الأعراف ١٣٧

(٤) سورة الملك ٢

(٦) سورة البقرة ٢٨

(١) سورة الرحمن ١٧

(٣) سورة الصافات ٦٠

(٥) سورة النجم ٤٤

لكونه سابقاً أو معدوم الحياة ، الذى هو مفارقة الروح البدنى يجوز أن يَكُونْ لكونه
الناية التى يساق إليها فى دار الدنيا ؛ فهى العلةُ الفاتية بدم تحقيها ، لتحقيقه^(١) ، فخص العلة
العامة كما وقع تأكيده فى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بِمَدَدِ ذَلِكَ لَكَيْتُونَ ﴾^(٢) ، أو تزهيداً فى
الدار الفانية ، وترغيباً فيما بعد الموت .

فإن قيل : فما وجه تقدم « الحياة » فى قوله : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ ﴾^(٣)
وقوله : ﴿ وَتَحْيَايَ وَتَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْمَالِكِينَ ﴾^(٤) ؟

قلنا : إن كان الخطاب لآدم وحواء ، فلأن حياتهما فى الدنيا سبقت الموت ، وإن
كان للخلق بالخطاب لمن هو حى بمقبه الموت ، فما التقديم بالترتيب ، وكذا الآية بعده .

فإن قيل : فما وجه تقدم الموت على الحياة فى الحكاية عن مُنْكَرِ البعث : ﴿ إِنَّ
حَيِّ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾^(٥) ؟

قلت : لأجل مناسبة ردوس الآى .

فإن قلت : فما وجه تقدم التوفى على الرفع فى قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾^(٦)
مع أَنَّ الرفع سابق ؟

قيل : فيه جوابان :

أحدهما : المراد بالتوفى النوم ، كقوله تعالى : ﴿ يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾^(٧) .

وثانيهما : أن التاء فى « مُتَوَفِّيكَ » زائدة ، أى موفيك عملاً .

ومنها سبق إنزال ، كقوله : ﴿ وَأُنْزِلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا لِلنَّاسِ وَأُنْزِلَ
الْفُرْقَانُ ﴾^(٨) . وقوله : ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾^(٩)

(١) الكلام غير واضح فى الأصلين .

(٢) سورة المؤمنون ١٥

(٣) سورة الأنعام ١٦٢

(٤) سورة آل عمران ٥٥

(٥) سورة آل عمران ٤ ، ٣

(٦) سورة الأعراف ٢٥

(٧) سورة المؤمنون ٣٧

(٨) سورة الأنعام ٦٠

(٩) سورة الأعراف ١٥٧

وأما قوله : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ ^(١) ، فإنما قدم القرآن مُتَبَّهًا له على فضيلة المنزّل إليهم .
ومنها سبق وجوب ، كقوله تعالى : ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ ^(٣) .

فإن قيل : فقد قال : ﴿وَاسْجُدْ وَارْكَعْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ .
قيل : يحتمل أنه كان في شريعتهم السجود قبل الركوع ، ويحتمل أن يراد بالركوع ركوع الركعة الثانية .
وقيل : المراد به « ارگئی » اشكوى .

وقيل : أراد به « اسجدی » صلی وحده ، وبـ « ارکعی » صلی في جماعة ، ولذلك قال : ﴿ مع الراکعین ﴾ .

ومنها سبق تنزيه ، كقوله تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ ، فبدأ بالرسول قبل للمؤمنين ، ثم قال : ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ ، فبدأ بالإيمان بالله ؛ لأنه قد يحصل بدليل العقل ، والعقل سابق في الوجود على الشرع ، ثم قال : « وملائكته » مراعاة لإيمان الرسول ، فإنه يتلقى بالملك الذي هو جبريل أولاً ، ثم بالكتاب الذي نزل به جبريل ، ثم بمعرفة نفسه أنه رسول . وإنما عرف نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل عليه السلام وإيمانه ، فترتب الذكر للنزل عليه بحسب ذلك ، فظهرت الحكمة والإيجاز ، فقال : ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ ؛ لأن الملك هو النازل بالكتاب ، وإن كان الكتاب أقدم من الملك ، ولكن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للملك كانت قبل سماعه الكتاب . وأما إيماننا نحن بالعقل ، آمنا بالله ، أي

(٢) سورة الحج ٧٧

(١) سورة آل عمران ١٩٩

(٣) سورة النج ٢٩

بوجوده ، ولكن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عرفنا اسمه ووجوب النظر المؤدى إلى معرفته ، قَامَنَا بِالرَّسُولِ ثُمَّ بِالْكِتَابِ لِلنَّزْلِ عَلَيْهِ ، وبِالْمَلَكِ النَّازِلِ بِهِ ، فلو ترتب اللفظ على حسب إيماننا لبداً بالرسول قبل الكتاب ؛ ولكن إنما ترتب على حسب إيمان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، الذى هو إمام المؤمنين . ذكره السهيلي في أماليه .

وقال غيره : فى هذا الترتيب سرّ لطيف ، وذلك لأن النور والكمال والرحمة والخير كله مضاف إلى الله تعالى ، والوسائط فى ذلك اللاتسكة ، وللقابل لتلك الرحمة الأنبياء والرسل ، فلا بد أولاً من أصل ، وثانياً من وسائط ، وثالثاً من حصول تلك الرحمة ، ورابعاً من وصولها إلى المقابل لها ؛ والأصل للتقصى للغيبرات والرحمة هو الله ، ومن أعظم رحمة رَحِمَ بِهَا عِبَادَهُ إِنْزَالُ كِتَابِهِ إِلَيْهِمْ ، والواصل لها م اللاتسكة ، والمقابل لها المنزلة عليهم هم الأنبياء ؛ فجاء الترتيب على ذلك بحسب الوقائع .

الثانى

بالذات

كقوله تعالى : ﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ ﴾ ^(١) . ونحوه ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْمٍ إِلَّا ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَأَيْتَهُمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادَهُمْ ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتَهُمْ كَذِبَتُمْ ۖ ﴾ ^(٣) وكذلك جميع الأعداد كل مرتبة هى متقدمة على ما فوقها بالذات .
وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ ﴾ ^(٤) فوجه تقديم المثنى أن المعنى حُثُّهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِالنَّصِيحَةِ لِلَّهِ ، وترك الهوى ، مجتمعين متساويين أو منفردين متفكرين . ولا شك أن الأهم حالة الاجتماع فبدأ بها .

(١) سورة المجادلة ٧

(٢) سورة سبأ ٤٦

(٣) سورة النساء ٣

(٤) سورة الكهف ٢٢

الثالث

بالعلمة والسببية

كتقديم « العزيز » على « الحكيم » ، لأنه عزَّزَ حكمه ، وتقديم « العليم » على « الحكيم » ، لأن الإتيان ناشئ عن العلم ، وكذا أكثر ما في القرآن من تقديم وصف العلم على الحكمة : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾^(١) .

ويجوز أن يكون قدم وصف العلم هنا ليتصل بما يناسبه ، وهو ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ ، وفي غيره من نظائره ، لأنه صفات ذات فيكون من القسم قبله .

ومنه قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٢) ، قدمت المبادأة لأنها سبب حصول الإعانة .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْقَوَّايِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾^(٣) ؛ فإن التوبة سبب الطهارة .

وكذا : ﴿ وَيَلِكُلُّ أُنَافِكٍ يُنْمِرُ ﴾^(٤) لأن الإفك سبب الإنم .

وكذا : ﴿ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كَلٌّ مَعْتَدٌ أُيْمِرُ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا . لِنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْفَاسِي كَثِيرًا ﴾^(٦) قدم إحياء الأرض ؛ لأنه سبب إحياء الأنعام والأناس ، وقدم إحياء الأنعام ؛ لأنه مما يحيا به الناس ، بأكل لحومها وشرب آبائها .

(٢) سورة الفاتحة ٥

(٤) سورة الجاثية ٧

(٦) سورة الفرقان ٤٨ ، ٤٩

(١) سورة البقرة ٣٢

(٣) سورة البقرة ٢٢٢

(٥) سورة المطففين ١٢

وكذا كل علة مع معلولها، كقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(١)، قيل: قدم الأموال من باب تقديم السبب؛ فإنه إنما شرع النكاح عند قدرته على مؤوته، فهو سبب التزويج، والتزويج سبب للتناسل؛ ولأن المال سبب للتنعيم بالولد، وقدره سبب لشقائه.

وكذا تقديم البنات على البنين في قوله تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾^(٢)، وآخر ذكر الذهب والفضة عن النساء والبنين لأنها أقوى في الشهوة الجبيلية من المال، فإن الطبع يحث على بذل المال، فيحصل النكاح، والنساء أقدم من الأولاد في الشهوة الجبيلية، والبنون أقدم من الأموال، والذهب أقدم من الفضة، والفضة أقدم من الأنعام؛ إذ هي وسيلة إلى تحصيل النعم، فلما صُدِّرت الآية بذكر الحب، وكان الحبوب مخففات للراتب، اقتضت حكمة الترتيب أن يقدم ما هو الأهم فالأهم، في رتبة الحبوب.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَأَمْتُمْ﴾^(٣)، قدم^(٤) الشكر على الإيمان؛ لأن الماقل ينظر [إلى] ^(٥) ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتربيته للنافع، فيشكر شكرا مبهما؛ فإذا انتهى به النظر إلى معرفة للنعم آمن به، ثم شكر شكرا متصلا^(٦) فكان الشكر متقدما على الإيمان؛ وكأنه أصل التكليف ومداره. انتهى.

وجعله غيره من عطف الخاص على العام؛ لأن الإيمان من الشكر، وخُصَّ بالذكر لشرفه.

(٢) سورة آل عمران ١٤

(٤) الكشاف ١ : ٤٥١

(٦) الكشاف : « منفصلا » .

(١) سورة الأنفال ٢٨

(٣) سورة النساء ١٤٧

(٥) من الكشاف .

الرائع بالرنية

كتقديم « سميع » على « علم » فإنه يقتضى التخويف والتهديد، فبدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات ، وإنَّ مَنْ تَمَعَّ حَسَكَ قَدْ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَيْكَ فِي الْمَادَّةِ مِنْ يَعْلَمُ ، وإنَّ كَانَ عِلْمُ اللَّهِ تَعَلَّقَ بِمَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ .

وكقوله : ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١) ، فإنَّ الغفوة سلامة ، والرحمة غنمة ، والسلامة مطلوبة قبل الغنمة ؛ وإنما تأخرت في آية سبأ في قوله : ﴿ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾^(٢) ؛ لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من السكَّفين وغيرهم ، وهو قوله : ﴿ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾^(٣) ، فالرحمة شملتهم جميعا ، والغفوة تخصَّ بعضا ، والعموم قبل الخصوص بالرنية .

وقوله تعالى : ﴿ هَازِمٌ مِّثْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾^(٤) فإنَّ الهمَّاز هو الغناب ؛ وذلك لا يفتر إلى شيء بخلاف الغنمة .

وقوله : ﴿ يَأْتُونَكَ رِجَالًا وَفَلْيَ كُلٌّ ضَامِرٍ ﴾^(٥) فإنَّ الغالب أنَّ الذين يأتون رجالا من مكان قريب ، والذين يأتون على الضامر من البعيد . ويحتمل أن يكون من التقديم بالشرف ؛ لأنَّ الأجر في الشيء مضاعف .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾^(٦) مع أنَّ الراكب متشكر من الصلاة أكثر من اللathi ، فغيره في باب الرخصة .

(١) سورة البقرة ١٧٣ وآيات كثيرة .

(٢) سورة القلم ١١

(٣) سورة سبأ ٢

(٤) سورة البقرة ٢٣٩

(٥) سورة الحج ٢٧

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَنْ طَهَّرْنَا بَنِينَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمَاكِفِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودِ ﴾^(١) ،
 قدّم الطائفين لتربهم من البيت ؛ ثم ثنى بالقائمين وهم الماكفون ؛ لأنهم يخصّون موضعاً
 بالكوف والطواف بخلافه فكان أعمّ منه ، والأعمّ قبل الأخصّ ، ثم ثلث بالركوع ،
 لأنّ الركوع لا يلزم أن يكون في البيت^(٢) ولا عنده .

ثم في هذه الآية ثلاثة أسئلة :

الأول : كيف جمع الطائفين والقائمين جمع سلامة ، والركع جمع تكسير ؟ والجواب
 أن جمع السلامة أقرب إلى لفظ الفعل ، فطائفون بمنزلة يطوفون ، ففي لفظه إشعار بصفة التطهير ،
 وهو حدوث الطواف وتجدّده ، ولو قال : بالطواف لم يفد ذلك ، لأن لفظ المصدر يخفى
 ذلك ؛ وكذا القول في القائمين ، وأما الراكون فلما سبق أنه لا يلزم كونه في البيت
 ولاعنده ؛ فهذا لم يجمع جمع سلامة ؛ إذ لا يحتاج فيه إلى بيان الفعل الباعث على التطهير ،
 كما احتجج فيما قبله .

الثاني : كيف وصف الركع بالسجود ، ولم يعطف بالواو ؟

والجواب ، لأن الركع هم السجود ، والشئ لا يعطف على نفسه ؛ لأن السجود
 يكون عبارة عن المصدر ، وهو هنا عبارة عن الجمع ، فلو عطف بالواو لأوهم إرادة
 للمصدر دون اسم الفاعل ؛ لأن الراكع إن لم يسجد فليس براكع شرعاً ، ولو عطف
 بالواو لأوهم أنه مستقل ، كالنبي قبله .

الثالث : هلا قيل : السجد كما قيل الركع ، وكما جاء في آية أخرى : ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
 سُجَّدًا ﴾^(٣) ، والركوع قبل السجود ؛ والجواب أن السجود يطلق على وضع الجبهة
 بالأرض وعلى الخشوع ، فلو قال : السجد ، لم يتناول إلا المعنى الظاهر ، ومنه : ﴿ تَرَاهُمْ

(٢) ت : « في البيت » .

(١) سورة البقرة ١٢٥

(٣) سورة الفتح ٢٩

رُكْعًا سَجْدًا» ، وهو من رؤية العين ، ورؤية العين لا تتعلق إلا بالظاهر ، قصد بذلك الرمز إلى السجود المعنوي والصوري ؛ بخلاف الركوع ، فإنه ظاهر في أعمال الظاهر التي يشترط فيها البيت كما في الطواف والقيام المتقدم ، دون أعمال القلب ، فجعل السجود وصفًا للركوع وتعميما له ؛ لأن الخشوع روح الصلاة وسرّها الذي شرعت له .

الخامس

بالداعية

كتقدم الأمر بنفض الأبصار على حفظ الفروج في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْظُرُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾^(١) ، لأن البصر داعية إلى الفرج ، قوله صلى الله عليه وسلم : « المينان تزنيان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » .

السادس

التعظيم

كقوله : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾^(٢) .
وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾^(٣) .
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾^(٤) .
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(٥) .

(٢) سورة النساء ٦٩

(٤) سورة آل عمران ١٨

(١) سورة النور ٣٠

(٣) سورة الأحزاب ٥٦

(٥) سورة المائدة ٥٥

السايع الشرف وهو أنواع

منها شرف الرسالة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ ^(١) ،
فإن الرسول أفضل من النبي ؛ خلافا لابن عبد السلام .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ ^(٢) . ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ ^(٣)
ومنها شرف الذكورة :

كقوله تعالى : ﴿ إِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ أَلَكُمْ أَذْكُرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ ^(٦) .

وأما تقديم الإناث في قوله تعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً ﴾ ^(٧) ، فلجبرهن ، إذ هن
موضع الانكسار ، ولهذا جبر الذكور بالتمريف ، للإشارة إلى ما فاتهم من فضيلة التقديم .
ويحتمل أن تقديم الإناث ، لأن المقصود بيان أن الخلق كله بمشيئة الله تعالى ، لا هل
وفق غرض المباد .

ومنها شرف الحرية ، كقوله تعالى : ﴿ أَلْحَرُ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ﴾ ^(٨) ، ومن التريب
حكاية بعضهم قولين في أن الحر أشرف من العبد أم لا ، حكاه القرطبي ، في تفسير سورة
النساء فلينظر فيه .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧

(٤) سورة الأحزاب ٣٥

(٦) سورة النساء ١

(٨) سورة البقرة ١٧٨

(١) سورة الحج ٥٢

(٣) سورة مريم ٥٤

(٥) سورة النجم ٢١

(٧) سورة الشورى ٤٩

ومنها شرف العقل ، كقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ مَا عَا لَكُمْ وَلَا تَأْمِيَكُمْ ﴾^(٢) .

وأما تقديم الأنعام عليهم في قوله : ﴿ تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ﴾^(٣) ، فن باب تقديم السبب ، وقد سبق .

ومنها شرف الإيمان ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾^(٤) ، وكذلك تقديم اللعين على الكافرين في كل موضع ، والطائع على الماصي ، وأصحاب اليمين عن أصحاب الشمال .

ومنها شرف العلم ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٥) .

ومنها شرف الحياة ، كقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾^(٧) . وأما تقديم اللوت في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾^(٨) ، فن تقدم سبق بالوجود ، وقد سبق .

ومنها شرف المعلوم ؛ نحو : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾^(٩) ، فإن علم النبيات أشرف من المشاهدات .

ومنه : ﴿ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ ﴾^(١٠) . ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾^(١١)

(٢) سورة النازعات ٣٣

(٤) سورة الأعراف ٨٧

(٦) سورة الروم ١٩

(٨) سورة الملك ٢

(١٠) سورة الأنعام ٦

(١) سورة النور ٤١

(٣) سورة البقرة ٢٧

(٥) سورة الزمر ٩

(٧) سورة فاطر ٢٢

(٩) سورة المؤمنون ٩٢

(١١) سورة التين ٤

وأما قوله : ﴿ قَاتِلْهُمْ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ ^(١) ، أى من السرّ ، فمن ابن عباس وغيره : السرّ : ما أسررت في نفسك ، وأخفى منه ما لم تحدث به نفسك ، مما يكون في عدو الله فيها سواء ، ولا شك أن الآتى أبلغ ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه أفضل تفضيل يستلزم مفضلا عليه ، علم حتى يحقق في نفسه ، فيكون حينئذ تقديم السرّ من النوع الأول .
وثانيهما : مراعاة دعوس الآى .

ومنها شرف الإدراك ، كتقديم السمع على البصر ، والسمع على البصير ؛ لأن السمع أشرف على أرجح القولين عند جماعة ، وقدم القلب عليهما في قوله تعالى : ﴿ خَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى بَصَرِهِمْ وَخَفَى أَبْصَارُهُمْ غِشَاوَةً ﴾ ^(٢) ، لأن الحواس خدمة القلب ، وموصلة إليه ؛ وهو المقصود ؛ وأما قوله : ﴿ وَخَمَّ عَلَى سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِ ﴾ ^(٣) ، فأخر القلب فيها ؛ لأن العناية هناك بذم المتصامتين عن السماع ؛ ومنهم الذين كانوا يعملون القطن في آذانهم حتى لا يسموا ، ولهذا صدرت السورة بذكرهم في قوله : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ ^(٤) .
ومنها شرف الجزاء ، كقوله : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ ^(٥) .

ومنها شرف الموم ؛ فإن المأمّ أشرف من الخاص ، كتقديم الغفور على الغفور ؛ أى غفور عمّا لم يؤخذنا به مما نستحقّه بذنوبنا ، غفور لما واخذنا به في الدنيا ، قَبِلْنَا وَرَجَعْنَا إِلَيْهِ ؛ فتقدم الغفور على الغفور ، لأنه أعمّ ، وأخرت للنفرة لأنها أخصّ .

(٢) سورة البقرة ٧

(٤) سورة البقرة ٧ ، ٨

(١) سورة طه ٧

(٣) سورة البقرة ٢٣

(٥) سورة الأنعام ١٠

ومنها شرف الإباحة للإذن بها، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ السُّعَدَ كُفْرًا﴾^(١)، وإنما تقديم الحرام في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾^(٢) فلزيادة في التشنيع عليهم، أو لأجل السياق؛ لأن قبله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا حَلَالًا﴾^(٣). ثم ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾^(٤).

ومنها الشرف بالفضيلة، كقوله تعالى: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾^(٥).

وقوله: ﴿وَمِنْكُمْ نُوْحٌ﴾^(٦).

وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾^(٧) الآية.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾^(٨).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٩).

وقوله: ﴿رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(١٠) في الأعراف والشعراء، فإن موسى استأثر

باصطفائه تعالى له بكنيته، وكونه من أولى المرزوم.

فإن قلت: فقد جاء هارون وموسى في سورة طه بتقديم هارون؟

قلنا: لتناسب رؤوس الأبي.

ومنه تقديم جبريل على ميكائيل في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(١١) لأن جبريل صاحب الوحي والدم، وميكائيل

(١) سورة النحل ١١٦	(٢) سورة يونس ٥٩
(٣) سورة النحل ١١٤	(٤) سورة البقرة ١٧٣
(٥) سورة النساء ٢٣	(٦) سورة الأحزاب ٧
(٧) سورة الفتح ٦٩	(٨) سورة الأنبياء ٤٨
(٩) سورة يونس ٧٥	(١٠) سورة الأعراف ١٢٢، والشعراء ٤٨
(١١) سورة البقرة ٩٨	

صاحب الأرزاق ، والخيرات النفسانية أفضلُ من الخيرات الجسمانية .
ومنه تقديم المهاجرين في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ ^(٢) ، ويدل على فضيلة
المهجرة قوله صلى الله عليه وسلم : «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار» ، وبالأية احتج
الصدّيق على تفضيلهم وتعيين الإمامة فيهم .

ومنه قوله : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ^(٣) ، فإن الصلاة أفضل من السلام .
وقوله : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ ﴾ ^(٤) ، قدم
القريب لأن الصدقة عليه أفضل من الأجنبي .

ومنه تقديم الوجه في قوله تعالى : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ ^(٥) .
وتقديم اليمين على الشمال في نحو : ﴿ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ ^(٦) ، ﴿ عَنِ الْيَمِينِ
وَعَنِ الشِّمَالِ ﴾ ^(٧) .

ومنه تقديم النفس على الأموال في قوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ ^(٨) . وأما تقديم الأموال في سورة الأنفال في قوله : ﴿ وَجَاهِدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٩) ، فوجه التقديم أن الجهاد يستدعي تقديم إنفاق
الأموال ، فهو من باب السبق بالسببية .

ومنه : ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ ^(١٠) ، فإن الحلق أفضل من التقصير .

(٢) سورة التوبة ١٠٠

(٤) سورة البقرة ١٧٧

(٦) سورة سبأ ١٥

(٨) سورة التوبة ١١١

(١٠) سورة النحل ٢٧

(١) سورة التوبة ١١٧

(٣) سورة الأحزاب ٥٦

(٥) سورة المائدة ٦

(٧) سورة المارج ٣٧

(٩) سورة الأنفال ٧٢

ومنه تقديم السموات على الأرض، كقوله: ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَٰحَقُّ ﴾^(١) وهو كثير، وكذلك كثيرا ما يقع « السموات » بلفظ الجمع، و « الأرض » لم تقع إلا مفردة .

وأما تأخيرها عنها في قوله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٢)؛ فلأنه لما ذكر المخاطبين، وهو قوله: ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾^(٣)، وهو خطاب لأهل الأرض، وعلمهم يكون في الأرض؛ وهذا بخلاف الآية التي في سبأ؛ فإنها منتظمة في سياق علم الغيب .

وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٤) .
وأما تأخيرها عنها في قوله: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾^(٥)؛ فلأن الآية في سياق الوعد والوعيد؛ وإعما هو لأهل الأرض .
وكذا قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾^(٦) .

ومنه تقديم الإنس على الجن في قوله: ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ... ﴾^(٧) الآية .

وقوله: ﴿ قَبِيضٌ مِثْلُ لَا يُسَالُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾^(٨) :

وقوله: ﴿ لَمْ يَطْلُبْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾^(٩) .

وقوله: ﴿ وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَنَا قَوْلَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَىٰ أَهْلِ كَذِبًا ﴾^(١٠) .

(٢) سورة يونس ٦١

(٤) سورة الزمر ٦٧

(٦) سورة الإسراء ٨٨

(٨) سورة الرحمن ٦

(١) سورة النكبات ٤٤

(٣) سورة آل عمران ٥

(٥) سورة إبراهيم ٤٨

(٧) سورة الرحمن ٣٩

(٩) سورة الجن ٥

وقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾^(١) .

وأما تقديم الجن في مواضع أخر، كقوله : ﴿ يَأْمُرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ﴾^(٢) ؛ فلا نهم أقدم في الخلق ، فيكون من النوع^(٣) الأول - أعنى التقديم بالزمان - ولهذا لما أخر في آية الحجر صرح بالقبلية بذكر الإنسان ، ثم قال : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٤) .

وبجوز أن يكون في الأمثلة السالفة من باب تقديم الأهمب ؛ لأن خلقها أغرب ، كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾^(٥) .

أولأنهم أقوى أجساماً ، وأعظم أقداماً ولهذا قدموا في : ﴿ يَأْمُرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ﴾^(٦) فإن استطعتم أن تتفقدوا من أقطار السموات والأرض^(٧) ، وفي : ﴿ وَخَيْرَ لَسْيَانٍ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ﴾^(٨) .

ومنه تقديم السجدة على الراكعين في قوله : ﴿ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾^(٩) ، وسبق فيه شيء آخر .

ومنه تقديم الخليل على البغال ، والبغال على الخير في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْخَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾^(١٠) .

ومنه تقديم الذهب على الفضة في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾^(١١) .

(٢) سورة الأنعام ١٣٠

(١) سورة الرحمن ١٤ ، ١٥

(٣) سبق السلام عليه في ص ٢٣٩ من هذا الجزء . (٤) سورة الحجر ٢٩

(٦) سورة الرحمن ٣٣

(٥) سورة النور ٤٥

(٨) سورة آل عمران ٤٣

(٧) سورة النمل ١٧

(١٠) سورة التوبة ٣٤

(٩) سورة النحل ٨

فإن قلت : فهل يجوز أن يكون من تقديم للذكر على اللؤث ؟

قلت : هيئات ، القعب أيضاً مؤنث ، ولهذا يصنّر على ذهنية كـ « قدّم » .

ومنه تقديم الصّوف في قوله : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ﴾^(١) ؛ ولهذا احتجّ به بعض الصوفية على اختيار لبس الصوف على غيره من اللباس ؛ وأنشعار اللانكة في قوله : ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾^(٢) قيل : سيّام يومئذ الصّوف . وعن عليّ : الصّوف الأبيض ؛ رواه أبو نعيم في مدّح الصّوف ، وقال : إنشعار الأنبياء . وقال ابن مسعود : كانت الأنبياء قبلكم يلبسون الصّوف ؛ وفي الصحيح في موسى عليه السلام : « عليه عباة » .

ومنه تقديم الشمس على القمر في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾^(٤) ، ولهذا قال تعالى : ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا ﴾^(٥) ؛ والحكمة بقولون : إن نور القمر مستمدّ من نور الشمس ، قال الشاعر :

يَا مُتَرَفِّعًا بِالْخُسْنِ وَالشَّكْلِ مَنْ دَلَّ عَيْفِيكَ عَلَى قَتْلِي
الْبَدْرُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورُهُ وَالشَّمْسُ مِنْ نورك تَسْتَعْلِي

وأما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَكَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِيفًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾^(٦) فيحتل وجهين : مناسبته ووسايل أو أن ارتفاع أهل السموات به أكثر . قال ابن الأنباري : يقال : إن القمر وجهه يضيء لأهل الشمس ،

(١) سورة النحل ٨٠

(٢) سورة آل عمران ١٢٥ من قوله تعالى . ﴿ يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ .

(٣) سورة الحج ١٨ من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ... ﴾ . (٤) سورة الفرقان ٦١

(٥) سورة نوح ١٥ ، ١٦

(٦) سورة يونس ٥

وظهره إلى الأرض ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فِيهِ ﴾ لما كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء .

الثامن

الغلبة والكثرة

كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْذُنِ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، قدم الظالم لكثرته ، ثم للمقتصد ، ثم السابق .

وقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ^(٢) .

﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ ^(٣) .

﴿ الْغَابِثَاتُ لِغَيْبَتِنَ وَالْغَابِثُونَ لِغَيْبَاتِ وَالْعَالِيَّاتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ ^(٤) .

وجعل منه الزمخشري : ﴿ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ ^(٥) يعنى بدليل قوله :

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٦) وحديث بعث النار .

وأما قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ ^(٧) ، قدم ذكر العذاب

لكون الكلام مع اليهود الذين كفروا بيسى وراموا قتله .

وجعل من هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ﴾ ^(٨) ؛ لأن السرقة

في الذكور أكثر .

وقدم في الزنى للمرأة قوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾ ^(٩) لأن الزنى فيهن أكثر . وأما قوله :

(٢) سورة هود ١٠٥

(١) سورة طه ٣٢

(٤) سورة النور ٢٦

(٣) سورة آل عمران ١٥٢

(٥) سورة التباين ٢

(٦) سورة يوسف ١٠٣ ؛ وانظر الكشاف : ٤٣٧

(٨) سورة المائدة ٣٨

(٧) سورة آل عمران ٥٦

(٩) سورة النور ٢

﴿الزَّانِي لَا يَنْفِكُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْفِكُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾^(١).
 قال الزمخشري: سبقت الآية التي قبلها لعقوبتهما على ما جئنا؛ والراعى للمادة التي نشأت منها
 الخيانة^(٢)؛ لأنها لو لم تَطْمَع الرجل، [ولم تومض له]^(٣) وتمكّنه لم يطمع ولم يمتكّن،
 فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بدأ بذكرها، وأما الثانية فسوقه لذكر النكاح، والرجل
 أصل، [فيه]^(٤) لأنه هو الراغب والمخاطب يبدأ الطلب^(٥).

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُلُ مِنْ أَنْبَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾^(٦)، قال
 الزمخشري: قدم غض البصر؛ لأن النظر يربد الزنى، ورائد الفجور، والبلى به أشد
 وأكثر، ولا يكاد يُقدَّر على الاحتراز منه^(٧).

ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن، ولهذا ورد: «إن رحمتي
 غلبت غضبي».

وأما تقديم التعذيب على المنفرة في آية اللائلة^(٨) فليس لي.
 ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾^(٩)، قال
 ابن الحاجب في أماليه: إنما قدم الأزواج لأن التصود الإخبار أن فيهم أعداء، ووقع
 ذلك في الأزواج أقدم منه في الأولاد؛ فكان أقصد في المعنى للرادِّ قَدَمَ، ولذلك قدمت
 الأموال في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(١٠)، لأن الأموال لا تنكاد
 تقاربها الفتنة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾^(١١). ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا﴾^(١٢).
 فيها^(١٣)؛، وليست الأولاد في استلزام الفتنة مثلها، وكان تقدمها أولى.

(٢) الكشاف: «الجنابة».

(٤) الكشاف: ٣: ١٦٨.

(٦) الكشاف: ٣: ١٨١.

(١) سورة النور ٣.

(٣) من الكشاف.

(٥) سورة النور ٣٠.

(٧) وهو قوله تعالى في الآية ١١٨: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَلَهُمْ فِتْنَةٌ

(٨) سورة التباين ١٤.

أَنْتَ الْغَزِيْرُ الْحَكِيْمُ».

(١٠) سورة الملق ٦، ٧.

(٩) سورة التباين ١٥.

(١١) سورة الإسراء ١٦.

التاسع

سبق ما يقتضى تقديمه

وهو دلالة السياق ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُزَيَّعُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ ﴾^(١) ؛ لما كان إسراحها وهى رخاس ، وإدراجها وهى بطنان ، قدم الإراحة لأن الجلال بها حينئذ أنفر .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِّلْمَآكِينِ ﴾^(٢) ، لأن السياق فى ذكر مريم وقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ أَهْصَنَتْ فَزَجَّاهَا ﴾^(٣) ، ولذلك قدم الابين فى غير هذا المكان ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّمَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ فَفَقَّهْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(٥) ؛ فإنه قدم الحكم مع أن العلم لا بد من سبقه للحكم ؛ ولكن لما كان السياق فى الحكم قدمه ، قال تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخُذُكَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَمٌّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾^(٦) ، ويحتمل أن للراد بالحكم الحكمة ، وبها فسر الزمخشري قوله تعالى فى سورة يوسف : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(٧) ؛ وأما تقديم الحكيم على المليم فى سورة الأنعام^(٨) ، فلا أنه مقام تشريع الأحكام ، وأما فى أول سورة يوسف فتقدم المليم على الحكيم^(٩) ، كقوله فى آخرها : ﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ .

(١) سورة الأنبياء ٩١

(٢) سورة الأنبياء ٢٩

(٣) سورة يوسف ٢٢

(٤) سورة النحل ٦

(٥) سورة المؤمنون ٥٠

(٦) سورة الأنبياء ٧٨

(٧) وهو قوله تعالى فى آية ٨٣ : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .

(٨) وهو قوله تعالى فى آية ٦ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ومنه تقديم الحو على الإثبات في قوله : ﴿ يَسْخَرُ اللَّهُ مَا بَشَأُ وَيُبَيِّنُ ﴾^(١) ، فإن قبله : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾^(٢) . ويمكن أن يقال : ما يقع عليه الحو أقل مما يقع عليه غيره ، ولا سيما على قراءة تشديد « يُبَيِّنُ » ؛ فإنها ناصة على الكثرة ، والراد به الاستمرار لا الاستثناف .

وقوله : ﴿ وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَوِّقُ أَلْفُقَ بِكَلِمَاتِهِ ﴾^(٣) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا ﴾^(٤) ، قدم « رسلا » هنا على « مِنْ قَبْلِكَ » وفي غير هذه^(٥) بالعكس ؛ لأن السياق هنا في الرسل . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَفْقِضُ وَيَبْسُطُ ﴾^(٦) ، قدم القبض لأن قبله ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرَضًا حَسَنًا كَيْضًا عَفَى لَهُ أَضْمًا كَثِيرَةً ﴾^(٧) ، وكان هذا بسطا ، فلا يناسب تلاوة البسط ، فقدم القبض لهذا ، وللتغريب في الإغراق ؛ لأن المتع من سببه خوف القلة ، فبين أن هذا لا يتبعه ، فإن القبض مقدر ولا بد .

الماشر

مراعاة اشتقاق اللفظ

كقوله : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾^(٨) .
﴿ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾^(٩) .
﴿ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾^(١٠) .

(٢) سورة الرعد ٣٨

(١) سورة الرعد ٣٩

(٣) سورة الشورى ٢٤

(٤) وهو قوله تعالى في سورة الروم ٤٧ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ ﴾ .

(٦) سورة المدثر ٣٧

(٥) سورة البقرة ٢٤٥

(٨) سورة القيامة ١٣

(٩) سورة الانططار ٧

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾^(١).

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾^(٢).

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾^(٣).

وأما قوله : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٤) ، قدّم
نقّي التأخير ؛ لأنه الأصل في الكلام ، وإنما ذكر التقدم مع عدم إمكان التقدم ، فنياً
لأطراف الكلام كله .

وكقوله : ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٦) .

﴿فِي الْأُمُورِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٧) :

﴿لَهُ الْخَلْقُ فِي الْأَوَّلَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(٩) .

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١٠) .

فإن قلت قد جاء : ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَسْكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾^(١١) . ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ
مَا تَمَنَّى﴾ . فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ^(١٢) .

قلت : لمناسبة رءوس الآي .

(٢) سورة الواقعة ٤٩ ، ٥٠ .

(٤) سورة النحل ٦١ .

(٦) سورة الأعراف ٢٩ .

(٨) سورة القصص ٧٠ .

(١٠) سورة البقرة ٢٢٠ .

(١٢) سورة النجم ٢٤ ، ٢٥ .

(١) سورة الواقعة ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) سورة الحجر ٢٤ .

(٥) سورة البروج ١٣ .

(٧) سورة الروم ٤ .

(٩) سورة الحديد ٣ .

(١١) سورة النازعات ٣٥ .

ومثله : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَعَلْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾^(١) ، ولأن الخطاب لم ، فقدّموا .

الحادى عشر

للبحث عليه خيفة من التهاون به

كتقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين ، فى قوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْمِىَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾^(٢) ، فإن وفاء الدين سابق على الوصية ، لكن قدّم الوصية ، لأنهم كانوا يتساهلون بتأخيرها ، بخلاف الدين .

ونظيره : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً ﴾^(٣) ، قدّم الإناء حشاً على الإحسان إليهم .
وقال السبيلى فى « التناجى »^(٤) : إنما قدّمت الوصية لوجهين :
أحدهما : أنها قرّبة إلى الله تعالى ، بخلاف الدين الذى تموّذ الرسل منه ،
فبدئ بها للفضل .

والثانى : أن الوصية للميت ، والدين لغيره ، ونفسك قبل نفس غيرك ، تقول : هذا لى وهذا لغيرى ، ولا تقول فى نصيح الكلام : هذا لغيرى وهذا لى

الثانى عشر

لتحقق ما بعده واستغنائه هو عنه فى تصوّره

كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾^(٥) .

(٢) سورة النساء ١١

(١) سورة المرسلات ٣٨

(٤) تنائج الفكر فى علل التنجيز ذكر فيه أن الإعراب

(٣) سورة الشورى ٤٩

مراقبة إلى علوم الكتاب ، ورتبه على ترتيب أبواب الجمل . قاله صاحب كشف الظنون .

(٥) سورة مريم ٩٦

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا ﴾ ^(٢) .

الثالث عشر

الاهتمام عند الخطاب

كقوله : ﴿ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِمَّا أَوْرَدُوهَا ﴾ ^(٣) .

ونظيره قوله عليه السلام : « وَأَنْ تَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَهُ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْهُ » .

وقوله : ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّائِغِينَ ﴾ ^(٤) لفضل الصدقة على القريب .

وكقوله : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾ ^(٦) ، تقدم الكفارة على الدية ، وعكس في قتل الماهد حيث قال : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ ^(٧) .

قال الماوردي في « الحاوي » ^(٨) : ووجهه أَنَّ السِّلْمَ يَرَىٰ تَقْدِيمَ حَقِّ اللَّهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَالْكَافِرَ يَرَىٰ تَقْدِيمَ نَفْسِهِ عَلَىٰ حَقِّ اللَّهِ ، قَالَ : وَقَالَ ابْنُ أَبِي هُرَيْرَةَ ^(٩) : إِنَّمَا خَالَفَ بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَجْعَلْهُمَا عَلَىٰ نَسْقٍ وَاحِدٍ ؛ لِثَلَا بَلَعَقَ بَهُمَا مَا بَيْنَهُمَا مِنْ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ فِي دَارِ الْحَرْبِ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدَوِّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ ^(١٠) ، فَضُمَ إِلَيْهِ الدِّيَّةُ لِلصَّاقَا بِأَحَدِ الطَّرَفَيْنِ ، فَازَالَ هَذَا الْإِحْتِمَالَ بِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ .

(١) سورة الأعراف ١٥٣

(٢) سورة الأنفال ٤١

(٣) سورة فصلت ٣٣

(٤) سورة النساء ٨٦

(٥) سورة النساء ٩٢

(٦) الحاوي الكبير في الفروع قاضي أبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري الشافعي المتوفى سنة ٤٥٠ ، ذكره صاحب كشف الظنون . وقال : « وَهُوَ كِتَابٌ عَظِيمٌ فِي عَشْرَةِ جُلُودَاتٍ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ ثَلَاثُونَ جُلُودًا ثُمَّ يُوَلَّفُ فِي الْقَتَبِ مِثْلَهُ » .

(٧) هو أبو علي الحسن بن الحسين الشافعي ، عرف بابن أبي هريرة ، شرح مختصر المزني ؛ ومات سنة ٣٤٥ . طبقات الشافعية ٢ : ٢٠٦

وقال الفقيه نجم الدين بن الرُّفَّة^(١) : يحتمل أن يقال : إنه لما كان الكفر يَهْدِرُ الدماء وهو موجود ، كان الناية يَنْزِلُ الدم عند العصمة لأجل الميثاق أتم ، لأنه يُنْمَضُ حُكْمُهُ ، فلذلك قدمت الذِّبَةُ فيه ، وأُخِرَتِ الكفارة ، لأن حكمها قد سبق . ولما كانت عصمةُ السليم ثابتة ، وقياس الأصول أنه لا تجب الكفارة في قتل الخطأ ، لأنه لا إثم فيه ، خصوصاً على السليمن لرفع القلم عن الخطأ ، كانت العناية بذكر الكفارة فيه أتم ؛ لأنها التي تَنْفُضُ ، قَدْ دَمَتْ .

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ فَاتَّبَعَ سَبَبًا . حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾^(٢) قيل : لما بدأ بالمغرب قبل للشرق ، وكان مسكن ذى القرنين من ناحية للشرق ؟ قيل : لتصد الاهتمام ، إما لتمرّد أهله وكثرة طغيانهم في ذلك الوقت ، أو غير ذلك بِمَالِيَّتِهِ إِيْتَاغِلُهُ . ومن هذا أنَّ تأخر اللقصود بالملح والدم أَوْلَىٰ مِنْ تَقْدِيمِهِ ؛ كقوله : نعم الرجل زيد ، أحسن من قولك : زيد نعم الرجل ، لأنهم يقدّمون الأتم ، وهم في هذا يذكر الملح والدم أهم . فأما تقديمه في قوله تعالى : ﴿ نِعَمَ الْمَبْدُ لَهُ أَوْابٌ ﴾^(٣) ، فإنَّ المدح هنا به « نعم المبد » هو سليمان عليه السلام ، وقد تقدّم ذكره . وكذلك أيوب في الآية الأخرى والمخصوص بالمدح في الآيتين ضمير سليمان وأيوب ، وتقديره : نعم المبد هو إنه أواب .

الرابع عشر

للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد

كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾^(١) ، على القول بأن « الله » في موضع للمفعول الثاني لـ « جعل » ، و « شركاء » مفعول أول ، ويكون « الجن » في كلامه ثانٍ مقدر ،

(١) هو أحمد بن علي ، المروفي بإبن الرقة إمام الشافعية في عصره . وانظر ترجمته في طبقات

(٢) سورة الكهف ٨٥ ، ٨٦

الشافعية ٥ : ١٧٧ - ١٧٨

(٣) سورة الأنعام ١٠٠

(٣) سورة ص ٣٠ ، ٤٤

كانه قيل : فمن جعلوا شركاء ؟ قيل : الجن ؛ وهذا يقتضى وقوع الإنكار على جملهم « لله شركاء » على الإطلاق ، فيدخل مشركه غير الجن ولو آخر قليل : وجعلوا الجن شركاء لله ، كان الجن مفعولا أولا ، وشركاء ثانيا ، فتكون الشركة مقيدة غير مطلقة ؛ لأنه جرى على الجن ، فيكون الإنكار توجه لجمل المشاركة للجن خاصة ، وليس كذلك وفيه زيادة سبقت .

الخامس عشر

للتنبية على أن السبب مرتب

كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ ^(١) قدم الجباه ثم الجنوب ؛ لأن مانع الصدقة في الدنيا كان بصرف وجهه أولا عن السائل ، ثم ينوء بجانبه ، ثم يتولى بظهره .

السادس عشر

التنقل

وهو أنواع : إما من الأقرب إلى الأبعد ، كقوله : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ ^(٢) قدم ذكر الخاصين على من قبلهم ، وقدم الأرض على السماء . وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ^(٣) ، قصد الترقى .

وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾^(١) .
 وإما بالعكس كقوله في أول الجاثية : ﴿ إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ﴾^(٢) .
 وإما من الأعلى ، كقوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٣) .
 وقوله : ﴿ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ ﴾^(٤) .
 وإما من الأدنى ، كقوله : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾^(٥) .
 وقوله : ﴿ مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾^(٦) .
 وقوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِيقَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٧) .
 فإن قلت : لم لا اكتفى بنبي الأدنى ، ليعلم منه نبي الأعلى بطريق الأولى ؟ قلت :
 جوابه بما سبق من التقديم بالزمان .
 وكقوله : ﴿ وَلَا يَرْتَابُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۝ ١٠٠ ﴾^(٨) الآية ،
 وبهذا يبين فساد استدلال المنزلة على تفضيل الملك على البشر بقوله : ﴿ لَنْ يَسْتَنكِفَ
 الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾^(٩) فإنهم زعموا أن سياقها يقتضي الترقى من الأدنى إلى
 الأعلى ، إذ لا يحسن أن يقال : لا يستنكف فلان عن خدمتك ، ولا من دونه بل ولا
 من فوقه .

وجوابه أن هؤلاء لما عبدوا المسيح ، واعتقدوا فيه الولدية لما فيه من القدرة على الخوارق

(٢) سورة الجاثية ٣ ، ٤

(٤) سورة هود ٤٩

(٦) سورة الكهف ٤٩

(٨) سورة المائدة ٣١

(١) سورة المؤمنون ٨٦

(٣) سورة آل عمران ١٨

(٥) سورة التوبة ١٢١

(٧) سورة البقرة ٢٥٥

(٩) سورة النساء ١٧٢

والمعجزات ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأكف والأبرص وغيره ؛ ولكونه خَلِقَ من غير تراب . والتزهيدُ في الدنيا وغالب هذه الأمور هي لللائكة أتم ، وهم فيها أقوى ، فإن كانت هذه الصفات أوجبت عبادته ، فهو مع هذه الصفات لا يستكف عن عبادة الله ، بل ولا مَنْ هو أكبر منه في هذه الصفات ، للترقى من الأدنى إلى الأعلى في التصود ؛ ولم يلزم منه الشرف المطلق والفضيلة على المسيح .

السابع عشر الترقى

كقوله : ﴿ أَلَمْ نَأْرِجْلُ يَمْشُونَ يَا أُمُّ لَهْمَ أَيْنِدُ يَبْطِشُونَ بِهَا ۝ ۱۰۰ ﴾ ^(١) الآية ؛ فإنه سبحانه بدأ منها بالأدنى لفرض الترقى ؛ لأن منفعة الرابع أتم من منفعة الثالث ، فهو أشرف منه ، ومنفعة الثالث أتم من منفعة الثاني ، ومنفعة الثاني أتم من منفعة الأول ، فهو أشرف منه .

وقد قُرِنَ السمع بالعقل ولم يقرَن به البصر في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۚ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ۚ ﴾ ^(٢) ، وما قُرِنَ بالأشرف كان أشرف ؛ وحكى ذلك عن علي بن عيسى الربى .

قال الشيخ أبو الفتح القشيري :

فإن قيل : قد كان الأولى أن يقدم الوصف الأعلى ، ثم مادونه ، حتى ينتهي إلى أضعفها ؛ لأنه إذا بدأ بسلب الوصف الأعلى ، ثم بسلب مادونه ، كان ذلك أبلغ في الذم ؛

لأنه لا يلزم من سلب الأعلى سلب ما دونه ، كما تقول : ليس زيد بسلطان ، ولا وزير ، ولا أمير ، ولا والٍ . ولا غرض من الآية للمائلة في الذم .

قلت : ما ذكرته طريقة حسنة في علم اللغوي ، والمقصود من الآية طريقة أخرى ، وهي أنه تعالى أثبت أن الأصنام التي تعبد الكفار أمثال الكفار ، في أنها مقهورة مربوبة ، ثم حطها عن درجة المثلية بنفى هذه الصفات الناجية للكفار عنها . وقد علمت أن للمائلة بين القوتين الثنائية إنما تكون باعتبار الصفات الجامعة بينهما ؛ إذ هي أسباب في ثبوت المائلة بينهما ، وتقوى المائلة بقوة أسبابها ، وتضعف بضعفها ، فإذا سلب وصف ثابت لإحدى الثنتين عن الأخرى اتقى وجه من المائلة بينهما ، ثم إذا سلب وصف من الأول اتقى وجه من المائلة أقوى من الأول ، ثم لا يزال يسلب أسباب المائلة ، أقواها فأقواها ؛ حتى تنقضي المائلة كلها بهذا التدرج . وهذه الطريقة ألفت من سلب أسباب المائلة ؛ أقواها ثم أضعفها فأضعفها .

الثامن عشر

مراعاة الأفراد

فإن المفرد سابق على الجمع ، كقوله تعالى : ﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ ﴾ ^(١) . وقوله : ﴿ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ ^(٢) ؛ ولهذا لما عبر عن المال بالجمع أخر عن البنين في قوله : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ ^(٣) .

(٢) سورة المؤمنون ٥٥

(١) سورة الكهف ٤٦

(٣) سورة آل عمران ١٤

ومنه تقديم الوصف بالفرد على الوصف بالجملة ، في قوله : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ ﴾^(٢) .

التاسع عشر

التحذير منه والتنفير عنه

كقوله تعالى : ﴿ الْزَّانِي لَا يَنْسَكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾^(٣) ، قرن الزنى بالشرك وقدمه .

وقوله : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾^(٤) ، قدمهن في الذكر ؛ لأن الحنة بهن أعظم من الحنة بالأولاد ، وفي صحيح مسلم^(٥) : « مَا تَرَكَتُ بَعْدِي [في الناس]^(٦) فَتَنَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ » . ومن الحكمة العظيمة أنه بدأ بذكر النساء في الدنيا ، وختم « الْحَرْثِ » وهما طرفان متشابهان ، وفيهما الشهوة للمعاش الدنيوي ، ولما ذكر بعد ذلك ما أعدّه للمتقين آخر ذكر الأزواج كما يجب في الترتيب الأخروي ، وختم بالرضوان . وكما في القرآن من مثل هذا العجب إذا حضر له الذهن ، وفرغ له الفهم ! ومنه تقديم نفي الولد على نفي الوالد ، في قوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾^(٧) ، فإنه لما وقع في الأول منازعة الكفرة وتقولم اقتضت الرتبة بالطبع تقديمه في الذكر ، اعتناء به ، قبل التنزيه عن الوالد الذي لم ينزع فيه أحد من الأم .

العشرون

التخويف منه

كقوله تعالى : ﴿ فِيهِمْ شِقَئٌ وَبَعِيدٌ ﴾^(٨) ، ونظائره السابقة في الثامن .

(٢) سورة الأنبياء - ٥٠

(٤) سورة آل عمران ١٤

(٦) تكملة من صحيح مسلم

(٨) سورة هود ١٠٥

(١) سورة غافر ٢٨

(٣) سورة النور ٣

(٥) صحيح مسلم ٢ : ٢٩٨

(٧) سورة الإخلاص ٣

الحادى والعشرون

التصويب من شأنه

كقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾^(١) .
قال الزمخشري : قدم^(٢) الجبال على الطير ؛ لأن تسخيرها له وتسييحها أعجب وأدلّ
على القدرة ، وأدخل في الإعجاز ؛ لأنها جاد ، والطير حيوان ناطق .
قال ابن النحاس^(٣) : وليس مراد الزمخشري : « ناطق » ما يراد به في حدّ الإنسان .

الثانى والعشرون

كونه أدلّ على القدرة

كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴾^(٤) .

والثالث والعشرون

قصد الترتيب

كما في آية الوضوء ، فإن إدخال المسح بين الفسلتين ، وقطع النظر عن النظير مع مراعاة
ذلك في لسانهم ، دليل على قصد الترتيب .

(٢) الكشف ٣ : ١٠١

(٢) سورة الأنبياء ٧٩

(٣) لعله محمد بن إبراهيم بهاء الدين بن النحاس الحلبي شيخ الديار المصرية ، المتوفى سنة ٦٩٨

(٤) سورة النور ٤٥

وافظر بنية الوعاء ٦

وكذلك البداءة في العفا بالسعى . ومثله الكفارة المرتبة في الظهار والقتل .
وهنا قاعدة ذكرها أصحابنا ، وهي أن الكفارة المرتبة بدأ الله فيها بالأغلظ ، والخيرة
بدأ فيها بالأخف ، كما في كفارة اليمين ، ولها حلوا آية الحاربة في قوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ
الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا ۖ ﴾^(١) ، الآية
على الترتيب لا التخيير ؛ لأنه بدأ فيها بالأغلظ طرداً لقاعدة ، خلافاً لما لك حيث جعلها
على التخيير .

الرابع والمشرون

خفة اللفظ

كافي قولهم : ربيعة ومضر ؛ مع أن مضر أشرف لكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم .
لأنهم لو قدموا مضر لتوالت حركات كثيرة ، وذلك ينقل ، فإذا قدموا ربيعة ووقفوا
على مضر ، بسكون الراء ، نقص النقل لقلة الحركات المتوالية .
وقد يكون تقديم الإنس على الجن من ذلك ؛ فالإنس أخف لمكان النون
والسين المهموسة .

الخامس والمشرون

رعاية القواصل

كتأخير الغفور في قوله : ﴿ لَعَنُوا غُفُورًا ﴾^(٢) ، وقوله ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾^(٣) ،

(٢) سورة الحج ٦٠

(١) سورة اللائدة ٣٣

(٣) سورة مريم ٥٤

وإن كانت القاعدة في علم البيان تأخير ما هو الأبلغ، فإنه يقال: عالم تحرير، وشجاع باسل، وسبق له نظائر.

وكقوله: ﴿ خذُوهُ قَتْلُوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾^(١)، ولو قال: صَلُّوهُ الْجَحِيمَ لِأَنَّهُ
اللعن، ولكن يفوت الجمع.

وقيل: فائدته الاختصاص:

وقوله: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾^(٢)، قدم « إياه » على « تعبدون » لمشكلة
رموس الآي.

تنبية

قد يكون في كل واحد مما ذكرنا من الأمثلة سببان فأكثر للتقديم، فلما أن يعتد
إعادة الكل، أو يرجع بعضها لكونه أم في ذلك الحل. وإن كانت الأخرى أم
في محل آخر. وإذا تمارست الأصباب روعي أقواها، فإن تساوت كان التسليم بالخيار
في تقديم أي الأمرين شاء.

النوع الثاني

مما قدم النية به التأخير

فنه ما يدل على ذلك الإعراب، كتقديم الفعل على الفاعل في محو قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ
اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمَلَأَ ﴾^(٣)، و ﴿ لَنْ يَبَالَّ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا ﴾^(٤)، ﴿ وَإِذْ أَبْسَلْ

(٢) سورة النحل ١١٤

(٤) سورة الحج ٣٧

(١) سورة المائدة ٣٠ ، ٣١

(٣) سورة طه ٢٨

إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ»^(١).

ونحوه مما يجب في الصناعة النحوية كذلك ، ولكن ذلك لقصد المحصر .
كقديم المفعول . كقوله : « أَفَسِيرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ »^(٢) . « قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ »^(٣) .
وكقديم الخبر على المبتدأ في قوله : « وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنْ اللَّهِ »^(٤)
ولو قال « وَظَنُوا أَن حُصُونَهُمْ مَا نَعْتُهُمْ » لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنهيا إياهم .

وكذا : « أَرَاغِبَ أَنْتَ عَنْ آلِيهِ »^(٥) ، ولو قال : « أَنْتَ رَاغِبٌ عَنْهَا » ؟ ما أفادت
زيادة الإنكار على إبراهيم .

وكذلك : « وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا »^(٦)
ولم يقل : « فَإِذَا أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا شَاخِصَةٌ » ، وكان يستغنى عن الضمير ، لأن هذا
لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالشخص .

ومنه ما يدل على المعنى ، كقوله تعالى : « وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا »^(٧) ،
قال البغوي : هذا أول القصة ، وإن كانت مؤخرة في التلاوة .

وقال الواحدي : كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة ، وإنما أخر في الكلام
لأنه سبحانه لما قال : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ . . . »^(٨) الآية علم المخاطبون أَنَّ البقرة لا تذبح
إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم ، فلما استقرت عِلْمُ هذا في نفوسهم أتبع بقوله :
« وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا » على جهة التوكيد ، لا أنه عرفهم الاختلاف
في القاتل بعد أن دلهم على ذبح البقرة . وقيل : إنه من المؤخر الذي يراد به التقدم ،

(٢) سورة الزمر ٦٤
(٤) سورة المحصر ٢
(٦) سورة الأنبياء ٩٧
(٨) سورة البقرة ٦٧

(١) سورة البقرة ١٢٤
(٣) سورة الزمر ١٤
(٥) سورة مريم ٤٦
(٧) سورة البقرة ٧٢

وتأويله : وإذ قهقلم نسا فاذارأتم فيها فاسألتم موسى فقال لكم : ﴿ إِنْ أَفْلَحَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ .

وأما الزمخشري ففي كلامه ما يدل على أن إيرادها إنما كان يتأتى على الوجه الواقع في القرآن ، لمعنى حسن لطيف استخرجه وأبداه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾^(١) ، وأصل الكلام : « هواه إلهه » ، كما تقول : اتخذ الصنم معبوداً ، لكن قدّم المفعول الثاني على الأول للناية ، كما تقول : علمت منطلقاً زيداً ، لفضل عنايتك بانطلاقه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوهُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ . . . ﴾^(٢) الآية ، أى أنزله قتيماً ولم يجعل له عوجاً . قاله جماعة منهم الواحدى .

وردّه نفر الدين في تفسيره بأن قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾^(٣) ، معناه أنه كامل في ذاته ، وأن « قتيماً » معناه أنه مكمل لغيره ، وكونه كاملاً في ذاته ، سابق على كونه مكتملاً لغيره ؛ لأن معنى كونه « قتيماً » أنه قائم بمصالح الغير . قال : ثبت بالبرهان العقلى أن الترتيب الصحيح ما ذكر في الآية ، وما ذكر من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه . انتهى .

وهذا فهم عجيب من الإمام ، لأن القائل بالتقديم والتأخير لا يقول بأن كونه غير ذى عوج متأخر عن كونه « قتيماً » فى المعنى ، وإنما الكلام فى ترتيب اللفظ لأجل الإعراب . وقد يكون أحد العنيين ثابتاً قبل الآخر ويذكر بعده .

وأيضاً فإن هذا البحث إنما هو على تفسير القيم بالمستقيم ، فأما إذا فُسّر بالقيام على غيره فلا نسلم أن القائل يقول بالتقديم والتأخير .

وهاهنا أمران :

أحدهما : أن الأظهر جعل هذه الجملة - أعنى قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا ﴾ - من جملة صلة « الذى » وتامها ، وعلى ^(١) هذا لا موضع لها من الإعراب لوجهين ^(٢) : أحدهما أنها فى حيز الصلة ؛ لأنها معطوفة عليها . والثانى أنها اعتراض بين الحال وعاملها . ويجوز فى الجملة للذكورة أن يكون موضعها النصب ؛ على أنها حال من « الكتاب » ، والعامل فيها « أنزل » .

قاله جماعة ، وفيه نظر .

وأما قوله : « قَيِّمًا » فيجوز فى نصبه وجوه :

أحدها - وهو قول الأكثر - أنه منصوب على الحال من « الكتاب » والعامل فيه « أنزل » ، وفى الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قَيِّمًا ، ولم يجعل له عوجًا » ، فتكون الجملة على هذا اعتراضاً .

والثانى أن يكون منصوباً بفعل مقدر ، وتقديره : « ولكن جعله قَيِّمًا » ، فيكون مفعولاً للفعل للمقدر .

والثالث أن يكون حالاً من الضمير فى قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ ، وتكون حالاً مؤكدة .

واختار صاحبُ الكشف أن يكون ^(٣) « قَيِّمًا » مفعولاً لفعل مقدر كما ذكرناه ؛ لأن الجملة التى قبلها عنده معطوفة على الصلة ، و « قَيِّمًا » من تمام الصلة ، وإذا كان حالاً يكون فيه فصلٌ بين بعض الصلة وتامها ، فكان الأحسن جعله مفعولاً لمقدر .

وقال جماعة منهم ابن النثير فى تفسير البحر بعد نقله كلام الزمخشري : وعجيب من كونه لم يجعل الفاصل للذكور حالاً أيضاً ، ولا فصل ، بل هما حالان متواليان من شئ واحد ، والتقدير : أنزل الكتاب غير معوج .

(١) م : « وهذه » .

(٢) ت : « بوجهين » .

(٣) انظر الكتاب ٢ : ٤٨ .

وهذا القول - وهو جمل الجملة حالا - قد ذكره جماعة قبل ابن اللّيث . والظاهر أن الزغشريّ لم يرتضِ هذا القول ، لأنّ جمل الجملة حالا لا يفيد ما يفيد العطف ، من نفي الموجع عن الكتاب مطلقا ، غير مقيد بالإزالة وهو المقصود . فالفائدة التي هي أتمّ إنما تكون على تقدير استقلال الجملة ، كيف والقول بالتقديم والتأخير منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما ! فله الطبري وغيره .

وقال الواحدى : هو قول جميع أهل اللغة والتفسير . والزغشريّ ربما لاحظ هذا للنى ، ولم يمنع جواز غير ما قال ، لكنّ ما قال هو الأحسن .

وقال غير ابن اللّيث في الاعتراض على الزغشريّ : إن الجملة وإن كانت مستقلة فهي في حيز الصلة للعطف ، فلم يقع فصل ، ويؤيد ما ذكره صاحب الكشاف أن بعض القراء يسكت عند قوله : « عوجا » ويفصل بينه وبين « قيا » بسكتة لطيفة ، وهي رواية حفص عن عاصم ، وذلك يحتمل أن يكون لما ذكرنا من تقدير الفصل وانقطاع الكلام عما قبله . قال ابن اللّيث : وتحتمل السكتة وجهاً آخر ، وهو أن يكون ذلك رفع توهم أن يكون « قيا » نمطا لعوج ؛ لأن النكرة تستدعى التثنية غالبا ، وقد كثر في كلامهم إبلاد النكرة الجمادة نمّتها ، كقوله : « مراعاة مستقيما » ، و « قرأنا عريبا » ، فإذا وليّ النكرة الجمادة اسم مشتق نكرة ظهر فيه معنى الوصف ، فربما خيف اللبس في جمل « قيا » نمطا ل « عوج » فوقع اللبس بهذه السكتة .

وهذا أيضا فيه نظر ، لأن ذلك إنما يتوهم فيما يصلح أن يكون وصفا ، ولا يصلح « قيا » أن يكون وصفا ل « عوج » فإنّ الشئ لا بوصف بضده ؛ لأن الموجع لا يكون قيا ، والأولى ما ذكرناه أولا .

الثانى : نقل الإمام عن بعضهم أن « قِيَمًا » بدل من قوله : « عِوَجًا » ، وهو مُشْكِلٌ ، لأنه لا يظهر له وجه .

وقوله تعالى : ﴿ وَاقْدَحْتَ يَدَيْهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾^(١) ، قيل : التقدير : لقد دحمت به لولا أن رأى برهان ربه وهمَّ بها . وهذا أحسن ؛ لكن فى تأويله قلق ، ولا يحتاج إلى هذا التأويل إلا على قول من قال : إن الصفائر يجوز وقوعها منهم .

وقوله : ﴿ فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ ﴾^(٢) قيل : أصله : فبشرناها بإسحاق فضحكتم . وقيل : ضحكتم أى حاضتم بعد الكبر عند البشـرى ، فمادت إلى عادات النساء من الحيض والحمل والولادة .

وقوله : ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾^(٣) ، قدم على ما بعده ، وهو مؤخر عنه فى المعنى ؛ لأن ذلك يحصل للتوافق .

وقوله : ﴿ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴾^(٤) ، أى أحوى غناء ، أى أخضر ، يميل إلى السواد ، وللموجب لتأخير ﴿ أَحْوَى ﴾ رعاية القواصل .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾^(٥) ، قل ابن برهان النحوى : أصله : ومن يبتغ ديناً غير الإسلام .

وقوله : ﴿ وَغَرَّابِيبُ سُودَ ﴾^(٦) ، قال أبو عبيد : الغريب : الشديد السواد ، وفى السكلام تقديم وتأخير . وقال صاحب^(٧) « المعجائب والغرائب » : قال ابن عيسى :

(٢) سورة هود ٢١

(١) سورة يوسف ٢٤

(٤) سورة الأعلى ٥

(٣) سورة الكهف ٧٩

(٦) سورة فاطر ٢٧

(٥) سورة آل عمران ٨٥

(٧) هو محمود بن حمزة الكرماني المعروف بتاج القراء ؛ قال صاحب كشف الظنون : « وأورد بعض الوجوه فى الآية ، وذكر كل عجيب وغريب » .

الغريب: الذى لونه لون التراب ، فصار كأنه غراب . قال : والتراب يكون أسود وغير أسود ، وعلى هذا فلا تقدم ولا تأخير فيه .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ ^(١) على قول من يقول : إن الذِّكْرَ هنا القرآن .

وقوله : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ أَفَقَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ ^(٤) أى ففقروها ثم كذبوه فى عقرها وفى إجابتهم .

وقوله : ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ ^(٥) ، تقديره : ثم قضى أجلا وعنده

أجل مسمى ، أى وقت مؤقت .

وقوله : ﴿ فَاجْعَلِيُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ ﴾ ^(٦) أى الأوتان من الرجس .

﴿ هَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ يَرْجُوهُمْ ﴾ ^(٧) ، أى يرهبون ربهم .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنَّهُمْ حَافِظُونَ ﴾ ^(٨) ، أى الذين هم حافظون لفرجهم .

﴿ فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ ﴾ ^(٩) أى مخلف رسله وعده .

﴿ بَلَى الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ ^(١٠) ، أى بل الإنسان بصيرٌ على نفسه فى

شهود جوارحه عليه .

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ ﴾ ^(١١) ، خلق العجل من الإنسان .

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ ^(١٢) ، أى ولولا

(٢) سورة التور ٢٧

(٤) سورة الشمس ١٤

(٦) سورة الحج ٣٠

(٨) سورة المؤمنون ٥

(١٠) سورة القيامة ١٤

(١٢) سورة طه ١٢٩

(١) سورة الأنبياء ١٠٥

(٣) سورة القمر ١

(٥) سورة الأنعام ٢

(٧) سورة الأعراف ١٥٤

(٩) سورة إبراهيم ٢٧

(١١) سورة الأنبياء ٣٧

كلمة سبقت من ربك وأجل مسعى لكان العذاب لازماً لهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ ﴾ ^(١) ، أى كيف مده ربك .

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ^(٢) أى لشديد حب الخير .

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ ^(٣) أى زين للمشركين شركائهم قتل أولادهم ؛ لأن الشياطين كانوا يحسنون لهم قتل بناتهم خشية العار . وقوله : ﴿ لَسَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٥) ، أى فلا ننجيك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بها في الآخرة .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَنْعَمَهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾ ^(٦) ، تقديره : مثل الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح .

وقوله : ﴿ فَلْيَنْهَضُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمُ الْمَالِكِينَ ﴾ ^(٧) ، أى فأنهضوا أعتابهم وأصنامهم ، وكل معبود يعبدونه من دون الله .

وقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا ﴾ ^(٨) ، أى فزعوا وأخذوا ، فلا فوت ، لأن الفوت يكون بعد الأخذ .

وقوله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ النَّفَاسِيَةِ ﴾ ، بمعنى القيامة . ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ ^(٩) ؛

(٢) سورة الماديات ٨

(٤) سورة النساء ٨٣

(٦) سورة إبراهيم ١٨

(٨) سورة سبأ ١

(١) سورة الفرقان ٤٥

(٣) سورة الأنعام ١٣٧

(٥) سورة التوبة ٥٥

(٧) سورة الشعراء ٧٧

(٩) سورة النافسية ١ ، ٢

وذلك يوم القيامة . ثم قال : ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ ^(١) ، والنصب والعمل يكونان في الدنيا ، فكأنه على التقديم والتأخير ، معناه : وجوه عاملة ناصبة ويوم القيامة خاشعة ، والدليل عليه قوله : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِبَةٌ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِنَادُونَ لَمَقَّتْ أَلْفِهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسُكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ ^(٣) ، تقديره : لَمَقَّتْ أَلْفُهُ إِيَّاكُمْ فِي الدُّنْيَا حِينَ دُعِيتُمْ إِلَّا الْإِيمَانَ فَكَفَرْتُمْ ، ومقته إِيَّاكُمْ الْيَوْمَ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسُكُمْ إِذْ دُعِيتُمْ إِلَى النَّارِ .

وقوله : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْغَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْغَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ ^(٤) ، لأن الفجر ليس له سواد ، والتقدير : حتى يتبين لكم الغيط الأبيض من النجر من الغيط الأسود من الليل ؛ أي حتى يتبين لكم بياض الصبح من بنية سواد الليل .

وقوله : ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فُضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنْ ﴾ منظوم بقوله : ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴾ ^(٦) ، لأنه موضع الشامة .

وقوله : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا الْإِهِينَ اثْنَيْنِ ﴾ ^(٧) ، أي اثنين إلهين ، لأن اتخاذ اثنين يقع على ما يجوز وما لا يجوز ، و « إلهين » لا يقع إلا على ما لا يجوز ، ف « إلهين » أخص ، فكان جله صفة أولى .

(٢) سورة النافذة ٨

(٤) سورة البقرة ١٨٧

(١) سورة النافذة ٣

(٣) سورة غافر ١٠

(٥) سورة النافذ ٧٣

(٦) من قوله تعالى في سورة النساء ٧٢ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْطِفَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ .

(٧) سورة التحل ٥١

النوع الثالث

ما قدم في آية وآخر في أخرى

فمن ذلك قوله في فاتحة الفاتحة : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ﴾ وفي خاتمة الجاثية : ﴿ فَلِلهِ الْحَمْدُ ﴾ ^(١) ، فتقديم « الحمد » في الأول جاء على الأصل ، والثاني على تقدير الجواب ، فكأنه قيل عند وقوع الأمر : لمن الحمد ؟ ومن أهله ؟ فجاء الجواب على ذلك ، نظيره : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ ^(٢) .

وقوله في سورة يس : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ ^(٣) ، قدم الجورور على الرفوع ، لاشتغال ما قبله من سوء معاملة أصحاب القرية الرسل ، وإصرارهم على تكذيبهم ، فكان مظنة التتابع على مجرى العبارة ، تلك القرية ، ويبقى تخيلا في فكره : أكانت كلها كذلك ، أم كان فيها ... ^(٤) على خلاف ذلك ، بخلاف ما في سورة القصص ^(٥) .

ومنها قوله في سورة المل : ﴿ لَقَدْ وَعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَإِبْرَاهِيمَ مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٦) ، وفي سورة المؤمنين : ﴿ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَإِبْرَاهِيمَ هَٰذَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٧) ، فإن ما قبل الأولى ﴿ أَنِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُكُمْ ﴾ ^(٨) ، وما قبل الثانية : ﴿ أَنِذَا جِئْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ﴾ ^(٩) ، فالجهة للنظور فيها هناك كون أنفسهم وآبائهم ترابا ، والجهة للنظور فيها هنا كونهم ترابا وعظاما ، ولا شبهة أن الأولى أذخل عندهم في تنفيذ البعث .

(٢) سورة غافر ١٦

(١) سورة الجاثية ٣٦

(٤) موضع التقيد ثلاث كلمات غامضة غير واضحة

(٣) سورة يس ٢٠

(٥) سورة القصص ٢٠ ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ... ﴾ .

(٦) سورة المل ٦٨

(٧) سورة المؤمنين ٨٣

(٨) سورة المل ٦٧

(٩) سورة المؤمنين ٨٢

ومنها قوله في سورة المؤمنين : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(١) ، قدّم الجورور على الوصف ؛ لأنه لو أخبر عنه - وأنت تعلم أن تمام الوصف بنام ما يدخل عليه للوصوف ، وتامه : ﴿ وَأَتَرَفْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٢) - لاحتمل أن يكون من نعيم الدنيا. واشتبه الأمر في القائلين : أم من قومه ، أم لا ؟ بخلاف قوله في موضع آخر منها : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ ^(٣) ؛ فإنه جاء على الأصل .
ومنها قوله في سورة طه : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ^(٤) .
بخلاف قوله في سورة الشعراء : ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ ^(٥) .

ومنها قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ ^(٦) ، وقال في سورة الإسراء : ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ ^(٧) ، قدم الخطابين في الأولى دون الثانية ، لأن الخطاب في الأولى في الفقراء ، بدليل قوله : ﴿ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ ، فكان رزقهم عندهم أمّ من رزق أولادهم ، قدّم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب في الثانية للأغنياء ؛ بدليل ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ فَإِنَّ الخشية إنما تكون مما لم يقع ، فكان رزق أولادهم هو المطلوب ، دون رزقهم ، لأنه حاصل ، فكان أمّ ، قدّم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم .

ومنها ذكر الله في أواخر سورة اللائكة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٨) ، قدّم ذكر السموات ؛ لأن معلوماتها أكثر ، فكان تقديمها أدلّ على صفة العالية ، ثم قال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ ^(٩) فبدأ بذكر الأرض ، لأنه في

(٢) سورة المؤمنين ٢٤

(٤) سورة الشعراء ٤٨

(٦) سورة الإسراء ٦١

(٨) سورة طهر ١٠

(١) سورة المؤمنين ٢٣

(٣) سورة طه ٧٠

(٥) سورة الأنعام ١٥١

(٧) سورة طهر ٣٨

سياق تعجيز الشركاء عن الخلق والمشاركة ، وأمر الأرض في ذلك أيسر من السماء بكثير ، فبدأ بالأرض مبالغة في بيان هجزهم ؛ لأن من هجز عن أيسر الأمور كان عن أعظمها أهجر ، ثم قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾ ^(١) ، قدّم السموات تنبيها على عظم قدرته سبحانه ؛ لأن خلقها أكبر من خلق الأرض ، كما صرح به في سورة المؤمن ^(٢) ؛ ومن قدر على إمساك الأعظم كان على إمساك الأصغر أقدر .

فإن قلت : فهلا اكتفى من ذكر الأرض بهذا التنبيه البين ، الذي لا يشك فيه أحد ؟

قلت : أراد ذكرها مطابقة ؛ لأنه على كل حال أظهر وأبين ؛ فانظر أيها العاقل حكمة القرآن ، وما أودعه من البيان والتبيان ، نحمد عاقبة النظر ، ونتنظر خير مُنتظر !

ومن أنواعه أن يقدم اللفظ في الآية ويتأخر فيها ؛ لتصد أن يقع البداءة وانطم به ، للاعتناء بشأنه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا اتَّخَذُوا إِلَيْهَا ... ﴾ ^(٤) إلى قوله : ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِّ وَمِنَ التِّجَارَةِ ﴾ ^(٥) .

وكذلك قوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ^(٦) فإنه لولا ما أسلفناه ، لقليل : ما تكتمون وتبدون ؛ لأن الوصف بعله

(١) سورة طه ٤١ وهو قوله تعالى في الآية ٥٧ ﴿ لَخَلَقُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ .

(٢) سورة الجمعة ١١

(٣) سورة آل عمران ١٠٦

(٤) سورة البقرة ٢٣

أمدَح ، كما قيل : ﴿ بَعَلُّكُمْ سِرَّكُمْ وَجَهْرُكُمْ ﴾^(١) ، و ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾^(٢)
 ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْلِنُونَ ﴾^(٣) .

فإن قلت : فقد قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾^(٤) .

قلت لأجل تناسب ردوس الآي .

ومنها أن يقع التقديم في موضع والتأخير في آخر ، واللفظ واحد ، والقصة واحدة ؛
 للفتن في الفصاحة ، وإخراج الكلام على عدة أساليب ، كما في قوله تعالى :
 ﴿ وَأَدْخُلُوا آلَ بَابٍ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةً ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً وَأَدْخُلُوا آلَ بَابٍ
 سَجْدًا ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ خَسَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَكَفَى تَمِيمٍ ﴾^(٧) ، وقوله : ﴿ وَخَسَمَ عَلَى سَمْعِهِ
 وَقَلْبِهِ ﴾^(٨) ، قال الريحسري في كشفه القديم : علم بذلك أن كلا الطريقتين داخل تحت
 الحسن ؛ وذلك لأن المطف في المختلفين ، كالتثنية في المتفقين ، فلا عليك أن تقدم
 أيهما شئت ، فإنه حسن مؤخر إلى الفرض . وقد قال سيبويه : ولم يحمل الرجل منزلة بتقديت
 إياه ، بكونه أولى بها من الجاني ؛ كأنك قلت : مررت بهما ، يعني في قولك : مررت
 برجل وجاءني ، إلا أن الأحسن تقديم الأفضل ، فالقلب رئيس الأعضاء ، والمضغة لها
 الشأن ، ثم السمع طريق إدراك وحى الله ، وكلامه الذي قامت به السماوات والأرض ،
 وسائر العلوم التي هي الحياة كلها .

قلت : وقد سبق توجيه كل موضع بما ورد فيه من الحكمة .

(١) سورة الأنعام ٣	(٢) سورة الرعد ٩
(٣) سورة النحل ١٩	(٤) سورة طه ٧
(٥) سورة البقرة ٥٨	(٦) سورة الأعراف ١٦١
(٧) سورة البقرة ٧	(٨) سورة الجاثية ٢٣

القلب *

وفى كونه من أساليب البلاغة خلاف ، فأنكره جماعة ، منهم حازم فى كتاب « منهاج البلغاء » وقال : إنه مما يجب أن ينزه كتاب الله عنه ؛ لأن العرب إن صدر ذلك منهم فيقصد الميث أو التكم أو الحاكاة أو حال اضطرار ، والله منزّه عن ذلك . وقبله جماعة مطلقا ، بشرط عدم اللبس كما قاله ^(١) للبرد فى كتابه « ما اتفق لفظه واختلف معناه » .

وفصل آخرون بين أن يتضمن اعتبارا لطيفا ، فليغ وإلا فلا ؛ ولهذا قال ابن الضائع : يجوز القلب على التأويل ، ثم قد يقرب التأويل فيصح فى فصيح الكلام ، وقد يبعد فيختص بالشعر . وهو أنواع :

أحدها

قلب الإسناد

وهو أن يشمل الإسناد إلى شئ وللراد غيره ، كقوله تعالى : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحُ لَتَنُوهُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ ^(٢) ، إن لم تحمل الباء للتمدية ؛ لأن ظاهره أن المفاتيح تنوء بالعصبة ، ومعناه أن العصبة تنوء بالمفاتيح لثقلها ، فأسند « لتنوء » إلى « المفاتيح » ، والمراد إسناده إلى العصبة

* هو الأسلوب الرابع من الأساليب ، التى أوردها المؤلف ؛ والأول أسلوب التوكيد فى الجزء الثانى من ٣٨٤ وما بعدها ، والثانى فى هذا الجزء من ١٠٢ وما بعدها . والثالث أسلوب التقديم والتأخير فى هذا الجزء من ٢٢٣ وما بعدها .

(١) من ٣٨ ، وعبارته : « ويقولون : أدخلت الفلانة فى رأسى ، وأدخلت الحب فى رجلي ؛ وإنما يكون هذا فنيا لا يكون فيه لبس ولا إشكال » . (٢) سورة القصص ٧٦

لأن الباء للحال والمُصْبة مستمعية للمفاتيح ، لا تستصحبها المفاتيح . وقادته المبالغة ، يجعل المفاتيح كأنها مستمعية للمُصْبة القوية بثقلها .

وقيل : لا قَلْبَ فيه ، والمراد - والله أعلم - أن المفاتيح تنوء بالمصبة ، أى تميلها من ثقلها . وقد ذكر هذا الفرءاء وغيره .

وقال ابن عصفور : والصحيح ما ذهب إليه الفارسي أنها بالنقل ولا قلب ، والتمل غير متعد ، فصار متعداً بالباء ، لأن « ناء » غير متعد ، يقال : ناء النعم ، أى نهض ، ويقال : ناء ، أى مال للسقوط . فإذا قلت التمل بالباء قلت : نؤت به ، أى أنهضته وأملته للسقوط ، فقوله : ﴿ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَةِ ﴾ ، أى تميلها المفاتيح للسقوط لثقلها .

قال : وإنما كان مذهب الفارسي أصح ، لأن هل التمل غير المتعدى بالباء مقبوس ، والقلب غير مقبوس ، فحمل الآية على ما هو مقبوس أولى . ومنه قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾^(١) ، أى خُلِقَ المجل من الإنسان . قاله نعلب وابن السكيت :

قال الزجاج : ويدل على ذلك : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾^(٢) . قال ابن جني : والأحسن أن يكون تقديره : خُلِقَ الإنسان من العجلة ، لكثرة فعله إياه ، واعتماده له ، وهو أقوى في المعنى من القلب ، لأنه أمر قد اطرَد واتسع ، فحمل على القلب يبعد في الصنعة ، ويضيف المعنى .

وكساخنى هذا على بعضهم قال : إن المجل هاهنا الطين ، قال : وتسمى إنه في اللغة كما ذكر ، غير أنه ليس هنا إلا نفس المجل ، ألا ترى إلى قوله عقبه : ﴿ سَأَرْيَكُم آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾^(٣) ، ونظيره قوله : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾^(٤) ، ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ

(١) سورة الإسراء ١١

(١) سورة الأنبياء ٣٧

(٢) سورة الإسراء ١١

(٣) سورة الأنبياء ٣٧

ضَعِيفًا^(١) لَأَنَّ الْعَجَلَةَ ضَرَبَ مِنَ الضَّعْفِ ، لِمَا تُؤْذَنُ بِهِ الْضَّرُورَةُ وَالْحَاجَةُ .
 وقيل في قوله : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾^(٢) ، أى لِمَا مِنْ الْقُلُوبِ ، وَأَنَّهُ
 ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾ ، وَهَكَذَا فِي قِرَاءَةِ أَبِي بَكْرٍ^(٣) .
 ومثله : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾^(٤) ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ : أَيْ لِكُلِّ أَمْرٍ كَتَبَهُ اللَّهُ
 أَجَلٌ مُؤَجَّلٌ .

وقيل في قوله : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُكَ بَحِيرٌ ﴾^(٥) : هُوَ مِنَ الْقُلُوبِ ، أَيْ يَرِيدُ بِكَ الْغَلِيظَ ،
 وَيُقَالُ : أَرَادَهُ بِالْغَلِيظِ وَأَرَادَ بِهِ الْغَلِيظَ .

وجعل ابن الضائع منه : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾^(٦) ، قَالَ : فَآدَمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ
 عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ هُوَ الْمُتَلَقَّى لِلْكَلِمَاتِ حَقِيقَةً ، وَيَقْرُبُ أَنْ يَنْسَبَ التَّلَقَّى لِلْكَلِمَاتِ ؛ لِأَنَّ
 مَنْ تَلَقَّى شَيْئًا ، أَوْ طَلَبَ أَنْ يَتَلَقَّاهُ فَلَقِيَهُ كَانَ الْآخِرُ أَيْضًا قَدْ طَلَبَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَلَقَّاهُ ، قَالَ :
 وَلَقَرَّبَ هَذَا الْمَعْنَى قَرَأَ بِالْقُلُوبِ^(٧) .

وجعل الفارسي منه قوله تعالى : ﴿ فَمَعَيْتٌ عَلَيْكُمْ ﴾^(٨) ، أَيْ فَمُسَيِّمٌ عَلَيْهَا .
 وقوله : ﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾^(٩) .
 وقوله : ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾^(١٠) ، ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ ﴾^(١١) ،
 أَيْ بَلَغْتُ الْكِبَرِ .

وقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ﴾^(١٢) ، وقوله : ﴿ فَانْهَمُ عَذُوًّا لِي

- | | |
|--|------------------------------------|
| (١) سورة النساء ٢٨ | (٢) سورة ق ١٩ |
| (٣) وهي أيضا قراءة ابن مسعود ؛ على إضافة الكسرة إلى الحق . وانظر الكشاف ٤ : ٣٠٦ | |
| (٤) سورة الرعد ٣٨ | (٥) سورة يونس ١٠٧ |
| (٦) سورة البقرة ٣٧ | (٧) أى ينسب آدم ورغم الكلمات ؛ وهي |
| قراءة ابن كثير . وانظر تفسير القرطبي ١ : ٣٧٦ | (٨) سورة هود ٢٨ . قال الزمخشري : |
| ومعنى « مَعَيْتٌ » اخفيت . وقرئ : ﴿ فَمَعَيْتٌ ﴾ ، بمعنى اخفيت ، وفي قراءة أبي ﴿ فَمَعَاهَا عَلَيْكُمْ ﴾ | (٩) سورة مريم ٨ |
| (١٠) سورة يونس ٢٤ | (١١) سورة الجاثية ٢٣ |
| (١٢) سورة آل عمران ٤٠ | |

إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ^(١) ؛ فَإِنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَعَادَى ، وَإِنَّمَا اللَّعْنَةُ : فَإِذَا عَدُوٌّ لَمْ يَشْتَقْ مِنْ عَدُوِّ الشَّيْءِ ، إِذَا جَاوَزَتْهُ وَخَلَفَتْهُ ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَنْ لَهُ إِرَادَةٌ ، وَأَمَّا «عَادِيهِ» ففَاعِلَةٌ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ .

وجعل منه بعضهم : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾^(٢) ، أَيْ إِنَّ حُبَّهُ لِلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ . وقيل : ليس منه ، لِأَنَّ الْقَصْدَ مِنْهُ أَنَّهُ لِحُبِّ الْمَالِ لَبِخِيلٍ ، وَالشَّدَّةُ : الْبَغْلُ ، أَيْ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِ لِلْمَالِ يَبْغُلُ .

وجعل الزمخشريّ منه قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُرْضَى الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى الْفَارِ ﴾^(٣) ، كقولهِ : يَرْضَى النَّاقَةَ عَلَى الْحَوْضِ ، لِأَنَّ لِلْمَرْوُضِ لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ ، وَإِنَّمَا الْاِخْتِيَارُ لِلْمَرْوُضِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَفْعَلُ وَيُرِيدُ ؛ وَعَلَى هَذَا فَلَا قَلْبَ فِي الْآيَةِ ؛ لِأَنَّ الْكُفَّارَ مَقْهُورُونَ فَكَأَنَّهُمْ لَا اخْتِيَارَ لَهُمْ ، وَالْفَارُ مَتَصَرِّفَةٌ فِيهِمْ ، وَهُوَ كَالْتَّاعِ الَّذِي يَقْرُبُ مِنْهُ مَنْ يَرْضَى عَلَيْهِ ، كَمَا قَالُوا : عَرْضَتِ الْجَارِيَةُ عَلَى الْبَيْعِ .

وقوله : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٤) ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّحْرِيمَ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى الْمَكْلُوفِ ، فَالْعَنَى : وَحَرَّمْنَا عَلَى الرَّاضِعِ أَنْ تَرْضِعَ . وَوَجْهٌ تَحْرِيمِ إِرْضَاعِهِ عَلَيْهِنَ إِلَّا يَقْبَلُ إِرْضَاعَهُنَّ حَتَّى يَرُدَّ إِلَى أُمِّهِ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾^(٥) ، وَقِيلَ : الْأَصْلُ وَمَا تَخْدَعُهُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ، لِأَنَّ الْأَنْفُسَ هِيَ الْخَادِعَةُ ، وَلِلْوَعْلَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾^(٦) .

وَرُدُّهُ . بِأَنَّ الْفَاعِلَ فِي مِثْلِ هَذَا هُوَ الْمَفْعُولُ فِي الْعَنَى ، وَأَنَّ التَّنَايَرَ فِي الْإِنْفِظَةِ طَعْلٌ ، فَعَلِيَ هَذَا بِصَحِّ إِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى كُلِّ مِنْهُمَا ؛ وَلَا حَاجَةَ إِلَى الْقَلْبِ .

(٢) سورة المائدة ٨

(١) سورة الشعراء ٧٧

(٣) سورة الأحقاف ٢٠ ، وانظر الكشاف ٤ : ٢٤٢ (٤) سورة القصص ١٢

(٥) سورة البقرة ٩ ، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو . (٦) سورة يوسف ١٨

الثاني

قلب المعطوف

إما بأن تحيل للمعطوف عليه معطوفا وللمطوف معطوفا عليه ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ نَسْءٌ نَّوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظِرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾^(١) ، حقيقة : فانظر ماذا يرجعون ثم نول عنهم ، لأن نظره ما يرجعون من القول غير متأثر مع توليه عنهم . وما يفسر به التولي من أنه يتوارى في الكوة التي ألقى منها الكتاب مجاز والحقيقة راجعة عليه .

وقوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾^(٢) ، أى تدلى فدنا ؛ لأنه بالتدلى ، نال الدنو والقرب إلى المنزلة الرفيعة وإلى المكانة ، لا إلى المكان .

وقيل : لا قلب ، والمعنى : ثم أراد الدنو ، وفي صحيح البخارى^(٣) : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعْ ﴾^(٤) ، المعنى فإذا استمعت فاقرا .

وقوله : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَ بِأُتْمَا ﴾^(٥) ، وقال صاحب الإيضاح : لا قلب فيه ؛ لعدم تضمنه اعتبارا لطيفا .

ورد بتضمنه البالغة في شدة سؤرة البأس ؛ يعنى هلكت بمجرد توجه الناس إليها ، ثم جاءها .

الثالث

المكس

المكس ؛ وهو أمر لفظي ، كقوله : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٦) .

(٢) سورة النجم ٨

(٤) سورة النحل ٩٨

(٦) سورة الأنعام ٥٢

(١) سورة النمل ٢٨

(٣) كتاب التفسير ، سورة النحل ٣ : ١٤٨

(٥) سورة الأعراف ٤

وقوله : ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾^(١) .
 ﴿ لَا هُنَّ حِيلٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِيلُونَ لَهُنَّ ﴾^(٢) .
 ﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾^(٣) .

الرابع

للسوى

وهو أن الكلمة أو الكلمات تقرأ من أولها إلى آخرها ، ومن آخرها إلى أولها ،
 لا يختلف لفظها ولا معناها ، كقوله : ﴿ رَبِّكَ فَكْفُورٌ ﴾^(٤) .
 ﴿ كُلُّ فِي فَلَكٍ ﴾^(٥) .

الخامس

مقلوب البعض

وهو أن تكون الكلمة الثانية مركبة من حروف الكلمة الأولى ، مع بقاء بعض
 حروف الكلمة الأولى ، كقوله تعالى : ﴿ فَرَّقْتُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٦) ، ﴿ وَبَيْنَ ﴾^(٧)
 مركب من حروف « بين » وهو مفرق ، إلا أن الباقي بعضها في الكلمتين ،
 وهو أولها .

(٢) سورة المشحة ١٠

(٤) سورة طه ٩٤

(٦) سورة طه ٩٤

(١) سورة البقرة ١٨٨

(٣) سورة الحج ٦١

(٥) سورة الأنبياء ٣٣

المدرج

هذا النوع سمّيته بهذه التسمية ، بنظير المدرج من الحديث ^(١) ، وحقيقته في أسلوب القرآن أن تحيى الكلمة إلى جنب أخرى كأنها في الظاهر معها ، وهى في الحقيقة غير متصلة بها ، كقوله تعالى ذا كرا عن بلقيس : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ بَفَعَلُونَ ﴾ ^(٢) ، هو من قول الله لا من قول المرأة . ومنه قوله تعالى : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٣) . انتهى قول المرأة ^(٤) ، ثم قال يوسف عليه السلام : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ^(٥) ، معناه ليعلم لللك أنى لم أخنه .

ومنه : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَنِ بَمَتْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ ^(٦) ، تم الكلام ، هاتك لللائكة : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ^(٧) .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ ^(٨) فهذه صفة لأتباع المؤمنين ، ثم قال : ﴿ يَمُدُّوهُمْ فِي النَّيِّ ﴾ ^(٩) ، فهذا يرجع إلى كفار مكة تعلم إخوانهم من الشياطين في النى .

(١) المدرج من الحديث كما في كتب المصطلح : أن تراد لفظة في متن الحديث من كلام الراوى ، فيجسها من يسما مرفوعة في الحديث فيروها كذلك . وانظر الباعث المحدث ٨٠

(٢) سورة النمل ٣٤

(٣) سورة يوسف ٥١

(٤) كذا في الأصول ؛ والحقيقة أن قول المرأة ينتهى عند قوله تعالى حكاية عنها : ﴿ وَمَا أَيْرَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ آية ٥٣ .

(٥) سورة يوسف ٥٢ ؛ وهو من قول المرأة . (٦) سورة يس ٥٢

(٨) سورة الأعراف ٢٠٢

(٩) سورة الأعراف ٢٠١

وقوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾^(١)، ثم أخير عن فرعون
مقصلاً: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

وقوله: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَضٍ مَمَكُكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾^(٢)، فالظاهر
أن الكلام كله من كلام الزبانية، والأمر ليس كذلك.

وقوله: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ﴾^(٣) من كلامه تعالى، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٤).

(٢) سورة الشعراء ٩٠

(٤) سورة الشعراء ٨٩

(١) سورة الشعراء ٣٥

(٣) سورة الصافات ٨٢

الشرقي

كقوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(١) ، ﴿ لَا يَفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾^(٢)

فإن قيل : قد ورد : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾^(٣) ، والغالب أن يقدم فيه القليل على الكثير ؛ مع أن الظلم منع للحق من أصله ، والهضم منع له من وجه كالطعيف ؛ فكان يناسبه^(٤) تقديم الهضم .

قلت : لأجل فواصل الآية ؛ فإنه تقدم قبله : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَلَلَ ظُلْمًا ﴾^(٥) ، فمدل عنه في الثاني ، كيلا يكون أبطأ ، وقد سبقت أمثلة الترقى في أسباب التقديم .

(٢) سورة الكهف ٤٩

(٤) م : « قياسه » .

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٣) سورة طه ١١٢

(٥) سورة طه ١١١

الإِقْضَاءُ

ذكره أبو الحسين بن فارس^(١)، وهو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى، أو في السورة نفسها، ومثله بقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكَيْنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، والآخرة دار ثواب لأهل فيها، فهذا مقتص من قوله: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾^(٣).
ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّ لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾^(٤)، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾^(٥).
وقوله: ﴿ثُمَّ لَنُخْصِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾^(٦).
فأما قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٧)، فيقال: إنها مقتصة من أربع آيات؛ لأنَّ الأَشْهَادَ أربعة :

للملائكة عليهم السلام في قوله: ﴿وَبَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾^(٨).
والأنبياء عليهم السلام قوله تعالى: ﴿فَكَتِفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٩).
وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(١٠).

(٢) سورة النكبو٢٧

(٤) سورة الصافات ٥٧

(٦) سورة مريم ٦٨

(٨) سورة ق ٢١

(١٠) سورة البقرة ١٤٣

(١) الصاحي ٢٠١

(٣) سورة طه ٨٥

(٥) سورة الروم ١٦

(٧) سورة غافر ٥١

(٩) سورة النساء ٤١

والأعضاء لقوله : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١).

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾^(٢)، وقرئت مخففة ومثقلة^(٣)،
فن شدد فهو من « نَدَّ » إذا نر ؛ وهو مقتص من قوله : ﴿ يَوْمَ يَنْفِرُ الْفَرُءُ مِنْ
أَخِيهِ . . . ﴾^(٤) الآية^(٥)، ومن خَفَّ فهو تفاعل من النداء ، مقتص من قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾^(٦).

(١) سورة التور ٢٤
(٢) سورة غافر ٣٢
(٣) الصاحي : « مشددة » .
(٤) سورة عيس ٣٤
(٥) الصاحي : « إلى آخر القصة » .
(٦) سورة الأعراف ٤٤ ، وبمعناها في
الصاحي ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ ، ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ ﴾ ،
وما أشبه هذا من الآية التي فيها ذكر النداء .

الألفاظ

واللفظ الطريق المنحرف ، سُئِيَ به لانحرافه عن سَمَط ظاهر الكلام ؛ ويسمى أيضا
أَحْجِيَّة ؛ لِأَنَّ الْحِجَى هُوَ الْعَقْل ؛ وهذا النوع يَفُوتِي الْعَقْلُ عِنْدَ التَّمَرُّنِ وَالْإِرْتِمَاضِ
بِحَلِّهِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ .

وذكر بعضهم أنه وقع في القرآن العظيم ، وجعل منه ما جاء في أوائل السور من
الحروف المفردة وللركبة التي جهل معناها ، وحارت العقول في متنهاها .

ومنه قوله تعالى في قصة إبراهيم للمسل عن كسر الأصنام ، وقيل له : أَنْتَ فَعَلْتَهُ ؛
فقال : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ^(١) ، فأبْلَهَمَ بِهِذِهِ الْمَارِضَةَ لِيَقِيمَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ ،
ويوضح لم الحجة .

وكذلك قول نمرود : ﴿ أَنَا أَحْيَى وَأَمِيتٌ ﴾ ^(٢) ، أتى بامتين قتل أحدهما ، وأرسل
الآخر ، فإن هذا مغالطة .

الاستِطْراد

وهو التعريض بسبب إنسان بذكر عيب غيره ، كقوله تعالى : ﴿ وَسَكَنُكُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ ^(١) .
وكقوله : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ ^(٢)
وقوله : ﴿ أَلَا بُعِدَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدُ مَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴾ ^(٣) .

الْبَشْرِيَّةُ

وهو أن يُلْقَى للشكلم لفظة من الكلام ثم يردّها بعينها، ويُلْقِيها بمعنى آخر، كقوله:
﴿حَتَّى نُؤْتِيَ مَثَلَ مَا أَوْحَى رُسُلُ اللَّهِ أَفَلَا أَعْلَمُ...﴾^(١)، الآية ؛ فإنَّ الأول مضاف
إليه، والثاني مبتدأ .

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا^(٢) .

وقوله: ﴿لَسَنُجِئُكَ أَشَدَّ عَلَى الْكَافِرِينَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ
فِيهِ رِجَالٌ﴾^(٣) .

وقد يحذف أحدهما ويضمر ، أولا يلاحظ^(٤) ؛ على الخلاف في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ
فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٥) .

(٢) سورة الروم ٦ ، ٧

(٤) ت « لا يلاحظ » .

(١) سورة الأنعام ١٢٤

(٣) سورة التوبة ١٠٨

(٥) سورة البقرة ٢

التغليب

وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره . وقيل ترجيح أحد المتلوين على الآخر ، أو إطلاق لفظة عليهما ؛ إجراء للمختلفين مجرى للثقتين .
وهو أنواع :

الأول

تغليب للذكر

كقوله تعالى : ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ ^(١) غلب للذكر ؛ لأن الواو جامعة ؛ لأن لفظ الفعل مقتض ^(٢) ، ولو أردت العطف امتنع .
وقوله : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ ^(٣) .
وقوله : ﴿ إِلَّا أَمْرًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْقَائِرِينَ ﴾ ^(٤) ، والأصل « من القانتات والقائرات » فمدت الألف من المذكر بحكم التغليب .

هكذا قالوا ؛ وهو عجيب ؛ فإن العرب تقول : نحن من بني فلان ؛ لا تريد إلاموا لانهم ، والتصويب لطريقهم ؛ وفي الحديث الصحيح في الأشعرين : « هم منى وأنا منهم » فقله سبحانه : ﴿ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ ولم يقل : « من القانتات » ؛ إيدانا بأن وَضَعَهَا فِي الْمَبَادِ جِدًّا واجتهادا ، علما وتبصرا ورفعة من الله لدرجاتها في أوصاف الرجال القانتين وطريقهم . ونظيره ، ولكن بالعكس قول عُبَيْدِ بْنِ أَبِي مَيْطٍ لَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ لما أجمع القعود

(٢) ت « يقتضى » .

(٤) سورة الأعراف ٨٣

(١) سورة الفاتحة ٩

(٣) سورة التحريم ١٢

عن وقعة بدر؛ لأنه كان شيخا نجاء بمجبرة، فقال: يا أبا علي استعجر، فلما أنت من النساء؛ قال: قبحك الله وقبح ما جئت به اثم تجهز .
ونازع بعضهم في ذلك من وجه آخر، قال: يحتمل ألا يكون « من » للضميض بل لا ابتداء الفاية، أي كانت ناشئة من القوم القاتلين، لأنها من أعقاب، هارون أخى موسى عليه السلام .

الثاني

تغليب التكلم على الخطاب والخطاب على الغائب

فيقال: أنا وزيد فملنا، وأنت وزيد فملان . ومنه قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ﴾^(١)، جاء الخطاب، غلب جانب « أنتم » على جانب « قوم »، والقياس أن يحمى بالياء؛ لأنه وصف القوم، وقوم اسم غيبة، ولكن حسن آخر الخطاب، وصفا « قوم » لوقوعه خبرا عن ضمير الخطابين . قاله ابن السجري .
ولو قيل: إنه حال لـ ﴿ فَعَلَيْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ ﴾^(٢)، لأن في ضمير الخطاب معنى الإشارة للازمة لها، أو لمناها لكان مصحبا وإن لم تساعده الصناعة، لكن يبعد أن المراد وصفهم بجهل مستمر، لا مخصوص بحال الخطاب، ولم يقل « جاهلون »، إنيذنا بأنهم يصعدون عند كل مصيبة لطلب جهلهم .
وقال أبو البركات بن الأنباري: ولو قيل: إنما قال: ﴿ تجهلون ﴾ بالناء . لأن « قوم » هو « أنتم » في اللفظ فذلك، قال: « تجهلون » حلا على اللفظ . لكان حسنا ونظيره قوله:

• أنا الذي ستميتني أمي حيدرته^(٣) •

(٢) سورة النمل ٥٢

(١) سورة النمل ٥٥

(٣) من رجز لعل بن أبي طالب: أنه حين برز لقتال يوم خيبر وبقيته .

لَيْسَتْ غَابِ كَرِيهِ الْمُنْظَرَةُ أَوْ فِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلُ السُّنْدَرَةِ

بالياء حملا على « أنا » لأن « الذي » هو « أنا » في المعنى .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ ^(١) . غلب فيه جانب « أنت » على جانب « مَنْ » فأسند إليه الفعل ، وكان تقديره : فاستقيموا ، فنلب الخطاب على النية ، لأن حرف المطف فصل بين للسند إليهم الفعل ، فصار كما ترى . قال صاحب الكشف : تقديره ^(٢) : فاستقم كما أمرت وليستم كذلك من تاب معك . وما قلنا أقل تقديرا من هذا فاختر أيهما شئت .

وقوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ ﴾ ^(٣) ، فأعاد الضمير بلفظ الخطاب ، وإن كان « من تبعك » يقتضى النية ، تغليبا للمخاطب وجعل النائب تبعا له ، كما كان تبعا له في المصيبة والتقوية ، فحسن أن يُجعل تبعا له في اللفظ ، وهو من محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى .

وكقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَقْوَى ﴾ ^(٤) ، فإن الخطاب في ﴿ لَكُمْ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ لا بقوله : ﴿ اعْبُدُوا ﴾ ، حتى يختص بالناس المخاطبين ، إذ لا معنى لقوله : ﴿ اعْبُدُوا لَكُمْ تَقْوَى ﴾ . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) ، فيمن قرأ بالتاء . ويجوز أن يكون المراد : « ما تعملون » الخلق كلهم ، والمخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وكل سامع أبدا ، فيكون تغليبا ، ولا يجوز أن يعتبر خطاب من سواه بدونه من غير اعتبار التغليب ، لاحتمان أن يخاطب في كلام واحد اثنان أو أكثر من غير عطف أو ثنية أو جمع . ومنه قوله تعالى ^(٦)

(٢) الكشف ٢ : ٣٢٨ ع ٤ مع تغيير

(٣) سورة الإسراء ٦٣

(٥) سورة هود ١٢٣

(١) سورة هود ١١٢

في العبارة .

(٤) سورة البقرة ٢١

(٦) كذا في الأصول .

الثالث

تغليب الماقل على غير

بأن يتقدم لفظ **يَمَنْ** **يَقُلْ** **وَمَنْ** لا **يَقُلْ** ، فيُطْلَقُ اللفظ المختص بالماقل على الجميع ، كما تقول : « خَلَقَ اللهُ النَّاسَ وَالْأَنْعَامَ وَرَزَقَهُمْ » ، فإن لفظ « هم » مختص بالانعام . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾ ^(١) ، لما تقدم لفظ الدابة ، والمراد بها عموم مَنْ **يَقُلْ** **وَمَنْ** لا **يَقُلْ** غلب من **يَقُلْ** ، فقال : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْتَشِي ﴾ ^(٢) .

فإن قيل : هذا صحيح في « فَمِنْهُمْ » لأنه لمن **يَقُلْ** ؛ وهو راجع إلى الجميع ، فلم قال : « مَنْ » وهو لا يقع على المأم ، بل خاص بالماقل ؟

قلت : « مَنْ » هنا بمعنى « هم » ، وهو ضمير من **يَقُلْ** .

فإن قلت : فكيف يقع على بعضه لفظ ما لا **يَقُلْ** ؟

قلت : مَنْ هنا قال أبو عثمان : إنه تغليب من غير عموم لفظ متقدم ، فهو بمنزلة من يقول : رأيت ثلاثة : زيدا وعمرا وحارثا .

وقال ابن الضائع : « هُم » لا تقع إلا على مَنْ **يَقُلْ** ، فلما أعاد الضمير على كل دابة غلب مَنْ **يَقُلْ** ، فقال : « هم » ، و « مَنْ » بمعنى هذا الضمير ؛ وهو للماقل ، فلزم أن يقول « مَنْ » فلما قال : بوقوع التغليب في الضمير ، صار ما يقع عليه حكمه حكم الماقلين ؛ فتم ذلك بأن أوقع « مَنْ » .

وقوله تعالى ما كيا عن السماء والأرض : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ ^(٣) ، إنما جمعهما جمع

(١) سورة النور ٤٥

(٢) سورة فصلت ١١

السلامة ، ولم يقل « طائفتين » ولا « طائمتان » ، لأنه أراد : اثنتي عشرة من قبلكم من الغلاتين طائفتين ، فخرجت الحال على لفظ الجمع ، وغلب من يقل من الذكور .

وقال بعض النحويين : لما أخبر عنهما أنهما يقولان كما يقول الآدميون أشبهتا الذكور من بني آدم . وإنما قال : « طائفتين » ولم يقل : « طائمتين » ، لأنه من طمنا أى انقذنا ، وليس من أطمنا ؛ يقال : طامت الناقة تطوع طوعاً ، إذا اغادت .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَانِتُونَ ﴾^(١) ، قيل : أوقع « ما » لأنها تقع على أنواع من يَسْقِل ؛ لأنه إذا اجتمع من يقل وما لا يقل فتقلب ما لا يقل ؛ كان الأمر بالعكس ؛ ويناقضه : ﴿ كُلُّ لَهٗ قَانِتُونَ ﴾^(٢) .

وقال الزخشرى : جاء به « ما » تحقيراً لشأنهم وتضعيفاً ، قال : « له قانتون » تعظيم .

ورد عليه ابن الضائع بصحة وقوعها على الله عز وجل ، قال : وهذا غاية الخطأ ؛ وقوله في دعاء الأصنام : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا لَاجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمُ عَلَيْنَا ﴾^(٤) .

وأما قوله : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٦) ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَفْعَلُونَ ﴾^(٧) .

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾^(٨) . ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ﴾^(٩) . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا مَسَاجِدَكُمْ ﴾^(١٠)

(١) سورة البقرة ١٦٦

(٢) سورة الشعراء ٢٢

(٣) سورة الشعراء ٤

(٤) سورة الأنبياء ٦٥

(٥) سورة الأنبياء ٦٩

(٦) سورة فصلت ٢١

(٧) سورة يس ٤٠

(٨) سورة يوسف ٤

(٩) سورة النمل ١٨

لما أخبر عنها بأخبار الأعميين جرى ضميرها على حدّ من يعقل ، وكذا البواقي .
 فإن قيل : قد غلب غير العاقل على العاقل في قوله : ﴿ وَفِيهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ ^(١) فإنه لو غلب العاقل على غير العاقل لآتى به « من » .
 فالجواب أن هذا للوضع غلب فيه من يعقل ، وعبر عن ذلك بـ « ما » ، لأنها واقعة
 على أجناس من يعقل خاصة ، كهذه الآية .
 قوله : ﴿ فِيهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ ^(٢) ، ولم يقل « ومن فيهن »
 قيل : لأن كلمة « ما » تتناول الأجناس كلها تناولا عاما بأصل الوضع ، و « من »
 لا تتناول غير العقلاء بأصل الوضع ، فكان استعمال « ما » هنا أولى .

وقد يجمع في لفظ واحد تغليب المخاطب على الغائب ، والعقلاء على غيرهم ، كقوله :
 ﴿ جَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوا لَكُمْ فِيهِ ﴾ ^(٣) ، أى خلق
 لكم أيها الناس من جنسكم ذكورا وإناثا ، وخلق الأنعام أيضا من أنفسها ذكورا وإناثا ،
 يذروكم ، أى يفتكم ويكثركم أيها الناس والأنعام ، في هذا التدبير والجعل ، فهو خطاب
 للجميع ؛ للناس المخاطبين وللأنعام المذكورة بلفظ النية ، ففيه تغليب المخاطب على
 الغائب ، وإلا لما صحّ ذكر الجميع - أعنى الناس والأنعام - بطريق الخطاب ؛ لأن الأنعام
 غيب ، و [فيه] تغليب العقلاء على غيرهم ؛ وإلا لما صحّ خطاب الجميع بلفظ « كم » المختص
 بالعقلاء ، ففي لفظ « كم » تليين ، ولولا التغليب لكان القياس أن يقال : يذروكم وإياها .
 هكذا قرره السكاكي والزحشرى .

ونوزعا فيه ؛ بأن جعل الخطاب شاملا للأنعام تكلف لا حاجة إليه ؛ لأن النرض
 إظهار القدرة وبيان الأنطاف في حق الناس ؛ فالخطاب مختص بهم ، والمعنى : يكثركم

أبها الناس في التدبير حيث مكّنكم من التوالد والتناسل ، وهياً لكم من مصالحكم ما تحتاجون إليه في ترتيب الماش وتديز التوالد ، وجعلها أزواجاً تبقى ببقائكم ، وعلى هذا يكون التقدير : وجعل لكم من الأنعام أزواجاً ؛ وهذا أنسب بنظم الكلام مما قرروه ، وهو جعل الأنعام أنفسها أزواجاً .

وقوله : ﴿ يَذَرُوكُمْ فِيهِ ﴾ ^(١) أى في هذا التدبير ؛ كأنه محلّ لذلك ، ولم يقل « به » كما قال : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ^(٢) ؛ لأنه مسوق لإظهار الاقتدار مع الوحداية ، فأسقط السببية ، وأثبت « في » الظرفية ، وهذا وجه من إيجاز قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ؛ لأن الحياة من شأنها الاستناد إليه سبحانه لا إلى غيره ، فاخترت « في » على « الباء » ؛ لأنه مسوق لبيان الترغيب وللشيء مفهوم ، والقصاص مسوق للتجوير وحسن المشروعية ، ﴿ وَأَنْ تَقُومُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ ^(٣) .

الرابع

تغليب المتّصف بالشئ على ما لم يتصف به

كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ ^(١) ، قيل : غلب غير اللزاتين على اللزاتين ، واعترض بقوله تعالى : ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، وهذا خطاب للكفار فقط قطعا ، فهم المخاطبون أولا بذلك ؛ ثم « إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » لا يتميز فيها التغليب ، ثم هي شاهدة بأن المتكلم معهم يخص

(٢) سورة البقرة ١٧٩

(٤) سورة البقرة ٢٣

(١) سورة الشورى ١١

(٣) سورة البقرة ٢٣٧

الجاحدين بقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١) ، وإذا لم يكن الخطاب إلّا فيهم ، تغليب حال مَنْ لم يدخل في الخطاب ، لا عهد به في مخاطبات العرب .

الخامس

تغليب الأقل على الأقل

بأن ينسب إلى الجميع وصف يختص بالأكثر ، كقوله تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَعِيبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ لَنَعْمُدَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾^(٢) ، أدخل شعيب عليه السلام في قوله : ﴿ لَنَعْمُدَنَّ ﴾ بحكم التغليب ؛ إذ لم يكن في ملتهم أصلاً حتى يعود إليها . ومثله قوله : ﴿ إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾^(٣) ، واعترض بأن « عاد » بمعنى « صار » لنة معروفة ، وأنشدوا :

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةٍ إِلَى قَدِّ عَادَتِ لَهْنُ ذُنُوبُ

ولا حجة فيه ؛ لجواز أن يكون ضمير « الأيام » فاعل « عادت » ؛ وإنما الشاهد في قول أمية :

تلك المكارم لا تقبّان من كين شيباً بماء فسادا بعد أبو آلا

ويحتمل جواباً ثالثاً ؛ وهو أن يكون قولهم لشعيب ذلك ، من تعنتهم وبهتانهم وأذعائهم أن شعيباً كان على ملتهم ، لا كقال فرعون لموسى . وقوله : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾^(٤) كناية عن أتباعه لجرّد فائدتهم ، وأنه صلى الله عليه وسلم إن قال ذلك عن نفسه وأتباعه قد استغنى ، وللملقى بالمشيئة لا يلزم إمكانه شرعاً تقديراً ، والاعتراف بالقدرة والرجوع لعله سبحانه ، وأن علم المبدع عصمة نفسه أدباً مع ربه لا شكاً .

(٢) سورة الأعراف ٨٨

(٤) سورة الأعراف ٨٩

(١) سورة البقرة ٢٥

(٣) سورة الأعراف ٨٩

ويجوز أن يراد بالموء في مثلهم مجرد الساكنة والاختلاط، بدليل قوله : ﴿ إِذْ نَجَّيْنَا
 آلَهُ مِنْهَا ﴾ ^(١) . ونظيره : ﴿ وَطَهَّرْنَاكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٢) ، ويكون ذلك إشارة إلى
 الهجرة منهم ، وترك الإجابة لهم ، لا جوابا لهم . وفيه بُد.

السادس

تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس

معموز فيما بينهم ، بأن يطلق اسم الجنس على الجميع

كقوله : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ ^(٣) ، وأنه عدّ منهم ؛
 مع أنه كان من الجنّ ، تغليبا لكونه جنيا واحدا فيما بينهم ، ولأنّ حمل الاستثناء على الاتصال
 هو الأصل . وبدل على كونه من غير الملائكة ما رواه مسلم في صحيحه : « خُلِقَتْ
 للملائكة من نور والجن من النار » ^(٤) .

وقيل : إنه كان مكبرا فسلِبَ للكثرة ، وأجيب عن كونه من الجن بأنه اسم لنوع
 من الملائكة .

قال الزمخشري : كان مختلطا بهم ، فحينئذ عتته الدعوة بالخلطة لا بالجنس ؛ فيكون
 من تغليب الأكثر .

هذا إن جعلنا الاستثناء متصلا ؛ ولم يحمل « إلا » بمعنى « لكن » .

وقال ابن جني في « القد » : قال أبو الحسن في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ

(١) الأعراف ٨٩

(٢) سورة آل عمران ١٠٥

(٣) سورة ص ٧٣ ، ٧٤

(٤) لفظ الحديث في صحيح مسلم ٢٢٩٤ : « خلقت للملائكة من نور ، وخلق الجن من نار »

نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » ، ينه عن عاتلة .

آيَن مَرِيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ^(١) ، وَإِنَّمَا اتَّخَذَ
عِيسَى دُونِ أُمِّهِ فُتُو مِنْ بَابِ :

* لَنَا قَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِجُ^(٢) *

السابع

تنليب للوجود على ما لم يوجد

كقوله : ﴿يَا أَتَزَلَّ إِلَيْكَ﴾^(٣) قَالَ الزُّعْمَرِيُّ : فَإِنَّ^(٤) لِلرَّادِ : النَّزَلَ كَلَهُ ، وَإِنَّمَا
عَبَّرَ عَنْهُ بِلَفْظِ اللَّفَى وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُ مُتَرَقِّبًا ، تَنْلِيبًا لِلْوُجُودِ عَلَى مَا لَمْ يَوْجَدُ .

الثامن

تنليب الإسلام

كقوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ﴾^(٥) قَالَ الزُّعْمَرِيُّ^(٦) : لِأَنَّ الدَّرَجَاتِ لِلْمَلَوَاتِ
وَالدَّرَكَاتِ لِلْمَغْلِ ، فَاسْتَعْمَلَ الدَّرَجَاتِ فِي الْقِسْمَيْنِ تَنْلِيبًا .

التاسع

تنليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بنير هذا الوجه

كقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾^(٧) ، ذَكَرَ الْأَيْدَى لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَعْمَالِ

(٢) صخره :

(١) سورة المائدة ١١٦

* أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ كُفُّوا *

(٣) سورة البقرة ٤

وهو للفرزقة ، ديوانه ٢ : ١٩٠

(٤) سورة الأنعام ١٩

(٤) الكشف ١ : ٣٣

(٦) الكشف ٤ : ٢٤١ ؛ وعبارته هناك :

﴿وَلِكُلِّ مِنَ الْجَنَّةِ لِلذَّكَوَيْنِ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ ؛ أَيْ مَنَازِلَ وَمَرَاتِبَ مِنْ جِزَاءِ مَا عَمِلُوا

مِنَ الْحَيْرِ وَالنَّارِ ؛ وَمِنْ أَجْلِ مَا عَمِلُوا مِنْهَا . فَإِنَّ قُلْتَ : كَيْفَ قِيلَ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ ، وَقَدْ جَاءَ :
الْجَنَّةُ دَرَجَاتٍ ، وَالنَّارُ دَرَكَاتٌ ؟ قُلْتَ : يَبْهَرُ أَنْ يُقَالَهُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّنْلِيبِ ، لَا شَبَهَ كُلِّ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ .

(٧) سورة آل عمران ١٨٢

نزاول بها، فحصل الجمع بالواقع بالأيدى، تنلياً أشار إليه الزمخشري في آخر آل عمران^(١).
ويشاكله ما أنشدته الفرزوي في « العامريات » لعفية بنت عبد المطلب :
فلا والمادياتِ غداةَ جَمْعٍ بأيديها إذا سطع الغبار^(٢)

العاشر

تغليب الأشهر

كقوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾^(٣) أراد المشرق والمغرب ،
فتغلب المشرق ، لأنه أشهر الجهتين ، قاله ابن الشجري وسيأتي فيه وجه آخر .

فائدتان

إحداها :

جميع باب التغليب من المجاز، لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، ألا ترى أن القاتنين
موضوع للذكور للموصوفين بهذا الوصف ، فإطلاقه على الذكور والإناث على غير ما
وضع له ، وقس على هذا جميع الأمثلة السابقة .

الثانية :

الغالب من التغليب أن يراعى الأشرف كما سبق ، ولهذا قالوا في ثنية الأب والأم :
أبوان ، وفي ثنية المشرق والمغرب : المشرقان ، لأن المشرق دال على الوجود ، والمغرب
دال على العدم ، والوجود لا محالة أشرف ، وكذلك القمران ، قال :

• لنا قراها والنجوم الطوالع •

أراد الشمس والقمر، فتغلب القمر لشرف التذكير . وأما قولهم سنة العمرين ، يريدون

(٢) تفسير البحر لأبي حيان ٨ : ٥٠٣

(١) في الكشف ١ : ٣٤٤

(٣) سورة الزخرف ٣٨

أبا بكر وعمر ، قال ابن سيده في « المحكم » : إنما ضلوا ذلك إشاراً للخفة ، أى
غَدَب الأَخْفَ على الأَثَل ، لأن لفظ « عمر » مفرد ولفظ أبى بكر مركب .

وذكر أبو عبيد في « غريب الحديث » أن ذلك للشهرة وطول الددة .

وذكر غيرهما أن الراد به عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وعلى هذا

فلا تغليب .

ورُدَّ بأنهم نطقوا بالمرين قبل أن يعرفوا عمر بن عبد العزيز ، فقالوا يوم الجمل
لعلَّ بن أبى طالب : سُنَّةُ المرين .

الإلتفات

وفيه مباحث :

الأول : في حقيقة

وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر نظرية واستعداداً للسامع، وتجديداً للنشاط، وصيانة لظاهره من اللال والضمير، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه، كما قيل :

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِنْ كَانَتْ مَصْرُفَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
قال حازم في « منهاج البلاء » : وم بأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى النية. وكذلك أيضاً ابتلاع المتكلم بضميره، فتارة يحمله تاء على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يحمله كافاً فيجعل نفسه مخاطباً وتارة يحمله هاء، فيقيم نفسه مقام النائب. فذلك كان الكلام التوالى فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب؛ وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض، وهو قول معنوى لالفتى، وشرطه أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المتنقل عنه، ليخرج^(١) نحو أكرم زيداً، وأحسن إليه، فضمير « أنت » الذي هو في « أكرم » غير الضمير في « إليه ».

واعلم أن للتكلم والمخاطب والنية مقامات، والشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدها إلى الآخر بعد التعبير بالأول.

(١) سائطة من م .

وقال السكاكي : إما ذلك ، وإما التعبير بأحدهما فيما حته التعبير بغيره .

المبحث الثاني : في أقسام

وهي كثيرة :

الأول

الالتفات من التكلم إلى الخطاب

ووجهه حث السامع وبمته على الاستماع حيث أقبل التكلم عليه ، وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(١) ، الأصل : « وإليه أرجع » ، فالتفت من التكلم إلى الخطاب ، وقادته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه ، وهو يريد نصيح قومه ، نطقاً وإعلاماً بأنه يريد نفسه ، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله .
وأيضاً فإن قومه لما أنكروا عليه عبادته لله ، أخرج الكلام معهم بحسب حالهم ، فاحتج عليهم بأنه يقبح منه أنه لا يعبد فطره ومبدعه ؛ ثم حذرهم بقوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٢) .

لما جعلوه من الالتفات ، وفيه نظر ، لأنه إما أن يكون منه إذا كان قصد الإخبار عن نفسه في كلمتا الجملتين ، وهاتان ليس كذلك ، لجواز أن يكون أراد بقوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٣) مخاطبين ؛ ولم يرد نفسه ، ويؤيده ضمير الجمع ، ولو أراد نفسه لقال : « ترجع » .

وأيضاً فشرط الالتفات أن يكون في جملتين ، و « فطرنى » و « وإليه ترجعون » كلام واحد .

وأجيب بأنه لو كان المراد بقوله : ﴿ تَرْجِعُونَ ﴾ ظاهره الماصح الاستفهام الإنكارى ؛ لأن رجوع العبد إلى مولاه ليس بمعنى أن يعبده غير ذلك الراجع . فالعنى : كيف أعبد مَنْ إِلَهٍ رجوعى ؛ وإنما ترك « وإليه أرجع » إلى ﴿ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴾ لأنه داخل فيهم . ومع ذلك أفاد فائدة حسنة ؛ وهى أنه نبههم أنهم مثله فى وجوب عبادة مَنْ إِلَهٍ الرجوع ؛ فعلى هذا ، الواو للحال ، وعلى الأول واو المطف .

ومنه قوله : ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ^(١) عدل عن قوله : « رَحْمَةً مِنَّا » إلى قوله : ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ؛ لما فيه من الإشعار بأن ربوبيته تقتضى رحمته ؛ وأنه رحيم بعبده ، كقوله : ﴿ كُتِبَ مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ ^(٤) . وهو كثير .
وقوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُفْهِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ ^(٥) ولم يقل : « لنفرك لك » تعليقا لهذه المفرة الثامة باسمه للتضمن لاسمائه الحسنى ، ولهذا علق به النصر ، قال : ﴿ وَيَنْصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(٦) .

الثانى

من التكلم إلى الفية

ووجهه أن يَقَهَم السامع أن هذا نمط التكلم وقصده من السامع ، حضر أو غاب ،

(٢) سورة صبا ١٥

(٣) سورة الحج ٧٧

(٦) سورة التيج ٣

(١) سورة الكهف ٨٢

(٣) سورة الأعراف ٥٥

(٥) سورة التيج ١ ، ٢

وأنه في كلامه ليس تَمِنَ بتلون ويتوجه ، فيكون في الضمر ونحوه ذَا لَوْنَيْنِ ، وأراد بالاشتغال إلى الغيبة الإبقاء على الخطاب ؛ من قرعه في الوجه بسهام الهجر ، فالغيبَةُ أَرْوَحُ له ، وأبقى على ماء وجهه أن يفوت ، كقوله : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾^(١) ، حيث لم يَقُلْ « لنا » تحريضا على فعل الصلاة لحق الربوبية .

وقوله : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ بَلَّغْنَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٤) ، ولم يقل : « بي » .

وله فائدتان : إحداهما دفع التهمة عن نفسه بالمصيبة لها ، والثاني تفيهمهم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة ، من النبوة والأمية ، التي هي أكبر دليل على صِدْقِهِ ، وأنه لا يستحق الاتباع لقائه ، بل لهذه الخصائص .

الثالث

من الخطاب إلى التكلم

كقوله : ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا ﴾^(٥) ؛ وهذا إنما يقتضي على قول من لم يشترط أن يكون للراد بالاتفات واحدا ، فأما من اشترطه فلا يحسن أن يمثل به ، ويمكن أن يمثل بقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِن رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾^(٥) ، على أنه سبحانه نَزَّلَ نَفْسَهُ منزلة المخاطب .

(٢) سورة البقرة ٤ - ٦

(٤) سورة طه ٧٢ ، ٧٣

(١) سورة الكوثر ١ ، ٢

(٣) سورة الأعراف ١٥٨

(٥) سورة يونس ٢١

الرايع من الخطاب إلى الغيبة

كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ فِيهِ ﴾ ^(١) ، فقد التفت عن ﴿ كُنْتُمْ ﴾ إلى ﴿ جَرَيْنَ فِيهِ ﴾ ، وفائدة المدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم ، تمعّبه من فعلهم وكفرهم ، إذ لو استمرّ على خطابهم لغابت تلك الفائدة .

وقيل : لأنّ الخطاب أولاً كان مع الناس : مؤمنهم وكافرهم ؛ بدليل قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ ^(٢) ، فلو قال : « وجرين بكم » للزم الذم للجميع ، فالتفت عن الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية ، فعُدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم ، وهم الموصوفون بما أخبر به عنهم .
وقيل : لأنهم وقت الركوب حصروا ، لأنهم خافوا الهلاك وتقلب الرياح ، فناداهم الحاضرين . ثم إنّ الرياح لما جرت بما تشقى النفوس ، وأمنت الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على ما هي عادة الإنسان ؛ أنه إذا أمن غاب ، فلما غابوا عند جريه برّيح طيبة فكّروا الله بصيغة الغيبة ؛ فقال : ﴿ وَجَرَيْنَ فِيهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ ^(٣) ثم قال : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٤) ، فانتقل عن الخطاب إلى الغيبة ، ولوربط بما قبله فقال : « يطاف عليكم » ، لأنه مخاطب لا مخبر ، ثم التفت فقال : ﴿ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٥) فكرر الالتفات .
وقوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْهَٰضِمُونَ ﴾ ^(٦)

(٢) سورة الزخرف ٧٠

(٤) سورة الروم ٣٩

(١) سورة يونس ٢٢

(٣) سورة الزخرف ٧١

وقوله: ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْمِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾^(١)
 وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . وَتَقَطَّعُوا أَمْرَكُمْ
 بَيْنَهُمْ﴾^(٢) ، والأصل « قَطَّعْتُمْ » عطفًا على ما قبله ، لكن عدل من الخطاب إلى النية ،
 قيل : إنه سبحانه نعى عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين ، ووبخهم عليه
 قائلاً : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله !
 وجعل منه ابن العبري : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾^(٣) ، وقد سبق أنه على
 حذف للمفعول ، فلا التفات .

الخلاص

من النية إلى التكلم

كقوله : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
 الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾^(٤) .
 ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ مَنَاءٍ أَمْرَهُمَا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾^(٥) .
 ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾^(٦) .
 وقوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَمُنْفَاهُ﴾^(٧) وفائدته أنه لما كان

(٢) سورة الأنبياء ٩٢ ، ٩٣

(٤) سورة الإسراء ١

(٦) سورة مريم ٨٨ ، ٨٩

(١) سورة المجرات ٧

(٣) سورة الفتح ٣

(٥) سورة فصلت ١٢

(٧) سورة طه ٩

سَوَّقُ السحاب إلى البلد إحياء للأرض بعد موتها بالمطر ، دالاً على القدرة الباهرة ، والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره ، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم ؛ لأنه أدخل في الاختصاص ، وأدل عليه وأنعم .

وفيه معنى آخر ، وهو أن الأقوال المذكورة في هذه الآية ، منها ما أخبر به سبحانه بسببه ؛ وهو سَوَّقُ السحاب ، فإنه يسوق الرياح ، فتسوقه للانسكة بأمره ، وإحياء الأرض به بواسطة إنزاله ، وسائر الأسباب التي يقتضيها حكمه وعلمه . وعادة سبحانه في كل هذه الأنمال أن يخبر بها بنون التعظيم ، الدالة على أن له جنداً وخلقاً قد سخرهم في ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾^(١) ، أي إذا قرأه رسولنا جبريل . وقوله : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾^(٢) .

وأما إرسال السحاب فهو سحاب يأذن في إرسالها ، ولم يذكر له سبباً ، بخلاف سوق السحاب ، وإنزال المطر فإنه قد ذكر أسبابه : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾^(٣) . ﴿ أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾^(٤) .

وجعل الزمخشري منه قوله : في سورة طه : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾^(٥) : وزعم الجرجاني أن في هذه الآية التفاتاً ، وجعل قوله : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾^(٥) آخر كلام موسى ، ثم ابتداء الله تعالى فأخبر عن نفسه بأوصافه لمعالجتها .

وأشار الزمخشري^(٦) إلى أن فائدة الالتفات إلى التكلم في هذه المواضع التنبيه على

(٢) سورة طه ١٠٢

(٤) سورة النحل ٦٠

(٦) !! اكتشاف ٣ : ٥٣

(١) سورة الفاتحة ١٨

(٣) سورة طاهر ٢٧

(٥) سورة طه ٥٣

التخصيص بالقدرة ؛ وأنه لا يدخل تحت قدرة واحد، وهو معنى قول غيره: إن الإشارة إلى حكاية الحال واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة . وكذا يفعلون لكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب، أو تهتم المخاطب؛ وإنما قال: ﴿فَقَصَّبِ الْأَرْضُ مُخَضَّرَةً﴾^(١)، لإفادة بقاء المظهر زماناً بعد زمان :

ومثله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ مَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الْأَدْنَىٰ بِمِصَابِيحَ﴾^(٢)، عدل عن الغيبة في «قضاهن» و «سواهن» إلى التكلم في قوله: ﴿وَزَيَّنَّا﴾^(٣)، ف قيل للاهتمام بذلك، والإخبار عن نفسه، بأنه جعل الكوكب زينة السماء الدنيا، وحفظاً ؛ تكذيباً لمن أنكر ذلك .

وقيل : لما كانت الأفعال المذكورة في هذه الآية نوعين :

أحدهما: وجه الإخبار عنه بوقوعه في الأيام المذكورة ، وهو خلق الأرض في يومين ، وجعل الرواسي من فوقها وإلقاء البركة فيها ، وتقدير الأقوات في تمام أربعة أيام ؛ ثم الإخبار بأنه استوى إلى السماء ، وأنه أتمها وأكملها سبعاً في يومين ؛ فأتى في هذا النوع بضمير الغائب ، عطفاً على أول الكلام في قوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُكُمْ لَتَكْفُرُنَّ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾^(٤) إلى قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ مَمَوَاتٍ . . .﴾^(٥) الآية .

والثاني: قصده الإخبار مطلقاً، من غير قصد مدة خلقه، وهو تزين سماء الدنيا بمصابيح، وجعلها حفظاً ؛ فإنه لم يقصد بيان مدة ذلك ؛ بخلاف ما قبله ؛ فإن نوع الأول يتضمن إيجاداً لهذه الخلقات العظيمة في هذه المدة اليسيرة، وذلك من أعظم آثار قدرته . وأما تزين

(٢) سورة فصلت ١٢

(٤) سورة فصلت ١٢

(١) سورة الحج ٦٣

(٣) سورة فصلت ٩ ، ١٠

السماء الدنيا بالمصاييح فليس المقصود به الإخبار عن مدة خلق النجوم ، فالتفت من الغيبة إلى التكلم ، فقال : ﴿ زَيْعًا ﴾ .

فائدة

[في تكرار الالتفات في موضع واحد]

وقد تكرر الالتفات في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(١) في أربعة مواضع ؛ فالتفت من الغيبة في قوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ ، إلى التكلم في قوله : ﴿ بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ ، ثم عن التكلم إلى الغيبة في قوله : ﴿ لِنُرِيَهُ ﴾ ، ، بالياء على قراءة الحسن ، ثم عن الغيبة إلى التكلم في قوله : ﴿ آيَاتِنَا ﴾ ؛ ثم عن التكلم إلى النية في قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

وكذلك في القامحة ، فإن من أولها إلى قوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ^(٢) أسلوب غيبة ، ثم التفت بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٣) إلى أسلوب خطاب في قوله : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٤) ، ثم التفت إلى الغيبة بقوله : ﴿ غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٥) ، ولم يقل « الذين غضبت » كما قال : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٦) .

السادس

من الغيبة إلى الخطاب

كقوله : ﴿ وَقَالُوا آتِخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ ^(٧) ، ولم يقل :

(٢) سورة القامحة ٤ ، ٥ ، ٧

(١) سورة الإسراء ١

(٣) سورة مريم ٨٨ ، ٨٩

« لقد جاءوا » للدلالة على أن من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موثقاً عليه ، منكروا عليه قوله ، كأنه يخاطب به قوما حاضرين .

وقوله : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْخُسْفِ إِذْ تُفِى الْأَمْرُ ﴾ ^(١) ، ثم قال : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا . إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَشْرَدُوا فَوَجَّهْنَاهُمْ أَكْفَرُكُمْ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ فَتَسْكُبِي بِهِمَا مَا يَجِئُهُنَّ وَمَنُوبُهُنَّ وَظُهُورُهُنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ ^(٦) ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ ^(٧) .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ ... ﴾ ^(٨) الآية .

وقوله : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالْأَسْوَى ﴾ ^(٩) .

وقوله : ﴿ إِنَّ أَرَادَ النَّاسُ أَنْ يَسْتَفْزِكُهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١٠) .

وقوله : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُنْكِنْ لَكُمْ ﴾ ^(١١) .

وقوله حكاية عن الخليل : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

(١) سورة مريم ٧١

(١) سورة مريم ٣٩

(٤) سورة آل عمران ١٠٦

(٣) سورة القمر ٢١ ، ٢٢

(٦) سورة الفرقان ٤٥

(٥) سورة التوبة ٣٥

(٧) سورة البقرة ٥٧

(٧) سورة البقرة ٦

(١٠) سورة الأنعام ٦

(٩) سورة الأحزاب ٥٠

تَعْلَمُونَ . إِنَّمَا تُعْبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ^(١) ، إلى قوله : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ^(٢) .

وقوله : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ . وَبَرِّزُوا لِلَّهِ بَهِيمًا ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ^(٤) إلى قوله : ﴿ قَتَلَهُ كَمَنْتِلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثْ ^(٥) .

وقوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ . . . ^(٦) الآية .

وجعل بعضهم منه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ^(٧) ، وهو عجيب لأن « الذين » مرصول لفظه للنبيه ، ولا بد له من عائد وهو الضمير في « آمَنُوا » ، فكيف يود ضمير مخاطب على غائب فهذا مما لا يعقل .

وقوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ تَعْبُدُ ^(٨) : فقد التفت عن النبيه وهو ﴿ مَالِكِ إلى الخطاب وهو : ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ ^(٨) .

ولَكَ أَنْ تَقُولَ : إِنْ كَانَ الْقَدِيرُ : قولوا الحمد لله ، فيه التفتان - أعنى في الكلام للسامع به :

أحدهما : في لفظ الجلالة ، فإن الله تعالى حاضر ، فأصله الحمد لك .

والثاني : ﴿ إِيَّاكَ ^(٩) لجيشه على خلاف الأسلوب السابق وإن لم يقدر : « قولوا » كان في « الحمد لله » التفت عن التكلم إلى النبيه ؛ فإن الله سبحانه حميد نفسه ، ولا يكون في ﴿ إِيَّاكَ

(١) سورة النكبات ١٦ ، ١٧	(٢) سورة النكبات ١٦ ، ١٧
(٣) سورة إبراهيم ١٩ - ٢١	(٤) سورة الأعراف ١٧٥
(٥) سورة الأعراف ١٧٦	(٦) سورة المائدة ٣٨ ، ٣٩
(٧) سورة المائدة ٦	(٨) سورة الفاتحة ٤ ، ٥

نميد ﴿ التفات ﴾ لأن ﴿ قولوا ﴾ مقدرة معها قطعاً ؛ فإتاً أن يكون في الآية التفات ، أو لا التفات بالكلية .

السابع

بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو نكلمه

فيكون التفاتاً عنه ، كقوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(١) بعد ﴿ أُنْمِتْ ﴾ ^(٢) ؛ فإن المعنى « غير الذين غضبت عليهم » ذكره التنوخي في « الأقصى القريب » والخفاجي ، وابن الأثير وغيرهم .

واعلم أنه على رأى السكاكي نجى الأقسام الستة في القسم الأخير ، وهو الانتقال التقديرى .

وزعم صاحب « ضوء الصباح » أنه لم يستعمل منها إلا وضع الخطاب والنية موضع التكلم ، ووضع التكلم موضع الخطاب ، ومثل الثالث بقوله : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ^(٣) ، مكان « وما لكم لا تعبدون الذي فطركم » .

وجعل بعضهم من الالتفات قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ يَهْتَدُونَ ﴾ ^(٤) ثم قال : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ ^(٦) .

البحث الثالث في أسباب

اعلم أن الالتفات ^(٥) فوائد عامة وخاصة ؛ فمن العامة التفاتن والانتقال من أسلوب إلى آخر

(٢) سورة يس ٢٢
(٤) سورة النساء ١٦٢

(١) سورة الناقة ٧
(٣) سورة البقرة ١٧٧
(٥) ت : « اليقين » تحريف .

لما في ذلك من تنشيط السامع ، واستجلاب صفاته ، واتساع مجارى الكلام ، وتسهيل لوزن والقافية .

وقال البيانيون : إن الكلام إذا جاء على أسلوب واحد وطال حَسُنَ تغيير الطريقة . ونازعهم القاضى شمس الدين بن الجوزى وقال : الظاهر أن مجرد هذا لا يكتفى فى المناسبة ، فإننا رأينا كلاماً طويلاً فى هذا ، والأسلوب محفوظ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۝١٠٠ ﴾^(١) إلى أن ذكر عشرة أصناف ، وختم بـ ﴿ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ۙ ۝١٠١ ﴾ ، ولم يغيّر الأسلوب ؛ وإنما للناسبة أن الإنسان كثير القلب ، وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن ، ويقبله كيف يشاء ، فإنه يكون غائبا فيحضر بكلمة واحدة ، وآخر يكون حاضراً فيضرب ، فالحمد لله تعالى لما قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) تنبه السامع وحضر قلبه ، فقال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٣) . وأما^(٤) الخاصة فتختلف باختلاف محالّه ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المفكّم .

فإنها قصد تعظيم شأن الخطاب ، كما فى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه بقوله : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » الدالّ على اختصاصه بالحمد وجد من نفسه التحرك للإقبال عليه سبحانه ؛ فإذا انتقل إلى قوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الدالّ على ربوبيّته لجليهم قوى تحرّكه ، فإذا قال : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ الدالّ على أنه منعم بأنواع النعم ؛ جليها وحقيرها ترايد التحرك عنده ، فإذا وصل لـ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وهو خاتمة الصفات الدالّة على أنه مالك الأمر يوم الجزاء ، فيتأهبّ قربّه ، ويتيقن الإقبال عليه بتخصيصه بنهاية الخضوع والاستعانة فى المهمات .

(٢) سورة النافعة ٢

(٤-٥) ت « والحامدة تختلف »

(١) سورة الأحزاب ٣٥

(٢) سورة النافعة ٥

وقيل : إنما اختير للحمد لفظ النية، وللمبادة الخطاب، للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة ؛ فإنك تحمّد نظيرك ولا تعبد ، إذ الإنسان يحمّد من لا يعبد ، ولا يعبد من لا يحمده ، فلما كان كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع النية في الخبر فقال : « الحمد لله » ولم يقل « الحمد لك » ، ولفظ العبادة مع الخطاب قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ لينسب إلى العظيم حال مخاطبة والواجهة ، على ما هو أعلى رتبة ؛ وذلك على طريق التأدب . وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة قال : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ مصرّحاً بذكر النعم ، وإسناد الإنعام إليه لفظاً ولم يقل « صراط للنعم عليهم » ؛ فلما صار إلى ذكر الغضب روى عنه لفظ الغضب في النسبة إليه لفظاً ، وجاء باللفظ متحرّفاً عن ذكر الغاضب ؛ فلم يقل « غير الذين غضبت عليهم » ، تفادياً عن نسبة الغضب في اللفظ حال الواجهة .

ومن هذا قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً ﴾ ^(١) ؛ فإنّ التأدب في النية دون الخطاب .

وقيل : لأنه لما ذكر الحقيق بالحمد ، وأجرى عليه الصفات المظيمة من كونه رباً للعالمين ورحمناً ورحيماً ، ومالكا ليوم الدين ، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره ، مستمناً به ، نفوطلب بذلك لتميّزه بالصفات المذكورة ، تعظيماً لشأنه كلّ ، حتى كأنه قيل : إياك ، يا مَنْ هذه صفاته نخصّ بالمبادة والاستعانة لا غيرك .

قيل : ومن لطائف التنبيه على أنّ مبتدأ الخلق النية منهم عنه سبحانه ، وقصورهم عن محاضرتة ومخاطبته ، وقيام حجاب المظنة عليهم ، فإذا عرفوه بما هو له ، وتوسلوا للقرب بالثناء عليه ، وأقروا بالحمد له وتمبّدوا له بما يليق بهم ، تأهّلوا لمخاطباته ومناجاته فقالوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

وفيه أنهم يُبدون بين يدي كلِّ دعاء له سبحانه ومناجاة له صفات عظمته لمخاطبته على الأدب والتعظيم ، لا عن الغفلة والإغفال ، ولا عن اللعب والاستخفاف ، كن يدعو بلا نية أو على تلعب وغفلة ، وهم كثير .

ومنه أن مناجاته لا تصعد إلا إذا تطهر من أدناس الجهالة به ، كما لا تسجد الأعضاء إلا بعد التطهير من حدث الأجسام ؛ ولذلك قدمت الاستعاذة على القرآن .

قال الزمخشري : وكما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ ^(١) ، ولم يقل « واستغفرت لهم » [وعدل عنه إلى طريق الالتفات] ^(٢) لأن في هذا الالتفات بيان تعظيم استغفاره ، وأن شفاعته من اسمه الرسول بمكان ^(٣) .

ومنها : التنبيه على ماحق الكلام أن يكون واردا عليه ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَالِيَ لَا أُعْبِدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٤) ، أصل الكلام « وما لكم لا تعبدون الذي فطركم » ولكنه أبرز الكلام في معرض للناسحة لنفسه ، وهو يريد مناصحتهم ؛ ليتلطف بهم ، ويريهم أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه ، ثم لما انقضى غرضه من ذلك ، قال : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٥) ليدل على ما كان من أصل الكلام ، ومقتضيا له ، ثم ساقه هذا المساق إلى أن قال : ﴿ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴾ ^(٥) .

ومنها : أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للتكميل ؛ فيأتي به محافظة على تميم

(٢) تكملة من الكشاف .

(٤) سورة يس ٢٢

(١) سورة الفاء ٦٤

(٣) الكشاف ٢ : ٤٠٨

(٥) سورة يس ٢٥

ما قصد إليه من المعنى المطلوب له ، كقوله : ﴿ فِيمَا يُفَرِّقُ كُلَّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(١) ، أصل الكلام « إنا مرسلين رحمة منا » ، ولكنه وضع الظاهر موضع المضمَر ، للإنداز بأن الربوبية تقتضى الرحمة للمربوبين ، للقدرة عليهم ، أو لتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر ، أو الإشارة إلى أن الكتاب إنما هو إليه دون غيره ، ثم التفت بإعادة المضمير إلى الربّ الموضوع موضع المضمَر ، للمعنى المقصود من تضم المعنى .

ومنها : قصد المبالغة ، كقوله تعالى . ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِهَمِّهِمْ ﴾ ^(٢) كأنه يذكر لغيرهم حالهم ، ليعجب منها ويستدعى منه الإنكار والتعجب لها ؛ إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أن ما يعتمدونه بعد الإنجاء من البغي فى الأرض بغير الحق ، مما ينكره ويقبح .

ومنها : قصد الدلالة على الاختصاص ، كقوله : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ﴾ ^(٣) فإنه لما كان سَوَقِ السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالاً على القدرة الباهرة التى لا يقدر عليها غيره ، عدل عن لفظ النبية إلى التكلم ؛ لأنه أدخل فى الاختصاص وأدل عليه : « سقنا » و « أحيينا » .

(٢) سورة يونس ٢٢

(١) سورة الذخاں ٤ - ٦

(٣) سورة مضر ٩

ومنها : قصد الاهتمام ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْمْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ ^(١) ، فعدل عن الغيبة في « قضاهن » « وأوحى » إلى التكلم في « وزينا السماء الدنيا » للاهتمام بالإخبار عن نفسه ، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا للزينة والحفظ ؛ وذلك لأن طائفة اعتقدت في النجوم أنها ليست في سماء الدنيا ، وأنها ليست حفظاً ولا رجوماً ، فعدل إلى التكلم والإخبار عن ذلك ، لكونه مهبطاً من مهمات الاعتقاد ، ولتكذيب الفرقة للمعتدة بطلانه .

ومنها : قصد التوبيخ ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝ ^(٢) ، عدل عن الغيبة إلى الخطاب ، للدلالة على أن قائل مثل قولهم ، ينبغي أن يكون مؤبّخاً ومتكرراً عليه ؛ ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور ، فقال : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ ۝ ^(٣) ، لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون . وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ ۝ ^(٤) ؛ قال : ﴿ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ ۝ دون « تقطعتم أمركم بينكم » ، كأنه بنى عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين ويبيح عندهم ما فسدوا ، ويوجبهم عليه قاتلاً : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله ، فجعلوا أمر دينهم به قطعاً ، تمثيلاً لأخلاقهم في الدين .

فائدة

اختلف في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْعِمْيَادَ﴾^(١) بعد ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢) .

قيل : إن الكلام تم عند قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، وهذا الذي بعده من مقول الله تصديقا لهم .

وقيل : بل هو من بقية كلامهم الأول على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، كقوله : ﴿حَقًّا إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾^(٣) .

فإن قلت : قد قال في آخر السورة : ﴿وَلَا تُخْزِي نَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْعِمْيَادَ﴾^(٤) ، فلم عدل عن الخطاب هنا ؟ قلت : إنما جاء الالتفات في صدر السورة ، لأن المقام يقتضيه ، فإن الإلهية تقتضى الخير والشر لتنصف للظالمين من الظالمين ، فكان المدول إلى ذكر الاسم الأعظم أولى . وأما قوله تعالى في آخر السورة : ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْعِمْيَادَ﴾^(٥) ؛ فذلك المقام مقام الطلب للعبد من ربه أن يُنعم عليه بفضلِه ، وأن يتجاوز عن سيئاته ، فلم يكن فيه ما يقتضى المدول عن الأصل المستمر .

البحث الرابع في شرط

تقدم أن شرط الالتفات أن يكون الضمير في التثقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المتثقل عنه ؛ وشرطه أيضاً أن يكون في جملتين ، أى كلامين مستقلين ، حتى يتم بين الشرط وجوابه .

(٢) سورة يونس ٢٢

(١) سورة آل عمران ٩

(٣) سورة آل عمران ١٩٤

وفي هذا الشرط نظر، فقد وقع في القرآن مواضع، الالتفات فيها وقع في كلام واحد؛ وإن لم يكن بين جزأى الجملة ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكُونُونَ لَكَ مِنَ الْخَالِقِينَ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبِيعَتْ فِي أَمْرِ رَسُولٍ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ (٣) ، بعد قوله : ﴿ إِنَّا أَهْلْنَا لَكَ ﴾ (٤) ، التقدير : إن وهبت امرأة نفسها للنبي ﴿ إِنَّا أَهْلْنَا لَكَ ﴾ (٣) ، وجلنا الشرط والجزاء كلام واحد .

وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ﴾ (٥) .
وقوله : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٦) ؛
وفيه التفاتان : أحدهما بين « أرسلنا » والجلالة ، والثاني بين السكاف في « أرسلناك » ورسوله « وكل منهما في كلام واحد .

وقوله : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ﴾ (٧) .
وقوله : ﴿ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾ (٨) ، وجوز الزخشرى فيه أن يكون ضمير « جزاؤكم » يعود على « التائبين » على طريق الالتفات (٨) .
وقوله : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا يُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ (٩) ، على قراءة الياء .

- (٢) سورة القصص ٥٩
(٤) سورة الفرقان ١٧
(٦) سورة آل عمران ١٥١
(٨) التكاثر ٢ : ٢٨

- (١) سورة النكبات ٢٣
(٣) سورة الأحزاب ٥٠
(٥) سورة الفتح ٨ ، ٩
(٧) سورة الإسراء ٦٣

(٩) سورة بقره : وانظر السكاف ١ : ٢٤٧ .

وقوله: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(١) ، قال التنوخي في « الألفي القريب » : الواو للحال .
وقوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢) .

المبحث الخاص

أنه يقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره

وإنما يفعل ذلك إذا ابتلي العاقل بخم جاهل متعصب، فيجب أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة؛ لأنه كلما كان خوضه معه أكثر، كان بعده عن القبول أشد، فالوجه حينئذ أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة، وأن يؤخذ في كلام آخر أجنبي ويطلب فيه، بحيث ينسى الأول، فإذا اشتغل خاطره به أدرج له أثناء الكلام الأجنبي مقدمة تناسب ذلك المطلب الأول، ليتمكن من اتقياده .

وهذا ذكره الإمام أبو الفضل في كتاب « درة التذيل »^(٣)، وجعل منه قوله تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾^(٤)، قال: إن قوله « وأذكر » ليس متصلاً بما قبله، بل قلنا لهم عمام عليه، والمقدمة المدرجة قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾^(٥) إلى قوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٦) .

وهذا الذي قاله يخرج الآية عن الانصال، مع أن في الانصال وجوهاً مذكورة في موضعها .

(٢) سورة يس ٢

(١) سورة المائدة ١٢

(٣) هو درة التذيل وغرة التأويل للإمام غفر له عن الرازي .

(٤) سورة م ٢٧ - ٢٩

(٥) سورة م ١٨

والحق به الأستاذ أبو جعفر بن الزبير^(١) قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْوَعْدُ لِلْعَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا . . . ﴾^(٢) الآية ؛ فهذا إنكار منهم للبعث واستبعاد ، نحو الوارد في سورة « ص » ؛ فأعقب ذلك بما يشبه الالتفات بقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا . . . ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾^(٤) ، فيمدّ العدول عن مجاباتهم ، في قولهم : ﴿ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾^(٥) ، وذكر اختلافهم للسبب عن تكذيبهم ، في قوله : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾^(٦) ، صرف تعالى الكلام إلى نبيه وللمؤمنين ، فقال : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا . . . ﴾^(٧) إلى قوله : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ﴾^(٨) ، وذلك حكمة تدرك مشاهدة ، لا يمكنهم التوقف في شيء منه ولا حفظ عنهم إنكاره ، فمند تكرار هذا ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾^(٩) .

وبما يقرب من الالتفات أيضا الانتقال من خطاب الواحد والاثنتين والجمع إلى خطاب آخر ؛ وهو ستة أقسام ، كما سبق تقسيم الالتفات :

أحدها : الانتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين ، كقوله تعالى : ﴿ أَجِئْنَا لِنُلَاقِكَ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَىٰ آبَاءِنَا وَنَكُونُ لَكُمَا الْكِبَرِيَاءِ فِي الْأَرْضِ ﴾^(١٠) .
الثاني : من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾^(١١)

(١) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير النراطي الأندلسي ، المتوفى سنة ٧٠٨ هـ ، له كتاب : ملاك التأويل الفاضل لدوى الإجماع والمطيل في توجيه المتشابه القضي من آي التنزيل ومنه نسخة بدار السكتب المصرية برقم ٧٥٧ ، وقد نسج فيه كتاب درة التنزيل للفخر الرازي وزاد عليه أشياء (الدرر الكامنة ١ : ٢٨٤)

(٢) سورة ق ١ ، ٢	(٣) سورة ق ١
(٤) سورة ق ١١	(٥) سورة ق ٣
(٦) سورة ق ٥	(٧) سورة ق ٦
(٨) سورة ق ١١	(٩) سورة يونس ٧٨
(١٠) سورة الطلاق ١	

الثالث : من الاثنين إلى الواحد ، كقوله : ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾^(١) ،
﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٢) .

الرابع : من الاثنين إلى الجمع ، كقوله : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ
لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُبُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) ،
وفيه انتقال آخر من الجمع إلى الواحد ، فإنه نُقِيَ ثم جمع ، ثم وحِدَ ، توسعا في الكلام .
وحكمة التثنية أن موسى وهارون هما اللذان يقران قواعد النبوة ، ويمكنان في الشريعة ،
فخصهما بذلك ، ثم خاطب الجميع باتخاذ البيوت قبلة للمبادة ؛ لأن الجميع مأمورون بها ،
ثم قال لموسى وحده : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) ، لأنه الرسول الحقيقي الذي إليه
البشارة والإنذار .

الخامس : من الجمع إلى الواحد ، كقوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) .
وقد سبق حكمته . ومن نظائره قول بعضهم في قوله تعالى : ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا
مِنْهَا جَمِيعًا﴾^(٦) ، ثم قال : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾^(٧) ، ولم يقل «منا» مع أنه
للجمع أو للواحد العظم نفسه ، وحكمته المناسبة للواقع ، فالهدى لا يكون إلا من الله ،
فناسب الاختصاص للخاص .

السادس : من الجمع إلى التثنية ، كقوله : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَظْتُمْتُمْ
أَنْ تَنْفَعُوا...﴾^(٨) إلى قوله : ﴿فَيَأْتِيْ آلَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٩) .

السابع : ذكر بعضهم من الالتفات تعقيب الكلام بجملة مستقلة ملائمة له في
اللعنى على طريق المثل أو الدعاء ، فالأول كقوله : ﴿وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهُوْقًا﴾^(١٠) ؛ والثاني كقوله : ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا سَرَفَ اللَّهُ قُورَيْبِهِمْ﴾^(١١) .

(٢) سورة يونس ٨٧

(١) سورة طه ٤٩ ، ١١٧

(٤) سورة البقرة ٣٨

(٣) سورة يونس ٨٧

(٦) هذا القسم وما بعده هو زيادة على

(٥) سورة الرحمن ٣٣ ، ٣٤

(٧) سورة الإسراء ٨١

ما ذكره قبلا من تعقيب إلى ستة أقسام .

(١٠) سورة التوبة ١٢٧

الثامن : من الماضي إلى الأمر ، كقوله : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ ^(١) 〉 وقوله : ﴿ وَاحْلِلْ لَكُمْ أَلْأَنَامُ إِلَّا مَا يُغْنِي عَنْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ^(٢) 〉 .

التاسع : من المستقبل إلى الأمر ، نظما لحال مَنْ أجرى عليه المستقبل . وبالضد من ذلك في حق من أجرى عليه الأمر ، كقوله تعالى : ﴿ يَا هُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ ... ^(٣) 〉 إلى قوله : ﴿ بَرَىٰ ۖ يَمَّا تُشْرِكُونَ ^(٤) 〉 ، فإنه إنما قال ﴿ أَشْهَدُ اللَّهَ 〉 ، و ﴿ أَشْهَدُوا 〉 ولم يقل : « وأشهدكم » ليكون موازنا له ؛ ولا شك أن معنى إتهام الله على البراءة صحيح في معنى يثبت التوحيد ؛ بخلاف إتهامهم ؛ فاهو إلا تهان بدينهم ، ودلالة على قلة اللبالة به ، فلذلك عدل عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما ، وجيء به على لفظ الأمر ، كما تقول للرجل منكرا : اشهد على أنى أحبك .

العاشر : من الماضي إلى المستقبل ، نحو : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُفِيرُ ^(٥) 〉 ، ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ^(٦) 〉 ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ^(٧) 〉 .

والحكمة في هذه أن للكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبر عنه بالماضي ، ليفيد ذلك مع كونه نافيا أنه قد مضى عليه زمان ؛ ولا كذلك الصد عن سبيل الله ، فإن حكمه إنما ثبت حال حصوله مع أن في الفعل المستقبل إشعارا بالتكثير ،

(٢) سورة الحج ٣٠

(١) سورة الأعراف ٢٩

(٣) سورة مود ٥٣ ، ٥٤ ؛ والآيات بتانها : ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرَىٰ ۖ يَمَّا تُشْرِكُونَ 〉 .

(٥) سورة الحج ٢١

(٤) سورة قمر ٩

(٦) سورة الحج ٢٠

فيُشعر قوله : « ويصدون » ، أنه في كل وقت يصد ذلك ، ولو قال : « وصدوا » لأشعر بانقطاع صدمهم .

الحادى عشر : عكسه ، كقوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَنَزِعُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾ ^(٢) .

قالوا : والفائدة في الفعل للماضي إذا أُخبر به عن المستقبل الذي لم يوجد أنه أبلغ وأعظم موقفاً ، لتنزيله منزلة الواقع . والفائدة في المستقبل إذا أُخبر به عن الماضي لتبين هيئة الفعل باستحضار صورته ، ليكون السامع كأنه شاهد ، وإنما عبر في الأمر بالتوبيخ بالماضي بعد قوله : ﴿ يُنْفَخُ ﴾ للإشعار بتحقيق الوقوع وثبوته ، وأنه كائن لا محالة ، كقوله : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ ^(٣) ، والمعنى : « يبرزون » ، وإنما قال : ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾ بدلاً من ﴿ وَتَرَى ﴾ ، وهما مستقبليان ، لتلك .

(٢) سورة الكهف ٤٧

(١) سورة النمل ٨٧

(٣) سورة إبراهيم ٢١ .

التضمين

وهو إعطاء الشيء معنى الشيء ، وتارة يكون في الأسماء ، وفي الأفعال ، وفي الحروف ،
فأما في الأسماء فهو أن نضمّن اسماً معنى اسم ؛ لإفادة معنى الاسمين جميعاً ، كقوله تعالى :
﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلَّا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾ ^(١) ، ضمّن « حقيق » معنى « حريص »
ليُفيد أنه محقّق بقول الحقّ وحريص عليه .

وأما الأفعال فأنّ نضمّن فعلاً معنى فعل آخر ، ويكون فيه معنى الفعلين جميعاً ؛
وذلك بأن يكون الفعل يتعدّى بحرف ، فيأتى متعدداً بحرف آخر ليس من عادته التمدى به ،
فيحتاج إما إلى تأويله أو تأويل الفعل ، ليصحّ تمدّيه به .

واختلفوا أيهما أولى ؟ فذهب أهل اللغة وجماعة من النحويين إلى أن التوسع في الحرف
وأنه واقع موقع غيره من الحروف أولى .

وذهب المحققون إلى أن التوسع في الفعل وتمديته بما لا يتعدى لتضمنه معنى ما يتعدى
بذلك الحرف أولى ؛ لأن التوسع في الأفعال أكثر .

مثاله قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، فضمّن « يشرب » معنى
« يروى » ، لأنه لا يتعدى بالباء ، فذلك دخلت الباء ، وإلا فـ « يشرب » يتعدى
بنفسه ، فأريد باللفظ الشرب والرىّ مما ، فجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد .

وقيل : التجوّز في الحرف ؛ وهو الباء ؛ فإنها بمعنى « من » .

وقيل : لا مجاز أصلاً ، بل المعين هاهنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء ؛

لا إلى الله نفسه ، نحو نزلت بيني ، فصار كقوله : مكانا يشرب به .

وعلى هذا : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ مِمَّا تَخَافُ مِنَ الذَّالِمِينَ ﴾ ^(١) ، قاله الراغب .

وهذا بخلاف المجاز ؛ فإن فيه المدلول عن مسماء بالكلية ، ويراد به غيره ، كقوله :
﴿ حِذَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ﴾ ^(٢) ، فإنه استعمل « أراد » في معنى مقاربة السقوط ؛ لأنه
من لوازم الإرادة ، وإن من أراد شيئاً قد قارب فعله ، ولم يُرِدْ باللفظ هذا المعنى الحقيقي
الذي هو الإرادة البتة . والتضمين أيضاً مجاز ؛ لأن اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز مما ،
والجمع بينهما مجاز خاص يسونه بالتضمين ، تفرقة بينه وبين المجاز المطلق .

ومن التضمين قوله تعالى : ﴿ أَهْلُكُمْ كَلِيلَةُ الصَّيَامِ رَفَعْتُ إِلَيْكُمْ ﴾ ^(٣) ؛
لأنه لا يقال : رفعت إلى المرأة ؛ لكن لما كان بمعنى الإفضاء ساء ذلك .

وممكننا قوله : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزْكِيَ ﴾ ^(٤) ؛ وإنما يقال : هل لك في كذا ؟
لكن للمعنى أدهوك إلى أن تزكئ .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ ^(٥) ، فجاء به « من » ، لأنه ضمن
التوبة معنى الغفر والصفح .

وقوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ^(٦) ، وإنما يقال : خلوت به ، لكن ضمن
« خَلَوْا » معنى « ذهبوا » « وانصرفوا » ، وهو مما دلل لقوله : ﴿ لقوا ﴾ ؛ وهذا أولى
من قول من قال : إن « إلى » هنا بمعنى الباء ، أو بمعنى « مع » .

وقال مكي : إنما لم تأت الباء ؛ لأنه يقال : خلوت به إذا سخرت منه ، فأتى به « إلى »
لدفع هذا الوم .

(٢) سورة الكهف ٧٧

(٤) سورة التازعات ١٨

(٦) سورة البقرة ١٤

(١) سورة آل عمران ١٨٨

(٣) سورة البقرة ١٨٧

(٥) سورة الثوري ٢٥

وقوله : ﴿لَا تَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) ، قيل : الصراط منصوب على للقول به ، أى لأئزمن لك صراطك ، أو أملكته لهم ، و « أقعد » وإن كان غير متعدّ ضمن معنى فعل متعدّ .

وقوله : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾^(٢) ، ضمن « تعدّ » معنى « تنصرف » ، فعدى بـ « من » . قال ابن السجري : ومن زعم أنه كان حق الكلام : « لا تعدّ عينك عنهم » بالنصب ؛ لأن « تعدّ » متعدّ بنفسه فباطل ، لأن عدوت وجاوزت بمعنى واحد . وأنت لا تقول : جاوز فلان عينه عن فلان ، ولو كانت التلاوة بنصب العين لكان اللفظ يتضمنها محو لا أيضاً على : لا تنصرف عينك عنهم ، وإذا كان كذلك ، فالقيد وردت به التلاوة من رفع العين يشول إلى معنى النصب فيها ؛ إذ كان « لا تعدّ عينك » بمنزلة « لا تنصرف » ومعناه لا تنصرف عينك عنهم ، فالعمل مسند إلى العين ، وهو فى الحقيقة موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كما قال : ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾^(٣) ، وأسند الإعجاب إلى الأموال ، والمعى لا تعجب بأموالهم .

وقوله : ﴿أَوْ لَتَعُوذَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾^(٤) ، ضمن معنى « لتدخلن » أو « لتصيرن » ؛ وأما قول شبيب : ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا﴾^(٥) فليس اعترافاً بأنه كان فيهم ، بل مؤول على ماسبق . وتأويل آخر وهو أن يكون من نسبة فعل البعض إلى الجماعة ، أو قاله على طريق المشاكلة لكلامهم ، وهذا أحسن .

وقوله : ﴿أَلَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا﴾^(٦) ، ضمن « لا تشرك » معنى « لا تعدل » والعدل : التسوية ، أى لا تسوى به شيئاً .

(٢) سورة الكهف ٢٨

(٤) سورة إبراهيم ١٣

(٦) سورة الحج ٢٦

(١) سورة الأعراف ١٦

(٣) سورة التوبة ٨٥

(٥) سورة الأعراف ٨٩

وقوله: ﴿وَأَخْبِتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾^(١) ضَمَّنَ معنى «أنا بوا» ضدى بحرفه .

وقوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾^(٢) ضَمَّنَ (لَتُبْدِي بِهِ)

معنى «تخبر به» أو «لتعلم» ليفيد الإظهار معنى الإخبار؛ لأن الخبر قد يقع سرًا غير ظاهر.

وقوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^(٣)، جوز الزخشرى نصب

(مَقَامًا)، على الظرف على تضمين (يبعثك) معنى «يقيمك» .

وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(٤)، قال الفارسي: ومن قرأ «فَأَجْمِعُوا»

بالتقطع أراد فاجمعا أمركم وشركاءكم، كقوله:

• مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحًا •

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾^(٥)، قال ابن سيده: عذاه: «من» لأنه

في معنى كشف القزع .

وقوله: ﴿أَذَلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾^(٦)، فإنه يقال: ذل له،

لا عليه، ولكنه هنا ضَمَّنَ معنى التمعط والتعتن .

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾^(٧) ضَمَّنَ (يُؤَلُّونَ) معنى «يتمنون»

من وطنهم بالألوية .

وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَىٰ آلَمٍ لَّا أَعْلَىٰ﴾^(٨) أى لا يضمنون .

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾^(٩)، أى أنزل .

﴿فَبِمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾^(١٠)، أى أحل له .

- (٢) سورة القصص ١٠
(٤) سورة يونس ٧١
(٦) سورة المائدة ٤
(٨) سورة الصافات ٨
(١٠) سورة الأحزاب ٢٨

- (١) سورة هود ٢٣
(٣) سورة الإسراء ٧٩
(٥) سورة مباء ٢٣
(٧) سورة البقرة ٢٢٦
(٩) سورة القصص ٨٥

﴿ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(١) أى ميمرك .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٢) أى لا يرضى .
 ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾^(٣) ، أى أنيبوا إليه وارجموا .
 ﴿ هَلَكَ عَنِ سُلْطَانِيَّةِ ﴾^(٤) ، أى زال .
 ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾^(٥) ، فإنه يقال : خالفت زيدا ، من غير
 احتياج لتعديده بالجار ؛ وإنما جاء محولا على « ينصرفون » أو « يزيفون » .
 ومثله تمديده « رحم » بالباء فى نحو : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾^(٦) حلا على
 « رموف » ، فى نحو : ﴿ رَمُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٧) ، ألا ترى أنك تقول : رأفت به ،
 ولا تقول : رحمت به ؛ ولكن لما وافقه فى المعنى نزل منزله فى التمديده .
 وقوله : ﴿ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ قَعِيرٍ ﴾^(٨) ، ضمن معنى « سائل » .
 ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾^(٩) ، قال الزمخشري : ضمن معنى « تحاملوا » ،
 فضاء : « مَلَى » ، والأصل فيه « من » .

تنبيهان

الأول : الأكثر أن يُراعى فى التمديده ما ضمن منه ، وهو المحذوف لا المذكور ،
 كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾^(١٠) ، أى الإفضاء .
 وقوله : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾^(١١) ، أى يروى بها ، وغيره مما سبق .

(٢) سورة يونس ٨١

(٤) سورة المائدة ٢٩

(٦) سورة الأحزاب ٤٣

(٨) سورة القصص ٢٤

(١٠) سورة البقرة ١٨٧

(١) سورة آل عمران ٥٥

(٣) سورة فصلت ٦

(٥) سورة التور ٦٣

(٧) سورة التوبة ١٢٨

(٩) سورة الطغية ٢

(١١) سورة النهر ٦

ولم أجد مراعاة للفظ به إلا في موضعين : أحدهما قوله تعالى : ﴿ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾^(١) ، على قول ابن الضائع أنه ضمن « يقال » معنى « بنادى » و « إبراهيم » نائب عن الفاعل ؛ وأورد على نفسه : كيف عدى باللام والنداء لا يعمدى به ؟ وأجاب بأنه روى المفوظ به ؛ وهو القول ؛ لأنه يقال : قلت له .

الثاني : قوله : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٢) ؛ فإنه قد يقال : كيف يتعلق التكليف بالرضع ؟ فأجيب بأنه ضمن « حرم » المعنى اللغوى ، وهو المنع . فاعترض كيف عدى بـ « حلى » والمنع لا يعمدى به ؛ فأجيب بأنه روى صورة اللفظ .

الثاني : أن التضمين يطلق على غير ما سبق ؛ قال القاضي أبو بكر في كتاب « إيجاز القرآن »^(٣) : هو حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم [أو صفة]^(٤) هي عبارة عنه ، ثم قسمه إلى قسمين : أحدهما ما يفهم من البنية ، كقولك : معلوم ؛ فإنه يوجب أنه لا بد من عالم . والثاني من معنى العبارة [من حيث لا يصح إلا به]^(٥) كالصفة ، فضارب يدل على مضروب . قال : والتضمين كله إيجاز ، قال : وذكر أن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ من باب التضمين ؛ لأنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى ، أو التبرك باسمه .

وذكر ابن الأثير في كتاب « المعاني المبتدعة » : أن التضمين واقع في القرآن خلافا لما أجمع عليه أهل البيان ؛ وجعل منه قوله تعالى في الصافات : ﴿ تَوَّأْنٌ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ . لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾^(٥) .

ويطلق التضمين أيضاً على إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لتأكيد المعنى ،

(٢) سورة القصص ١٢

(٤) تكة من إيجاز القرآن

(١) سورة الأنبياء ٦

(٣) إيجاز القرآن ص ٤١٢ - ٤١٣

(٥) سورة الصافات ١٦٩

أو لترتيب النظم ؛ ويسمى الإبداع كما يبداع الله تعالى في حكايات أقوال المخلوقين، كقوله تعالى حكاية عن قول للملائكة : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾^(١) .

ومثل ما حكاه عن المنافقين : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ قَالُوا أُنْزِلَ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾^(٣) .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾^(٤) .

﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى ﴾^(٥) ، ومثله في القرآن كثير .

وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الأجممية .

ويقرب من التضمين في إيقاع فعل موقع آخر إيقاع الظن موقع اليقين في الأمور الحقيقية؛

كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾^(٦) .

﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ ﴾^(٧) .

﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾^(٨) .

﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾^(٩) .

﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّجِيصٍ ﴾^(١٠) .

وشرط ابن عطية في ذلك ألا يكون متعلقه حسيًا ، كما قول العرب في رجل يرى

حاضرًا : أظن هذا إنسانًا ، وإنما يستعمل ذلك فيما لم يخرج إلى الحسّ بعد ، كالآيات السابقة .

(٢) سورة البقرة ١١

(٤) سورة البقرة ١١٣

(٦) سورة البقرة ٢٤٩

(٨) سورة ص ٢٤

(١) سورة البقرة ٣٠

(٣) سورة البقرة ١٣

(٥) سورة البقرة ٤٦

(٧) سورة الكهف ٥٣

(٩) سورة فصلت ٤٨

قال الراغب في « التريمة » : « الظن إصابة المطلوب بضرب من الأمانة مة دد بين يقين وشك ، فيقرب تارة من طرف اليقين ، وتارة من طرف الشك ، فصار أهل اللغة يفسرونه بهما ؛ فمضى رضى إلى طرف اليقين أقرب استعمل به » أن « الثقل والخفة فيهما ، كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴾ ^(١) ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ ^(٢) . ومتى رضى إلى الشك أقرب استعمل معه » أن « التي للعدومين من القل ، نحو ظننت أن يخرج . قال : وإنما استعمل الظن بمعنى العلم في قوله : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ ^(٣) لأمرين :

أحدهما : للتنبيه على أن علم أكثر الناس في الدنيا بالنسبة إلى علمهم في الآخرة ، كالظن في جنب العلم .

والثاني : أن العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل إلا للنبیین والصديقين المعتبرين بقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ ^(٤) ، والظن متى كان عن أمانة قوية فإنه يمدح به ، ومتى كان عن تخمين لم يمدح ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ ^(٥) . وجوز أبو الفتح في قوله : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٦) أن يكون المراد بها اليقين ، وأن تكون على بابها ، وهو أقوى في المعنى ، أى فقد يمنع من هذا التوهم ، فكيف عند تحقيق الأمر ، فهذا أبلغ كقوله : « يكفيك من شر سماعة » أى لو توهم البعث والنشور وما هناك من عظم الأمر وشدته لاجتنب للمامى ، فكيف عند تحقق الأمر وهذا أبلغ .

وقيل : آيتا البقرة بمعنى الاعتقاد ، والباقي بمعنى اليقين ، والفرق بينهما أن الاعتقاد يقبل التشكيك بخلاف اليقين ، وإن اشتركا جميعا في وجوب الجزم بهما .

(٢) سورة الأعراف ١٧١

(٤) سورة المجرات ١٥

(٦) سورة المطففين ٤ ، ٥

(١) سورة البقرة ٢٤٩

(٣) سورة البقرة ٤٦

(٥) سورة المجرات ١٢

وكذلك قوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴾ ^(١) .

وقد جاء عكسه وهو التجوز عن الظن بالعلم ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾ ^(٢) ، ولم يكن ذلك علماً جازماً بل اعتقاداً ظنياً .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ^(٣) ، وكان يحكم بالظن وبالظاهر .

وقوله : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ ^(٤) وإنما يحصل بالامتحان في الحكم ، ووجه التجوز أن بين الظن والعلم قدراً مشتركاً وهو الرجحان ؛ فتجوز بأحدهما عن الآخر .

(٢) سورة يوسف ٨١

(٤) سورة اللصنة ١٠

(١) سورة المائدة ٢٠

(٣) سورة الإسراء ٣٦

وضع الخبير موضع الطلب

في الأمر والنهي

كقوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ ^(١) .

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ ^(٢) .

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٣) .

﴿ الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ ... ﴾ ^(٥) الآية ؛ ولهذا جعلها العلماء

من أمثلة الواجب .

﴿ فَلَا رَفْتَ وَلَا فُسُوقَ ﴾ ^(٦) على قراءة نافع ، أى لا ترفقوا ولا تنسقوا .

﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ ^(٧) قالوا : هو خير ، وتأويله نهي ، أى لا تنفقوا

إلا ابتغاء وجه الله ، كقوله : ﴿ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ^(٨) وكقوله : ﴿ لَا تَصَارُ وَالِدَةٌ

بِوَلَدِهَا ﴾ ^(٩) ، على قراءة الرفع . وقيل : إنه نهي مجزوم - أعنى قوله : ﴿ لَا يَمْسُهُ ﴾ - ولكن

صُمِّتَ إنباءاً للضمير ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « إنا لم نردّه عليك إلا أنا حرم » .

وقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ^(١٠) ، ضمن

« لا تعبدون » معنى « لا تعبدوا » بدليل قوله بعده : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(١١) ، وبه يزول

الإشكال في عطف الإنشاء على الخبر ؛ لكن إن كان « حَسَنًا » معمولاً لأحسوا ، فضعفُ

(١) سورة البقرة ٢٢٨

(٢) سورة يوسف ٩٢

(٣) سورة البقرة ١٩٧

(٤) سورة الواقعة ٨٩

(٥) سورة البقرة ٨٣

(٦) سورة البقرة ٢٣٣

(٧) سورة الرعد ٢٤

(٨) سورة المائدة ٨٩

(٩) سورة البقرة ٢٧٢

(١٠) سورة البقرة ٢٣٣

« قولوا » عليه أولى لاتفاقهما لفظا ومعنى ، وإن كان التقدير و « يحسنون » فهو الذى قبله ، والمطف على القريب أولى . وقيل : ﴿ لَا تَعْبُدُون ﴾ أبلغ من صريح النهى لما فيه من إيهام أن النهى يسارع إلى الانتهاء ، فهو مخبر عنه .

وكذا قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ ^(١) فى موضع « لا تسفكوا » .

وقوله فى سورة الصف : ﴿ وَيَشِرُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) عطفًا على قوله : ﴿ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(٣) ، ولهذا جزم الجواب .

وقوله : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ ^(٤) إلى قوله : ﴿ وَأَمْتَارُوا الْيَوْمَ ﴾ ^(٥) ؛ فإن اللقار يشتمل على تضمين ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ ﴾ معنى الطلب ، بدليل ما قبله : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ ^(٦) ، فإنه كلام وقت الحشر لوروده معطوفاً بالفاء ، على نوله : ﴿ إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ ^(٧) وعام لجميع أخلق لمعوم قوله : ﴿ لَا نُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ ^(٨) ، وإن الخطاب الوارد بعده على سبيل الالتفات ، وهو قوله : ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٩) ، خطاب عام لأهل الحشر ، فيكون قوله : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ ^(١٠) إلى قوله : ﴿ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴾ ^(١١) مقيدا بهذا الخطاب لكونه تفصيلا لما أجمله : ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١٢) ، وإن التقدير أن أصحاب الجنة منكم يا أهل الحشر ، ثم جاء فى التفسير أن قوله هذا : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ ^(١٣) يقال لهم حين يساق بهم إلى الجنة ، بتزليل ما هو للتكوين مَرَّةً للكائن ، أى إن أصحاب الجنة منكم يا أهل الحشر ، يؤول حالهم

(١) سورة الصف ١٣

(١) سورة البقرة ٨٤

(٤) سورة يس ٩٩

(٣) سورة يس ٥٥

(٦) سورة يس ٥٣

(٥) سورة يس ٥٤

(٧) سورة يس ٥٥

إلى أسعد حال ، والتقدير حينئذ « قامتا زوا عنكم إلى الجنة » ، هكذا قرره السكاكي في « المفتاح » .

قيل : وفيه نظر ؛ لأنها إذا كانت طلبية ومعناها أمر المؤمنين بالذهاب إلى الجنة ، فليكن الخطاب معهم لا مع أهل الخشر .

ولهذا قال بعضهم : إن تضمين أصحاب أهل الجنة للطلب ليس المراد منه أن الجنة نفسها طلبية ، بل معناه أن يقدر جملة إنشائية بعدها ، بخلاف قوله : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ تَوَمَّنْ يَا أُولَ الْبَيْتِ وَالْمُؤْمِنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ^(٢) ، فإنه يقال : كيف جاء الجزم في جواب الخبر ؟ وجوابه أنه لما كان في معنى الأمر جاز ذلك ، إذ المعنى : آمنوا وجاهدوا .

وقال ابن جني : لا يكون « يغفر » جوابا لـ « هل أدلكم » وإن كان أبو العباس قد قاله ، لأن الغفرة تحصل بالإيمان لا بالدلالة . انتهى . وقد يقال الدلالة : سبب السبب . إذا علمت هذا ؛ فإنما يحىء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقا لثبوته ؛ وأنه مما ينبغي أن يكون واقعا ولا بد ، وهذا هو المشهور .

وفيه طريقة أخرى قلت عن القاضي أبي بكر وغيره ؛ وهي أن هذا خبر حقيقة غير مصروف عن جهة الخبرية ؛ ولكنه خبر عن حكم الله وشرعه ليس خبرا عن الواقع ؛ حتى يلزم ما ذكره من الإشكال ؛ وهو احتمال عدم وقوع خبره ؛ فإن هذا إنما يلزم الخبر عن الواقع ؛ أما الخبر عن الحكم فلا ؛ لأنه لا يقع خلافه أصلا .

وضع الطليع موضع الخبر

كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَن حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَأَلْقَى عَصَاكَ ﴾^(٤) قوله : ﴿ وَأَلْقَى ﴾ معطوف على قوله . ﴿ أَن بُورِكَ ﴾ ذ « ألقى » وإن كان إنشاء لفظا ، لكنه خبر معنى . واللفظ : فلما جاءها قيل بورك من في النار . وقيل : ألقى .

وللوجوب لهذا قول النحاة إن « أن » هذه مفسرة لا تأتي إلا بعد فعل في معنى القول ، وإذا قيل : كتبت إليه أن أزعج ، وناداني أن قم ، كله بمنزلة : قلت له ، وقال لي قم . كذا قاله صاحب الفتاح .

وما ذكره من أن « بورك » خبرية لفظا ومعنى ممنوع ؛ لجواز أن يكون دعاء وهو إنشاء ؛ وقد ذكر هذا التقدير الفارسي وأبو البقاء ، فتكون الجملتان متفقتين في معنى الإنشاء ؛ فتكون مثل (لا تعبدون إلا الله) .

وقوله : ﴿ يَا لَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ ﴾^(٥) إلى قوله : ﴿ وَإِنَّمَا لَسَكَادِ يُونُ ﴾^(٦) ؛

فإنه يقال : كيف ورد التمني على التكذيب وهو إنشاء ؟

(٢) سورة التوبة ٥٣

(٤) سورة النمل ٨ - ١٠

(١) سورة مريم ٧٥

(٣) سورة البقرة ١٢٥

(٥) سورة الأنعام ٢٧ ، ٢٨

وأجاب الزخشرى أنه ضمن معنى الِحدة ، وأجاب غيره بأنه محمول على اللغى من الشرط والخبر ؛ كأنه قيل : إن زدنا لم نكذب وآمنا . والشرط خبر ، فصح ورود التكذيب ^(١) عليه .

وقوله : ﴿ أَتَيْمُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ ﴾ ^(٢) ، أى ونحن حاملون ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ^(٣) والكذب إنما يرد على الخبر .

وقوله : ﴿ أُنْمِغْ بِهِمْ وَأُبْعِرْ ﴾ ^(٤) ؛ تقديره : ما أسممهم وأبصرهم الآن الله تعالى لم يتمجب منهم ، ولكنه دل المكلفين على أن هؤلاء قد نُزِّلوا منزلة مَنْ يتمجب منه .
وتما يدل على كونه ليس أمراً حقيقياً ظهور الفاعل الذى هو الجار والمجرور فى الأول ، وفعل الأمر لا يبرز فاعله أبداً .

ووجه التجوز فى هذا الأسلوب أن الأمر شأنه أن يكون ما فيه داعية للأمر ؛ وليس الخبر كذلك ، فإذا عبر عن الخبر بلفظ الأمر أشعر ذلك بالداعية ، فيكون ثبوته وصدقه أقرب . هذا بالنسبة لكلام العرب لا لكلام الله ؛ إذ يستعمل فى حقه سبحانه الداعية لفعل .

بقى الكلام فى أيهما أبلغ ؟ هذا القسم أو الذى قبله ؟
قال الكواشى فى قوله تعالى : ﴿ قَلَيْدُ لَهُ الرَّحْنُ مَدًّا ﴾ ^(٥) ، الأمر بمعنى الخبر ؛ لضمه الزوم ؛ نحو إن زرتنا فلتكرمك ، يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم .
وقال الزخشرى فى قوله تعالى : ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ^(٦) ، ورود الخبر ؛ وللراد الأمر أو النهى ، أبلغ من صريح الأمر والنهى ؛ كأنه سورع فيه إلى الامتنال والخبر عنه .

(١) حاشية م : « التكذيب على التثنية » . (٢) سورة الشكوت ١٢

(٣) سورة مريم ٧٥

(٤) سورة مريم ٤٠

(٥) سورة البقرة ٨٣

وقال النووي في شرح « مسلم » في باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها : وقول
صلى الله عليه وسلم : « لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ، وَلَا يَسُومُ على سوم أخيه » ،
هكذا هو في جميع النسخ ، « ولا يسوم » بالواو « ولا يخطب » بالرفع ، وكلاهما لفظه
لفظ الخبر ؛ والمراد به النهي وهو أبلغ في النهي ، لأن خبر الشارع لا يتصور وقوع خلافه ،
والنهي قد يقع مخالفته ، فكان للنهي : عاملوا هذا النهي معاملة خبر الحتم ، ثم قال صلى الله
عليه وسلم : « ولا تسأل المرأة طلاق أختها » يجوز في « تسأل » الرفع والكسر ^(١) ،
والأول على الخبر الذي يراد به النهي ، وهو المناسب لقوله قبله : « لا يخطب وَلَا يسوم » ،
والثاني على النهي الحقيقي . انتهى .

(١) حاشية م : « أي لالتقاء الساكنين وهو يجوزم بكون مقدر » .

وضع النداء موضع التعجب

كقوله تعالى : ﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَىَّ الْيَمَادِ ﴾^(١) ، قال الفراء : معناه : فيالها من حسرة ! والحسرة في اللغة أشد الندم ؛ لأن القلب يبقى حسيرا .

وحكى أبو الحسين بن خالويه في كتاب « المبتدأ » عن البصريين أن هذه من أصعب مسألة في القرآن ، لأن الحسرة لا تنادى ، وإنما تنادى الأشخاص ؛ لأن فائدته التنبيه ، ولكن المعنى على التعجب ، كقوله : يا عجبا لم قلت ! ﴿ يَا حَسْرَتَا عَلَىَّ مَا فَرَطْتُ ﴾^(٢) ، وهو أبلغ من قولك : العجب . قيل : فكأن التقدير يا عجبا احضر ، يا حسرة احضري ! وقرأ الحسن : ﴿ يَا حَسْرَةَ الْعِيَادِ ﴾ .

ومنه قال : الأصل « يا حسرتاه » ثم أسقطوا الهاء تخفيفا ، ولهذا قرأ عاصم ﴿ يَا أَسْفَاهُ عَلَىَّ يَوْسُفَ ﴾^(٣) .

وقال ابن جني في كتاب « القصر » معناه أنه لو كانت الحسرة مما يصح نداءه لكان هذا وقها .

وأما قوله تعالى : ﴿ يَا بُشْرَى ﴾^(٤) ، قالوا : معنى النداء فيها لا يقل تنبيه المخاطب وتوكيد النقص ؛ فإذا قلت : يا عجبا ! فكأنك قلت : اعجبوا ، فكأنه قال : يا قوم أبشروا .

قال أبو الفتح في « الخاطريات » : وقد توضع الجملة من المبتدأ والخبر موضع

(٢) سورة الزمر ٥٦

(٤) سورة يوسف ١٩

(١) سورة يس ٣٠

(٣) سورة يوسف ٨٤

للفعل به ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾^(١) بعد قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ﴾^(٢) ، للمنى : ولتنتفعوا بها ، عطفا على قوله : ﴿ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا ﴾
وعلى هذا قال : ﴿ وَتَقْبَلُونَهَا عَلَيْهَا حَاجَةٌ فِي صُدُورِكُمْ ﴾^(٣) . وكذلك قوله : ﴿ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴾^(٤) ، أى ولأنكأ منها . ولذلك أتى : ﴿ وَعَلَيْهَا وَطَىٰ أَلْفَاكُ تَحْمَلُونَ ﴾^(٥) ،
تخطف الجملة من الفعل ومرفوعة على الفعل له .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ ﴾^(٦) ، أى ولأنى
ربكم فأتقون ، فوضع الجملة من للببدأ والخبر موضع المفعول له .

وبهذا يبطل تعلق مَنْ تعلق على ثبوته في قوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾^(٧) ، وقوله :
إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ مَوَاضِعِ الْإِبْدَاءِ لِمَا جَوَّازِ تَقْدِيرِ : وَأَذَانٌ بَأَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ ، وبأن
رسوله كذلك .

(٢) سورة غافر ٧٩

(٤) سورة النوبة ٣

(١) سورة غافر ٨٠

(٣) سورة المؤمن ٥٢

وضع جمع العتلة موضع الكثرة

لأن المجموع يقع بعضها موقع بعض ، لا اشتراكها في مطلق الجمعية ، كقوله تعالى : ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْفَاقَاتِ آمِنُونَ﴾^(١) ، فإن المجموع بالآلف والتاء للقلة ، وغرف الجنة لا تحصى .

وقوله : ﴿مَنْ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٢) ، وَرَتَّبُ النَّاسُ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَكْبَرَ مِنَ الْعَشْرِ لَا عَمَالَةَ .

وقوله : ﴿اللَّهُ يَقُوتِي الْأَلْفُسَ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿وَأَسْتَفِيقُنَّهَا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٤) ، وهو كثير .

وقيل : سبب ذلك في الآية الأولى دخول الألف واللام الجنسية؛ فيكون ذلك تكثيراً لها ، وكان دخولها على جمع القلة أولى من دخولها على جمع الكثرة ، إشارة إلى قلة من يكون فيها ، ألا ترى أنه لا يكون فيها إلا المؤمنون !

وقد نص سببانه على قلتهم بالإضافة إلى غيرهم في قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَأْمُومٌ﴾^(٥) ، فيكون التكثير الداخل في قوله : ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْفَاقَاتِ﴾^(٦) ، لا من جهة وضع جمع القلة موضع جمع الكثرة ؛ ولكن من جهة ما اقتضته الألف واللام للجنس .

واعلم أن جموع التكثير الأربعة وجمعي التصحيح - أعنى جمع التأنيث وجمع التذكير - كل ذلك للقلة ؛ أما جموع التكسير فبالوضع ، وأما جمعا التصحيح ؛ فلائهما

(٢) سورة آل عمران ١٦٣

(٤) سورة النمل ١٤

(٦) سورة سبأ ٣٧

(١) سورة سبأ ٣٧

(٣) سورة الزمر ٤٢

(٥) سورة ص ٧٤

أقرب إلى الثنية ؛ وهى أقل العدد ، فوجب أن يكون الجمع للشابه لما بمنزلتها فى التلة ، وما عداها من الجوع فبرد تارة للقة وتارة للكثرة بحسب القرائن ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ^(١) . ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢) . ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ^(٤) . ﴿ أَلَا لَهُمْ هُمُ لِّلْمُفْسِدُونَ ﴾ ^(٥) . ﴿ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ^(٦) ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ^(٧) . ﴿ وَكُنْتُمْ أَشْقَىٰ أُمُوتًا ﴾ ^(٨) . ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ^(٩) . ﴿ فَقَالَ أَنِيبُوْنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(١٠) . ﴿ يَسْمِعُهُمْ وَأُبْصَارِهِمْ ﴾ ^(١١) . ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(١٢) . ﴿ إِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ ﴾ ^(١٣) . ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(١٤) . ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(١٥) . ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ ﴾ ^(١٦) . ﴿ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ ﴾ . ﴿ وَاتَّقُوا يَٰ أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١٧) . ﴿ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ ^(١٨) . ﴿ أَنْ يَنْسِكْحَنَ آرَٰءَاجِهِنَّ ﴾ ^(١٩) ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ ^(٢٠) . فإن قلت : ليس هذا منه ، بل هى للقة ، لأنها

خمس .

قلت : لو كان كذلك لما صح : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ^(٢٠) .

(١) سورة الفاتحة ٧	(٢) سورة البقرة ٢
(٣) سورة البقرة ٥	(٤) سورة البقرة ١١
(٥) سورة البقرة ١٢	(٦) سورة البقرة ١٤
(٧) سورة البقرة ١٦	(٨) سورة البقرة ٢٨
(٩) سورة البقرة ٣١	(١٠) سورة البقرة ٢٠
(١١) سورة البقرة ٤٤	(١٢) سورة المائدة ١
(١٣) سورة التوبة ٢٠	(١٤) سورة البقرة ٨٥
(١٥) سورة البقرة ١٥٤	(١٦) سورة البقرة ١٩٧
(١٧) سورة المائدة ٨٩	(١٨) سورة البقرة ٢٣٢
(١٩) سورة البقرة ٢٣٨	(٢٠) سورة البقرة ٢٣٦

(فِيَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ) ^(١)؛ فالمراد منها واحد، والجواب عن أحدهما الجواب عن الآخر .

وقوله تعالى : (مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) ^(٢) . (إِنْ تَبْذُؤُوا الصَّدَقَاتِ) ^(٣) ، (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ) ^(٤) الآية . (وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) ^(٥) الآية . ولا تجمعي كثرة

ومن شواهد مجي جمع القلة مراداً به الكثرة قول حسان رضي الله عنه :
لَنَا الْبَقَعَاتُ الْفَرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقَطُرْنَ مِنْ تَجْدَةٍ دَمَا ^(٦)
وَحِكْمِي أَنْ النَّابِئَةَ قَالَ لَهُ : قَدْ قُلْتَ جَفَتَاكَ وَأَسْيَافَكَ ^(٧) .

وطعن الفارسي في هذه الحكاية لوجود وضع جمع القلة موضع الكثرة فيا له جمع كثرة ، وفيلا لا جمع له كثرة في كلامهم . وصححها بعضهم قال : يعني أنه كان ينبغي لحسان تجنب اللفظ الذي أصله أن يكون في القلة ، وإن كان جائزاً في اللسان وضعه لقريظة إذا كان للوضع موضع مدح ، أو أنه وإن كانت القلة بمعنى الكثرة ، لكن ليس في كل مقام . ومن المشكل قوله تعالى : (فَيَضَاعِفُهُ لَهُ أَضَافًا كَثِيرَةً) ^(٨) فإن «أضافاً» جمع قلة فكيف جاء بـ «كثرة» !

والجواب أن جمع القلة يستعمل مراداً به الكثرة ، وهذا منه .

تنبيهان

الأول : إنما يُسأل عن حكمة ذلك حيث كان له جمع كثرة ، فإن لم يكن فلا :

- | | |
|---|----------------------|
| (١) سورة البقرة ٢٣٦ | (٢) سورة البقرة ٢٦٦ |
| (٣) سورة البقرة ٢٧١ | (٤) سورة آل عمران ١٧ |
| (٥) سورة الأحزاب ٣٥ | (٦) ديوانه |
| (٧) في اللوشح ٦٠ : «أنت شاعر ، ولكك أظلت أجباناك وأسيفناك ، وفخرت بمن ولدك ولم تفخر بمن ولدك» . | (٨) سورة البقرة ٢٤٥ |

كقوله : ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ ^(١) ، فَإِنَّ « أَيَّامًا » أفعال مع أنها ثلاثون ، لكن ليس لليوم جمع غيره ؛ ومن ثم أفرد السَّمْعَ وجمع الأبصار في قوله : ﴿ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ ﴾ ^(٢) لأن « فملا » ساكن العين صحيحها لا يجمع على « أفعال » غالبا ؛ وليس له جمع تكسير ؛ فلما كان كذلك اكتفى بدلالة الجنس على الجمع .

وجعل بعضهم من هذا « أنفسكم » على كثرتها في القرآن ؛ وليس كذلك ، فقد جاء ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ ، وحكته هنا ظاهرة ، لأن للراد استيعاب جميع الخلق في المحشر .

ونظيره : ﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ ^(٣) لإمكان « الثمار » وليس رأس آية .
ومنه : ﴿ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ ﴾ ^(٤) لإمكان « آى » ، ولا يقال إنه لطلب للشاكلة فقد قال تعالى بمذه : ﴿ وَأَخْرَجْنَا مُتَشَابِهَاتٍ ﴾ ^(٥) ، فدل على عدم الشاكلة لإمكان « أخريات » .
وكذلك قوله : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ^(٦) ، وليس رأس آية ، ولا فيه مشاكلة ، لإمكان « الأنهر » .

وقد جاء أنفس للقلة ، كقوله : ﴿ وَأَنْفُسًا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(٧) ، وقيل : المراد نفسان من باب : ﴿ فَقَدْ صَنَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ ^(٨) .

الثانى : إنما يتم في المنكر أما المرف فيستغنى بالعموم عن ذلك ، وبهذا يחדش في كثير مما سبق جملة من هذا النوع . وقد قال الزخشرى في قوله تعالى : ﴿ مِنْ الثَّمَرَاتِ ﴾ ^(٩) :
لأنه جمع قلة ، وضع موضع جمع الكثرة ^(١٠) ، ورد عليه بأن « أل » في « الثمرات » للعموم فيصير كالثمار ، ولا حاجة إلى ارتكاب وضع جمع قلة موضع جمع كثرة ، وكذلك يتحسنان السابق فإن الجلفات معرفة بـ « أل » « وأسافنا » مضاف ، ليم .

- (٢) سورة البقرة ٧
(٤) سورة آل عمران ٧
(٦) سورة آل عمران ٦١
(٨) سورة البقرة ٢٢

- (١) سورة البقرة ١٨٤
(٣) سورة البقرة ٢٦٦
(٥) سورة البقرة ٢٥
(٧) سورة التحريم ٤
(٩) الكشاف ١ : ٢١

تذكير المتن

يكثر في تأويله بذكر ، كقوله تعالى : ﴿فَمِنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾^(١) ، على تأويلها بالوعظ .

وقوله : ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾^(٢) ، على تأويل البلدة بالمكان ، وإلا لقال : « مَيِّتَةٌ » .

وقوله : ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾^(٣) ، أى الشخص أو الطالع .

وقوله : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٤) ، أى بيان ودليل وبرهان .

وقوله : ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَافًا﴾^(٥) .

وإنما يترك التأنيت كما يترك صفات للذكر ، لا كما في قوله : امرأة معطار ؛ لأن السماء بمعنى المطر ، مذكر ، قال :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمِ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(٦)

ويجمع على أسمية وسمى ، قال المعاجز :

• تَلَقَّهِ الْأَرْوَاحُ وَالسَّمَى •^(٧)

وقوله : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾^(٨) ، إلى قوله : ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾^(٩) ، ذكر الضمير ؛

لأنه ذهب بالقسمة إلى المقسوم .

(٢) سورة ق ١١

(١) سورة البقرة ٢٧٥

(٤) سورة الأعراف ٨٥

(٣) سورة الأنعام ٧٨

(٦) لماوية بن مالك بن جفر ؛ الفضليات

(٥) سورة الأنعام ٦

من ٣٥٩ ؛ والبيت من شواهد التلخيص ؛ ونسبه بعض شراحه إلى جرير ، وليس له .

(٨) سورة النساء ٨

(٧) القاسم ١٩ ، ١٢٣ ، ونسبه إلى رؤبة .

وقوله : ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْفَامِ لَمَبْرَةٌ تُسَبِّحُكُمْ بِمَا فِي بُطُونِهِ﴾^(١) ، ذهب بالألفاء إلى معنى النسم ، أو حمله على معنى الجمع .

وقوله : ﴿إِنْ رَحْمَةُ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) ، ولم يقل «قريبة» قال الجوهري : ذُكِرَتْ^(٣) على معنى الإحسان . وذكر الفراء أن العرب تفرق بين النسب ، والقرب من المكان ، فيقولون : هذه قريبتى من النسب ، وقريبى من المكان ، فعلوا ذلك فرقا بين قرب النسب والمكان .

قال الزجاج : وهذا غلط ؛ لأن كل ما قُرب من مكان ونسب ، فهو جار على ما يقتضيه من التذكير والتأنيث ؛ يُريد أنك إذا أردت القرب من المكان ، قلت : زيد قريب من عمرو ، وهند قريبة من العباس ، فكذا فى النسب .

وقال أبو عبيدة^(٤) : ذكر «قريب» لتذكير المكان ، أى مكانا قريبا . وردّه ابن السجري بأنه لو صح لنسب «قريب» على الظرف .

وقال الأخفش : المراد بالرحمة هنا للطر ؛ لأنه قد تقدم ما يقتضيه ، فحِيلَ المذكور عليه .

وقال الزجاج : لأن الرحمة والفقران بمعنى واحد ؛ وقيل : لأنها والرحم سواء : ومنه : ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾^(٥) ، فعملوا الخبر على المعنى ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾^(٦) .

وقيل : الرحمة مصدر ، والمصادر كما لا تجميع لا تنوثن .

وقيل : «قريب» على وزن «فيل» و «فيل» يستوى فيها المذكور والمؤنث حقيقةً كان أو غير حقيقى . ونظيره قوله تعالى : ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٧) .

(٢) سورة الأعراف ٥٦

(١) سورة النحل ٦٦

(٣) الصحاح ١ : ١٩٨ ؛ تصغير فى العبارة .

(٥) سورة الكهف ٨١

(٤) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٦

(٧) سورة يس ٧٨

(٦) سورة الكهف ٩٨

وقيل : من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، مع الالتفات إلى المحذوف ، فكأنه قال : وإن مكان رحمة الله قريب ، ثم حذف للكان وأعطى الرحمة إعرابه وتذكيره .

وقيل : من حذف للوصوف وإقامة الصفة مقامه ، أى إن رحمة الله شئ قريب أو لطيف ، أو ير أو إحسان .

وقيل : من باب إكساب المضاف حكم المضاف إليه ؛ إذا كان صالحاً للحذف والاستغناء عنه بالثاني ، وللشهور في هذا تأنيث المذكر لإضافته إلى مؤنث ، كقوله : مَشَيْنَ . كَمَا اهْتَزَّتْ رِيحٌ تَسْفَتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ النَّوَاسِمِ^(١)

قال : « تسفت » والفاعل مذكر ؛ لأنه اكتسب تأنيثاً من الرياح ، إذ الاستغناء عنه جائز ، وإذا كانت الإضافة على هذا تعطى المضاف تأنيثاً لم يكن له ، فلأن تعطيه تذكيراً لم يكن له . كما في الآية السريعة . أحق وأولى ؛ لأن التذكير أولى والرجوع إليه أسهل من الخروج عنه .

وقيل : من الاستغناء بأحد المذكورين لكون الآخر تبعاً له ، ومعنى من معانيه . ومنه في أحد الوجوه قوله تعالى : (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)^(٢) ، فاستغنى عن خبر الأعناق بخبر أحسابها ؛ والأصل هنا إن رحمة الله قريب ، وهو قريب من المحسنين ، فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الوجود ، وسوغ ظهور ذلك للمعنى .
ونظير هذه الآية الشريفة قوله تعالى : (وَمَا يُدْرِيكَ لَمَلَ السَّاعَةِ قَرِيبٌ)^(٣) ، قال البنوي : لم يقل « قريبة » لأن تأنيثها غير حقيق ، ومجازها الوقت .

(٢) سورة الشعراء ٤

(١) اللسان ١٧ : ٣٩٣ ، بدون نية .

(٣) سورة الكورى ١٧

وقال الكسائي: إتيانها قريب .

وقيل في قوله تعالى: ﴿ يَرْيَحُ صَرَصِرٌ ﴾^(١)، ولم يقل: « صرصرة » كما قال: ﴿ يَرْيَحُ صَرَصِرٌ عَاتِيَةً ﴾^(٢) لأنَّ الصرصر وصف مخصوص بالريح لا يوصف به غيرها، فأشبهه باب « حائض » ونحوه؛ بخلاف « عاتية » فإن غير الريح من الأسماء المؤنثة يوصف به .

وأما قوله تعالى: ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾^(٣)، ففي تذكر « منفطر » خسة أقوال: أحدها: للقراء، أن السماء تذكر وتؤنث، فجاء « منفطر » على التذكير .
والثاني: لأبي على أنه من باب اسم الجنس الذي يبينه وبين واحدته التاء، مفردة سماء، واسم الجنس يذكر ويؤنث، نحو: ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾^(٤) .
والثالث: للكسائي، أنه ذكر حملا على معنى السقف .
والرابع: لأبي على أيضا على معنى النسب؛ أي ذات انفطار؛ كقولهم: امرأة مريض، أي ذات رضاع .

والخامس: للزمخشري، أنه صفة تلحق محذوف مذكّر، أي شيء منفطر .
وسأل أبو عثمان اللباني بحضرة المتوكل قوما من النحويين؛ منهم ابن السكيت وأبو بكر بن قادم عن قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ يَنِيًّا ﴾^(٥): كيف جاء بغير هاء .
ونحن نقول: امرأة كريمة، إذا كانت هي الفاعل وليست بمنزلة « القتل » التي هي بمعنى « للقول »؛ فأجاب ابن قادم وخطأ، فقال له للمتوكل: أخطأت، قل يا بكر - للاباني، قال: « بنى » ليس لـ « فصيل » وإنما هو « فعول » والأصل فيه « بنوى »، فلما التقت واو وياء، وسبقت إحداهما بالسكون أدغمت الواو في الياء، فقيل: « بنى » كما تقول: امرأة

(٢) سورة الزمل ١٨

(٤) سورة مريم ٢٨

(١) سورة الحاقة ٦

(٣) سورة القمر ٢٠

صبور ، بمير هاء ؛ لأنها بمعنى صابرة ؛ فهذا حكم « فصول » إذا عدل عن فاعله ، فإن عدل عن مفعوله جاء بالهاء ، كما قال :

• منها اثنتان وأربعون حُلوبة^(١) •

بمعنى « محلوقة » حكاه التوحيدى فى « البصائر » .

وقال البغوى فى قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾^(٢) ، ولم يقل « رميمة » ، لأنه مدلول عن فاعلة ، وكلا كان مدلولاً بمن جهته ووزنه كان مصروفاً عن فاعلة ، كقوله : ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ نَبِيًّا ﴾^(٣) ، أسقط الهاء ؛ لأنها مصروفة عن « باغية » .

وقال الشريف المرتضى^(٤) فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾^(٥) إن الضمير فى ذلك يعود للرحمة ، وإنما لم يقل « لتلك »^(٦) ؛ لأن تأنيث الرحمة غير حقيقى ، كقوله تعالى : ﴿ هَذِهِ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى ﴾^(٧) ولم يقل « هذه » ؛ على أن قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾^(٨) ، كما يدل على الرحمة بدل على « أن يرحم » ويمحوز رجوع الكتابة إلى قوله إلا أن يرحم ، والتذكير فى موضعه .

قال : ويمحوز أن يكون قوله : ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ كتابة عن اجتماعهم على الإيمان ، وكونهم فيه أمة واحدة ، ولا محالة أنه لهذا خلقهم .

ويطابق هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٩) ، قال : فأما قوله : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ فعناه الاختلاف فى الدين والذهب عن الحق فيه

(٢) لسترة من اللقطة ؛ وبجزءه :

• سُودًا كخفافِية الغرابِ الأسحمر •

(٣) سورة مريم ٢٨

(٢) سورة يس ٧٨

(٤) أمالى المرتضى ١ : ٧٠ ؛ مع تصرف واختصار .

(٦) فى الأسفل : « وتلك » وصوابه من الأصل

(٥) سورة هود ١١٨ ، ١١٩

(٨) سورة الذاريات ٥٦

(٧) سورة الكهف ٩٨

بالمهوى والشبهات . وذكر أبو مسلم^(١) بن بحريه معنى غريباً ، فقال : معناه أن خالف هؤلاء الكفار يخلف مسلمهم في الكفر ، لأنه سواء قولك : خلف بعضهم بعضاً ، وقولك^(٢) : اختلفوا كما سواء قولك : قتل بعضهم بعضاً ، وقولهم : اقتتلوا . ومنه قولهم : لا أقبله ما اختلف العصران ، [والجديدان]^(٣) ، أى جاء كل واحد منهم بعد الآخر .
 . واختلف في قوله : ﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَمَبْرَةٌ نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾^(٤) ، قال الكسائي ، أى من بطون ما ذكرنا .

وقال الفراء : ذَكَرَ لأنه ذهب إلى اللفظ ؛ يعنى معنى التمتع ، وقيل : الأنعام تذكر وتؤنث .

وقال أبو عبيدة : أراد البعض ، أى من بطون أيها كان ذا لبن^(٥) .
 وأسكر أبو حاتم تذكير الأنعام ، لكنه أراد معنى التمتع .

(١) هو أبو مسلم محمد بن زهير الأصمعي ، أحد المفسرين على مذهب الماتريدي ؛ توفي سنة ٢٧٠

(٢) الأصول : « قوله » ، وسوابه من الأمل . (٣) من الأمل .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ : ٣٦٢

(٥) سورة النحل ٦٦

تأنيث المذكر

كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَرْتُوبُونَ أَلَا نَعْلَمُ مَنْ فِيهَا ﴾^(١)؛ فأنت «القرْدوس»، وهو مذكر، حلا على معنى الجنة .

وقوله : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾^(٢)؛ فأنت «عشر» حيث جردت من الماء مع إضافته إلى الأمثال، وواحدتها مذكر، وفيه أوجه :

أحدها : أنت لإضافة الأمثال إلى مؤنث؛ وهو ضمير الحسنة، والمضاف يكتب أحكام المضاف إليه، فتكون كقوله : ﴿ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾^(٣) .

والثاني : هو من باب مراعاة المعنى ؛ لأن الأمثال في المعنى مؤنثة ؛ لأن مثل الحسنة حسنة لا محالة ، فلما أريد توكيد الإحسان إلى الطبع ، وأنه لا يضيع شيء من عمله ؛ كأن الحسنة للنتظرة واقعة ، جعل التأنيث في أمثالها مذهباً على ذلك الوضع ، وإشارة إليه ، كما جعلت الماء في قولهم : راوية وعلامة ، تنبيهاً على المعنى للؤنث للرادف أنفسهم ، وهو الناية والنهاية ؛ ولذلك أنت المثل هنا توكيدا لتصوير الحسنة في نفس الطبع ؛ ليكون ذلك أذعى له إلى الطاعة ، حتى كأنه قال : « فله عشر حسنات أمثالها » حذف وأقيمت صفته مقامه ، وروى ذلك المحذوف الذي هو للمضاف إليه ، كما يراعى المضاف في نحو قوله : ﴿ أَوْ كَطَلْعَاتٍ فِي بَحْرِ لُجْئٍ ﴾^(٤)، أي « أوكذى ظلمات » ، وراعه في قوله : ﴿ يَنْشَأُ مَوْجٌ ﴾، وهذا الوجه هو الذي عول عليه الزمخشري ، ولم يذكر سواه .

وأما ابن جني فذكر في « المحقَّب » الوجه الأول ، وقال : فإن قلت : فهلا حملته

(٢) سورة الأنعام ١٦

(٤) سورة النور ٤٠

(١) سورة المؤمنین ١١

(٣) سورة يوسف ١٠

على حذف الموصوف ، فكأنه قال : « فله عشر هضبات وأمثالها » ؟ قيل : حذف وإقامة الموصوف مقامه ليس بمستحسن في القياس ؛ وأكثر ما أتى في الشعر ، ولذلك حل ﴿ دانية ﴾ من قوله : ﴿ وَدَانِيَّةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾ ^(١) ؛ على أنه وصف جنة أو « وجنة دانية » عطف على « جنة » من قولهم : ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ ﴾ ^(٢) ؛ لما قدر حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، حتى عطف على قوله : ﴿ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ ^(٣) فكانت حالا معطوفة على حال .

وفي « كشف للشكلات » ^(٤) للأصبهاني . حذف للوصوف هو اختيار سيبويه ، وإن كان لا يرى حسن « ثلاثة مسلمين » ، بحذف للوصوف .

وقوله تعالى حكاية عن لقمان : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَنَا نَكَثُ مِيثَاقَ حَبَّةٍ ﴾ ^(٥) فأتى الفعل المسند لـ « مثقال » وهو مذكّر ، ولكن لما أضيف إلى « حبة » اكتسب منه التأنيث ، فساغ تأنيث فعله .

وذكر أبو البقاء في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ^(٦) أن التأنيث في « ذائقة » باعتبار معنى « كل » لأن معناها التأنيث ، قال : لأن كل نفس نفوس ، ولو ذكر على لفظ « كل » جاز ^(٧) - يعني أنه لو قيل : كل نفس ذاتي ، جاز .

وهو مردود ؛ لأنه يجب اعتبار ما يضاف إليه « كل » إذا كانت نكرة ، ولا يجوز أن يعتبر كل .

- | | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة البقر ١٢ | (١) سورة البقر ١٤ |
| (٤) ذكره صاحب كشف الظنون ١٤٩٥ | (٣) سورة البقر ١٣ |
| (٦) سورة آل عمران ١٨٥ | (٥) سورة لقمان ١٦ |
| | (٧) إلهام مامن به الرحمن ١ : ٩٤ |

وقوله تعالى : ﴿ إِن تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾^(١) ؛ فإن الظاهر عود الضمير إلى الإبداء ؛ بدليل قوله : ﴿ وَإِنْ تُخْتَوَاهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾^(٢) ، فذكر الضمير المائد على الإخفاء ، ولو قصد الصدقات لقال : « فهي » ؛ وإنما أنت « هي » والتي عاد إليه مذكّر ؛ على حذف مضاف ، أي وإبدائها نعم ما هي ، كقوله : القرية أسأله .

ومنه « سعيّاً »^(٣) وهو مذكّر ، ثم قال : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ﴾ فحمله على النار .
وأما قوله : ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾^(٤) ، قيل : الضمير عائد على الآيات المتقدمة في اللفظ .

وقال البغوي : إنما قال : ﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾ ، بالتأنيث ، لأنه أجرى على طريق جمع التكسير ، ولم يجر على طريق التثنية للذكر على التثنية ؛ لأنه فيما لا يعقل .
وقيل في قوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾^(٥) : إن المراد آدم فأثمه رداً إلى النفس . وقد قرئ شاذاً « من نفس واحد » .

وحكى الثعلبي في تفسيره^(٦) في سورة « اقرب » بإسناده إلى اللبرّد ؛ سئل عن ألف مسألة ، منها : ما الفرق بين قوله تعالى : ﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾^(٧) وقوله : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عَاصِفَةٌ ﴾^(٨) وقوله : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾^(٩) و ﴿ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ

(١) سورة البقرة ٢٧١

(٢) سورة الفرقان ١١ ، ١٢ ، والآيات : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَسَاجِدٍ بُعِيدٍ سَمِعُوا نَهَا تَنِيظًا وَزَفِيرًا .

(٤) في تفسيره المسمى الكشف والبيان .

(٦) سورة الأنبياء ٨١

(٣) سورة فصلت ٣٧

(٥) سورة يونس ٢٢

(٧) سورة الحاقة ٧

تَحْلِي مُنْقَرِعٍ^(١) ، قال : كل ما ورد عليك من هذا الباب ، فلك أن ترده إلى اللفظ تذكرها ، ولك أن ترده إلى المعنى تأنيثا ؛ وهذا من قاعدة أن اسم الجنس تأنيثه غير حقيقى ، فتارة يلحظ معنى الجنس فيذكر ، وتارة معنى الجماعة فيؤنث ؛ قال تعالى فى قصة شعيب : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ^(٢) ﴾ ، وفى قصة صالح : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ^(٣) ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا^(٤) ﴾ ، وقرئ : « تشابهت » .

وأبدى السبيلى للحذف والإثبات معنى حسنا قال : إنما حذفت منه ؛ لأن « الصيحة » فيها بمعنى المذاب والخزى ، إذ كانت منتظمة بقوله : ﴿ وَمِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ^(٥) ﴾ ، وقوى التذكير ؛ بخلاف قصة شعيب ، فإنه لم يذكر فيها ذلك .

وأجاب غيره : بأن الصيحة يراد بها الصدر بمعنى الصباح ، فيجى فيها التذكير ، فيطلق ويراد بها الوحدة من الصدر ، فيكون التأنيث أحسن .

وقد أخبر سبحانه عن المذاب الذى أصاب به قوم شعيب بثلاثة أمور ، كلها مفردة اللفظ :

أحدها : الرجفة ، فى قوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ^(٦) ﴾ .

والثانى : الظلة ، فى قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ^(٧) ﴾ .

والثالث : الصيحة ، وجمع لم الثلاثة ؛ لأن الرجفة بدأت بهم فأمحروا فى القضاء ، خوفا من سقوط الأبنية عليهم ، فضربتهم الشمس بحرّها ، ورفقت لهم الظلة ، فهرعوا إليها يستظلون بها من الشمس ، فنزل عليهم المذاب وفيه الصيحة ؛ فكان ذكر الصيحة مع الرجفة والظلة أحسن من ذكر الصباح ، فكان ذكر التاء أحسن .

(٢) سورة هود ٩٤

(٤) سورة البقرة ٧٠

(٦) سورة الضحى ٣٧

(١) سورة القمر ٢٠

(٣) سورة هود ٦٧

(٥) سورة هود ٦٦

(٧) سورة الشعراء ١٨٩

فإن قلت : ما الفرق بين قوله سبحانه : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾^(١) ، وبين قوله : ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾^(٢) .

قيل : الفرق بينهما من وجهين :

اللفظي ومعنوي :

أما اللفظي ، فهو أن الفصل بين الفعل والفاعل في قوله : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾^(٣) ، أكثر منها في قوله : ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾^(١) ، والحذف مع كثرة الحواجز أحسن .

وأما المعنوي فهو أن « مَنْ » في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾^(١) ، راجعة على الجماعة ، وهي مؤنثة لفظاً ؛ بدليل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾^(٣) ، ثم قال : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾^(١) ، أي من تلك الأمم ، ولو قال « ضَلَّتْ » لتضمنت التاء . والكلامان واحد وإن كان معناهما واحداً - فكان إثبات التاء أحسن من تركها ، لأنها نابعة فيما هو من معنى الكلام المتأخر .

وأما ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾^(٢) ، فالفرق مذكر ، ولو قال : « ضَلُّوا » لكان بغير تاء ، وقوله : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾^(٣) في معناه ، فجاء بغير تاء ، وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب ، أن يدعوا حكم اللفظ الواجب في قياس لغتهم ، إذا كان في مركبه كلمة لا يجب لها حكم ذلك الحكم .

تنبيه

جاء عن ابن مسعود : ذكروا القرآن . فقام منه ثلث أن ما احتمل تأنيثه وتذكيره . كان تذكيره أجود .

(٢) سورة الأعراف ٢٠

(١) سورة النحل ٢٦

(٣) سورة النحل ٢٦

ورُدَّ بأنه يمتنع إرادة تذكير غير الحقيقي التأنيث ، لكثرة ما في القرآن منه بالتأنيث .
 ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾^(١) . ﴿وَالْتَفَتِ النَّاسُ بِالنَّاسِ﴾^(٢) . ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾^(٣) .
 وإذا امتنع إرادة غير الحقيقي ، فالحقيق أولى .

قالوا : ولا يستقيم إرادة أن ما احتمل التذكير والتأنيث غلب فيه التذكير ، لقوله تعالى :
 ﴿وَالنَّخْلُ بَاسِقَاتٍ﴾^(٤) . ﴿أَعْمَارُ نَحْلِ خَاوِيَةٍ﴾^(٥) ، فأنت مع جواز التذكير ، قال
 تعالى : ﴿أَعْمَارُ نَحْلِ مُنْقَعِرٍ﴾^(٦) ، ﴿مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾^(٧) : قال : فليس المراد
 ما فهم ، بل المراد اللوعة والدعاء ، كما قال تعالى : ﴿فَذَكَّرْ بِالْقُرْآنِ ..﴾^(٨) إلا أنه حذف
 الجار ، والقصود ذكرُوا الناس بالقرآن ، أى ابشروهم على حفظه كيلا ينسوه .

وقال الواحدي : إن قول ابن مسعود على ما ذهب إليه ثعلب ، والمراد أنه إذا احتمل
 اللفظ التذكير والتأنيث ولم يحتاج في التذكير إلى مخالفة للضعف ذكر ، نحو : ﴿وَلَا يَقْبَلُ
 مِنْهَا شَعَاعَةً﴾^(٩) .

قال : ويدل على إرادته هذا أن أصحاب عبد الله من قراء السكوفة كحمزة والسكاكي
 ذهبوا إلى هذا قروا ما كان من هذا القبيل بالتذكير ، نحو : ﴿يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ
 أَلْسِنَتُهُمْ﴾^(١٠) . وهذا في غير الحقيقي .

[ضابط التأنيث]^(١١)

ضابط التأنيث ضربان :

حقيقي وغيره ، فالحقيق لا يحذف التأنيث من فعله غالبا إلا أن يقع فصل ، نحو

(١) سورة الحج ٧٢	(٢) سورة القيامة ٢٩
(٣) سورة إبراهيم ١١	(٤) سورة ق ١٠
(٥) سورة الحاقة ٧	(٦) سورة القمر ٢٠
(٧) سورة يس : ٨٠	(٨) سورة ق ٤٥
(٩) سورة البقرة ٤٨	(١٠) سورة النور ٢٤
(١١) هذا الفصل ساقط من ت .	

قام اليوم هند ، وكذا كثر الفصل حَسَن الحذف ، والإتيات مع الحقيقي أولى ما لم يكن جمعا .
وأما غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل حَسَن ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ ﴾ ^(١) ،
فإن كثر الفصل ازداد حسنا ، ومنه : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ ^(٢) ويحسن الإتيات
أيضا ؛ نحو : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ ^(٣) فجمع بينهما في سورة هود .
وأشار بمضهم إلى ترجيح الحذف ، واستدلّ عليه بأن الله تعالى قدّمه عليه حيث جمع
بينهما في سورة واحدة . وفيما قاله نظر .

(٢) سورة هود ٦٧

(١) سورة البقرة ٢٧٥

(٣) سورة هود ٩٤

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه

قد سبق منه كثير في نوع الالتفات ؛ ويطلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهددة للتوعد بها ، فيمدل فيه إلى لفظ الماضي تقريراً وتحقيقاً لوقوعه ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قَنْزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ ^(١) .

وقوله في الزمر : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾ ^(٤) ؛ أى نحشرهم .

وقوله : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا ﴾ ^(٥) . ثم تارة يُجمل للتوقع فيه كالواقع ، فيؤتى بصيغة الماضي مراداً به المضي ، تنزيلاً للتوقع منزلة ما وقع ، فلا يكون تعبيراً عن المستقبل بلفظ الماضي ، بل جُمِلَ المستقبل ماضياً مبالغة .

ومنه : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ ^(٦) . ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ ^(٧) ونحوه .

وقد يعبر عن المستقبل بالماضي مراداً به المستقبل ؛ فهو مجاز لفظي ، كقوله تعالى :

- | | |
|---------------------|-------------------|
| (١) سورة النمل ٨٧ | (٢) سورة الزمر ٦٨ |
| (٣) سورة إبراهيم ٢١ | (٤) سورة الكهف ٤٧ |
| (٥) سورة الأعراف ٤٨ | (٦) سورة النحل ١ |
| (٧) سورة الأعراف ٤٤ | |

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قَنْزِعٌ﴾^(١)؛ فإنه لا يمكن أن يراد به الضى، لمنافاة ﴿يُنْفَخُ﴾ الذى هو مستقبل فى الواقع . وقائدة التعبير عنه بالماضى الإشارة إلى استحضار التحقق، وإنه من شأنه لتحقيقه أن يعبر عنه بالماضى وإن لم يرد معناه . والفرق بينهما أن الأول مجاز ، والثانى لا مجاز فيه إلا من جهة اللفظ فقط.

وقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾^(٢)؛ أى يقول ، عكسه لأن المضارع يراد به الديمومة والاستمرار ، كقوله : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَبْلُغُونَ﴾^(٣) الكتاب .

وقوله : ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤) ، أى فكان استحضار الصورة تكوّن .

وقوله : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَخْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمَانَ﴾^(٥) أى ماتلت .

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعِمْنَا﴾^(٦) ، أى علمنا .

فإن قيل : كيف يتصور التقليل^(٧) فى علم الله ؟

قيل : المراد أنهم أقل معلوماته ؛ ولأن المضارع هنا بمعنى الماضى فـ «قد» فيه لتحقيق

لا التقليل .

وقوله : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾^(٨) ، أى فلم قتلتم !

وقوله : ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾^(٩) أى لم يمتارفوا حتى تأتيتهم .

وقوله : ﴿مُنْفَكِّينَ﴾^(١٠) ، قال مجاهد : « منتهين » وقيل : زائلين من الدنيا .

(٢) سورة الثالثة ١١٦

(٤) سورة آل عمران ٥٦

(٦) سورة الحجر ٩٧

(٨) سورة البقرة ٩١

(١٠) سورة البينة ١

(١) سورة النمل ٨٧

(٣) سورة البقرة ٤٤

(٥) سورة البقرة ١٠٢

(٧) أى التقليل المراد من كلمة « قد » .

(٩) سورة البينة ٩١

وقال الأزمري : ليس هو من باب « ما أفك » و « مازال » إنما هو من انفكك الشيء إذا انفصل عنه .

وقوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ ^(١) ۚ ﴾ ، المعنى : فلم عذب آباءكم بالسخ والقتل ؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بأن يحتج عليهم بشيء لم يكن بعد ؛ لأن الجاحد يقول : إني لا أعذب ، لكن احتج عليهم بما قد كان .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِغُ الْأَرْضَ مُخْضَرَةً ^(٢) ۚ ﴾ . فذلك عن لفظ « أصبحت » إلى « تصبح » ، قصدا للمبالغة في تحقيق اخضرار الأرض لأهميته ؛ إذ هو للقصود بالإزالة .

فإن قلت : كيف قال النحاة : إنه يجب نصب الفعل للقرون بالفاء إذا وقع في جواب الاستفهام ، كقوله : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِن شَقَاءٍ فَيَشْقَمُوا لَنَا ^(٣) ۚ ﴾ و « فتصبح » هنا مرفوع ؟

قلت : لوجوه :

أحدها : أن شرط الفاء للقتضية للنصب أن تكون سببية ، وهنا ليست كذلك ، بل هي للاستئناف ؛ لأن الرؤية ليست سببا للإصباح .

الثاني : أن شرط النصب أن ينسبك من الفاء وما قبلها شرط وجزاء ، وهنا ليس كذلك ؛ لأنه لو قيل : إن تر أن الله أنزل ماء تصبح ولم يصح ؛ لأن إصباح الأرض حاصل ؛ سواء رُئي أم لا .

فإن قيل : شاع في كلامهم إلقاء فعل الرؤية ، كما في قوله : « ولا تزال - تراها - ظالمة »

أى ولا تزال غلالة ؛ وحينئذ فالمعنى منصب إلى الإنزال لا إلى الرؤية ؛ ولا شك أنه يصح أن يقال : « إن أنزل تُصبح » ، فقد انعقد الشرط والجزاء .
قلت : إلغاء فعل الرؤية في كلامهم جائز لا واجب ، فمن أين لنا ما يقتضى تعيين محل الآية عليه ؟

الثالث : إن همزة الاستفهام إذا دخلت على موجب قلبه إلى النفي ، كقوله تعالى : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْمِي إِلَهَيْنِ ﴾^(١) ، وإذا دخلت على نفي قلبه إلى الإيجاب ؛ فالهمزة في الآية للتفريع ، فلما انتقل الكلام من النفي إلى الإيجاب لم ينتصب الفاعل ، لأن شرط النفي ككون السابق منفيًا محضًا : ذكره العزيزي^(٢) في « البرهان » .

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة السجدة : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا ﴾^(٣) .

الرابع : أنه لو نصب لأعطى ما هو عكس النرض لأن معناه إثبات الاخضرار ، فكان ينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار ، مثله أن تقول لصاحبك : ألم تر أني أنعمت فتشكر ! إن نصبت فأنتم نافع لشكره ، شاك تفریطه ، وإن رفعت فأنتم مثبت لشكره . ذكر هذا الزمخشري في الكشاف ، قال : وهذا ومثاله مما يجب أن يرغبه من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقيف أهله .

وقال ابن الجلباز : النصيب يفسد المعنى ؛ لأن رؤية الخطاب الماء الذي أنزله الله ليس سببًا للاخضرار ؛ وإنما الماء نفسه هو سبب الاخضرار .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَنْفَعُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيْمَنٍ ﴾^(٤) ،

(١) سورة المائدة ١١٦

(٢) العزيزي بن عبد الملك ، المعروف بشيلة ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(٣) سورة طه ٩

(٤) سورة السجدة ٢٧

قال : « تثير » مضارعا ، وما قبله وما بعده ماضيا ، مبالغة في تحقيق إثارة الرياح السحاب
للسامعين وتهدير نصوره في أذهانهم .

فإن قيل : أمّ الأفعال للذكورة في الآية لإحياء الموتى ، وقد ذكر بلفظ الماضي ،
وما ذكرته يقتضى أولوية ذكره بلفظ المضارع ، إذ هو أمّ ، وإثارة السحاب سبب أعيد
على قريب .

قيل : لا نعلم بأهمية إحياء الأرض بعد موتها ؛ فالتقدمات للذكورة أممها وأذلها على
القدرة أمجها وأبدها عن قدرة البشر ، وإثارة السحاب أمجها ؛ فكان أولى بالتخصيص
بالمضارع ؛ وإنما قال : إن إثارة السحاب أعجب لأن سببها أخفى ؛ من حيث إننا نعلم
بالقل أن نزول الماء سبب في اخضرار الأرض ، وإثارة السحاب وسوقه سبب نزول الماء .
فلو خُلينا وظاهر العقل لم قل : إن الرياح سببها ؛ لعدم إحساسنا بمادة السحاب وجهته .
ومن لواحق ذلك المدول عن المستقبل إلى اسم المفعول ، لتضمنته معنى الماضي ،
كقوله : ﴿ يَوْمَ يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ ﴾^(١) ، تقريرا للجمع فيه ، وأنه لا بد أن يكون
معادا للناس ، مضروبا لجمعهم ، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ
لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾^(٢) ، لتعرف صحة هذا المعنى .

فإن قلت : الماضي أدل على المقصود من اسم المفعول ، فلم عدل عنه إلى ما دلالة
أضعف ؟ قلت : لتحصل المناسبة بين « مجموع » و « مشهور » في استواء شأنها طلبا
للتعديل في العبارة .

ومنه المدول عن المستقبل إلى اسم الفاعل ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الْآدِينَ نَوَاقِعُ ﴾^(٣)
فإن اسم الفاعل ليس حقيقة في الاستقبال ، بل في الحال .

مشكلة اللفظ للفظ

هي قسمان : أحدهما - وهو الأكثر - للمشكلة بالثاني للأول ؛ نحو «أخذه ما قدّم
وما حلت » . وقوله تعالى : ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾^(١) ؛ على مذهب الجمهور
وأن الجزّ للحوار : ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ . وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا﴾^(٢) .
وقد تقع للمشكلة بالأول للثاني كما في قراءة إبراهيم بن أبي عبيدة : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾
بكسر الدال ؛ وهي أفصح من ضم اللام للدال .

مشكلة اللفظ للمعنى

ومتى كان اللفظ جزئاً لا كان للمنى كذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ ^(١) ، ولم يقل من « طين » كما أخبر به سبحانه في غير موضع : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾ ^(٢) إنما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمنى لطيف ؛ وذلك أنه أدنى المنعرجين وأكثفهما ، لما كان المنصود مقابلة من ادعى في المسيح الإلهية أتى بما يستقر أمر خلقه عند من ادعى ذلك ؛ فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمس في للمنى من غيره من العناصر ؛ ولما أراد سبحانه الامتنان على بنى إسرائيل أخبرهم أن يخلق لهم من الطين كهنية الطير ، تعظيماً لأمر ما يخلقه بإذنه ؛ إذ كان للطلوب الاعتداد عليهم بخلقهم ليظموا قدر النعمة به .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ﴾ ^(٣) فإنه سبحانه إنما اقتصر على ذكر الماء دون بقية العناصر ؛ لأنه أتى بصيغة الاستفراق ، وليس في العناصر الأربع ما يجمع جميع المخلوقات إلا الماء ، ليدخل الحيوان البحرى فيها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ ^(٤) ؛ فإنه سبحانه أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها ؛ فإن « والله » و « بالله » أكثر استعمالاً وأعرف من « تالله » لما كان الفعل الذى جاور القسم أغرب الصيغ التى فى بابه ؛ فإن « كان » وأخواتها أكثر استعمالاً من « تفتأ » وأعرف عند العامة ؛ ولذلك أتى بعدها بأغرب ألفاظ الهلاك بالنسبة ، وهى لفظة « حرَض » :

(٢) سورة ص ٧٩

(١) سورة آل عمران ٥٩

(٤) سورة يوسف ٨٥

(٣) سورة النور ٤٥

ولما أراد غير ذلك قال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾^(١) ، لما كانت جميع الألفاظ مستعملة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرَوْا كُنُوزًا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾^(٢) ؛ فإنه سبحانه لما نهى عن الركون إلى الظالمين ، وهو الليل إليهم والاعتماد عليهم ، وكان دون ذلك مشاركتهم في الظلم ، أخبر أن العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم ؛ وهو مس النار التى هو دون الإحراق والاضطرار ؛ وإن كان للس قد يطلق ويراد به الإشمار بالعذاب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَنْ يَسْطُرَ يَدَى الْبَاطِلِ إِلَى يَدَيْكَ لِتَفْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاطِلٍ يُفْتَلُ بِهِنَّ ﴾^(٣) ؛ فإنه نشأ في الآية سؤال ، وهو أن الترتيب في الجمل الفعلية تقديم الفعل وتعيينه بالفاعل ، ثم بالمفعول ، فإن كان في الكلام مفعولان : أحدهما يمدى وصول الفعل إليه بالحرف ، والآخر بنفسه ، قدم ما تمدى إليه الفعل بنفسه ؛ وعلى ذلك جاء قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ﴾^(٤) .

إذا ثبت هذا ، فقد يقال : كيف توخى حسن الترتيب في عَجْرُ الآية دون صدرها ؟ والجواب أن حسن الترتيب منع منه في صدر الآية مانع أقوى ، وهو مخافة أن يتوالى ثلاثة أحرف متقاربات المخرج ؛ فيثقل الكلام بسبب ذلك ؛ فإنه لو قيل « لَنْ يَسْطُرَ يَدَى الْبَاطِلِ إِلَى » والطاء والتاء متقاربتا المخرج ؛ فلذلك حسن تقديم للمفعول الذى تمدى الفعل إليه بالحرف على الفعل الذى تمدى إليه بنفسه ؛ ولما أمن هذا الخذور في عَجْرُ الآية لما اقتضته البلاغة من الإتيان باسم الفاعل موضع الجملة الفعلية ، لتضمنه معنى الفعل الذى تصح به المقابلة ، جاء الكلام على ترتيبه : من تقديم المفعول الذى تمدى الفعل إليه بنفسه ، على

(٢) سورة هود ١١٣

(٤) سورة الفتح ٢٤

(١) سورة فاطر ٤٧

(٣) سورة البقرة ٢٨

للفعل الذى يبدى إليه بحرف الجر . وهذا أمر يرجع إلى تحسين اللفظ ؛ وأما المعنى فلى نظم الآية ؛ لأنه لما كان الأول حربياً على التمدى على الضير قدم للتمدى على الآلة ، قال : إلى يدك ، ولما كان الثانى غير حريص على ذلك ، لأنه فاه عنه ، قدم الآلة قال : « يدى إليك » ؛ ويدل لهذا أنه عبر عن الأول بالفعل وفى الثانى بالاسم .

ويؤيد ذلك أيضاً قوله فى سورة المتحنة : ﴿ إِنْ يَنْتَفِقُوا بِكُمْ بِكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾^(١) ؛ لأنه لما نسبهم للتمدى الزائد قدم ذكر للبسوط إليهم على الآلة ؛ وذلك الجواب السابق لا يمكن فى هذه الآية .

ومثله قوله : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنِ ﴾^(٢) ؛ مقتضى الصناعة أن يؤتى بالتجنيس للازدواج فى صدر الآية ، كما أتى به فى مجزها ، لكن منته توخى الأدب والتعذيب فى نظم الكلام ؛ وذلك أنه لما كان الضمير الذى فى « يجزى » عائداً على الله سبحانه ، وجب أن يدل على لفظ المعنى الخاص إلى رديفه ، حتى لا تنسب السيئة إليه سبحانه ، قال فى موضع السيئة : بما « عملوا » ، فمؤس عن تجنيس للزاوجة بالإرداف لما فيه من الأدب مع الله بخلاف قوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾^(٣) ، فإن هذا المحذور منه مفقود ، فجرى الكلام على مقتضى الصناعة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّمْسِ ﴾^(٤) ؛ فإنه سبحانه خص الشَّمْسَ بالشَّمْسِ بالذكر دون غيرها من النجوم ؛ وهو رب كل شيء ، لأن العرب ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبى كبشة عبد الشَّمْسِ ، ودعا خلقاً إلى عبادتها .

وقوله : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَبْسُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾^(٥) ، ولم يقل : « لا تعلمون » لما فى الفقه من الزيادة على العلم .

(٢) سورة النجم ٣١

(٤) سورة النجم ٤٩

(١) سورة المتحنة ٢

(٣) سورة الشورى ٤١

(٥) سورة الإسراء ٤٤

وقوله حكايته عن إبراهيم : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾^(١) فإنه لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه ، حيث لم يصرح فيه بأن العذاب لاحق له ، ولكنه قال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ ﴾^(٢) فذكر الخوف والنس ، وذكر العذاب ونكره ولم يصفه بأنه يقصد التهويل بل قصد استعطافه ؛ ولهذا ذكر « الرحمن » ولم يذكر « المنتقم » ولا « الجبار » على ، حد قوله :

فما يوجب الحرمان من كَفِّ حَازِمٍ
كما يوجب الحرمانُ من كَفِّ رَازِقٍ
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَقَّ بِالَّذِينَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾^(٣) فإنه قد يقال : ما الحكمة في التعبير بالسخرية دون الاستهزاء ؟ وهلا قيل : « غاق بالذين استهزوا بهم » ليطابق ما قبله ؟

والجواب أن الاستهزاء هو إسماع الإساءة ، والسخرية قد تكون في النفس ولهذا يقولون : سخرت منه كما يقولون : عجبت منه ؛ ولا يقال : تجنب ذلك لما في ذلك من تكرار الاستهزاء ثلاث مرات ؛ لأنه قد كرر السخرية ثلاثاً في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾^(٤) ، وإنما لم يقل : « نستهزي بكم » لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء .

وأما قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾^(٥) فالعرب تسمى الجزاء على الفعل باسم الفعل ، كقوله : ﴿ تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾^(٦) ؛ وهو مجاز حسن ؛ وأما الاستهزاء الذي نحن بصدده فهو استهزاء حقيقة ، لا يرضى به إلا جاهل .

ثم قال سبحانه : ﴿ فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ﴾^(٧) ، أى حاق بهم من الله الوعيد

(١) سورة الأنعام ١٠

(٢) سورة البقرة ١٥

(٣) سورة الأنعام ١٠

(٤) سورة مريم ٤٥

(٥) سورة هود ٣٨

(٦) سورة التوبة ٦٧

(٧) سورة التوبة ٦٧

البالغ لم على ألسنة الرسل ما كانوا به يستهزئون بأنفسهم ، فنزلت كل كلمة منزلتها .
 وقوله : ﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ^(١) ولم يذكر
 الكعبة ، لأن البعيد يكفيه مراعاة الجهة ، فإن استقبال عينها حرج عليه ، بخلاف القريب ؛
 ولما خص الرسول بالخطاب تعظيما وإيجابا لشرعته عمم نصريها بعموم الحكم ، وتأكيذا
 لأمر القبلة .

قاعدة

إذا اجتمع الحمل على اللفظ والمعنى ، بدئ باللفظ ثم بالمعنى ، هذا هو الجادة في القرآن ،
 كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا ﴾ ^(٢) ، أفرد أولا باعتبار اللفظ ، ثم جمع
 ثانيا باعتبار المعنى ، فقال : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) فماد الضمير مجموعا ؛ كقوله تعالى :
 ﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ^(٤) ،
 فماد الضمير من « يدخله » مفردا على لفظ « من » ، ثم قال : « خالدين » وهو حال
 من الضمير .

وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(٥) .
 وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِي وَلَا تَفْعَلُ إِلَّا فِي أَلْفَتَةٍ سَقَطُوا ﴾ ^(٦) .
 وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ ... ﴾ ^(٧) إلى قوله : ﴿ فَلَا
 آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِيلُوا بِهِ ﴾ ^(٨) .
 وقد مجرى الكلام على أوله في الأفراد ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ

(٢) سورة البقرة ٨
 (٤) سورة الأنعام ٢٥
 (٦) سورة التوبة ٧٥ ، ٧٦

(١) سورة البقرة ١٤٩ ، ١٥٠
 (٣) سورة الطلاق ١١
 (٥) سورة التوبة ٤٩

قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ...^(١) الْآيِينَ ، فكرر فيها ثمانية ضمائر ، كلها عائد على لفظ « من » ، ولم يرجع منها شيء على معناها ، مع أن اللفظ على الكثرة .

وقد يقتصر على معناها في الجميع ، كقوله تعالى في سورة يونس : ﴿ وَرَبُّهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾^(٢) . وما ذكرنا من البداءة باللفظ عند الاجتماع هو الكثير ، قال الشيخ علم الدين المراقى : ولم يحىء في القرآن البداءة بالحمل على اللفظ إلا في موضع واحد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كُورْنَا وَمَحْرَمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾^(٣) فَأُثِرَ « خالصة » حملا على معنى « ما » ، ثم راعى اللفظ فذكر : وقال : ﴿ وَمَحْرَمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ .

واعترض بعض الفضلاء وقال : إنما يتم ما قاله من البداءة بالحمل على اللفظ في ذلك ؛ إذا كان الضمير الذي في الصلّة التي في بطون هذه الأنعام بقدر مؤنث ؛ أما إذا قدر مذكرا فالبداءة إنما هو بالحمل على اللفظ .

وأجيب بأن اعتبار اللفظ واللفظ أمر يرجع إلى الأمور التقديرية ؛ لأن اعتبار الأمرين أو أحدهما إنما يظهر في اللفظ ؛ وإذا كان كذلك صدق أنه إنما بدئ في الآية بالحمل على اللفظ ؛ فتم كلام المراقى .

ونقل الشيخ أبو حيان في تفسيره عن ابن عصفور : أن الكوفيين لا يميزون الجمع بين الجملتين إلا بفواصل بينهما ؛ ولم يعتبر البصريون الفاصل ، قال : ولم يرد السماع إلا بالفواصل ، كما ذهب إليه الكوفيون . ونأزعه الشيخ أثير الدين بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ

(٢) سورة يونس ٤٢

(١) سورة البقرة ٢٠٤

(٣) سورة الأنعام ١٣٩

الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى^(١) ، وقال : ألا تراه كيف جمع بين الجملتين دون فصل ! انتهى .

والذى ذكره ابن عصفور في شرح « اللقب » : شَرَطَ الكوفيون في جواز اعتبار اللفظ بمد اعتبار المعنى الفصل ؛ فيجوزون : مَنْ يقومون اليوم وينظر في أمرنا إخوتنا ، ولا يجوزون : مَنْ يقومون وينظر في أمرنا إخوتنا ؛ لعدم الفصل ، وإنما ورد السماع بالفصل . انتهى .

وهذا يقتضى أَنَّ الكوفيين لا يشترطون الفصل عند اجتماع الجملتين ؛ إلا أن يقدّم اعتبار المعنى ويؤخّر اعتبار اللفظ كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾^(٢) إنما بدئ فيه بالحل على اللفظ .

وقال ابن الحاجب : إذا حُلَّ على اللفظ جاز الحل بمده على المعنى ؛ وإذا حُلَّ على المعنى ضُمَّ الحل بمده على اللفظ ؛ لأن المعنى أقوى ، فلا يبعد الرجوع إليه بمد اعتبار اللفظ ، ويضغ بمد اعتبار المعنى القوى الرجوع إلى الأضعف .

وهذا معترض بأن الاستقراء دلّ على أن اعتبار اللفظ أكثر من اعتبار المعنى ، وكثرة موارد تدل على قوله ؛ وأما المورد إلى اللفظ بمد اعتبار المعنى فقد ورد به التنزيل ، كما ورد باعتبار المعنى بمد اعتبار اللفظ ، ثبت أنه يجوز الحل على كل واحد منهما ، بمد الآخر من غير ضعف .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا ﴾^(٣) فقرأه الجماعة بالتذكير « يَقْنُتْ » حملا على لفظ « مَنْ » في التذكير « وتعمل » بالتأنيث ، حملا على معناها ؛ لأنها المؤنث . وقرأ حمزة والكسائي « يعمل » بالتذكير فيها حملا على لفظها

رعاية المناسبة في التماطين . وتوجيه الجماعة أنه لما قدم على الثاني صريح التأييد في « منكن » حسن الحمل على اللغى .

وقال أبو الفتح في « المختص » : لا يجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى اللغى . وقد يورد عليه قوله : « وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَلَهُمْ لِيُضِلُّوهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ »^(١) ثم قال : (حتى إذا جاءنا)^(٢) ، فقد راجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى اللغى ؛ إلا أن يقال : إن الضمير في « جاء » يرجع إلى الكافر لدلالة السياق عليه ؛ لا إلى « مَنْ » .

ومنه الفرق بين « أسقى » و « سقى » بغير همز ؛ لما لا كلفتمه في السقيا ؛ ومنه قوله تعالى : « وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا »^(٣) فأخبر أن السقيا في الآخرة لا يقع فيها كلفة ، بل جميع ما يقع فيها من اللاد يقع فرصة وغفوا ، بخلاف « أسقى » بالهمزة ، فإنه لا بد فيه من الكلفة بالنسبة للمخاطبين ؛ كقوله تعالى : « وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا »^(٤) ، « لَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً غَدَقًا »^(٥) ، لأن الإسقاء في الدنيا لا يخلو من الكلفة أبداً .

ومنه قوله تعالى : « وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَبْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ »^(٦) ، قال أبو سلة محمد بن بحر الأصهباني في تفسيره : إنما خص الوزن بالذكور دون اللكيل ، لأمرين :

أحدهما : أن غاية اللكيل ينهى إلى الموزون ، لأن سائر اللكيلات إذا صارت قطعا دخلت في باب الموزون وخرجت عن اللكيل ، فكان الوزن أعم من اللكيل .

والثاني : أن في للموزون معنى اللكيل ؛ لأن الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء

(٢) سورة البقر ٢١

(٤) سورة الميز ١٦

(١) سورة الزخرف ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

(٣) سورة الرسلا ٢٧

(٥) سورة المجر ١٩

(٦) برهان - ثالث

ومقايسته وتمديله به ، وهذا المعنى ثابت في المكييل ، نخص الوزن بالذكرا لشماله هو معنى للمكييل .

وقال الشريف المرتضى في «الترر»^(١) : هذا خلاف للتقصود ؛ بل المراد بالموزون القدر الواقع بحسب الحاجة ، فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرّة .
ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾^(٢) ، فذكر في مدة اللف سنة ، وفي الانفصال العام ؛ للإشارة إلى أنه كان في شدائد في مدته كلها ، إلا خمسين عاما قد جاءه الفرج والنوثة ؛ فإن السنة تستعمل غالبا في موضع الجذب ؛ ولهذا ستموا شدة التقط سنة .

قال الشهابي : ويجوز أن يكون الله سبحانه قد علم أن عمره كان ألفا ؛ إلا أن الخمسين منها كانت أعواما ، فيكون عمره ألف سنة ينقص منها ما بين الستين الشمسية والقمرية في الخمسين خاصة ؛ لأن الخمسين عاما بحسب الأهلة أقل من خمسين سنة شمسية ، بنحو عام ونصف .

وأين على هذا المعنى قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾^(٣) وقوله : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ يَمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ؛ فإنه كلام ورد في موضع التكثير والتتميم بمدة ذلك اليوم ، والسنة أطول من العام .

(١) الترر ١ : ١٣ ؛ وعبارته : «وجه الآية وما يتهد به ظاهر لفظها غير ماسك أبو سلم ؛ وإنما أراد تعالى بالموزون القدر الواقع بحسب الحاجة . . .»

(٢) سورة المارج ٤

(٣) سورة النكبت ١٤

الخِشْ

نحو الحوقلة والبسطة ، جعله ابن الزمكاني من ^(١) نظوم القرآن ، ومثله بقوله :
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ ^(٢) ، قال : وكفى ، من كفيته الشيء ؛ ولم يحىء للعرب كفيته
بالشيء ، فجعل بين الفعلين الفعل المذكور ؛ وهو متعمد ، وخص من الفعل اللازم وهو
اكتفيت به ، بالباء ، وكذلك انتصب « شهيذاً » على التمييز أو الحال ؛ كأنه قيل :
كفى بالله فأكتف به . فاجتمع فيه الظهور والأمر .

الإبدال

من كلامهم إبدال الحروف ، وإقامة بعضها مقام بعض ؛ يقولون : مدحه ومدحه ، وهو كثير ، ألت فيه المصنفون ، وجعل منه ابن فارس ^(١) قوله تعالى : ﴿ فَأَنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٢) ، قال : فالراء واللام متعاقبان ، كما تقول العرب : فَلَاقَ الصَّبْحَ وَفَرَقه . قال : وذُكِرَ عن الخليل - ولم أسمه سما - أنه قال في قوله تعالى : ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ ^(٣) ، إنما أراد « فحاسوا » قامت الجيم مقام الحاء . قال ابن فارس : وما أحسب الخليل قال هذا ، ولا أحقَّه عنه .

قلت : ذكر ابن جني في « المحتسب » : أنها قراءة أبو السمال ، وقال : قال أبو زيد - أو غيره - قلت له : إنما هو « فجاسوا » ، قال : حاسوا وجاسوا واحد . وهذا يدل على أن بعض القراء يتخير بلا رواية ، ولذلك ^(٤) نظائر . انتهى .

وهذا الذي قاله ابن جني غير مستقيم ، ولا يحل لأحد أن يقرأ إلا بالرواية . وقوله : « إنما بمعنى واحد » لا يوجب القراءة بغير الرواية كما ظنه أبو الفتح وقائل ذلك ، والقارئ به هو أبو السوار الفنوي لا أبو السمال فاعلم ذلك . كذلك أسنده الحافظ أبو عمرو الداني ، قال : حدثنا المازني ، قال : سألت أبا السوار الفنوي ، قرأ : « فحاسوا » بالحاء غير الجيم ، قلت : إنما هو « فجاسوا » قال : حاسوا وجاسوا واحد ، يعني أن اللفظين بمعنى واحد ؛ وإن كان أراد أن القراءة بذلك تجوز في الصلاة ، والفرض كما جازت بالأولى ، فقد غلط في ذلك وأساء .

(٢) سورة الشعراء ٦٣

(١) في قه اللغة ١٧٣

(٤) انظر المحتسب الورقة ٩١ ، البحر المحيط لأبي حيان ١٠ :

(٣) سورة الإسراء ٥

وزعم الفارسي في تذكرته في قوله: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾^(١)، أنه بمعنى حب الخليل؛ وسميت الخليل خيرا لما يفضل بها من المزم والمثمة، كما روى: «الخليل معقود بنواصبها الخليل»، وحينئذ فالمصدر مضاف إلى للمعول به.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾^(٢): إن أصله «ملاقح»، لأنه يقال: ألقت الريح السحاب، أي جمته، وكل هذا تفسير معنى، وإلا فالواجب صون القرآن أن يقال فيه مثل ذلك.

وذكر أبو عبيدة في قوله: ﴿إِلَّا مُكَلَّاءَ وَتَصَدِيَةً﴾^(٣)، معناه «تصدية»، فأخرج اللسان الثانية ياء لكسرة اللام الأولى، كما حكاه صاحب «الترقيص»^(٤). وحكى عن أبي رياش في قول امرئ القيس^(٥):

• فَسَلَّى نِيَابِي مِنْ نِيَابِكَ تَفْسِيلَ •

معناه «تفصيل»، فأخرج اللام الثانية [ياء] لكسرة اللام الأولى، ومثله قول الآخر: وَإِنِّي لَأَسْتَنِمِّي وَمَا بِي نَمَسَةٌ لَمَلَّ خِيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا^(٦) أراد أستنعمس؛ فأخرج السين ياء.

وقال الفارسي في «التذكرة»^(٧): قرأ أبو الحسن - أو من قرأه - قوله تعالى فيا حكي عن يعقوب في القلب والإبدال: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾^(٨)، غير

(١) سورة الحجر ٢٢

(١) ص ٢٢

(٢) سورة الأنازل ٣٠

(٣) لمحمد بن علي الأزدي؛ ذكره صاحب كشف الظنون، ونقل عنه السيوطي في الزمر.

(٤) ديوانه ١٣؛ وصدوره:

• وَإِنْ تَلَّكَ سَاءَتْكَ مَعِيَ خَلِيقَةٌ •

(٦) لجنون بن عامر، تزيين الأسواق ٧٠ (٧) ص للعروقة بتذكرة أبي علي؛ ذكره

صاحب كشف الظنون ص ٣٨٤، وقال: «وهو كبير في مجلدات، لمسه أبو التيج عثمان بن جني».

(٨) سورة الأنعام ١٤٠

عائد ، واستحسنه الفارسي ألا يعود إليه كما يعود في حال السعة من المشاء إلى النداء .
وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾^(١) : إنَّ خرقه واخترقه ،
وخلقه ، واختلقه بمعنى ؛ هو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير ، وقول قريش
في الملائكة .

وجوز الزمخشري كونه^(٢) من خرق الثوب ؛ إذا شقه ، أى أنهم اشتقوا له
بنين وبنات .

المحاضرة

ذكره ابن فارس^(١)، وحقيقته أن يؤتى باللفظ على وزن الآخر لأجل انضمامه إليه؛ وإن كان لا يجوز فيه ذلك لو استعمل منفرداً؛ كقولهم: أتيتك الغداً والشاياً، قالوا: الغداً لا انضمها إلى الشاياً.

قيل: ومن هذا كتابة للصحف، كتبوا: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾^(٢) بالياء؛ وهو من ذوات الواو؛ لما قرن بغيره مما يكتب بالياء.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَسَطَهُمْ﴾^(٣) فاللام التي في ﴿لَسَطَهُمْ﴾ جواب ﴿وَوَ﴾. ثم قال: ﴿فَلَقَّا تَلَوُكُمْ﴾ فهذه حذبت بلك اللام؛ وإلا فالعنى: لَسَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَمَاتُوا كُمْ.

ومثله: ﴿لَا عَذَابَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذُبْحَنُ﴾^(٤) فيها لا ما قسم - ثم قال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي﴾، فليس ذا موضع قسم؛ لأنه عذر^(٥) للهدد؛ فلم يكن يُقسم على الهدد أن يأتي بعذر، لكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه^(٦).

(١) فقه اللغة ١٠

(٢) سورة النحل ٢

(٣) من قوله تعالى في سورة النساء ٩٠: ﴿وَوَ شَاءَ اللَّهُ لَسَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَمَاتُوا كُمْ﴾.

(٤) سورة البقرة ٢١

(٥) في الأصول: «حذر المهدد»، وما أتتبه من فقه اللغة.

(٦) بعده في فقه اللغة: «ومن الباب: وزنه قاتن، وكلته فاكثال، أي استوفاه كيلاً ووزناً؛ ومنه

قوله جل ثناؤه: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾؛ فتعرفونها؛ لأنها حق للأزواج على النساء.»

ومنه ^(١) الجزء عن الفعل بمثل لفظه نحو : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
بِهِمْ ﴾ ^(٢) أى يمازىهم جزاء الاستهزاء .
وقوله : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ ^(٣) ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(٤) :
﴿ وَجَزَاءً سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ^(٥) .

(١) في هذه اللمة « ومن هذا الباب الجزء على الفعل بمثل لفظه » .
(٢) سورة البقرة ١٤ ، ١٥ (٣) سورة آل عمران ٥٤
(٤) سورة النوبة ٧٩ (٥) سورة الشورى ٤٠

قواعد في النفي

قد تقدم في شرح معاني الكلام جمل من قواعده ؛ ونذكر هاهنا زيادات .

اعلم أن نفي الذات الموصوفة قد يكون نفيًا للصفة دون الذات ، موقد يكون نفيًا للذات . وانتفاء النفي عن الذات للموصوفة قد يكون نفيًا عن الذات ، وقد يكون نفيًا عن الصفة دون الذات ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^(١) ، فإنه نهى عن القتل بنفي الحق . وقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾^(٢) .

ومن الثاني قوله : ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾^(٣) ، ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٤) ، أي فلا يكون موتكم إلا على حال كونكم مسلمين على الإسلام ، فالنهي في الحقيقة على خلاف حال الإسلام ؛ كقول القاتل : لا نصل إلا وأنت خاضع ، فإنه ليس نهيًا عن الصلاة ، بل عن ترك الخشوع .

وقوله : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى . . . ﴾^(٥) الآية .

وقد ذكرنا أن النفي بحسب ما يتسلط عليه يكون أربعة أقسام :

الأول : بنفي المستند نحو ، ما قام زيد بل قد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾^(٦) فالمراد نفي السؤال من أصله ؛ لأنهم متفقون ؛ ويلزم من نفيه نفي الإلحاف .

(١) سورة الأنعام ١٥١

(٢) سورة آل عمران ١٥٢

(٣) سورة البقرة ٢٧٣

(٤) سورة الإسراء ٣٣

(٥) سورة المائدة ٩٥

(٦) سورة النساء ٤٣

الثاني : أن ينفى للسند إليه ، فينتفى السند ، نحو ما قام زيد إذا كان زيد غير موجود ؛ لأنه يلزم من عدم زيد نفى القيام . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾^(١) ، أى لا شافعين لهم فتفنعهم شفاعتهم .
ومنه قول الشاعر^(٢) :

• عَلَى لَا حِجِّ لَا يُهْتَدَى لِمَنَارِهِ •

أى : على طريق لا منار له ، فيهتدى به ؛ ولم يكن مراده أن يثبت النار فينتفى الاهتداء به .

الثالث : أن يُنفَى للتملق دون السند والسند إليه ، نحو ما ضربت زيدا بل عمراً .
الرابع : أن ينفى قيد السند إليه أو للتملق ؛ نحو ما جاءنى رجل كاتب بل شاعر ، وما رأيت رجلاً كاتباً بل شاعراً ؛ فلما كان النفى قد ينصب على السند وقد ينصب على السند إليه أو للتملق ، وقد ينصب على القيد احتمال فى قولنا : ما رأيت رجلاً كاتباً أن يكون النفى هو القيد ؛ فيفيد الكلام رؤية غير الكاتب ؛ وهو احتمال مرجوح ؛ ولا يكون النفى للسند ؛ أى الفعل ، بمعنى أنه لم يقع منه رؤية عليه ؛ لا على رجل ولا على غيره ؛ وهو فى المرجوحية كالذى قبله .

(٢) هو امرؤ القيس ، ديوانه ٦٦ ، وبقيته :

(١) سورة الدھر ٤٨

• إِذَا سَأَفَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرَجَرًا •

نفى الشئ رأسا

لأنه عدم كمال وصفه أو لا تنفائه ثمرته ، كقوله تعالى في صفة أهل النار: ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾^(١) فنفي عنه الموت ، لأنه ليس بموت صريح ، ونفي عنه الحياة ، لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة ، كقوله تعالى : ﴿ وَرَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ ﴾^(٢) أى ما هم بسكارى مشروب ، ولكن سُكَارَى قزع .

وقوله : ﴿ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾^(٣) ، وم قد نطقوا بقولهم : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بآيَاتِ رَبِّنَا ﴾^(٤) ، ولكنهم لما نطقوا بما لم ينفع فكانتهم لم ينطقوا .

وقوله : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾^(٦) .

ومنه قوله : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(٧) ، فإن للمعزلة احتجوا به على نفي الرؤية ، لأن النظر لا يستلزم الإبصار ، ولا يلزم من قوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾^(٨) إبصار .

وهذا وهم ، لأن الرؤية تقال على أمرين : أحدهما الحسبان والثاني العلم ، والآية من للمعنى الأول ، أى تحسبهم ينظرون إليك ؛ لأن لهم أعينا مصنوعة بأجفانها وسوادها بحسب الإنسان أنها تنظر إليه بإقبالها عليه ، وليست تبصر شيئا .

(١) سورة طه ٧٤

(٢) سورة المرسلات ٣٥ ، ٣٦

(٣) سورة الأعراف ١٧٩

(٤) سورة الأعراف ١٩٨

(٥) سورة الحج ٢

(٦) سورة الأنعام ٢٧

(٧) سورة الملك ١٠

(٨) سورة القيامة ٢٣

ومنه : ﴿ فَكَانُوا أَيْمَةً آلَ كُفْرٍ إِسْمُهُمْ لَا أَيْمَانٌ لَهُمْ ﴾^(١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) ؛ فإنه وصفهم أولاً بالعلم على سبيل التوكيد القسري ، ثم فناه أخيراً عنهم لعدم جزيهم على موجب العلم ؛ كذا قاله السكاكي وغيره .
وقد يقال : لم يتوارد النفي والإثبات على محل واحد ، لأن المثلث أولاً نفس العلم ، وللنفي إجراء العمل بمقتضاه . ويحتمل حذف للفعلين أو اختلاف أصحاب الضميرين .
قال : ونظيره في النفي والإثبات قوله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾^(٣) .

قلت : للنفي أولاً التأثير ، والمثلث ثانياً نفس الفعل .

ومن هذه القاعدة يزول الإشكال في قوله : ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾^(٤) واللعنى : إن لم تفعل بمقتضى ما بلغت فأنت في حكم غير المبلغ ، كقولك لطالب العلم : إن لم تعمل بما علمت فأنت لم تعلم شيئاً ، أى في حكم من لم يعلم .

ومنه نفي الشيء مقيداً والمراد نفيه مطلقاً ؛ وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة في النفي وتأكيده ، كقولهم : فلان لا يرجى خيره ، ليس المراد أن فيه خيراً لا يرجى ، غرضهم أنه لا خير فيه على وجه من الوجوه .
ومنه : ﴿ وَيَقُولُونَ النَّبِيُّينَ يَنْبَغِي حَقٌّ ﴾^(٥) ، فإنه يدل [على] أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ، ثم وصف القتل بما لا بد أن يكون من الصفة ، وهى وقوعه على خلاف الحق .

(٢) سورة البقرة ١٠٢

(٤) سورة المائدة ٦٧

(١) سورة التوبة ١٢

(٣) سورة الأقال ١٧

(٥) سورة آل عمران ٢١

وكذلك قوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾^(١)، إنها وصف لها الدعاء ، وأنه لا يكون إلا عن غير برهان .

وقوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾^(٢) ، تليظ وتأكيد في تحذير الكفر .

وقوله : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(٣) ؛ لأن كل ثمن لما لا يكون إلا قليلا ، فصار نفى الثمن القليل نفيا لكل ثمن .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾^(٤) ، فإن ظاهره نفى الإلحاف في المسألة ، والحقيقة نفى المسألة البتة ؛ وعليه أكثر المفسرين ، بدليل قوله : ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنِ الْثَنَنِ﴾^(٥) ، ومن لا يسأل لا يلجف قطعا ؛ ضرورة أن نفى الأثم يستلزم نفى الأخص .

ومثله قوله : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِجْمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٦) ، ليس المراد نفى الشفيع بقيد الطاعة ؛ بل نفى مطلقا ؛ وإنما قيده بذلك لوجوه :

أحدها : أنه تشكيل بالكفار ؛ لأن أحدا لا يشفع إلا بإذنه ؛ وإذا شفع بشفع ، لكن الشفاعة مختصة بالمؤمنين ، فكان نفى الشفيع للطاع تنبيها على حصوله لأعدائهم ؛ كقولك لمن يناظر شخصا صديق نافع : لقد حدثت صديقا نافعا ، وإنما تريد التنويه بما حصل لغيره ، لأن له صديقا ولم ينفع .

الثاني : أن الوصف اللازم للوصوف ليس بلازم أن يكون للتقيد ؛ بل يدل لأغراض من تحسينه أو تقييده ، نحو : له مال يشفع به ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾^(٧) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٨)

(٢) سورة البقرة ١١٧

(٤) سورة البقرة ٢٧٣

(٦) سورة سبأ ٤٤

(١) سورة المؤمن ١١٧

(٣) سورة البقرة ٢٧٣

(٥) سورة غافر ١٨

(٧) سورة البقرة ١٧٤

الثالث : قد يكون الشقيع غير مطاع في بعض الشفاعات، وقد ورد في بعض الحديث ما يوم صورة الشفاعة من غير إجابة ، كحديث الخليل مع والده يوم القيامة ؛ وإنما دلّ على التلازم دليل الشرع .

وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ﴾^(١) أى من خوف الذل ، فنفى الولي لا انتفاء خوف الذل ؛ فإن اتخاذا الولي فرع عن خوف الذل وسبب عنه .

وقوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٢) ، نفى الغلبة ؛ والمراد نفى أصل النوم والسنة عن ذاته ؛ ففي الآية التصريح بنفى النوم وقوعا وجوازا ، أما وقوعا فبقوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٣) ، وأما جوازا فبقوله : ﴿ الْفَيُّومُ ﴾ ، وقد جمعها قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنُومُ » .

وقوله : ﴿ قُلْ أَتَلْبِثُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَمْلِكُ ﴾^(٤) ؛ أى بما لا وجود له ، لأنه لو وجد لعلّه بوجود الوجوب ، يتعلق علم الله تعالى بكل معلوم .

وقوله تعالى : ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾^(٥) ، على قول من نفى القبول لانتفاء سببه ، وهو التوبة ، لا يوجد توبة فيوجد قبول .

وعكسه : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾^(٦) ، فإنه نفى لوجدان العهد ؛ لانتفاء سببه ، وهو الوفاء بالعهد .

وقوله : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾^(٧) ، أى من حجة ، أى لا حجة عليها ، فيستحيل إذن أن ينزل بها حجة .

(٢) سورة البقرة ٢٥٥

(٤) سورة آل عمران ٩٠

(٦) سورة يوسف ٤

(١) سورة الإسراء ١٠١٦

(٣) سورة يونس ١٨

(٥) سورة الأعراف ١٠٢

ونظيره من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : « الدجال أعور والله ليس بأعور » ، أى بذى جوارح كوامل بشخيل جوارح له نواقص .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ ^(١) ليس المراد أن كلمات الله تنفذ بعد فساد البحر ؛ بل لا تنفذ أبداً ، لا قبل فساد البحر ولا بعده . وحاصل الكلام : لنفد البحر ولا تنفذ كلمات ربي .

ووقع في شعر جرير قوله :

فَيَا لَكَ يَوْمًا خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَفَيَّبَ وَاشْيِهَ وَأَقْصَرَ عَاذِلُهُ ^(٢)
قال الأصمعي : أنشدته كذلك خلف الأحمر ، قال : أصليحه :
* فَيَا لَكَ يَوْمًا خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ *

فإنه لا خير لخير بعده شر ، وما زال العلماء يصلحون أشعار العرب ، قال الأصمعي :
فقلت : والله لا أرويه أبداً إلا كما أوصيتني ^(٣) .

(١) سورة الكهف ١٠٩

(٢) ديوانه ٤٨٠ ، وروايته : « وذلك يوم » .

(٣) الخبر كما رواه الرزباني بسنده في اللوشع عن عيسى بن إسماعيل س ١٢٥ : سمعت الأصمعي يقول :

قرأت على خلف شعر جرير : فلما بلغت قوله :

وَيَوْمَ كَلِمَاتِهِ الْقَطَاطَةُ مُحَبَّبٍ إِلَيَّ هَوَاهُ غَالِبٌ لِي بِإِطْلِهِ
رُزِقْنَاهُ الصَّيْدَ النَّزِيرَ وَلَمْ نَكُنْ كَمَنْ نَبِلُهُ مَحْرُومُهُ وَحَبَّاءُ اللَّهِ
فَيَا لَكَ يَوْمًا خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَفَيَّبَ وَاشْيِهَ وَأَقْصَرَ عَاذِلُهُ

فقال : ويه ! وما ينفعه خير يقول إلى شر ! قلت له : هكذا قرأت على أبي عمرو ، فقال له : صدقت ، وكذا قاله جرير ، وكان قليل التفتيح مشدود الأنفاط ؛ وما كان أبو عمرو ليغيرك إلا كما سمع ، فقلت : فكيف يجب أن يقول ؟ قال : الأجود له لو قال :

* فَيَا لَكَ يَوْمًا خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ *

فدروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديما تصلح من أشعار قديما . فقلت : والله لا أرويه بعد هذا ولا هكذا !

قال ابن رشيقي هذه الحكاية في « العمدة » وصوبها^(١).

قال ابن النثير: ووقع لي أن الأصمعي وخلف الأحمر وابن رشيقي أخطئوا جميعا وأصاب جرير وحده؛ لأنه لم يرد إلا « فيالك يوم خير لاشرفيه »، وأطلق « قبل » للنفي كما قلناها، في قوله تعالى: ﴿ لَنَفَعُ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَعَكِلِمَاتُ رَبِّي ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾^(٣) وقوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾^(٤)؛ فإن ظاهره نفي هذه الجوارح، والحقيقة توجب نفي الآية عن أن يكون له فضلا عن أن لا يكون له.

وقوله: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾^(٥)، فالمراد لا ذاك ولا عليك به؛ أي كلاما غير ثابت.

وقوله: ﴿ يٰٓأَشْرِكُوْا بِاللّٰهِ مَا لَهُمْ بِنِزْلِهِ سُلْطٰنًا ﴾^(٦)؛ أي شركاء لا ثبوت لها أصلا، ولا أنزل الله بإشراكها حجة، وإنزال الحجة كلامها منتف.

وقوله: ﴿ أَتُنَبِّئُونَ آلَهِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٧)، أي ما لا ثبوت له ولا علم الله متعلق به؛ نفيا للمازوم وهو النبابة بنفي لازمه، وهو وجوب كونه معلوما للعالم بالذات، لو كان له ثبوت، بأي اعتبار كان.

وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ أَمْزَدُوا كُفْرًا لَّنْ قُبُلُ تَوَّابِينَ ﴾^(٨)

(١) العمدة ٢ : ١٩٣؛ قال ابن رشيقي بعد أن أورد الخبر: « قلت أنا: أما هذا الإصلاح فليح الظاهر، غير أنه خلاف الظاهر؛ وذلك أن الشاعر أراد أنه كان في ليله وصال؛ ثم فارق حبيبه نهارا؛ وذلك هو الصبر الذي ذكر، والرواية بجله لم يفارق؛ فغير عليه المني؛ إلا أن تكون الرواية: « ويرم كل بهام المباري، » فيقتض: على أن « دون » تحتل ما قصد، وتحتل معنى « قبل »، فهي لفظة مشتركة، ويكون أيضا بمعنى « بعد »، لأنها من الأشداد، ولكن في غير هذا الموضع ».

(٣) سورة الرعد ٧

(٢) سورة الكهف ١٠٩

(٥) سورة لقمان ١٥

(٤) سورة الأعراف ١٩٥

(٧) سورة يونس ١٨

(٦) سورة آل عمران ١٥١

(٧) سورة آل عمران ٩٠

أصله لن يتوبوا فلن يكون لم قبول توبة، فأثر الإلحاق ذهابا إلى انتفاء اللزوم بانتفاء اللزوم؛ وهو قبول التوبة الواجب في حكمة تعالى وتقدس .

وقوله : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا قِتْيَانَكُمْ عَلَى الْبَيْتِ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْصَنًا ﴾ ^(١) ، معلوم أنه لا إكراه على الفاحشة لمن لا يريد محصنا؛ لأنها نزلت فيمن يفعل ذلك .

ونظيره : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا أُضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ ^(٢) ، وأكل الربا منهي عنه قليلا وكثيرا ؛ لكنها نزلت على سبب ؛ وهو فعلهم ذلك ؛ ولأنه مقام تشجيع عليهم ، وهو بالكثير أليق .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ ^(٣) الآية ، للمنى آمنا بالله دون الأصنام وسائر ما يدعى إليه دونها ، إلا أنهم نفوا الإيمان باللائكة والرسل والكتب المنزلة والهار الآخرة والأحكام الشرعية، ولهذا أنه تسارده بقوله : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ ^(٤) ، بد إثباته إيمانهم ، لأنه ضرورى لا اختيارى ، أوجب ألا يكون الكلام مسوقا لئنى أمور يراعى فيها الحصر والتقييد ، كقوله : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ ^(٥) ، فإنه لم يقدم للفعول فى « آمنا » حيث لم يرد ذلك المعنى ، فركب تركيبا يرمي أفراد الإيمان بالرحمن عن سائر ما يلزم من الإيمان .

وقوله : ﴿ يَحْكَرُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْخَلْقَ ﴾ ^(٦) ، فقليل من هذا الباب ، ففى صفة لازمة ، وقيل التكبير قد يكون بحق ، وهو الفوز من الفواش والدنيا والعباد من فعلها . وأما قوله : ﴿ وَالْإِنَّمِ وَالْبَنَى يَغْيِرُ الْخَلْقَ ﴾ ^(٧) ، فإن أريد بالبنى الظلم كان قوله : ﴿ يَغْيِرُ الْخَلْقَ ﴾ تأكيذا ، وإن أريد به الطلب كان قيدا .

(٢) سورة آل عمران ١٣٠

(٤) سورة النلك ٢٩

(٦) سورة الأعراف ٢٣

(٦) - بردان - ناك

(١) سورة النور ٣٣

(٣) سورة المؤمن ٨٤ ، ٨٥

(٥) سورة الأعراف ١٤٦

قاعدة

اعلم أن نفي العام يدل على نفي الخاص ، وثبوته لا يدل على ثبوته ، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ، ولا يدل نفيه على نفيه ؛ ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الاتخاذ به ، فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص ، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام .

فالأول : كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾^(١) ، ولم يقل : « بضوئهم » بمساقوله : ﴿ أضاءت ﴾ لأن النور أعم من الضوء ؛ إذ يقال على القليل والكثير ؛ وإنما يقال الضوء على النور الكثير ولذلك قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾^(٢) في الضوء دلالة على الزيادة ، فهو أخص من النور ، وعدمه لا يوجب عدم الضوء ، لاستتزام عدم العام عدم الخاص ، فهو أبلغ من الأول ، والفرض لإزالة النور عنهم أصلاً ، ألا ترى ذكره بعده : ﴿ وَتَوَرَّكُمُ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾^(٣) .

وهامنا دقيقة ، وهي أنه قال : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾^(٣) ، ولم يقل : « أذهب نورهم » لأن الإذهاب بالشيء إشعار له بمنع عودته ، بخلاف الذهاب ؛ إذ يفهم من الكثير استصحابه في الذهاب ، ومتنصفي منه من الرجوع .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ﴾^(٤) ، ولم يقل : « ضلال » ؛ كما قالوا :

(٢) سورة يونس ٥

(٤) سورة الأعراف ٦١

(١) سورة البقرة ١٧

(٣) سورة البقرة ١٧

﴿ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ ﴾^(١) ، لأننا نرى الواحد يلزم منه نفي الجنس البتة .
وقال الزمخشري^(٢) : لأن الضلالة أخص من الضلال ، فكان أبلغ في نفي الضلال
عنه^(٣) ، فكانه قال : ليس بشيء من الضلال ، كما لو قيل : [لك]^(٤) لك ثمرة
قلت : مالى ثمرة .

ونازعه ابن اللثير^(٥) وقال : تعليله فيها أبلغ [من نفي الضلال] لأنها أخص
[منه]^(٦) وهذا غير مستقيم ، فإن نفي الأم أخص من نفي الأخص ، ونفي الأخص أم
من نفي الأم ، فلا يستلزمه لأن^(٧) الأم لا يستلزم الأخص . فإذا قلت : هذا ليس بإنسان
لم يلزم سلب الحيوانية عنه ، وإذا قلت : هذا ليس بحيوان ، لم يكن إنسانا ، والحق
أن يقال : الضلالة أدنى من الضلال [وأقل]^(٨) ، لأنها لا تطلق إلا على التامة
[الواحدة]^(٩) منه ، والضلال يصلح للقليل والكثير ، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى
لا من جهة كونه أخص ، بل من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى .

والثاني : كقوله تعالى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾^(١٠) ، ولم يقل
« طولها » ، لأن العرض أخص ، إذ كل ماله عرض فله طول ، ولا ينعكس . وأيضاً
إذا كان للشيء صفة يعني ذكرها عن ذكر صفة أخرى ، تدل عليها كان الاتصاف عليها
أولى من ذكرها ؛ لأن ذكرها كالتكرار ، وهو عمل ؛ وإذا ذكرت فالأولى تأخير
الدلالة على الأخرى ؛ حتى لا تكون المؤخرة قد تقدمت الدلالة عليها .

(٢) الكشاف ٢ : ٨٩

(١) سورة الأعراف ٦١

(٤) من الكشاف .

(٣) الكشاف : « عن نفسه » .

(٥) في حاشيته على الكشاف للعروفة بالانصاف (٢ : ٨٩) .

(٦) من حاشية ابن اللثير .

(٧) حاشية ابن اللثير : « ضرورة أن الأم » .

(٩) سورة آل عمران ١٣٣

(٨) من حاشية ابن اللثير .

وقد يحلّ بذلك مقصود آخر كافى قوله : ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(١) لأجل السجع وإذا كان ثبوت شيء أو نفيه يدل على ثبوت آخر أو نفيه ، كان الأولى الاقتصار على الدالّ على الآخر ، فإن ذكرت فالأولى تأخير الدال .

وقد يحلّ بذلك مقصود آخر ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٢) وعلى قياس ما قلنا يبنى الاقتصار على صغيرة ، وإن ذكرت الكبيرة منها فلتذكر أولا .

وكذلك قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرٌ لَهُمَا﴾^(٣) وعلى ذلك القياس يكفى «لما أف» أو يقول «ولا نهرا» ، «فلا تقل لهما أف» ؛ وإنما عدل عن ذلك للاهتمام بالنهى عن التأفيف ، والعناية بالنهى ؛ حتى كأنه قال : نهى عنه مرتين : مرة بالمفهوم ، وأخرى بالتطوق .

وكذلك قوله تعالى : ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٤) فإن النوم غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع معرفة الأشياء ، والسنة مما يتقدمه من النعاس ، فلم يكتف بقوله : ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ﴾^(٥) ؛ دون ذكر النوم ؛ لثلاث يتوهم أن السنة إنما لم تأخذه لضعفها ، ويتوهم أن النوم قد يأخذه لقوته ؛ فجمع بينهما لنفى التوهمين ، أو السنة فى الرأس ، والنعاس فى العين ، والنوم فى القلب ؛ تلخيصه هو منزعه عن جميع المفترقات ، ثم أكد نفي السنة والنوم بقوله : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٦) لأنه خلقهما بما فيهما ، والمشاركة إما تقع فيهما ، ومن يكن له ما فيهما ؛ ففعال نومه ومشاركته ؛ إذ لو وجد شيء من ذلك لفسدتا بما فيهما . وأيضاً فإنه يلزم من نفي السنة نفي النوم أنه لم يقل : لا ينام ؛ وإما قال : ﴿لَا تَأْخُذْهُ﴾^(٧)

(٢) سورة الكهف ٤٩

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(١) سورة مريم ٥١

(٣) سورة الإسراء ٢٣

يعنى لا تنليه ؛ فكأنه يقول : لا ينل به القليل ولا الكثير من النوم . والأخذة بالغة بمعنى القهر والغلبة ؛ ومنه سُميَ الأسير : مأخوذاً وأخيناً . وزيدت «لا» في قوله : ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾^(١) لنفيهما عنه بكل حال ، ولولا ما لاحتمل أن يقال : لا تأخذه سنة ولا نوم في حال واحدة ، وإذا ذكرت صفات فإن كانت للدح فالأولى الانتقال فيها من الأدنى إلى الأعلى ؛ ليكون للدح مزيداً بتزايد الكلام ؛ فيقولون : فقيه عالم ، وشجاع باسل ، وجواد فياض ، ولا يعكسون هذا لفساد المعنى ؛ لأنه لو تقدم الأبلغ لكان الثاني داخلًا تحته ، فلم يكن لذكره معنى ؛ ولا يوصف بالعالم بعد الوصف بالأمم .

وقد اختلف الأدباء في الوصف بالفاضل والكامل : أيها أبلغ على ثلاثة أقوال :
ثالثها أنها سواء .

قال الأفيشى^(٢) : والحق أنك مهما نظرت إلى شخص ، فوجدته مع شرف العقل والنفس كريم ، الأخلاق والسجايا ، معتدل الأموال وصفته بالكمال ، وإن وجدته وصل إلى هذه الرتب بالكسب والمجاهدة وإمالة الرذائل وصفته بالفضل ؛ وهذا يقتضى أنهما متضادان ؛ فلا يوصف الشخص الواحد بهما إلا بجواز .

وقال ابن عبد السلام في قوله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٣) إنما قدم الغيب مع أن علم الغيبات أشرف من المشاهدات ، والتمدح به أعظم ، وعلم البيان يقتضى تأخير الأمدح . وأجاب بأن المشاهدات له أكثر من الغائب عتاً ، والعلم يشرف بكثرة متعلقاته ؛ فكان تأخير الشهادة أولى .

وقول الشيخ : إن للمشاهدات له أكثر ، فيه نظر ؛ بل في غيبه ما لا يحصى ﴿وَرَبُّكَ خَلَقُ

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٢) الأفيشى : مفسر إلى أفليش ، بضم الهزرة وسكون الفاف ، إحدى مدن الأندلس . وله عبد الله

ابن يحيى النجيب الأفليشى ؛ شرح الشهاب ، واختصر كتاب مستل القرآن لابن فورق ؛ وتوفى سنة ٥٠٢ هـ

(٣) سورة المؤمنون ٩٢

واقطر مجم البلدان ١ : ٣١٤

مَا لَا تَعْلَمُونَ^(١) ؛ وإنما الجواب أن الانتقال للأمدح ترقى ؛ فالقصود هنا بيان أن الغيب والشهادة في علمه سواء ، فنزل الترقى في اللفظ منزلة ترقى في المعنى ، لإفادة استوائهما في علمه تعالى ، ويوضحه قوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾^(٢) فصرح بالاستواء .

هذا كله في الصفات ، وأما للوصفات فلي العكس من ذلك ؛ فإنك تبدأ بالأنفصل ، فتقول : قام الأمير ونائبه وكتابه ؛ قال تعالى : ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا . . .﴾^(٣) الآية ، تقدم الخيل لأنها أحد وأفضل من البغال ، وقدّم البغال على الحمر لذلك أيضاً .

فإن قلت : قاعدة الصفات منقوضة بالقاعدة الأخرى ؛ وهي أنهم يقدمون الأهم فالأهم في كلامهم كما نص عليه سيبويه وغيره .

وقال الشاعر :

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافَنَا فِي نُفُوسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ
قُلْتُ لَهُ نِعْمًاكَ فِيهِمْ أَيْتَمًا وَدَعُ أَمْرَنَا إِنْ الْمُهْمَ الْقَدَمُ

قلت : المراد بقوله : « تقدم الأهم فالأهم » فيما إذا كانا شيئين متغايرين مقصودين ، وأحدهما أهم من الآخر ؛ فإنه يقدم ، وأما تأخر الأمدح في الصفات فذلك فيما إذا كانتا صفتين لشئ واحد ؛ فلو أخرنا الأمدح لكان تقديم الأول نوعاً من العبث .

هذا كله في صفات المدح ؛ فإن كانت للذم فقد قالوا : ينبئني الابتداء بالأشدّ ذمّاً ، كقوله تعالى : ﴿مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٤) ؛ قال ابن النفيس^(٥) : في كتاب

(١) سورة النحل ٨

(٢) سورة الرعد ١٠

(٣) سورة النحل ٨

(٤) سورة النحل ٩٨

(٥) هو علي بن أبي الحرم القرشي علاء الدين ، المعروف بابن النفيس ؛ أعلم أهل عصره بالطلب ؛ سكن مصر وتوفي بها سنة ٦٩٨ ؛ ذكره البكري في الضعفات ٥ : ١٢٩ ؛ وكتابه طريق الفصاحة ، ذكره صاحب كشف الظنون ص ١١١٤

« طريق النصيحة » : وهو عندى مشكل ؛ ولم يذكر توجيهه .

وقال حازم فى « منهاجه » : يُبْدَأُ فى الحسن بما ظهور الحسن فيه أوضح ، وما النفس بقديمة أعنى ، ويبدأ فى الذم بما ظهور القبح فيه أوضح ، والنفس بالانفئات إليه أعنى ؛ وَيَنْقَلُ فى الشيء إلى ما يليه من اللزجة فى ذلك ، ويكون بمنزلة المصور الذى يُصور أولاً ما حل من رسوم تخضبط الشيء ، ثم ينتقل إلى الأدق فالأدق .

فائدة

نفى الاستطاعة قد يراد به نفي الامتناع ، أو عدم إمكان وقوع الفعل مع إمكانه ؛ نحو هل تستطيع أن تسلكنى ؟ بمعنى هل تفعل ذلك وأنت تعلم أنه قادر على الفعل ؟ وقد حل قوله تعالى حكاية عن الحواريين : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾^(١) على المعنى الأول ؛ أى هل يمجينا إليه ؟ أو هل يفعل ربك ؟ وقد علموا أن الله قادر على الإنزال ، وأن عيسى قادر على السؤال ، وإنما استفهموا هل هنا صارف أو مانع ؟ وقوله : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾^(٢) . ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدًّا ﴾^(٣) . ﴿ فَمَا أَسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾^(٤) . وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة كقوله تعالى : ﴿ لَنْ نَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^(٥) .

(٢) سورة يس ٥٠
(٤) سورة الكهف ٧٢

(١) سورة المائدة ١١٢
(٣) سورة الأنبياء ٤٠
(٥) سورة الكهف ٦٧

قائـدة

قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾^(١) ، قالوا : المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة ، لا يقال للأسد : ليس بشجاع .
وأجيب بأن المراد بالرَّمَى هنا للرتب عليه ، وهو وصوله إلى الكفار ؛ فالوارد عليه السلب هنا مجاز لاحقيقة ؛ والتقدير : وما رميتَ خَلَقًا إِذْ رَمَيْتَ كَسْبًا ، أو ما رميتَ انتهاء إِذْ رَمَيْتَ اجتداء ؛ وما رميتَ مجازًا إِذْ رَمَيْتَ حقيقة .

إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ
دون الحقيقة لضرب من السابغة وحمل العناد

كقوله : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ كَلَّمْنَا هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(١) ؛ وهو يعلم أنه على الهدى ، وأنهم على الضلال ، لكنه أخرج الكلام مخرج الشك ، تقاضياً ومساحة ، ولا شك عنده ولا ارتياب .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾^(٢) . ونحوه : ﴿ قُلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾^(٣) . وأورده على طريق الاستفهام ؛ واللفظ : هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأنتم عليهم لما تبين لكم من للشاهد ولاح منكم في الخيال : ﴿ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾^(٤) . تهالكا على الدنيا ؟

وإنما أورد الكلام في الآية على طريق سوق غير المعلوم سياق غيره ، ليؤذيهم التأمل في التوقع عن بصف بذلك إلى ما يجب أن يكون مسبباً عنه من أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم ، فيأزمهم به على أطف وجه ؛ إبقاء عليهم من أن يفاجئهم به وتأليفاً لقلوبهم ، ولذلك التفت عن الخطاب إلى التنية ، تقادياً عن مواجهتهم بذلك .

وقد يخرج الواجب في صورة الممكن ، كقوله تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾^(٥) .

﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾^(٦) .

(٢) سورة الزخرف ٨١

(٤) سورة الإسراء ٧٩

(١) سورة سبأ ٢٤

(٣) سورة القتال ٧٢

(٥) سورة المائدة ٥٢

و (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ) ^(١).

(وَعَسَىٰ أَنْ تَسْكُرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) ^(٢).

وقد يخرج الإطلاق في صورة التقييد كقوله : (حَتَّىٰ يَكِيَّجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخَيْلِ) ^(٣).

ومنه قوله تعالى حاكيا عن شعيب : (وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا) ^(٤) فاللغى لا يكون أبدا من حيث علقه بمشيئة الله ؛ لما كان معلوما أنه يشاؤه ؛ إذ يستحيل ذلك على الأنبياء ، وكل أمر قد علّق بمسا لا يكون قد نفى كونه على أبعد الوجوه .

وقال قطرب : في الكلام تقديم وتأخير ، والاستثناء من الكفار لا من شعيب ، وللعنى : لنُخْرِجَنَّكَ يا شعيب ، والذين آمنوا مملك من قريتنا ؛ إلا أن يشاء الله أن نودوا في ملتهم . ثم قال تعالى حاكيا عن شعيب : (وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا) ^(٥) ، على كل حال .

وقيل : الهاء عائدة إلى القرية ، لا إلى الله .

(٢) سورة البقرة ٢١٦
(٤) سورة الأعراف ٨٩

(١) سورة الإسراء ٨
(٣) سورة الأعراف ٤٠

الإعراض عن نصيب الحكم

كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١)، أعرض عن ذكر مقدار الجزاء والثواب، وذكر ماهو معلوم مشترك بين جميع أعمال البشر، تفخيما لمقدار الجزاء، لما فيه من إيهام للمقدار، وتنزيلا له منزلة ماهو غير محتاج إلى بيانه، على حدّ «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»، أعرض عن ذكر الجزاء إلى إعادة الشرط، تنبيها على عظم مايتأل، وتفخيما لبيان ماأق به من العمل، فصار السكوت عن مرتبة الثواب أبلغ من ذكرها.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٢)، وهذه الآية تتضمن الرجوع والبقاء والجمع، ألا تراه كيف رجع بعد ذكره المبتدأ الذي هو الذين من ذكر خبره إلى الشروع في كلام آخر، فبنى مبتدأ على مبتدأ وجمع، وللمنفى قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾^(٣) من خبر المبتدأ الأول، وتهديره: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ، لأننا لا نضيع أجر من أحسن عملا.

الهدم

وهو أن يأتي الغير بكلام يتضمن معنى ، فتأتي بضده ؛ فإنك قد هدمت ما بناه
 للحكم الأول ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ ^(١)
 هدمه بقوله : ﴿ مَا آخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾ ^(٢) ، ويقوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ ﴾ ^(٣) ،
 ويقوله : ﴿ فَلَيْمَ يَمْدِّ بِكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ ^(٤) ؛ تقديره إن كنتم صادقين في دعواكم .
 ومنه : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ ^(٥)
 هدمه بقوله : ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ^(٦) ، وقوله : ﴿ مَا آخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾ ^(٧) .
 ومنه : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ ^(٨) هدمه بقوله :
 ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ ^(٩) ، أى في دعواهم الشهادة .

(٢) سورة المؤمنون ٩١

(٤) سورة المائدة ١٨

(٦) سورة المؤمنون ٩١

(١) سورة المائدة ١٨

(٣) سورة آل عمران ٥٧

(٥) سورة التوبة ٣٠

(٧) سورة النافقون ١

التوسع

منه الاستدلال بالنظر في اللكوت ، كقوله تعالى : ﴿ إِنِّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) .

ويكثر ذلك في تدريبات العقائد الإلهية : لتتمكن في النفوس ، كقوله : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ ^(٢) ؛ وذلك بعد ذكر النطقة وتلقبها في مراتب الوجود ، وتطورات الخلقة .

وكقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٣) .

ومنه التوسع في ترادف الصفات ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ بَدَهُ لَمْ يَسْكَدْ بِرَأْمِهِ ﴾ ^(٤) ، فإنه لو أريد اختصاره لكان : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ﴾ ^(٥) مظل .
ومنه التوسع في اللم كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَافٍ مِثْنٍ . هَمَزَ مَشَاهِدَ يَنْبِغِيهِ ﴾ ^(٦) إلى قوله : ﴿ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴾ ^(٧) .

(٢) سورة القيامة ٤٠

(٤) سورة الزمر ٦٧

(٦) سورة القلم ١٠ ، ١١

(١) سورة البقرة ١٦٤

(٣) سورة الزمر ٦٧

(٥) سورة القلم ١٠ ، ١١

التشبيه

اتفق الأدباء على شرفه في أنواع البلاغة ، وأنه إذا جاء في أعقاب للمعانى فأدعا كمالا ،
وكساها حلة وجمالا ، قال اللبرّد في « الكامل » : هو جارٍ في كلام العرب حتى لو قال
قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد .

وقد صنّف فيه أبو القاسم^(١) بن البنداري البغدادي كتاب « الجمان في
تشبيهات القرآن » .

[مباحث التشبيه]

وفيه مباحث :

الأول

في تعريف

وهو إلحاق شيء بذى وصف في وصفه .

وقيل : أن تثبت للتشبيه حكما من أحكام التشبيه به .

وقيل : الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد ؛ كالطبيب
في المسك ، والضيء في الشمس والنور في القمر . وهو حكم إضافي لا يرد إلا بين الشيئين
بمخلاف الاستمارة .

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين بن نايقا ، الأديب الشاعر القنوي ، للتوفى سنة ٤١٠ هـ
ووجد من كتابه الجمان نسخة مصورة بمحمد المخطوطات بجامعة الدول العربية ؛ عن نسخة مخطوطة بمكتبة
"الأسكندر" .

الثاني

في الفرصه منه

وهو تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي ؛ وإدناؤه البعيد من القريب ؛
ليفيد بيساناً .

وقيل : الكشف عن اللغى المقصود مع الاختصار ؛ فإنك إذا قلت : زيد أسد ، كان
الفرض بيان حال زيد ، وأنه متصف بقوة البطش والشجاعة وغير ذلك ؛ إلا أننا لم نجد
شيئاً يدل عليه سوى جعلنا إتياءه بالأسد ، حيث كانت هذه الصفات مخصصة به ،
فصار هذا أبين وأبلغ من قولنا : زيد شهم شجاع قوى البطش ونحوه .

الثالث

في أنه حقيقة أو مجاز

والحقيقون على أنه حقيقة ، قال الزنجاني^(١) في « للميار » : التشبيه ليس بمجاز ؛
لأنه معنى من المعاني ؛ وله ألفاظ تدل عليه وضماً ؛ فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه ؛
وإنما هو توطئة لمن سلك سبيل الاستعارة والتثليل ؛ لأنه كالأصل لها ، وهما كالقرع له .
والذي يقع منه في حيز المجاز عند البيانين هو الذي يعمى على حد الاستعارة .
وتوسط الشيخ غز الدين ، فقال : إن كان بحرف فهو حقيقة ، أو بحذفه فمجاز ، بناء
على أن الحذف من باب المجاز .

(١) هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب المزرجي الزنجاني ؛ أحد علماء العربية ؛ توفي
سنة ٦٥٥ ذكره الزركلي في الأعلام ٣ : ٦٠٨ (الطبعة العربية) ، وصاحب كشف النقاب ١٧٤٣ .

الرابع في أدواته

وهي أسماء، وأفعال، وحروف.

فالأسماء: مثل، وشبه، ونحوها، قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾^(١). ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى﴾^(٢). ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾^(٣) ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾^(٤).
والأفعال كقوله: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾^(٥). ﴿يُخِيلُ إِلَيْنَا مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ تَسْعَى﴾^(٦).

والحروف إما بسيطة كال كاف؛ نحو: ﴿كَرَّمَادِ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾^(٧) ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ﴾^(٨) وإما مركبة، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ رُفُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(٩).

انطلاس

في أقسامه

وهو ينقسم باعتبارات:

الأول

أنه إما أن يشبه بحرف، أو لا.

وتشبيه الحرف ضربان:

أحدهما: يدخل عليه حرف التشبيه فقط، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْسَاةٍ﴾^(١٠). وقوله: ﴿قَوْلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(١١).

- (٢) سورة هود ٢٤
- (٤) سورة البقرة ٧٠
- (٦) سورة طه ٦٦
- (٨) سورة آل عمران ١١
- (١٠) سورة النور ٣٥

- (١) سورة آل عمران ١٧
- (٣) سورة البقرة ٢٥
- (٥) سورة النور ٣٩
- (٧) سورة إبراهيم ١٨
- (٩) سورة الصافات ٦٥
- (١١) سورة الرحمن ٢٤

﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾^(١) .

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾^(٢) .

﴿ وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾^(٣) .

﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٤) .

وثانيها : أن يضاف إلى حرف التشبيه حرف مؤكّد ، ليكون ذلك علماً على قوة التشبيه وتأكيده ، وكقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾^(٥) .

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾^(٦) .

﴿ وَإِذْ نَفَخْنَا فِيهِ فَوَقَّهُمْ رَبُّهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾^(٧) .

﴿ تَنْزِعُ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾^(٨) .

﴿ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾^(٩) .

فلإن قيل : كيف استرسل أهل الجنة وقوله : ﴿ كَلِمًا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾^(١٠) ، ولا شك أنه ليس به ، واحتقرت بليّس فقالت : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾^(١١) ، ولم يقل : هو هو ؟

قيل : أهل الجنة وثقوا بأن الفرض مفهوم ؛ وأن أحداً لا يستغنى في الحاضر أنه عين المسهلّك للماضي ؛ وأما بليّس فالتبس عليها الأمر ، وظنت أنه يشبهه ،

(٢) سورة الرحمن ١٤

(٤) سورة الحديد ٢١

(٦) سورة الصافات ٤٩

(٨) سورة النمر ٢٠

(١٠) سورة البقرة ٢٥

(١) سورة الرحمن ٣٧

(٣) سورة الواقعة ٢٢ ، ٢٣

(٥) سورة الرحمن ٥٨

(٧) سورة الأعراف ١٧١

(٩) سورة الحاقة ٧

(١١) سورة النمل ٤٢

لأنها بَنَتْ عَلَى الْمَادَّةِ ، وهو أن السرير لا يَنْقُضُ من إقْلَامٍ إِلَى آخَرٍ فِي طَرَفَةِ عَيْنٍ .

وَأَمَّا التَّشْبِيهِ بِغَيْرِ حَرْفٍ ، فَيُقْصَدُ بِهِ اللَّيَالِغَةُ ، تَنْزِيلًا لِلثَّانِي مِنْزِلَةً الْأَوَّلَ تَجَوُّزًا ، كَقَوْلِهِ :
﴿ وَأَرْزَاجُهُ أُمَمًا لَهُمْ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ ^(٣) .

وكذلك : ﴿ تَمْرٌ مِثْرَ السَّحَابِ ﴾ ^(٤) .

وجعل الفارسي منه قوله تعالى : ﴿ قَوَادِيرَا . قَوَادِيرَا مِنْ فِضَّةٍ ﴾ ^(٥) ، أَيْ كَانَهَا فِي بَيَاضِهَا مِنْ فِضَّةٍ ، فَهُوَ عَلَى التَّشْبِيهِ ، لِأَنَّهُ عَلَى الْقَوَادِيرِ مِنْ فِضَّةٍ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ يَكْنُاسِي مِنْ مَعِينٍ . بَيْضَاءَ ﴾ ^(٦) ، قَوْلُهُ : ﴿ بَيْضَاءَ ﴾ مِثْلُ قَوْلِهِ : ﴿ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ .

تنبيهات

الأول : هذا القسم يشبه الاستعارة في بعض المواضع ، والفرق بينهما - كما قاله حازم وغيره - أَنَّ الاستعارة ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا مَعْنَى التَّشْبِيهِ ، فَتَقْدِيرُ حَرْفِ التَّشْبِيهِ لَا يَجُوزُ فِيهَا ، وَالتَّشْبِيهِ بِغَيْرِ حَرْفٍ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ تَقْدِيرَ حَرْفِ التَّشْبِيهِ وَاجِبٌ فِيهِ .
وقال الرماني في قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا نُوحًا الْنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ ^(٧) ، أَيْ تَبْصُرُهُ ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَقْدِيرُ حَرْفِ التَّشْبِيهِ فِيهَا .

(٢) سورة الأعراب ٤٦

(٤) سورة النمل ٨٨

(٦) سورة الصافات ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة الأعراب ٦

(٣) سورة آل عمران ١٣٣

(٥) سورة الحجر ١٥ ، ١٦

(٧) سورة الإسراء ٥٩

وقد اختلف البيانون في نحو قوله تعالى : ﴿صُمُّ بِكُمْ عُنًى﴾^(١) ، إنه تشبيه بليغ أو استعارة ؟ والمحققون - كما قاله الزمخشري - على الأول ، قال : ^(٢) لأن الاستعارة مذكورة - وهم المناقون - ، أي مذكورة في تقدير الآية ، والاستعارة لا يذكر فيها للمستعار له^(٣) ، ويجمل الكلامُ خلواً عنه ، بحيث يصلح^(٤) لأن يراد به المنقول عنه و [المنقول]^(٥) إليه لولا القرينة^(٦) ، ومن ثم نرى للفلقين السحرة [منهم ، كأنهم]^(٧) يفتنسون التشبيه ويضربون عنه^(٨) صفحا .

وقال السكاكي : لأن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر ، وتناسي التشبيه ، وزيد أسد لا يمكن كونه حقيقة ، فلا يجوز أن يكون استعارة .

الثاني : قد يترك التشبيه لفظا ويراد معنى ، إذ لو لم يرَدْ معنى ولم يكن منوياً ، كان استعارة .

مثاله قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَبْقِيَنَّ لَكُم مِّنْ أَخْطِيطِ الْأَبْيَضِ مِّنْ أَخْطِيطِ الْأَسْوَدِ مِّنَ الْفَجْرِ﴾^(١) ، فهذا تشبيه لا استعارة ، لذكر الطرفين : الخيط الأسود ، وهو ما يعتد به من غسق الليل شبيهاً بخيط أسود وأبيض ، وبينا بقوله : ﴿مِّنَ الْفَجْرِ﴾ والـفجر - وإن كان بيانا للخيط الأبيض - لكن لما كان أحدهما بيانا للآخر لدلالته عليه ، اكتفى به عنه ، ولولا البيان كان من باب الاستعارة ؛ كما أن قولك : رأيت أسداً ، استعارة ، فإذا زدت « من فلان » صار تشبيهاً ، وأما أنه لم يزد ﴿مِّنَ الْفَجْرِ﴾ حتى صار تشبيهاً ؟ وهلا اقتصر به

(١) الكشاف ١ : ٨٠

(١) سورة البقرة ١٨

(٢) عبارة الكشاف : « الاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له .

(٣) الكشاف : « ما لما لأن يراد به المنقول عنه » . (٤) من الكشاف .

(٥) الكشاف : « لولا دلالة الحال أو غوى الكلام ؛ كقول زهير :

لَدَىٰ أَسَدٍ شَارِكِي السَّلَاحِ مُنْذَفٍ لَهُ لَيْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ

(٦) سورة البقرة ١٨٧

(٧) الكشاف : « عن تومعه » .

على الاستعارة التي هي أبلغ ! فلأن شرط الاستعارة أن يدلّ عليه الحال ، ولو لم يذكر ﴿ مِنْ الْفَجْرِ ﴾ لم يعلم أن الخيطين مستعاران من « بدا الفجر » ، فصار تشبيها .

التقسيم الثاني

ينقسم باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام ، لأنها :

إما حسيان ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ كَأَنَّهُمْ أُعِجَزُوا بِخَلْقِ مُنْقَرٍ ﴾^(٢) .

أو عقليان ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴾^(٣) .

وإما تشبيه للمقول بالحسوس ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْفَنَّكَيَّةِ ﴾^(٤) ؛ وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾^(٦) ، لأن حملهم التوراة ليس كالحمل على الماتق ، إنما هو القيام بما فيها .

وأما عكسه فتمعه الإمام ، لأن العقل مستفاد من الحس ، ولذلك قيل : مَنْ قَدْ حَسَّ فَقَدْ عِلَّمَ ؛ وإذا كان الحسوس أصلا للمقول فتشبيهه به ، يستلزم جعل الأصل فرعا والفرع أصلا ، وهو غير جائز .

(٢) سورة القمر ٢٠

(٤) سورة الفتن ٤١

(٦) سورة الجمعة ٥

(١) سورة يس ٣٩

(٣) سورة البقرة ٧٤

(٥) سورة إبراهيم ١٨

وأجازه غيره كقوله :

وَكأنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهِ سُنَنِ لَاحِ يَنْهِنُ اِبْدَاعُ^(١)

وينقسم باعتبار آخر إلى خمسة أقسام :

الأول : قد يشبه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع ، اعتمادا على معرفة النقيض والصدق ، فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسة ، كقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾^(٢) ، فشبه بما لا نملك أنه منكر قبيح ، ليأحصل في نفوس الناس من بشاعة صور الشياطين ، وإن لم ترها عيانا .

الثاني : عكسه ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ ﴾^(٣) ، أخرج ما لا يحسن - وهو الإيمان - إلى ما يحسن - وهو السراب - وللعنف الجامع بطلان العوم بين شدة الحاجة وعظم الناقصة .

الثالث : إخراج ما لم يجر المادة به إلى ما جرت به ، نحو : ﴿ وَإِذْ نَفَقْنَا الْجِبِلَّ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾^(٤) ، والجامع بينهما الارتفاع بالصورة . وكذا قوله : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَتْرَلْنَاهُ مِنِ السَّمَاءِ ﴾^(٥) ، والجامع البهجة والزينة ، ثم الملأ ، وفيه العبرة .

الرابع : إخراج ما لا يعرف بالبدية ، إلى ما يعرف بها ، كقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾^(٦) ، الجامع العظم ، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة .

(١) البيت لقاضى التنوخى : وهو من شواهد المفتاح ١٤٦ ، وانظر البيهقي ٢ : ٣١٠ ،

وأسرار البلاغة ٢٠٧ (٢) سورة الصافات ٦٥

(٤) سورة الأعراف ١٧١

(٢) سورة النور ٣٩

(٦) سورة آل عمران ١٣٢

(٥) سورة يونس ٢٤

الخامس : إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها ، كقوله : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾^(١) ، والجامع فيهما العِظَم ، والقائدة البيان عن القدرة على تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء .
وعلى هذه الأوجه تجري تشبيهات القرآن .

التقسيم الثالث

ينقسم إلى مفرد ومركب :

والمركب أن يُنَزَّعَ من أمور مجموع بعضها إلى بعض ؛ كقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْجَمْرِ يَحْتَلُ سَفَرًا ﴾^(٢) ، فالتشبيه مركب من أحوال الجار ؛ وذلك هو حتمل الأسفار التي هي أوعية العلم ، وخزائن ثمرة العقول ، ثم لا يُحْسَنُ ما فيها ، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحوال التي ليست من العلم في شيء ، فليس له مما يحمل حظاً سوى أنه يثقل عليه ويتعبه .
وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئِيتًا ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاءِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾^(٤) ، قال بعضهم : شبه الدنيا بالماء ، ووجه الشبه أمران : أحدهما أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت ، وإن أخذت قدر الحاجة انتضت به ، فكذلك الدنيا . وثانيهما أن الماء إذا أطبقت كفتك عليه انتفض لم يحصل فيه شيء ، فكذلك الدنيا ، وليس المراد تشبيهها بالماء وحده ؛ بل المراد تشبيهه بهجة الدنيا في قلة البقاء والدوام بأنيق النبات الذي يصير بعد تلك البهجة والنضاضة والطراوة إلى ما ذكر .

(٢) سورة الجمعة .

(٤) سورة الكهف .

(١) سورة الرحمن ٢٤ .

(٣) سورة العنكبوت ٤١ .

ومن تشبيه القرد بالركب قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾^(١) ، فإنه سبحانه أراد تشبيه نوره الذى يلقى في قلب المؤمن ، ثم مثله بمصباح ؛ ثم لم يفتح بكل مصباح ؛ بل بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة ؛ بوضعه في مشكاة ؛ وهي الطاقة غير النافذة ؛ وكونها لا تنفذ ؛ لتكون أجمع للتبصر ، وقد جعل فيها مصباح في داخل زجاجة ، فيه الكوكب الدرّى في صفائها ، ودُهن المصباح من أصنى الأدهان وأقواها وقودا ، لأنه من زيت شجر في أوسط الزجاج لا شرقية ولا غربية ، فلا تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار بل تصيبها أعدل إصابة .

وهذا مثل ضرب به الله للمؤمن ، ثم ضرب للكافر مثلين : أحدهما : ﴿ كَرَابِ بَقِيْعَةٍ ﴾^(٢) ، والثاني : ﴿ كَطَلَمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ ﴾^(٣) ، شبه في الأول ما يبله من لا يقدّر الإيمان المتبر بالأعمال التي يحسبها بقية ، ثم يخيب أمه ، بسراب يراه الكافر بالساهرة ، وقد غلبه عطش يوم القيامة ، فيجئته فلا يجده ماء ، ويجد زبانية الله عنده ، فيأخذونه فيلقونه إلى جهنم .

البعث السادس

ينتظم قواعد تتعلق بالتشبيه

الأولى : قد تشبّه أشياء بأشياء ، ثم تارة يصرح بذكر المشبهات ، كقوله تعالى :

(١) سورة النور ٣٥

(٢) من قوله تعالى في سورة النور ٣٩ : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَرَابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ ظُلْمَانٌ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ . ﴾

(٣) من قوله تعالى في سورة النور ٤٠ ، في الآية : ﴿ أَوْ كَطَلَمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَنْشَأُ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ يَكْدِرُ أَمَّا . ﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾^(١)، وتارة لا بصرح به بل يحى مطوياً على سنن الاستمارة ، كقوله : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَابٌ فَرَاتٍ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾^(٢)، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ . . .﴾^(٣) الآية .

قال الزمخشري^(٤) : والذى عليه علماء البيان أَنَّ التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات للركبة^(٥) لا المفردة ؛ بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى [معزولا بعضها من بعض ، لم تأخذ هذا بجُزءة ذلك] ^(٦) فتشبهها بنظائرها كما ذكرنا^(٧) ، وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء تضامّت حتى صارت شيئا واحدا بأخرى ، كقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا الْقَوَاةَ . . .﴾^(٨) الآية .

ونظائره من حيث اجتمعت تشبيهات ؛ كما في تمثيل الله حال المناققين أول سورة البقرة ، قال الزمخشري : وأبله الثانى ؛ لأنه أدلّ على فرط الحيرة ، وشدة الأمر وفظاعته ؛ ولذلك أُنْخِرَ ، قال : وهم يتدرجون في نحو هذا ، من الأهون إلى الأغلظ .

الثانية : أعلى مراتب التشبيه في الألفية ترك وجه الشبه وأداته ، نحو زيد أسد ؛ أما ترك وجهه وحده ، فكقوله : زيد كالأسد ؛ وأما ترك أداته وحدها ؛ فكقوله : زيد الأسد شدة .

وفي كلام صاحب «الفتح» إشارة إلى أن ترك وجه الشبه أبلغ من ترك أداته ؛ قال : لعموم وجه الشبه .

(١) سورة فاطر ١٢

(١) سورة فاطر ٥٨

(٢) الكشاف ١ : ٦١

(٣) سورة الزمر ٢٩

(٤) من الكشاف

(٥) الكشاف : « دون المفرقة » .

(٦) عبارة الكشاف : « كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن » .

(٨) سورة الجمعة ٥

وخالفه صاحب « ضوء الصباح »^(١) لأنه إذا عمّ واحتمل التعدد ، ولم يبق دلالته على ما به الاشتراك دلالة منطوق بل دلالة مفهوم ؛ فيحتمل أن يكون ما به الاشتراك صفة ذم لا مدح ، وهو غير لازم في ترك الأداة ؛ إلا أن يقال : يلزم مثله من تركها ، لأن قرينة ترك الأداة ، تصرف لإرادة للمدح دون الذم وذكرهما كقولك : زيد كالأسد شدة .

الثالثة : قد تدخل الأداة على شيء وليس هو عين التشبيه ، ولكنه ملتبس به ، واعتمد على فهم المخاطب ، كما قال تعالى : ﴿ كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ... ﴾^(٢) الآية ، المراد : كونوا أنصارا لله خالصين في الاتقياد ؛ كشأن مخاطبي عيسى إذ قالوا .
ومعادل على السياق قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾^(٣) ، وفيه زيادة ، وهو تشبيه اغتارق بالعتاد .

الرابعة : إذا كانت فائدته ، إنما هي تقريب التشبه في فهم السامع وإيضاحه له ، فلفظه أن يكون وجه التشبه في التشبيه به أتم ، والقصد التنبية بالأدنى على الأهل ، مثل قياس النحوى ؛ ولا سيما إذا كان الدنو جدا أو العلو جدا ، وعليه بنى المعرى قوله :
ظلمناك في تشبيه صديك بالسك وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى
وقول آخر :

كالبحر والكاف أني ضفت زائدة فيه فلا تظننها كاف تشبيه

(١) اختصر ابن مالك كتاب الفتاح وسماه الصباح في تلميس الفتاح ؛ ونظله أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المراكشي للضرير ، ثم شرحه وسماه ضوء الصباح على ترجيز الصباح . كشف الظنون : ١٠٨٩

(٢) سورة الصف ١٤

(٣) سورة الأعراف ١٧١

وأما قوله تعالى : ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ ^(١) فيمكن أن يكون التشبيه به أقوى لكونه في التنهن أوضح ؛ إذ الإحاطة به أتم .

وأما قوله تعالى : ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ آفِهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ ^(٢) ؛ فهو من تشبها الغريب بالأغرب ؛ لأن خلق آدم من خلق عيسى ليكون أقطع للخصم ، وأوقع في النفس . وفيه دليل على جواز التماس ، وهو ردّ فرع إلى أصل لشبه ما ؛ لأن عيسى ردّ إلى آدم لشبه بينهما ؛ وللعنى أن آدم خلق من تراب ولم يكن له أب ولا أم ، فكذلك خلق عيسى من غير أب .

وقوله : ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ ^(٣) شبههم بالخشب ، لأنه لا روح فيها ، وبالسندة لأنه لا استقاع بالخشب في حال تسنيده .



الخامسة : الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به ، وهو الكامل ، كقولك : ليس الفضة كالذهب ، وليس العبد كالحر ؛ وقد تدخل على المشبه لأسباب : منها وضوح الحال ، كقوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ الَّذِي كَرَّكَ لَا أَتَى﴾ ^(٤) ؛ فإن الأصل وليس الأتى كالذكر ؛ وإنما عدل عن الأصل ؛ لأن معنى : ﴿وَلَيْسَ الَّذِي كَرَّكَ﴾ الذي طلبت ﴿كَأَنَّ أَتَى﴾ التي وهبت لها ، لأن الأتى أفضل منه . وقيل : لمراعاة الفواصل ، لأن قبله : ﴿إِنِّي وَصَّيْتُهَا بِأَتَى﴾ ^(٥) .

ووم ابن الزمكاني في « البرهان » حيث زعم أن هذا من التشبيه المقلوب ، وليس كذلك لما ذكرنا من المعنى .

(٢) سورة آل عمران ٥٩

(٤) سورة آل عمران ٣٦

(١) سورة النور ٣٥

(٣) سورة المنافقين ٤

وقيل : لما كان جَمَلُ الفرع أصلاً والأصل فرعاً في التشبيه في حالة الإنبات يقتضى للبالغة في التشبيه ؛ كقولهم : القمر كوجه زيد ، والبحر ككفيه ، كان جمل الأصل فرعاً والفرع أصلاً في كماله الذى يقتضى نقيّ البالغة في المشابهة ؛ لانقيّ للمشابهة ، وذلك هو المقصود هنا ، لأن المشابهة واقعة بين الذكر والأنثى في أعمّ الأوصاف وأغلبها ، ولهذا يُقَاد أحدهما بالآخر .

ومنها قصد البالغة ، فيقلب التشبيه ، ويُجمل المشبه هو الأصل ويسمى تشبيهه العكس ؛ لاشتراكه على جمل للمشبه مشبهاً به ، والمشبّه بمشبهاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ ^(١) ، كان الأصل أن يقولوا : إنما الربا مثل البيع ؛ لأنّ الكلام في الربا لافي البيع ، لكن عدلوا عن ذلك وتجرّءوا ، إذ جعلوا الربا أصلاً ملحقاً به البيع في الجواز ، وأنه الخلق بالحلّ .

ويحتمل أن يكون المراد إلزام الإسلام ، فيحرّم البيع قياساً على الربا ، لاشتراكه على الفضل طرداً لأصلهم ؛ وهو في المعنى نفس على علة التحريم ؛ ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ^(٢) ، وفيه إشارة إلى أن الواجب اتباع أحكام الله واقتضاؤها من غير تمرّض لإجرائها على قانون واحد ، وأن الأسرار الإلهية كثيراً ما تخفى ؛ وهو أعلم بمصالح عباده فيسّم له عنان الاقبياد ؛ وأنهم جعلوا ذلك من باب إلزام الجدلى ، وجاء الجواب بفكّ الملازمة ، وأن الحكمة فرقت بينهما . وفيه إبطال القياس في مقابلة النصّ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَدْنِ يَخْلُقْ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ ^(٣) ؛ فإن الظاهر العكس ، لأن

الخطاب لمبدء الأوثان ؛ ومثوها آلهة ، تشبيها بالله سبحانه ، وقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق ، نفوا في خطابهم ؛ لأنهم بالنوا في عبادتهم وغلوا ، حتى صارت عندهم أصلا في العبادة ، والخالق سبحانه فرعا ، فجاء الإشكال على وفق ذلك .

والظاهر أنهم لما قاسوا غير الخالق خوطبوا بأشد الإلزامين ؛ وهو تنقيص المقدس لا تقديس الناقص .

قال السكاكي : وعندى أن المراد بـ « من لا يخلق » الحى القادر من الخلق نريضا بإنكار تشبيه الأصنام بالله تعالى من طريق الأولى . وجعل منه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ ^(١) بدل « هواء إلهه » فإنه جعل للمول الأول ثانيا والثاني أولا ؛ للتنبيه على أن الهوى أقوى وأوثق عنده من إلهه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ ^(٣) ، فإن بعضهم أورد أن أهل التشبيه يشبه الأدنى بالأعلى فيقال : « أفجعل المجرمين كالمسلمين ، والفجار كالمؤمنين » ، فلم خولفت القاعدة !

ويقال : فيه وجهان :

أحدهما : أن الكفار كانوا يقولون : نحن نسود في الآخرة ، كما نسود في الدنيا ويكونون أتباعا لنا ، فكما أعزنا الله في هذه الدار يهزنا في الآخرة ، فجاء الجواب على معتقدهم أنهم أعلى ، وغيرهم أدنى .

الثاني : لما قيل قبل الآية : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ

(٢) سورة الفلم ٣٥

(١) سورة المجاثية ٢٢

(٣) سورة ص ٢٨

ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا^(١)؛ أى يظنون أن الأمر يهمل، وأن لاحشر ولا نشر، أم لم يظنوا ذلك، ولكن يظنون أنا بجل المؤمنين كالجرمين، والتقين كالنجار.

السادسة: أن التشبيه في القدم يشبه الأعلى بالأدنى، لأن القدم مقام الأدنى، والأعلى ظاهر عليه فيشبه به في السلب، ومنه قوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(٢)، أى في النزول لا في العلو.

ومنه: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْجُنَّارِ﴾^(٣) أى في سوء الحال؛ وإذا كان في المدح يشبه الأدنى بالأعلى فيقال: تراب كالمسك، وحمى كالياقوت، وفي القدم: مسك كالتراب وياقوت كالزجاج.

السابعة: قد يدخل التشبيه على لفظ وهو محذوف لامتناع ذلك، لأنه بسبب المحذوف كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْفِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾^(٤). فإن التقدير: ومثل واعظ الذين كفروا، فالشبه الواعظ، والمتصور تشبيه حال الواعظ منهم بالنافق للأغنام، وهى لا تعقل معنى دعائه وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه، وإنما وقع التشبيه على الغنم التى ينطق بها الراعى، ويمدّ صوته إليها، وفيه وجوه: أحدها: أن المعنى: مثل الذين كفروا كمثل الغنم لا تفهم نداء النافع، فأضاف المثل إلى النافع، وهو فى المعنى للمتوق به، على القلب.

ثانيها: ومثل الذين كفروا ومثلنا ومثلك، كمثل الذى ينطق، أى مثلهم فى الإعراض

(٢) سورة الأحزاب ٣٢

(٤) سورة البقرة ١٧١

(١) سورة ص ٢٧

(٣) سورة ص ٢٨

ومثلنا في الدعاء والإرشاد ، كمثل الناقص بالغم ، غُذِفَ للثلث الثاني اكتفاء بالأول ، كقوله :
﴿ سَرَّابِيلَ يَفْقِيحُ الْخَرَّ ﴾^(١) .

ونالها : أن للمنى : ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام - وهى لا تعقل ولا تسمع -
كمثل الذى ينعق بما لا يسمع ، وعلى هذا فالنداء والدعاء منتصبان بـ « ينعق » و « لا » تؤكد
للإكلام ، ومصنعا للإلقاء .

رابعا : أن للمنى ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام وعبادتهم لها واستزاقهم
إياها ، كمثل الراعى الذى ينعق بشفقة وينادى بها ، فهى تسمع نداء ولا تفهم معنى كلامه ،
فيشبه من يدعو الكفار من للمبوعات من دون الله بالغم من حيث لا تعقل الخطاب .
وهذا قريب من الذى قبله ، ويفترقان في أن الأول يقتضى ضرب للثلث بما لا يسمع
الدعاء والنداء جملة ، ويجب صرفه إلى غير الغم ، وهذا يقتضى ضرب للثلث بما لا يسمع
الدعاء والنداء جملة ، وإن لم يفهما ، والأصنام - من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة -
يجب أن يكون داعيها ونادىها أسوأ حالا من منادى الغم . ذكر ذلك الشريف الرضى
في كتاب « غرر القوائد »^(٢) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ رَيْحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾^(٣) الآية ، وإنما وقع التشبيه
على الحرف الذى أهلكته الريح ، قيل فيه إضمار ، أى مثل إهلاك ما ينفقون كمثل
إهلاك ريح .

قال نعلب : فيه تقديم وتأخير ، أى كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم أصابته ريح
فيها صر فأهلكته .

(١) سورة النحل ٨١

(٢) وهو الكتاب المرفوف بأمانى الرضى ١ : ٢١٧ - ٢١٨

(٣) سورة آل عمران ١١٧

وأما قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾^(١) ، فإنَّ التقدير : كما يحب المؤمنون الله ، قال : وحذف الفاعل ، لأنه غير ملتبس .
واعترض عليه بأنه لا حاجة لذلك ، فإنَّ المعنى حاصل بتقديره مبني للفاعل .
وأجيب بأنه تقدير معنى ، لكنَّ محافظةً على اللفظ فلا يقدَّر الفاعل ، إذ الفاعل في باب المصدر فضلة ، فإلذلك جعله كذلك في التقدير .

—

الاستعارة

هي من أنواع البلاغة ، وهي كثيرة في القرآن ، ومنهم من أنكره ؛ بناء على إنكار المجاز في القرآن ، والاستعارة مجاز ، وقد سبق تقديره . ومنع القاضي عبد الوهاب المالكي إطلاق لفظ الاستعارة فيه ، لأن فيها إيهاما للحاجة ، وهذا كما منع بعضهم لفظ : القرآن مخلوق ، وهو لا ينكر وقوع المجاز ، والاستعارة فيه إنما توقف على إذن الشرع .

ولا شك أن المجوزين للإطلاق شرطوا عدم الإيهام ؛ وقد يعمنون الإيهام للذكور لأنه في الاصطلاح اسم لأعلى مراتب الفصاحة .

وقال الطرطوسي^(١) : إن أطلق المسلمون الاستعارة فيه أطلقناها وإن امتنعوا امتنعنا ؛ ويكون هذا من قبيل أن الله تعالى عالم ، والعلم هو العقل ، ثم لا نصفه به لعدم التوقيف . انتهى .
والشهور بمجوز الإطلاق .

[مباحث الاستعارة]

ثم فيها مباحث :

الأول

وهي « استعمال » ، من الماربة ، ثم نقلت إلى نوع من التخيل^(٢) لقصد المبالغة

(١) هو القاضي نجم الدين إبراهيم بن علي الطرطوسي المتوفى سنة ٧٥٨ ، صاحب كتاب عمدة الأحكام فيما لا ينفذ من الأحكام ؛ ذكره صاحب كشف الظنون . (٢) ت : « التخيل » .

في التصجيل والتشبيه مع الإيجاز ؛ محو قيت أسدا ، وتغنى به الشجاع .

وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها ، وحكمة

ذلك إظهار الخفي ، وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي ، أو بمحصول للبالغة أو للجموع .

فمثال إظهار الخفي قوله تعالى : ﴿ وَرَأَتْهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ ^(١) ، فإن حقيقته أنه في

أصل الكتاب ؛ فاستعير لفظ « الأم » للأصل ؛ لأن الأولاد تنشأ من الأم ، كانتسأ

التروع من الأصول . وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئيا ، فينتقل السامع

من حد السماع إلى حد العيان ؛ وذلك أبلغ في البيان .

ومثال إيضاح ما ليس بجلي ليصير جليا ، قوله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ

الذَّلَّةِ ﴾ ^(٢) ؛ لأن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة ؛ فاستعير للولد أولا جانب ، ثم

للجانب جناح ؛ وتقدير الاستمارة القريبة : « وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَانِبَ الذَّلَّةِ » ، أى اخفض

جانبك ذلا .

وحكمة الاستمارة في هذا جعل ما ليس بمرئي مرئيا ؛ لأجل حسن البيان ، ولما كان

للمراد خفض جانب الولد للوالدين ؛ بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما والاستكانة مركبا ؛

احتيج من الاستمارة إلى ما هو أبلغ من الأولى ؛ فاستعير الجناح ، لما فيه من الماني التي لا تحصل

من خفض الجناح ؛ لأن من مِيل جانبه إلى جهة السفل أدنى ميل ، صدق عليه أنه خفض

جانبه ؛ والمراد خفض يُلصِقُ الجنب بالإبط ؛ ولا يحصل ذلك إلا بخفض الجناح كالطائر ؛

وأما قول أبي تمام :

لَا نَسْقِي مَاءَ السَّلَامِ فَإِنِّي صَبَّ قَدْ اسْتَمَذْتُ مَاءَ بَكَايِ ^(٣)

فيقال : إنه أرسل إليه قارورة ، وقال : ابست إلى فيها شيئا من ماء اللام ؛ فأرسل

(٢) سورة الإسراء ٢٤

(١) سورة الزخرف ٤

(٣) ديوانه ١ : ٢٥

أبو تمام : أن ابعت لي ريشة من جناح الدَّلّ أبعت إليك من ماء للام .
وهذا لا يصح له تعالى به ، والفرق بين التشبيهين ظاهر ؛ لأنه ليس جعل الجناح للدَّلّ
كجعل الماء للام ، فإن الجناح للدَّلّ مناصب ؛ فإن الطائر إذا وُحى ونصب بسط جناحه
وألقى نفسه إلى الأرض . وللإنسان أيضاً جناح ؛ فإن يديه جناحاه ، وإذا خضع واستكان
يطأطئ من رأسه ، وخفض من بين يديه ، فحسن عند ذلك جعل الجناح للدَّلّ ، وصار
شبهاً مناسبا ، وأما ماء اللام فليس كذلك في مناسبة التشبيه فلذلك استحسن منه . على أنه
قد يقال : إن الاستمارة التخيلية فيه تابعة للاستعارة بالكناية ؛ فإن تشبيه اللام بظرف
الشراب لاشبهاله على ما يكرمه الشارب لمرارته ، ثم استعار اللام له كائنه ، ثم يخرج منه شيء
يشبهه بالماء ؛ فالاستمارة في اسم الماء .

الثاني

في أنها قسم من أقسام المجاز ؛ لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له .
وقال الإمام غفر الدين : ليس بمجاز لعدم النقل . وفي الحقيقة هي تشبيه محذوف الأداة
لفظاً وتقديراً ؛ ولهذا حذوها بعضهم بادعاء معنى الحقيقة في الشيء ، مبالغة في التشبيه .
كقولهم : انشقت عصام ؛ إذا تفرقوا ، وذلك لاهصا لا للقوم ، ويقولون : كشفت الحربُ
عن ساق .

ويفتقران في أن التشبيه إذا ذكرت معه الأداة فلا خفاء أنه تشبيه ؛ وإن حُذفت فهذا
يُنْتَبَس بالاستمارة ؛ فإذا ذكرت المشبه كقولك : زيد الأسد ، فهذا تشبيه بليغ ، كقوله
نعالى : ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُمَى ﴾ ^(١) ، وإن لم يذكر المشبه به فهو استمارة ، كقوله :
لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذّر . له ليدأظفاره لم تَقْلَمْ ^(٢)

(٢) البيت لزهير من المعلقة ؛ ديوانه ٢٣ .

(١) سورة البقرة ١٨

شاكي السلاح : أي سلاحه ذو شوكة ، أي شائك . والقدف : النليط اللحم . واليد : الشعر الزاكن
فوق عرق الأسد .

فهذه استعارة نقلت لها وصف الشجاع ؛ إلى عبارة صالحة للأسد ، لولا قربنة السلاح لشككت : هل أراد الرجل الشجاع أو الأسد الضارى ؟

الثالث

لا بدّ فيها من ثلاثة أشياء أصول : مستعار ، ومستعار منه ، وهو اللفظ ؛ ومستعار له وهو المعنى ؛ ففى قوله تعالى : ﴿ وَاشْتَمَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾^(١) المستعار الاشتعال ، والمستعار منه النار ، والمستعار له الشيب ، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النهار لبياض الشيب .

وقائدة ذلك وحكته وصف ما هو أخفى بالنسبة إلى ما هو أظهر . وأصل الكلام أن يقال : واشتل شيب الرأس ؛ وإنما قلب اللبانة ؛ لأنه يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس ؛ ولو جاء الكلام على وجهه لم يقدّ ذلك العموم . ولا يخفى أنه أبلغ من قولك : كثّر الشيب فى الرأس ؛ وإن كان ذلك حقيقة المعنى ؛ والحق أن المعنى يمار ؛ أولاً ثم بواسطته يمار اللفظ ، ولا تحسن الاستعارة إلا حيث كان الشبه مقررّاً بينهما ظاهراً ؛ وإلا فلا بدّ من التصريح بالشبه ؛ فلو قلت : رأيت نخلة أو خامة وأنت تريد مؤمناً إشارة إلى قوله : « مثل المؤمن كمثل النخلة » أو « الخامة » لكنت كالمفتر^(٢) .

ومن أحسن الاستعارة قوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾^(٣) ؛ وحقيقته « بدأ انشاره » و « تنفس » أبلغ ؛ فإن ظهور الأنوار فى المشرق من أشعة الشمس قليلاً قليلاً ، بينه وبين إخراج النفس مشاركة شديدة .

(١) سورة مريم ٤

(٢) ما حدثنا نقلها السيوطى فى الجامع الصغير ٢: ٢٦٦٢ ؛ أحدهما عن ابن جرير : « مثل المؤمن كمثل خامة الزرع من حيث أنها الريح كفتاتها ، فإذا سكنت اعتدلت ؛ وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ، ومثل الفاجر كالأرزة صاه معتدلة ؛ حتى يقصها الله تعالى إذا شاء » . وثانيهما عن ابن عمرو : « مثل المؤمن مثل النخلة ، إن أكلت أكلت طيباً ؛ وإن وضعت وضعت طيباً ، وإن وقعت على عدد نحر لم تنكسر » ، ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب إن نفضت عليها احترت ، وإن وزنت لم تنقص » .

(٣) سورة التكاوير ١٨

وقوله: ﴿الَّيْلُ نَسُخُ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ ^(١)، لأن انسلاخ الشيء عن الشيء أن يبرأ منه،
ويزول عنه حالا غالا، كذلك انقصال الليل عن النهار؛ والانسلاخ أبلغ من الانفصال لما
فيه من زيادة البيان.

وقوله: ﴿أَحَاطَ بِيَوْمٍ سُرَّادٍ قُبَاً﴾ ^(٢).

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْغُرُطُومِ﴾ ^(٣).

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ مُّخْرَجُونَ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ ^(٤)، ويقولون للرجل للذموم: إنما هو حمار.

وقوله: ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ ^(٥).

﴿أَنبَأَ لَمْرَدٌ وَدُونَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ ^(٦)، أى فى الخلق الجديد.

﴿بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ^(٧).

﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ^(٨).

﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ ^(٩).

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ أَحْطَابٍ﴾ ^(١٠).

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ ^(١١).

﴿وَيُخَفِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ ^(١٢).

(٢) سورة الكهف ٢٩

(٤) سورة الدثر ٥٠

(٦) سورة النازعات ١٠

(٨) سورة البلد ٤

(١٠) سورة المد ٤

(١٢) سورة النكبات ٦٧

(١) سورة يس ٣٧

(٣) سورة نون ١٦

(٥) سورة القيامة ٢٩

(٧) سورة الطغنين ١٤

(٩) سورة الملق ١٥

(١١) سورة الدخان ٢٩

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾^(١) .
 ﴿أَلَا إِنَّا طَارِفٌهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٢) ، والراد حفظهم وما يحصل لهم .
 وقوله تعالى : ﴿أَفْمِرَ الصَّلَاةَ﴾^(٣) ، أى أمها كما أمرت .
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾^(٤) ، أى عصك منهم ، رواه شعبة عن أبى
 وجاء عن الحسن .
 ﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾^(٥) .
 ﴿وَعِنْدَهُ مَنَاقِبُ الْغَيْبِ﴾^(٦) .
 ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ﴾^(٧) .
 ﴿فَفَحَصْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَمَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(٨) .
 ﴿بَلْ قَدْفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَذِمُّهُ فَاِذَا هُوَ زَائِقٌ﴾^(٩) ، فالذمغ
 والتذف مستعمل .
 ﴿فَفَرَرْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾^(١٠) ، يريد لا إحساس بها ، من غير صَم .
 وقوله : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(١١) ، فإنه أبلغ من « يَلْغُ » ، وإن كان بمعناه ،
 لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ ؛ فقد لا يؤثر التبليغ ، والصدع يؤثر جزما .

(٢) سورة الأعراف ١٣١

(٤) سورة الإسراء ٦٠

(٦) سورة الأنعام ٥٩

(٨) سورة الإسراء ١٢

(١٠) سورة الكهف ١١

(١) سورة الشعراء ٢٧٥

(٣) سورة الإسراء ٧٨

(٥) سورة الزخرف ٤

(٧) سورة الأعراف ١٥٤

(٩) سورة الأنبياء ١٨٠

(١١) سورة الحجر ٩٤

الرابع

تنقسم إلى مرشحة - وهي أحسنها - وهي أن تنظر إلى جانب المستعار وتراعيه ، كقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾ ^(١) ، فإن المستعار منه الذي هو الشراء هو المراعى هنا ، وهو الذي رشع لفظي الربح والتجارة للاستعارة لما بينهما من اللامعة .

وإلى تجريدية ؛ وهي أن تنظر إلى جانب المستعار له ، ثم تأتي بما يناسبه ويلائمه ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ ^(٢) ، فالستعار اللباس ، والمستعار له الجوع ، فجرد الاستعارة ، بذكر لفظ الأداة المناسبة للمستعار له وهو الجوع ، لا المستعار وهو اللباس ، ولو أراد ترشيحها لقال : وكساها لباس الجوع . وفي هذه الآية مراعاة المستعار له ؛ الذي هو المعنى ، وهو الجوع والخوف ؛ لأن ألمهما بذق ولا يلبس .

وقد نجى ملاحظة المستعار الذي هو اللفظ ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَمْرًا أَنَّهُ سَحَابٌ مَّطْلُوبٌ ﴾ ، إذا حللنا الحطب على النخلة فاعتبر اللفظ فقال : « حالة » ولم يقل : « رواية » فيلاحظ المعنى .

وأما الاستعارة بالكناية فهي ألا يصريح بذكر المستعار ، بل تذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه ، كقوله : شجاع يقتصر أقرانه ، وعالم يفترق منه الناس ، تنبيهاً على أن الشجاع أسد والعالم بحر .

ومنه الجاز العقلي كله عند السكاكي .

ومن أقسامها - وهو دقيق - أن يسكت عن ذكر المستمار ثم يوصي إليه بذكر شيء من توابعه ورواده ؛ تليها عليه ، فيقول : شجاع بفقرس أفرانه ، فنبهت بالافتراس على أنك قد استصرت له الأسد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ ^(١) ، فنبه بالقبض الذي هو من توابع الحبيل ورواده ، على أنه قد استعار للمهد الحبيل لما فيه من ياب الوصلة بين المتعاهدين .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ ^(٢) ، لأن حقيقة « حملنا » لكن ﴿ قَدِمْنَا ﴾ أبلغ ؛ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفره ؛ لأنه من أجل إهمالهم السابق عاملهم ؛ كما يفعل النائب عنهم إذا قدم فرآهم على خلاف ما أمر به . وفي هذا تحذير من الاغترار بالإهمال وقوله : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَىٰ الْمَاءُ حَمَلْنَا كُومَ الْجَارِيَةِ ﴾ ^(٣) ، لأن حقيقة « طغى » علا ، والاستعارة أبلغ ، لأن « طغى » ، علا قاهرا .

وكذلك : ﴿ يَرْجِعُ صَرْصَرًا نَيَّةً ﴾ ^(٤) ، لأن حقيقة « عاتية » شديدة ، والعنوة أبلغ ، لأنه شدة فيها تمرد .

وقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ . . . ﴾ ^(٥) ، الآية ؛ وحقيقته : لا تمنع ما تملك كل المنع ، والاستعارة أبلغ ، لأنه جعل منع النائل بمنزلة غلّ البدين إلى العنق ، و حال الغلول أظهر .

(٢) سورة الفرقان ٢٣

(٤) سورة الحاقة ٦

(١) سورة البقرة ٢٧

(٣) سورة الحاقة ١١

(٥) سورة الإسراء ٥٠

وقوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾^(١) ، قيل : أخرجت ما فيها من الكنوز .

وقيل : يحجب به اللوق ، وأنها أخرجت موتاها ، ففسى الموتى ثقلا تشبها بالجل الذي يكون في البطن ؛ لأن الجل يسمى ثقلا ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾^(٢) .

ومنها : جعل الشيء للشيء وليس له من طريق الادعاء والإحاطة به نافعة في آيات الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾^(٤) . ويسى التخيل : قال الزمخشري : ولا تجد بابا في علم البيان أدق ولا أعون في تعاطي للشبهات منه ، وأما قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾^(٥) قال القراء : فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه جعل طلما رهوس الشياطين في القبح .

والثاني : أن العرب تسمى بعض الحيات شيطانا ؛ وهو ذو القرن .

والثالث : أنه شوك قبيح المنظر ، يسمى رهوس الشياطين .

فعلى الأول يكون تخيلا ، وعلى الثاني يكون تشبيها مختصا .

تقسيم آخر

الاستمارة فرع التشبيه ، فأنواعها كأنواعه خمسة :

(٢) سورة الأعراف ١٨٩

(٤) سورة الزمر ٦٧

(١) سورة الزلزلة ٢

(٣) سورة القمر ١٤

(٥) سورة الصافات ٦٥

الأول : استعارة حتىّ لحسّى بوجه حسّى ، كقوله تعالى : ﴿ وَاشْتَمَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا ﴾^(١) ؛ فإن المستعار منه هو النار ، والمستعار له هو الشئب ، والوجه هو الانبساط ؛ فالطرفان حسيّان والوجه أيضاً حتىّ ، وهو استعارة بالكناية ؛ لأنه ذكر التشبيه ، وذكر المشبه وذكر المشبه به مع لازم من لوازم المشبه به ؛ وهو الاشتغال .

وقوله : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾^(٢) ، أصلُ الموج حركة المياه ؛ فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة .

الثاني : حتىّ لحسّى بوجه عقلى ، كقوله تعالى : ﴿ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾^(٣) فالاستعار له الريح . والمستعار منه المرأة ، وهما حسيّان ، والوجه المنع من ظهور النتيجة^(٤) ، والأثر وهو عقلى وهو أيضاً استعارة بالكناية .

قال في الإيضاح^(٥) : وفيه نظر ، لأن العقيم صفة للمرأة لا اسم لها ؛ ولهذا جعل صفة الريح ، لا اسماً . والحق أن المستعار منه مافى المرأة من الصفة التى تمنع من الحبل والمستعار له ما فى الريح من الصفة التى تمنع من إنشاء مطر وإلقاح شجر [والجامع لهما ما ذكر]^(٦) . وهو مندفع بالعناية ، لأن المراد من قوله : « المستعار منه » المرأة التى عبر عنها بالعقيم ، ذكرها السكاكى بلفظ ما صدق عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾^(٧) ، المستعار له ظلمة النهار من ظلمة الليل ، والمستعار منه ظهور السلوخ عند جلده ، والجامع عقلى وهو ترتيب أحدهما على الآخر .

(٢) سورة الكهف ٩٩

(٤) ت، م : التفتة؛ وما أتت به من الإيضاح ٢ : ٢٩٧

(٦) من كتاب الإيضاح .

(١) سورة مريم ٤

(٣) سورة القاريات ٤١

(٥) الإيضاح ٢ : ٩٧

(٧) سورة يس ٣٧

وقوله : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَبِيدًا كَأَن لَّمْ تَكُنْ بِالْأَمْسِ ﴾^(١) ، أصل الحصيد النبات والجامع الهلاك ، وهو أمر عقلي .

الثالث : معقول لمقول ، كقوله تعالى : ﴿ مَنْ يَمْتَنَّا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾^(٢) ، فالرقاد مستعار للموت ؛ وما أمران معقولان ، والوجه عدم ظهور الأفعال ؛ وهو عقلي ، والاستعارة تصریحية لكون التشبه به مذكورا .

وقوله : ﴿ وَلَئِنْ سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾^(٣) السمتار السكوت ، والمستار له الغضب ، والمستار منه الساك ، وهذه ألطف الاستعارات ، لأنها استعارة معقول لمقول ، لشاركتها في أمر معقول .

الرابع : محسوس لمقول ، كقوله تعالى : ﴿ مَسْتَهْمُ الْبَاسَةِ وَالضَّرَاءِ ﴾^(٤) ، أصل التماس في الأجسام ، فاستعير لقياساة الشدة ، ويكون المستعار منه حسيا ، والمستعار له عقليا ، وكونها تصریحية ظاهر ، والوجه اللحوق وهو عقلي .

وقوله : ﴿ بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾^(٥) فالقذف والدمغ مستعاران .
وقوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ آدِلَةٌ أَيُّهَا تَهْفُؤُوا إِلَّا يَجْبُلُوا مِنْ آفِهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ فَتَنْبِذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾^(٧) .

(٢) سورة يس ٥٢ .

(٤) سورة البقرة ٢١٤ .

(٦) سورة آل عمران ١١٢ .

(١) سورة يونس ٢٤ .

(٣) سورة الأعراف ١٥٤ .

(٥) سورة الأنبياء ١٨ .

(٧) سورة آل عمران ١٨٧ .

وقوله : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾^(١) وكلّ خَوْضٍ ذكره الله في القرآن فلفظه مستعار من الْخَوْضِ في الماء .
وقوله : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٢) استعارة لبيانه عما أوحى إليه ، كظهور ماء في الزجاجة عند انصدامها .

وقوله : ﴿أَمِنَ أَسَسَ بُنْيَانَهُ﴾^(٣) ، البنيان مستعار وأصله للحيطان .
وقوله : ﴿وَيَبْنُونَهَا عِوَجًا﴾^(٤) العِوَج مستعار .
وقوله : ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٥) وكلّ ما في القرآن من ظلمات والنور مستعار .

وقوله : ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٦) .
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾^(٧) ؛ الوادي مستعار ، وكذلك الهَيَّامان ، وهو على غاية الإيضاح .
﴿وَلَا يَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾^(٨) .

الخامس : استعارة معقول لحسوس : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾^(٩) الشعار منه التكثير ، وللمستعار له الماء ، والجامع الاستملاء للفرط .
وقوله : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَاهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾^(١٠) ، العتو هاهنا مستعار .

(٢) سورة الحجر ٩٤

(٤) سورة هود ١٩

(٦) سورة الفرقان ٢٣

(٨) سورة الإسراء ٢٩

(١٠) سورة المائدة ٦

(١) سورة الأنعام ٦٨

(٣) سورة التوبة ١٠٩

(٥) سورة إبراهيم ١

(٧) سورة الشعراء ٢٢٥

(٩) سورة المائدة ١١

وقوله : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾^(١) فلفظ الغيظ مستعار .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾^(٢) ، فهو أفصح من مضيئة .

﴿ حَتَّى نَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾^(٣) .

ومنها الاستعارة بلفظين ، كقوله تعالى : ﴿ قَوَارِرَ أَمِنْ فِضَّةٍ ﴾^(٤) ؛ بمعنى تلك

الأواني ليس من الإجاج ، ولا من الفضة ، بل في صفاء القارورة وبياض الفضة .

وقد سبق عن الفارسي جعله من التشبيه .

ومثله : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾^(٥) ، ينبي عن الدوام والسوط ينبي

عن الإيلام ؛ فيكون المراد - والله أعلم - تعذيبهم عذاباً دائماً مؤلماً .

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٤) سورة الفجر ١٦

(١) سورة الملك ٨

(٣) سورة محمد ٤

(٥) سورة الفجر ١٣

التورية

وتسمى الإيهام والتخييل والمناظرة والتوجيه ؛ وهي أن يتكلم المتكلم بلفظ مشترك بين معنيين : قريب وبعيد ، ويريد المعنى البعيد ، يوم السامع أنه أراد القريب ؛ مثاله قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾^(١) ، أراد بالنجم النبات الذي لا ساق له ، والسامع يتوهم أنه أراد الكوكب ، لا سيما مع تأكيد الإيهام بذكر الشمس والقمر .
وقوله : ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ ﴾^(٢) والمراد المعرفة .
وقوله : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾^(٣) ، أراد بها في نعمة وكرامة ، والسامع يتوهم أنه أراد من النعممة .

وقوله : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾^(٤) أراد بالأيد القوة الخارجة .
وقوله : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴾^(٥) ، أى مُقَرَّبُونَ تجمل في آذانهم القِرْطَة ، والخالق الذى فى الأذن يسمى قِرْطًا وخَلْدَة ، والسامع يتوهم أنه من المخلود .
وقوله : ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴾^(٦) ، أى علمهم منازلهم فيها ، أو يوم إرادة العرف ، الذى هو الطَّيِّب .

وقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾^(٧) .
وقوله : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ ﴾^(٨) فذكر « رضوان » مع « الجنات » مما يوم إرادة خازن الجنات .

(٢) سورة آل عمران ٢٩

(٤) سورة القاريات ٤٧

(٦) سورة القتال ٦

(٨) سورة التوبة ٢١

(١) سورة الرحمن ٦

(٣) سورة الناحية ٨

(٥) سورة الدهر ١٩

(٧) سورة المائدة ٤

وكان الأنصار يقولون: ﴿رَاعِنًا﴾^(١) أى أرعنا سمعنا وانظر إلينا والكفار يقولونها «فاعل» من الرعونة. وقال أبو جعفر: هي بالهبرانية، فلما عوتبوا قالوا: إنما قول مثل ما يقول للسلون، فهى للسلون عنها.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَفَّطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَكِيمُ﴾^(٢) قوله: ﴿الوَلِيُّ﴾ هو من أسماء الله، ومعناه الولي لعباده بالرحمة والغفرة، وقوله: ﴿الحكيم﴾ يحتمل أن يكون من «حامد» لعباده للطيمين، أو «عمود» في السراء والضراء، وعلى هذا فالضمير راجع إلى الله سبحانه. ويحتمل أن يكون الولي من أسماء للطير، وهو مطر الربيع، والحكيم بمعنى المحمود، وعلى هذا فالضمير عائد على الغيث.

وقوله: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي﴾^(٣)، فإن لفظة «ربك» رشعت لفظة «ربه»، لأن يكون تورية؛ إذ يحتمل أنه أراد بها الإله سبحانه والملك، فلما قصر على قوله: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي﴾^(٣)، ولم تدل لفظة «ربه» إلا على الإله فلما تقدمت لفظة «ربك» احتمل للمعنيين.

نبيه

[في الفرق بين التورية والاستخدام]

كثيراً ما تلبس التورية بالاستخدام؛ والفرق بينهما أن التورية استعمال المعنيين في اللفظ وإعمال الآخر؛ وفي الاستخدام استعمالها معا بقرينتين.

(١) من قوله تعالى في سورة البقرة ١٠٤:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَآمِنُوا﴾.

(٢) سورة الثوري ٢٨.

(٣) سورة يوسف ٤٢.

وحاصله أن للشرك إن استعمل في مفهومين مما فهو الاستخدام ؛ وإن أريد أحدهما مع لمح الآخر باطنا فهو التورية .

ومثال الاستخدام قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ ^(١) ، فإن لفظة « كتاب » يراد بها الأمد المحكوم وللكتوب ، وقد توسلت بين لفظتين ، فاستخدمت أحدهموميا ، وهو الأمد واستخدمت « يمحو » للمهوم الآخر ، وهو للكتوب . وقوله تعالى : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ ^(٢) ؛ فإن الصلاة تحتمل إرادة نفس الصلاة ، وتحتمل إرادة موضعها فتوله : ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا ﴾ ^(٣) استخدمت إرادة نفس الصلاة ، وقوله : ﴿ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ ^(٤) ، استخدمت إرادة موضعها .

التجسيد:

وهو أن تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر، كأنه مباين له، فخرج ذلك إلى الفاظ بما اعتقدت ذلك، كقولهم: لئن لقيت زيدا لتلقين معه الأسد، ولئن سألتك لتسألني منه البحر. فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسداً وبحراً وهو عينه هو الأسد والبحر؛ لأن هناك شيئاً منفصلاً عنه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، فظاهر هذا أن في العالم من نفسه آيات، وهو عينه ونفسه تلك الآيات.

وكقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)، وإنما هذا ناب عن قوله: «وَعَلَّمَ أَيَّ عَزِيزٍ حَكِيمٍ».

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٤).

وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾^(٥)، ليس المعنى أن الجنة فيها دار خلدٍ وغيـر دار خلد، بل كلها دار خلد؛ فكأنك لما قلت: في الجنة دار الخلد اعتقدت أن الجنة منطوية على دار نعيم ودار أكل وشرب وخذ، فخرت منها هذا الواحد، كقوله:

* وفي الله إن لم تُنصفُوا حكمٌ عدلٌ *

وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٦)، على أحد

(٢) سورة البقرة ٢٦٠

(٤) سورة الأحزاب ٢١

(٦) سورة الأنعام ٩٥

(١) سورة آل عمران ١٩٠

(٣) سورة ق ٣٧

(٥) سورة فصلت ٢٨

التأويلات في الآية عن ابن مسعود : هي النطفة تخرج من الرجل ميتة، وهو حي، ويخرج الرجل منها حياً وهي ميتة، قال ابن عطية: في تفسيره هذه الآية: إن لفظة الإخراج في تنقل النطفة حتى تكون رجلاً، إنما هو عبارة عن تغيير الحال، كما قول في صبي جيد البنية: يخرج من هذا رجل قوى.

وقد يحتمل قوله: ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(١)، أي الحيوان كله ميتة، ثم يحييه قال: وهو معنى التجريد.

وذكر الزمخشري أن عمرو بن عبيد قرأ في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالْهَبَانِ﴾^(٢)، بالرفع، بمعنى حصلت منها [سماء]^(٣) ورْدَة، قال: وهو من التجريد. وقرأ علي وابن عباس في سورة مريم: ﴿يَرْئِي وَارِثَ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٤)، قال ابن جني: هذا هو التجريد، وذلك أنه يريد: وهَبَ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِئِي منه وارث من آل يعقوب، وهو الوارث نفسه، فكانت جرْد منه وارثاً.

(٢) سورة الرحمن ٣٧، وانظر الكشاف ٤: ٣٥٨

(٤) سورة مريم ٦

(١) سورة الأنعام ٩٥

(٣) من الكشاف.

(٢٩) - برهان - قالت

التجنييس

وهو إما بأن تتساوى حروف الكلمتين ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾^(١) .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ . فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾^(٢) ؛ وفي ذلك رد على من قال^(٣) : ليس منه في القرآن غير الآية الأولى .

وإما بزيادة في إحدى الكلمتين ، كقوله تعالى : ﴿ وَالْقَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ السَّاقُ ﴾^(٤) .

وإما لاحق ، بأن يختلف أحدا الحرفين ، كقوله : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾^(٥) .

﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾^(٦) .

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾^(٧) .

﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِئْسَ لِلْخَافِقِ رَيْبًا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ أَتْخَوْفٍ ﴾^(٩) .

وإما في الخطأ ، وهو أن تشبها في الخط لاللفظ ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُسْمِنُونَ صُنْعًا ﴾^(١٠) .

(٢) سورة الصافات ٧٢ ، ٧٣

(١) سورة الروم ٥٥

(٣) هو ابن الأثير صاحب اللؤلؤ : ذكره في الجزء الأول ص ٢٤٦

(٥) سورة العاديات ٧ ، ٨

(٤) سورة القيامة ٢٩ ، ٣٠

(٧) سورة الأنعام ٢٦

(٦) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣

(٩) سورة النساء ٨٣

(٨) سورة غافر ٧٥

(١٠) سورة الكهف ١٠٤

وقوله : ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(١) .
وأما في السمع قرب أحد المخرجين من الآخر ، كقوله تعالى : ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ
نَافِثَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٢) .

تنبيهات

الأول : نازع ابن أبي الحديد في الآية الأولى وقال : عندي^(٣) أنه ليس
بتجنيس أصلا ، وأن الساعة في الموضعين بمعنى واحد ، والتجنيس أن يتفق اللفظ
ويختلف المعنى ، وألا تكون إحداها حقيقة والأخرى مجازا ؛ بل تكونا حقيقتين ؛ وإن
زمان القيامة . وإن طال . لكنه عند الله تعالى في حكم الساعة الواحدة ؛ لأن قدرته
لا يمجزما أمر ، ولا يطول عندها زمان ؛ فيكون إطلاق لفظة « الساعة » على أحد الموضعين
حقيقة ، وعلى الآخر مجازا ؛ وذلك يخرج الكلام من التجنيس ؛ كما لو قلت : ركب
حمارا ، ولقيت حمارا ، وأردت بالثاني البليد . وأيضا لا يجوز أن يكون المراد بالساعة
الساعة الأولى خاصة ؛ وزمان البعث ، فيكون لفظ الساعة مستعملا في الموضعين حقيقة
بمعنى واحد ؛ فيخرج عن التجنيس .

الثاني : يقرب منه الاقتضاب ، وهو أن تكون الكلمات يجمعها أصل واحد في اللفظ ،
كقوله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾^(٤) .
وقوله : ﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ الرَّبَّاءَ وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾^(٥) .
وقوله : ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾^(٦) .

(١) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣

(٤) سورة الروم ٤٣

(٦) سورة الواقعة ٨٩

(١) سورة الشعراء ٧٩ ، ٨٠

(٣) انظر الفلك السائر ١٣

(٥) سورة البقرة ٢٧٦

. وقوله: ﴿وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ ابْعِزْ وَنَأَى بِمَا نَبِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُهِدْهُ دُعَاءَ عَرِيضٍ﴾^(١).

﴿قَالَ إِنِّي لَمَلِكٌ مِّنَ السَّالِفِينَ﴾^(٢).

﴿وَجِئَ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾^(٣).

﴿يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَؤُسَفَ﴾^(٤).

﴿تَفَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٥).

﴿إِنِّي وَجِئْتُ وَجِيئًا﴾^(٦).

﴿أَنَا قَلْبُكَ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(٧).

الثالث : اعلم أن الجناس من الحسن اللفظية لا المعنوية ، ولهذا تركوه عند قوة المعنى بتركه ؛ ولذلك مثالان :

أحدهما قوله : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(٨) ، فذكر الرازي في تفسيره^(٩) أن السكائب للقب بالرشيدى ، قال : لو قيل : « أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَعُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ » [أوم أنه أحسن ، لأنه كان]^(١٠) تحصل به رعاية معنى التجنيس أيضاً ؛ مع كونه موازاً لـ « تَذَرُونَ » .

وأجاب الرازى : بأن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التسلطات ، بل لأجل قوة المعانى وجزالة الألفاظ .

وقال بعضهم : مراعاة المعانى أولى من مراعاة الألفاظ ، فلو كان « أَتَدْعُونَ »

(٢) سورة الشعراء ١٦٨

(٤) سورة يوسف ٨٤

(٦) سورة الأنعام ٧٩

(٨) سورة السافات ١٢٥

(١٠) من تفسير الفخر الرازى .

(١) سورة فصلت ٥١

(٣) سورة الرحمن ٥٤

(٥) سورة التور ٣٧

(٧) سورة التوبة ٣٨

(٩) تفسير الفخر الرازى ٧ : ١٠٩

« وتَدْعُونَ » كما قال هذا القائل لوقع الإلباس على القارئ فيجعلها بمعنى واحد تصحيفا منه،
وحيثئذ فينخرم اللفظ، إذا قرأ و « تدعون » الثانية بسكون الدال؛ لاسيما وخط للصحف
الإمام لا ضبط [فيه] ولا تقط ..

قال : وما صحف من القرآن بسبب ذلك وليس بقراءة قوله تعالى : ﴿ قَالَ عَذَابِي
أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾^(١) بالسين المهملة .

وقوله : ﴿ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾^(٢) بالباء للوحدة .

وقوله : ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ يُؤْتَى مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُفْنِيهِ ﴾^(٣) بالعين للمهملة .

وقرأ ابن عباس « مَنْ فرعون » على الاستعظام .

قلت : وأجاب الجويني عن هذا بما يمكن أن يتخلص منه : أن « يذر » أخص من
« يدع » وذلك لأن الأول ، بمعنى ترك الشيء اعتناء ، بشهادة الاشتقاق ، نحو الإيداع ،
فإنه عبارة عن ترك الودعة مع الاعتناء بها ، ولهذا يُختار لها من هو مؤمن عليها ، ومن ذلك
الدعة بمعنى الراحة . وأما « تذر » فمنها الترك مطلقا ، والتترك مع الإعراض^(٤) والرفض
الكلّي ؛ ولا شك أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول ؛ فأريد هنا تبشيع حالم
في الإعراض عن ربهم ، وأنهم بلغوا النهاية في الإعراض .

قلت : ويؤيده قول الراغب^(٥) : يقال : فلا يذر الشيء أى يقذفه لقلة الاعتداد به^(٦) .
وَالْوَزْدَةُ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ [وتسميتها بذلك]^(٧) لقلة الاعتداد به ؛ نحو قولهم [فيم لا يبتد به]^(٨) : هو
لحم على وضوء ، قال تعالى : ﴿ أَجْتَنَّا لِمَبْدَأِ اللَّهِ وَحَدُّهُ وَتَذَرُّمَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَنَا ﴾^(٩) . وقال تعالى :
﴿ وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ ﴾^(١٠) . ﴿ تَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾^(١١) ﴿ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الزَّيْنِ ﴾^(١٢)

(٢) سورة التوبة ١١٤

(٤) ت : « الإعراض » .

(٧) من المفردات .

(٩) سورة الأعراف ١٢٧

(١١) سورة البقرة ٢٧٨

(١) سورة الأعراف ١٥٦

(٣) سورة عبس ٣٧

(٥) في المفردات ٥٣٩ مع تصرف في العبارة ؛ وتقديم وتأخير .

(٦) للمفردات : « لقلة اعتداده به » .

(٨) سورة الأعراف ٧٠

(١٠) سورة الأنعام ١١٢

وإنما قال: ﴿يَدْرُونَ﴾ ولم يقل «يتركون» و«يُخَلَّفُونَ» لئلا يأتى .
وعن الشيخ كمال الدين بن الزملى أنه أجاب عن هذا السؤال بأن التجنيس تحسين،
وإنما يستعمل في مقام الوعد والإحسان ؛ وهذا مقام تهويل ، والقصد فيه للمنى ، فلم يكن
للمراعاة الفظة فائدة .

وفيه نظر ، فإنه ورد في قوله : ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ﴾^(١) .
المثال الثانى : قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(٢) قال :
معناه : وما أنت مصدق لنا ، فيقال : ما الحكمة فى المدول عن الجنس ، وهما قيل :
« وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين » ، فإنه يؤدى معنى الأول مع زيادة رعاية
التجنيس اللفظى ؟

والجواب أن فى «مُؤْمِنٍ لَنَا» من المنى ما ليس فى «مصدق» ، وذلك أنك إذا قلت :
« مصدق لى » فعناه . قال لى : صدقت ، وأما « مؤمن » فعناه مع التصديق إعطاء الأمن ،
ومقصودهم التصديق وزيادة ، وهو طلب الأمن ؛ فلهذا عدل إليه .

فتأمل هذه اللطائف القريبة ، والأسرار الحبية فإنه نوع من الإعجاز !

فائدة

قال الخفاجى : إذا دخل التجنيس نقي عده طباقا ، كقوله : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٣) ، لأن «الذين لا يسمعون» هم الجاهلون ، قال :
وفى هذا يختلط التجنيس بالطباق .

(٢) سورة يوسف ١٧

(١) سورة الباقية ٢٧

(٣) سورة الزمر ٩

الطِّبَاق

هو أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل ، كالبياض ، والسواد ، والليل والنهار ؛ وهو قيمان : لفظي ومعنوي ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ ^(١) ، طابق بين الضحك والبكاء ، والقليل والكثير .

ومثله : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ^(٢) .
 ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ ^(٣) .
 ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ ^(٤) .

﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ تَوَنَّى الْمَلَائِكَةُ مِنَ نَشْأَةٍ وَتَنَزَّعُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نَشْأَةٍ ۝ ٠٠ ﴾ ^(٦) الآية .
 ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظُّلُ وَلَا الْحُرُورُ . وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ ^(٧) .

ثم إذا شرط فيها شرط وجب أن يشترط في ضديهما ضد ذلك الشرط ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَمًا مَنْ أَعْطَىٰ وَآتَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ ٠٠ ﴾ ^(٨) الآية ، لما جعل التيسير

(١) سورة التوبة ٨٢

(٢) سورة الحديد ٢٣

(٣) سورة النجم ٤٣ ، ٤٤

(٤) سورة الكهف ١٨

(٥) سورة الزمزم ١٠

(٦) سورة آل عمران ٢٦

(٧) سورة فاطر ١٩ - ٢٢

(٨) سورة الليل ٥ ، ٦

مشتركا بين الإعطاء والتقى والتصديق ، وجعل ضده وهو التسمير مشتركا بين أضداد تلك الأمور ، وهى المنع والاستغناء والتكذيب .

ومنه : ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ ^(١) ، قَابِلٌ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ .

وقوله : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ^(٣) ، فذكر الليل والنهار وهما ضدان ، ثم قابلهما بضدين وهما الحركة والسكون ، على الترتيب ، ثم عبر عن الحركة بلفظ « الإرداف » فاستلزم الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المبالغة ، وعدل عن لفظ الحركة إلى لفظ « ابتناء الفضل » لكون الحركة تكون للصلحة دون القسوة ؛ وهى تسير إلى الإعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل ، وسلامة الحس ، وإضافة الظرف إلى تلك الحركة الخصوصية واقمة فيه ، ليتهدى للتحرك إلى بلوغ اللأرب .

ومن الطباق المعنوى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُ إِلَّا نَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَهُكُمْ لَمُشْكُونَ ﴾ ^(٤) ، معناه : ربنا يعلم إنا لصادقون .

وقوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ ^(٥) ، قال أبو على فى « الحجة » : لما كان البناء رفعا للبنى قبول بالفرش الذى هو على خلاف البناء ، ومن ثم وقع البناء على ما فيه ارتفاع فى نصيبه إن لم يكن مدرا .

(٢) سورة الناهية ١٣ ، ١٤

(٤) سورة يس ١٥ ، ١٦

(١) سورة المائدة ٢٢ و ٢٣

(٣) سورة القصص ٢٣

(٥) سورة البقرة ٢٢

ومنه نوع يسمى الطباقي الخفي ؛ كقوله تعالى : ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذَلُّوا نَارًا ﴾^(١) ، لأن الفرق من صفات اللاء ، فسكانه جمع بين الماء في النار والنار ، قال ابن منقذ^(٢) : وهي أخفى مطابقة في القرآن .

قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾^(٣) ؛ فسكانه جمع بين الأخضر والأخضر ، وهذا أيضاً فيه تدييج بديهي .

ومنه : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾^(٤) ، لأن معنى القصاص القتل ، فصار القتل سبب الحياة .

قال ابن المعتز^(٥) ؛ وهذا من أملح الطباقي وأخفاه .

وقوله تعالى في الزخرف : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾^(٦) ؛ لأن « ظَلَّ » لا تستعمل إلا نهاراً ، فإذا لمع مع ذكر السواد كأنه طباق يُذكر البياض مع السواد .
وقوله : ﴿ يَا قَوْمِ مَالِي أَذْغَوْكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾^(٧) .

(٢) هو الأمير أسامة بن منقذ ؛ أحد أبطال

الإسلام وأدبائهم وشعرائهم ؛ وصاحب كتاب لباب الأداب ، والبدیع فی هد الشعر . توفي سنة ٥٨٤ .

(٤) سورة البقرة ١٧٩

(٥) هو عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي ، وصاحب كتاب البديع ؛ توفي سنة ٢٩٦

(٧) سورة غافر ٤١

(١) سورة نوح ٢٥

(٣) سورة يس ٨٠

(٦) سورة التحمل ٥٨

المقابلة

[مباحث المقابلة]

وفيها مباحث :

الأول : في حقيقتها

وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ، ويخالفه في بعضها ، وهي من باب « المفاعلة » ، كالمقابلة والمضاربة ، وهي قريبة من الطباق ؛ والفرق بينهما من وجهين : الأول : أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالبا ، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك غالبا .

والثاني : لا يكون الطباق إلا بالأضداد ، والمقابلة بالأضداد وغيرها ؛ ولهذا جمل ابن الأثير الطباق أحد أنواع المقابلة .

الثاني : في أنواعها

وهي ثلاثة : نظري ، وقيضي ، وخلافي . والخلافي أتمها في التشكيك ، وأزمرها بالتأويل ، والنقيضي ثانيها ، والنظري ثالثها .

وذكر الشيخ أبو الفضل يوسف بن محمد النحوي القلي : أن القرآن كله وارد عليها بظهور نكته الحكيمية العلمية ، من الكائنات والزمانيات والوسائط الزوجانيات والأوائل الإلهيات ؛ حيث اتحدت من حيث تملدت ، واتصلت من حيث انفصلت ؛ وأنها قد ترد على شكل المربع تارة ، وشكل المسدس أخرى ، وعلى شكل

لثالث ، إلى غير ذلك من التشكيلات المعجية ، والترتيبات البديعة ، ثم أورد أمثلة من ذلك .

مثال مقابلة النظيرين ، مقابلة السنة والنوم في قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(١) ؛ لأنهما جميعا من باب الرقاد للقابل باليقظة .

وقوله : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَانًا وَعُمْرُهُمْ زُقُودٌ ﴾^(٢) ، وهذه هي مقابلة النقيضين أيضا ، ثم السنة والنوم باضراهما مقابلان في باب النظيرين ومجموعهما يقابلان النقيض الذي هو اليقظة . ومثال مقابلة الخلافين ، مقابلة الشر بالرشد في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِنِّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾^(٣) ، قابل الشر بالرشد ؛ وهما خلافان ، وضد الرشد النقيض ، وضد الشر الخير ، والخير الذي يخرج لفظ الشر ضمنا نظير الرشد قطعاً ، وألغى الذي يخرج لفظ الرشد ضمنا نظير الشر قطعاً حصل من هذا الشكل أربعة أقاط : فعلقان وضمنان ؛ فكان بهما رباعيان .

وهذا الشكل الرابع يقع في تفسيره على وجوه ، فقد برد وبعضه مفسر ، مثل ما ذكرناه ، وقد برد وكله مفسر ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى . وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴾^(٤) قابل « صدق » بـ « كذب » « وصلى » الذي هو أقبل بـ « تولى » . قوله : ﴿ لَا يَسْمُومُونَ فِيهَا لَنُوءًا وَلَا تَأْنِيًا . إِلَّا قِيَلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾^(٥) ، اللغو في الحيثية للمنكرة والتأنيث في الحيثية الناكرة ، واللغو منشأ المنكر ومبدأ درجاته ، والتأنيث منشأ التكبر ومبدأ درجاته ، فلا نكير إلا ببد منكر ، ولا اعتقاد إنكار إلا ببد اعتقاد تأنيث ، ومنشأ اللغو في أول طرف المنكروحات وآخره في طرف المحظورات ومبدأ التأنيث . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾^(٦) قابل الإفساد بالتسبيح والحد ، وسفك الدماء بالتفديس ،

(٢) سورة الكهف ١٨
(٣) سورة التوبة ٣١ ، ٣٢
(٤) سورة البقرة ٣٠

(١) سورة البقرة ٢٥٥
(٢) سورة الجن ١٠
(٥) سورة الواقعة ٢٥ ، ٢٦

فالتسبيح بالحمد إذ ينفي الفساد، والتقدّيس بنفي سفك الدماء، والتسبيح شريعة للإصلاح،
والتقدّيس شريعة حقن الدماء، وشريعة التقديس أشرف من شريعة التسبيح؛ فإن
التسبيح بالحمد للإصلاح لا الفساد، وسفك الدماء للتسبيح لا للتقدّيس؛ وهذا شكل
مربّع، من أرضى وهو الإفساد وسفك الدماء، وسمّى وهو التسبيح والتقدّيس،
والأرضى ذو فصلين، والسمّى ذو فصلين، ووقع النفس من الطرفين المعوسطين؛ فالطرفان
الإفساد في الطرف الأول، والتقدّيس في الطرف الآخر، والوسطان آخر الأرض، وأول
السماء، فالأول متشرف على الآتي والآخر ملقت إلى الماضي :

وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مُوجِزٍ يَدُورُ عَلَى الْمَعْنَى وَعِنْدَهُ بِمُحَاصِرٍ^(١)
لَقَدْ جَمَعَ الْإِسْمُ الْحَمْدَ كُلَّهُا مَقَاسِمُهَا مَجْمُوعَةٌ وَالْمَشَايِعُ
وهذا القدر الذى ذكره هذا الخبر مرعى عظيم، يوصل إلى أمور غير متجاسر عليها،
كافى آية الكرمى وغيرها .

وقسم بعضهم للقبالة إلى أربع :
أحدها : أن يأتى بكل واحد من اللقطات مع قرينة من التوائى ، كقوله تعالى :
(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا)^(٢) .

والثانية : أن يأتى بجميع التوائى مرتبة من أولها ، كما قال تعالى : (وَمِنْ رَحْمَتِهِ
جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)^(٣) .
وكذلك : (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُتِلَ . وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)^(٤) .

(٢) سورة النبأ ١٠ ، ١١

(٤) سورة البقرة ٢١٧

(١) عاصم : يدافع .

(٣) سورة النقص ٧٣

الثالث : أن يأتي بجميع القدمات ثم بجميع التوائى مرتبة من آخرها، ويسى رد العجز على الصدر، كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ آيِسْتُمْ وُجُوهُهُمْ فِى رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(١).

الرابع : أن يأتي بجميع القدمات ثم بجميع التوائى مختلطة غير مرتبة، ويسى ألف، كقوله تعالى : ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّا نَصَرَ اللَّهَ قَرِيبًا ﴾^(٢) فنبهة قوله : ﴿ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾، كنسبة قوله : ﴿ يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ إلى : ﴿ أَلَا إِنَّا نَصَرَ اللَّهَ قَرِيبًا ﴾، لأن القولين للتباينين يصدران عن متباينين .

وكما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٤) فنبهة قوله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾^(٥) إلى قوله : ﴿ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٦) كنسبة قوله : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٧) إلى قوله : ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾^(٨) فجاء المتقدمين التاليين بالاتفات .

وجعل بعضهم من أقسام التقابل مقابلة الشيء بمثله وهو ضربان :
مقابل فى اللفظ دون المعنى، كقوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكْرًا ﴾^(٩).

(٢) سورة البقرة ٢١٤

(١) سورة آل عمران ١٠٦ ، ١٠٧

(٤) سورة النمل ٥٠

(٣) سورة الأنعام ٥٢

ومقابل في المعنى دون اللفظ، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾^(١)؛ فإنه لو كان التقابل هنا من جهة اللفظ، لكان التقدير: «وإن اهتديت، فإنما اهتديت لها».

وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى، أن النفس كل ما هو عليها لها، فهو أعنى أن كل ما هو وبال عليها وصار لها فهو بيبها ومنها؛ لأنها أمانة بالسوء، وكل ما هو مما يتبعها فبهداية ربها وتوفيقه إياها، وهذا حكم لكل مكلف، وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسند إلى نفسه، لأنه إذا دخل تحتها مع علو محلها كان غيره أولى به.

ومن هذا الضرب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، فإنه لم يدع التقابل في قوله: ﴿لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، لأن القياس يقتضي أن يكون «والنهار لتبصروا فيه»، وإنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، لأن معنى «مبصرًا» تبصرون فيه طرق القلب في الحاجات.

واعلم أن في تقابل المعاني بأباً عظيماً يحتاج إلى فضل تأمل، وهو يتصل غالباً بالقواصل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٣) إلى قوله ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤). وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾^(٥) إلى قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٦). فانظر فاصلة الثانية ﴿يَسْمَعُونَ﴾ والتي قبلها ﴿يَشْعُرُونَ﴾ لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين: يجمعون وهم مطيعون يحتاج إلى نظر واستدلال، حتى يكسب الناظر

(٢) سورة النمل ٨٦

(٤) سورة البقرة ١٣

(١) سورة سبا ٥٠

(٣) سورة البقرة ١١، ١٢

للمعرفة والعلم ؛ وإنما النفاق - وما فيه من الفتنة والفساد - أمر دنيوى مبنى على العادات معلوم عند الناس ، فذلك قال فيه ﴿ يَسْلُوْنَ ﴾ .
وأيضاً فإنه لما ذكر السَّهْ (١) فى الآية الأخرى - وهو جهل - كان ذكر العلم طباقاً وعلى هذا نحي فواصل القرآن ، وقد سبق فى بابيه .

ومن المقابلة قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾ (٢) ، فتقدم اقتران الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء ، ثم قوبل بشئ واحد وهو الوعد ، فأوهم الإخلال بالثانى ، وليس كذلك ؛ وإنما لما كان الفضل مقابل للفقر ، والنفرة مقابلة للأمر بالفحشاء ؛ لأن الفحشاء توجب العقوبة ، والنفرة تقابل العقوبة ، استغنى بذكر المقابل عن ذكر مقابله ، لأن ذكر أحدهما ملزوم ذكر الآخر .

(١) من قوله فى الآية : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ مِّنْ كَذَّابِينَ ﴾ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٨

تقسيم

من مقابلة اثنين باثنين : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ ^(١) .

ومن مقابلة أربعة بأربعة : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾ ^(٢) الآية .

ومن مقابلة خمس بخمس قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَعِيزُ أَنْ يُضْرَبَ مِثْلًا مَا بَوُصَّةٌ فَمَا قُوَّتُهَا ﴾ ^(٣) ، للدلالة على الحقير والكبير ، وهو من الطباق الخفي ، الثاني : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ و ﴿ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، الثالث : ﴿ يَضِلُّ ﴾ و ﴿ يَهْدَى ﴾ به ، والرابع : ﴿ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ ، الخامس : ﴿ يَقْطَعُونَ ﴾ و ﴿ أَنْ يُوْصَلَ ﴾ .

ومن مقابلة ست بست قوله تعالى : ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّوَاهِدِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالنَّكَاثِ وَالْمَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَنْثَامِ وَالْأَنْثَامِ وَأَنْحَرَتْ ذَلِكَ مَتَاعُ الْخَالِيَةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٤) ، ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِمِثْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ آتَقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ

(٢) سورة الليل ٥ - ١٠ ، والآيات بأكملها :

(١) سورة التوبة ٨٢

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى .

(٣) سورة البقرة ٢٦ ، وبمعناها : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ،

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ، يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَالِسُونَ .

(٤) سورة آل عمران ١٤

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ^(١) ، قَابِلُ الْجَنَاحِ وَالْأَنفَارِ وَالْخَلْدِ وَالْأَزْوَاجِ وَالطَّهْيِيرِ وَالرِّضْوَانِ
بِإِزَاءِ النَّسَاءِ فِي الدُّنْيَا ، وَخَمَّ بِالْحَرْثِ ، وَهِيَ طَرَفَانِ مَقْشَاهَانِ ، وَفِيهَا الشَّهْوَةُ وَالْمَعَاشُ
الدُّنْيَاوِيّ ، وَآخِرُ ذِكْرِ الْأَزْوَاجِ كَمَا يَجِبُ فِي التَّرْتِيبِ الْآخِرِيِّ ، وَخَمَّ بِالرِّضْوَانِ .

فائدة

قد يحمى نظم الكلام على غير صورة المقابلة في الظاهر ؛ وإذا توهم كان من أكل
المقابلات ؛ ولذلك أمثلة :

منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى . وَأَنْتَ لَا تَنظُمُ فِيهَا
وَلَا تَضْحَى ﴾ ^(٢) . مقابل الجوع بالرعى ؛ والظما بالضحي ^(٣) ؛ والواقف مع الظاهر رُئِما
يُحِيلُ أَنْ الْجُوعَ يُقَابَلُ بِالظْمَا ، وَالرَّعَى بِالضَّحَى .

وللدقق يرى هذا الكلام في أعلى مراتب الفصاحة ؛ لأن الجوع ألم الباطن والضحي
موجب لحرارة الظاهر ، فاقضت الآية جميع نفي الآفات ظاهرا وباطنا ؛ وقابل الخلو بالخلو ،
والاحتراق بالاحتراق . وهاهنا موضع الحكاية المشهورة بين المنفي وسيف الدولة ؛
لما أنشدته :

وَقَفْتُ وَمَا فِي الدُّوَى شَكٌّ لَوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

(٢) سورة طه ١١٨ ، ١١٩

(١) سورة آل عمران ١٤ ، ١٥

(٣) في اللسان عن البيت : ضحى الرجل بضحي ضحا ، إذا أصابه حر الشمس .

(٤) ديوانه ٣ : ٣٨٦ ، وبسده :

تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَرِيمَةً وَوَجْهَكَ وَضَّاحٌ وَتَفَرَّكَ بِأَسْمٍ

ونزل المبكى عن الواحدى : لا أنشد للنبي هذا البيت والذي بسده ، أنكر عليه سيف الدولة لطريق
عجزى البتين على صدرهما ، وقال له : ينبغي أن تطبق عجز الأول على الثانى ، وعجز الثانى على الأول ؛
ثم قال له : وأنت في هذا مثل امرئ النيس في قوله :

كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَادًا لِلذِّبِّ وَلَمْ أَنْبِطَنَّ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالٍ
وَلَمْ أُسَبِّ أَرْقَ الرَّوِّ وَلَمْ أَقُلْ لِيَخِيلِي كُرَى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ =

ومنها قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾^(١) ؛ فإنه يتبادر فيه سؤال ؛ وهو أنه لم لا قيل : « مثل الفريقين كالأعمى والبصير ، والأصم والسميع » ، لتكون للقابلية في لفظ « الأعمى » وضده بالبصير ، وفي لفظ « الأصم » وضده السميع .

والجواب أنه يقال : لما ذكر انسداد العين أتبهم بانسداد السمع ، وبضد ذلك لما ذكر افتتاح البصر أعقبه بافتتاح السمع ؛ فاحتضنته الآية الكريمة هو الأنسب في المقابلة والأتم في الإيجاز .

== قال : ووجه الكلام في البين على ما قاله أهل العلم بالشعر ، أن يكون مجز الأول على الثاني ، والثاني على الأول ؛ لينتقم الكلام ، فيكون ركوب الخيل مع الأمر الخيل بالكسر ، وسببه آخر مع تطعن الكعاب . فقال له أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ! إن صح أن الذي استنبهك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، وسولانا يعرف أن البراز لا يعرف الثوب معرفة الحائك ؛ لأن البراز يعرف جلته وتفصيله ؛ لأنه أخرجه من الفضلية إلى الثوبية ؛ ولما قرن امرؤ القيس لهذه النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السباحة في شراء آخر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ؛ وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبته بذكر الردى ليجانسه . ولا كان وجه للتهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعنه من أن تكون إياكية ، قلت : « وجهك واضح » ، لأجمع بين الأضداد في المعنى . فأعجب سيف الدعوة ووصله بخمسة دينار .

(١) سورة هود ٢٤

رد المنجز على الصادر وعليه

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾^(١) .
﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُ حُرُمًا ﴾^(٢) .

العكس

وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر ، كقوله تعالى : ﴿ لَأَنْزِلَنَّ حِلًّا لَهُمْ وَلَأَمُرَّ بِمَعْلُومٍ لَهُمْ ﴾^(٣) وقدره الزمخشري^(٤) ، أى لا حلّ بين المؤمن والمشرک ، والآية صريحة بنفي الحل من الجهتين ، قد يستدل بهامن قال : إن الكفار مخاطبون بالفروع .
ومثله قوله تعالى : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾^(٥) أى ذبائحكم ، وهذه رخصة للمسلمين .

(٢) سورة المائدة ٩٦

(٤) الكشاف : ٤١٣

(١) سورة الأنبياء ٣٧

(٣) سورة المائدة ١٠

(٥) سورة المائدة ٥

إيجام انخفيم بالحجة

وهو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية ، تقطع المائد له فيه . والمجب من ابن المعتز في بديده ، حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن ، وهو من أساليبه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ^(١) ثم قال النحاة : إن الثاني امتنع لأجل امتناع الأول ، وخالفهم ابن الحاجب وقال : المتنع الأول لأجل الثاني ؛ فالتعدد متنف لأجل امتناع الفساد .

وقوله : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ ^(٣)

وقوله حكاية عن الخليل : ﴿ وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ ﴾ ^(٤) إلى قوله : ﴿ وَنَلَكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ^(٦) ؛ المعنى أن الأهون أدخل في الإمكان من غيره ؛ وقد أمكن هو ، فالإعادة أدخل في الإمكان من بده الخلق .

وقوله تعالى : ﴿ مَا آخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ . . . ﴾ ^(٧) الآية ، وهذه حجة عقلية ، تقديرها أنه لو كان خالقان لاستبدت كل منهما بخلقها ، فكان الذي يقدر عليه أحدهما لا يقدر عليه الآخر ، ويؤدي إلى تناهي

(٢) سورة يس ٧٩ ، ٨١

(٤) سورة الروم ٢٤

(١) سورة الأنبياء ٢٢

(٣) سورة الأنعام ٣٠ ، ٨٣

(٥) سورة المؤمنون ٩١

مقدوراتها^(١) ؛ وذلك ببطل الإلهية ، فوجب أن يكون الإله واحدا ثم زاد في الحجاج فقال : ﴿وَلَمَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾^(٢) ، أى ولتلب بعضهم بعضا في المراد ، ولو أراد أحدهما إحياء جسم والآخر إمامته لم يصح^(٣) ارتفاع مرادها ؛ لأن رفع النقيضين محال ، ولا وقوعها للتضاد ، فنفي وقوع أحدهما دون الآخر ؛ وهو المطلوب وهذه تسمى دلالة التامع ، وهى كثيرة في القرآن ، كقوله تعالى : ﴿إِذْ لَا يَبْتَغُوا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾^(٤) .

وقوله : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾^(٥) .
وقوله : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا يُمْنُونَ . أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾^(٦) فيين أنا لم نخلق الذى لتمذره علينا ، فوجب أن يكون الخالق غيرنا .

ومنه نوع منطقي وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين ، وذلك من أول سورة الحج إلى قوله : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٧) ، فنطق على خمس نتائج من عشر مقدمات ؛ فالمقدمات من أول السورة : ﴿وَأَنْبِئَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(٨) ، والنتائج من قوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾^(٩) إلى قوله : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(١٠) .

وتفصيل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقول : أخبر الله أن زلزلة الساعة شئ عظيم ، وخبره هو الحق ، ومن أخبر عن النيب بالحق فهو حق بأنه هو الحق ، وأنه يأتى بالساعة

(٢) سورة المؤمنون ٩١

(٤) سورة الإسراء ٤٢

(٦) سورة الواقعة ٥٨ ، ٥٩

(٨) سورة الحج ٥

(١) ت : « مقدورها » .

(٣) ت : « رفع » .

(٥) سورة الأفعال ٢٣

(٧) سورة الحج ٧

(٩) سورة الحج ٦

على تلك الصفات ولا يُعلم صدق الخبر إلا بإحياء الموتى ، ليدركوا ذلك ، ومنْ يأتي بالساعة يحْيِي الموتى ؛ فهو يحْيِي الموتى . وأخبر أنه يجعل الناس من هول الساعة سُكَّارِي لشدة العذاب ، ولا يقدر على محوم الناس لشدة العذاب إلا مَنْ هو على كل شيء قدير ؛ فإنه على كل شيء قدير . وأخبر أن الساعة يُجازى فيها من يجادل في الله بغير علم ، ولا بدّ من مجازاته ، ولا يجازى حتى تكون الساعة آتية ، ولاتأى الساعة حتى يبعث مَنْ في القبور ، فهو يبعث مَنْ في القبور . والله ينزل للماء على الأرض الهامدة فتنبث من كل زوج بهيج ، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها يبعث من القبور .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ بَضِلُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ^(١) مقدمتان ونتيجة ، لأن اتباع الهوى يوجب الضلال ، والضلال يوجب سوء العذاب ؛ فانتج أن اتباع الهوى يوجب سوء العذاب . وقوله : ﴿ فَلَا أَقْلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ ^(٢) ، أى القمر أفل ، ورى فليس بأفل ، فاقمر ليس برى ، أثبتته بقياس اقترافى جلى من الشكل الثانى ، واحتج بالتمبير على الحدوث ، والحدوث على المحدث .

التقسيم

وليس المراد به القسمة العقلية التي يتكلم عليها المتكلم ؛ لأنها قد تقتضي أشياء مستحيلة
 كقولهم : الجواهر لا تخلو إما أن تكون مجتمعة أو متفرقة ، أو لا متفرقة ولا مجتمعة ، أو مجتمعة
 ومتفرقة مما ، أو بعضها مجتمع وبعضها متفرق ، فإن هذه القسمة صحيحة عقلاً ، لكن بعضها
 يستحيل وجوده ، وهو استيفاء المتكلم أقسام الشيء ؛ بحيث لا يقادر شيئاً وهو الله الحصر
 ومطلنة الإحاطة بالشيء ، كقوله تعالى : ﴿ فَيَنْهَضُ ظَالِمٌ لِّفَنِّهِمْ وَمِنْهُمْ مَّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ
 بِالْغَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ﴾ ^(١) فإنه لا يخلو العالم جميعاً من هذه الأقسام الثلاثة ؛ إما ظالم لنفسه ،
 وإما سابق مبادر إلى الخير ، وإما مقتصد فيها ، وهذا من أوضح التفسيرات وأكملها .
 ومثله قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ .
 وَأَصْحَابُ الشَّأْمِ مَا أَصْحَابُ الشَّأْمِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ ^(٢) ، وهذه الآية ماثلة
 في المعنى التي قبلها ، وأصحاب الشأمة هم الظالمون لأنفسهم ، وأصحاب الميمنة هم المقتصدون ،
 والسابقون هم السابقون بالخيرات .

كذلك قوله تعالى : ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ ^(٣) الآية ، فاستوفى أقسام
 الزمان ولا رابع لها .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾ ^(٤) إلى قوله :
 ﴿ مَا يَشَاءُ ﴾ ^(٥) ، وهو في القرآن كثير ، وخصوصاً في سورة براءة .
 ومنه قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآيَاتِ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ^(٦) ، وليس في رؤية
 البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار ، ولا ثالث لها .

(١) سورة الواقعة ٧ - ١٠

(١) سورة طاهر ٣٢

(٢) سورة مريم ٦٤ ، وبديها : ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ .

(٣) سورة الرعد ١٢

(٤) سورة النور ٤٥

وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾^(١)، فاستوفت أقسام الأوقات، من طرقت كل يوم
ووسطه مع المطابقة والمقابلة.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾^(٢)، فلم يترك سبحانه
قبها من أقسام الميئات.

ومثله آية يونس: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِيًا أَوْ قَائِمًا﴾^(٣).
لكن وقع بين ترتيب الآيتين مناصرة أوجبها للمبالغة، وذلك أن الراد بالذِّكْر
في الأولى الصلاة فيجب فيها تقديم الاضطجاع، وإذا زال بعض الضر قد المضطجع،
وإذا زال كل الضر قام القاعد، فدعا لتمام الصحة، وتكمل القوة.

فإن قلت: هذا التأويل لا يتم إلا إذا كانت الواو عاطفة، فإنها تحصل في الكلام
حسن اتساق، واكتلاف الألفاظ مع المعاني، وقد عدل عنها إلى «أو» التي سقط
معيها ذلك.

قلت: يأتي التضرع على أقسام، فإن منه ما يتضرع المضرور عند وروده، ومنه
ما يقدمه، ومنه ما يأتي وصاحبه قائم لا يبلغ به شيئاً، والدعاء عنده أولى من التضرع،
فإن الصبر والجزع عند الصدمة الأولى، فوجب المدول عن الواو، لتوحي الصدق في الخير،
والكلام بالاختلاف، ويحصل النسق، والخير بذلك التأويل الأول عن شخص واحد،
وبالثاني عن أشخاص فتلب الكثرة، فوجب الإتيان بـ «أو» واجدى بالشخص الذي
تضرع لأن خبره أشد فهو أشد تضرعا، فوجب تقديم ذكره، ثم القاعد؛ ثم القائم،
فحصل حسن الترتيب واكتلاف الألفاظ ومعانيها.

(٢) سورة آل عمران ١٩١

(١) سورة الروم ١٧، ١٨

(٣) سورة يونس ١٢

وقوله : ﴿ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا نَا وَ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَا نَا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾^(١) ، قسم سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود ، لأنه سبحانه إما أن يُفرد العبد بهبة الإناث ، أو بهبة الذكور ، أو يجمعها له ، أو لا يهب شيئاً . وقد جاءت الأقسام في هذه الآية لينتقل منها إلى أعلى منها ، وهي هبة الذكور فيه ، ثم انتقل إلى أعلى منها وهي وهبتها جميعاً ، وجاءت^(٢) كل أقسام المطية بلفظ الهبة ، وأفرد معنى الحرمان بالتأخير ، وقال فيه ﴿ يجعل ﴾ فدل عن لفظ الهبة للتفاير بين المأني ، كقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾^(٣) ، فذكر امتداد إناثه بلفظ الزرع ، ومعنى الحرمان بلفظ الحمل .

وقيل : إنما بدأ سبحانه بالإناث لوجوه غير ما سبق .

أحدها : جبراً لمن ، لأجل استئصال الأيون لمكائهن .

الثاني : أن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاء ، لا ما يشاء الأيون ، فإن الأيون لا يربدان إلا الذكور غالباً وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء ؛ فبدأ بذكر الصنف الذي يشاؤه ولا يربده الأيون غالباً .

الثالث : أنه قدم ذكر ما كانت تؤخره الجمالية من أمر البنات حتى كانوا يتدوهن ؛ أي هذا النوع الحفير عندكم مقدم عندي في الذكر .

الرابع : قدّمهن لضمفهن ، وعند العجز والضمف تكون العناية أتم .

وقيل : لينقله من الغم إلى الفرج .

وتأمل كيف عرف سبحانه الذكور بعد تنكيره ، غير نفس الأنوثة بالتقديم ، وجبر

نقص التأخر بالتعريف ، فإن التعريف تنويه .

(٢) ت : « وجاء فيه كل أقسام المطية » .

(١) سورة الشورى ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) سورة الواقعة ٦٣ - ٦٥ .

وهذا أحسن مما ذكره الواحدى أنه عرّف الذكور لأجل الفاصلة .
ولمّا ذكر الصنفين معاً قدّم الذكور ، فأعطى لكل من الجنسين حقه من الضم
والتأخير . والله أعلم بما أراد .

بقى سؤال آخر ؛ وهو أنه عطف الثانى والرابع بالواو ، والثالث بـ « أو » ولمنه ،
لأنّ هبة كلّ من الإناث والذكور قد لا يقترن بها ، فكأنّه وهب لهذا الصنف وحده
أو مع غيره فلذلك تميّنت « أو » . فتأمل لطائف القرآن وبدائمه !

ومن هذا التقسيم أخذ بعض العلماء أن الخنثى لا وجود له ؛ لأنه ليس واحداً من
الذكورين ، ولا حجة فيه ، لأنه مقام امتنان ؛ واللثة بغير الخنثى أحسن وأعظم . أو لأنه
باعتبار ما فى نفس الأمر ؛ والخنثى لا يخرج عن أحدهما .

التعديد

هي إيقاع الألفاظ للبدّة على سياق واحد؛ وأكثر ما يؤخذ في الصفات؛ ومتنناها
ألا يعطف بعضها على بعض لاتحاد محلها، ويجريها مجرى الوصف في الصدق على ماضق؛
ولذلك يقلّ عطف بعض صفات الله على بعض في التنزيل، وذلك كقوله: ﴿أَفَلَا لَإِلَهِ

إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١).

وقوله: ﴿أَخْلَقَ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾^(٢).

وقوله: ﴿أَلَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُتَمِّينُ الْمُزَيَّرُ الْجَبَّارُ﴾^(٣).

وإنما عطف قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^(٤)؛ لأنها أسماء
متضادة للماني في موضوعها، فوقع الوم بالعطف عن يستبعد ذلك في ذات واحدة؛
لأن الشيء الواحد لا يكون ظاهرا باطنا من وجه، وكان العطف فيه أحسن. ولذلك
عطف «الناهم» على «الأمرون»، «وأبكرا» على «ثيبات» من قوله: ﴿التَّائِبُونَ
الْمُاعِدُونَ الْخَالِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾^(٥).

وقوله: ﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ مَسْلُكًا مَوْمَنَاتٍ قَاتِلَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ
سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾^(٦)، فجاء المطف لأنه لا يمكن اجتماعها في محل واحد
بخلاف ما قبله.

وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ﴾^(٧)، إنما عطف

(٢) سورة المفسر ٢٥

(٤) سورة الحديد ٣

(٦) سورة التخمير ٥

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٣) سورة المفسر ٢٣

(٥) سورة التوبة ١١٢

(٧) سورة غافر ٣

فيه بعضاً ولم يعطف بعضاً ، لأن « غافراً » و « قابلاً » يشيران بحدوث المغفرة والقبول ، وهما من صفات الأفعال وفعله في غيره لا في نفسه ، فدخل العطف للمغايرة لتنزلها منزلة الجملتين ، تنبيهاً على أنه سبحانه يفعل هذا ويفعل هذا . وأما شديد المقاب فصفة مشبهة ، وهي تسمى بالدوام والاستمرار ؛ فتدل على القوة ، ويشبه ذلك صفات الذات .

وقوله : ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ ^(١) ، المراد به ذاته ، فترك العطف لاتحاد للمعنى .

وقد جاء قليلاً في غير الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... ﴾ ^(٢) الآية ، قال الزجاج ^(٣) : العطف الأول كقوله : ﴿ ثِيَابَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ ، في أنها جنسان مختلفان ، إذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط الماعطف بينهما ، وأما العطف الثاني فن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ؛ فمكان معناه : أن الجامعين والجامعات لهذه الصفات ^(٤) أعدّه لم مغفرة . انتهى .

وقال بعضهم : الصفات المتماثلة إن علم أن موصوفها واحد من كل وجه ، كقوله : ﴿ غَافِرٌ إِذْنٌ وَقَبِيلُ التَّوْبِ ﴾ ^(٥) ، فإن الموصوف « الله » ، وإما في النوع كقوله : ﴿ ثِيَابَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ ^(٦) فإن الموصوف الأزواج ، وقوله : ﴿ آلَ مِرْيُونَ بِالْمَرْوَةِ وَالنَّاهُونَ عَنِ التَّنْكِرِ ﴾ ^(٧) ؛ فإن الموصوف النوع الجامع للصفات المتقدمة . وإن لم يعلم أن موصوفها واحد من جهة وضع اللفظ . فإن دل دليل على أنه من عطف الصفات اتبع كهذه الآية ، فإن هذه الأعداد لمن جمع الطاعات العشر ، لا لمن انفرد بواحدة منها ؛ إذ الإسلام والإيمان كل منهما شرطه في الآخر ، وكلاهما شرط في حصول الأجر على البواقي ، ومن كان مسلماً مؤمناً فله أجره ، ولكن ليس هذا الأجر العظيم الذي أعدّه الله في هذه الآية

(١) سورة الأعراب ٣٠

(١) سورة غافر ٣

(٢) الكشاف : « لهذه الطاعات » .

(٣) الكشاف ٣ : ٤٢٦

(٤) سورة التحريم

(٥) سورة غافر ٣

(٦) سورة التوبة ١١٢

الكرامة، وقرّن به إعداد المغفرة زائدا على المغفرة ؛ فلتخصّص هذه الآية جبل الزخشريّ ذلك من عطف الصفات ، والموصوف واحد ؛ فلو لم يكن كذلك واحتمل تقدير موصوف مع كل صفة وعدمه جُمل على التقدير ؛ فإن ظاهر العطف التناهي . ولا يقال : الأصل عدم التقدير ؛ لأن الظاهر يقدم على رعاية ذلك الأصل .

ومثاله قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ . . . ﴾ ^(١) الآية ، ولو كان من عطف الصفات لم يستحقّ الصدقة إلا من جميع الصفات الثمان ، ولذلك إذا وقف على الفقهاء والنحاة والفقراء استحقّ مَنْ فيه إحدى الصفات .

تم بمون الله وجميل توفيقه الجزء الثالث من كتاب البرهان في علوم القرآن

للإمام بدر الدين الزركشي

وبليه الجزء الرابع وأوله : مقابلة الجمع بالجمع ؛ وهو أحد أساليب القرآن المتدرجة تحت النوع السادس والأربعين

فهرس الموضوعات

٣	القسم الحادى عشر (*) : للتقى وإرادة الواحد
٦	القسم الثانى عشر : إطلاق الجمع وإرادة الواحد
٨	القسم الثالث عشر : إطلاق لفظ التثنية والمراد الجمع
٨	القسم الرابع عشر : التكرار على وجه التأكيد
١١	فوائد التكرير
٢٣	صنيعهم عند استئقال تكرير اللفظ
٣٤	القسم الخامس عشر : الزيادة فى بنية الكلمة
٣٦	القسم السادس عشر : التفسير
٣٨	الجملة التفسيرية
٢٨	القسم السابع عشر : خروج اللفظ مخرج الغالب
٤٠	القسم الثامن عشر : القسم
٤٧	القسم التاسع عشر : إبراز الكلام فى صورة المستحيل ليدل على بنية الجملة
٤٨	القسم العاشر : الاستثناء والاستدراك
٥١	القسم الحادى والعشرون : المبالة
٥٥	الاختلاف فى تقدير المبالة فى الكلام

(*) تابع أقسام التوكيد ، وهو الأسلوب الأول من أساليب القرآن للتدرجة تحت النوع السادس والأربعين ، وأوله فى الجزء الثانى ص ٢٨٢

منحة	
٥٦	القسم الثاني والمشرون : الاعتراض
٦٤	حكم الاعتراض بين واو المطف وما دخلت عليه
٦٤	القسم الثالث والمشرون : الاحتراس
٦٨	القسم الرابع والمشرون : التذيل
٧٠	القسم الخامس والمشرون : التميم
٧٠	القسم السادس والمشرون : الزيادة
٧٥	حروف الزيادة
٧٥	زيادة « إن »
٧٦	زيادة « أن »
٧٦	زيادة « ما »
٧٨	زيادة « لا »
٨٢	زيادة « من »
٨٣	زيادة « الباء »
٨٥	زيادة « اللام »
٩٠	القسم السابع والمشرون : الاشتغال
٩١	القسم الثامن والمشرون : التعليل

الأسلوب الثاني

الحذف .

١٠٣	فصل في أن الحذف نوع من أنواع المجاز على المشهور
١٠٤	فصل في أن الحذف خلاف الأصل

أوجه الكلام على الحذف

صفحة	
١٠٤	الوجه الأول : في فوائده
١٠٤	الوجه الثاني : في أسبابه
١٠٨	الوجه الثالث : في أدلته
١١١	الوجه الرابع : في شروطه
	الوجه الخامس : في أقسامه :
١١٧	١ - الانقطاع
١١٨	٢ - الاكتفاء
١٢٣	٣ - الضمير والتثنية
١٢٤	٤ - الاستدلال بالعمل لشيئين ، وهو في الحقيقة لأحدهما
١٢٦	٥ - أن يقتضى الكلام شيئين وهو في الحقيقة لأحدهما
١٢٦	٦ - أن يذكر شيئان يمود الضمير على أحدهما دون الآخر
١٢٩	٧ - الحذف للقابل
١٣٤	٨ - الاختزال

حذف الاسم

١٣٥	حذف للمبتدأ
١٣٩	حذف الخبر
١٤٣	حذف الفاعل
١٤٦	حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
١٥٢	حذف المضاف إليه
١٥٢	حذف المضاف والمضاف إليه
١٥٣	حذف الجار والمجرور

منحة

١٥٤

حذف الموصوف

١٥٥

حذف الصفة

١٥٦

حذف الممطوف

١٥٧

حذف الممطوف عليه

١٥٨

حذف للبدل منه

١٥٨

حذف الموصول

١٥٩

حذف المخصوص في باب نعم إذا علم من سياق الكلام

١٦٠

حذف الضمير المنصوب المتصل

١٧٠

حذف المفعول

١٧٩

حذف الحال

١٨٠

حذف المنادى

١٨٠

حذف الشرط

١٨١

حذف جواب الشرط

١٨٣

حذف الأجوبة

١٩٢

حذف جواب القسم

١٩٤

حذف الجملة

١٩٦

حذف القول

حذف الفعل

١٩٨

الخاص

١٩٩

العام

٢٠٩

حذف الحرف

٢١٥

فائدة ، في حذف الجار ثم إيصال الفعل إلى المجرور

٢١٦	فصل فيما حذف في آية وأثبت في أخرى
٢٢٠	الإيجاز

القول في التقديم والتأخير

٢٣٣	الفصل الأول : أسبابه
٢٣٨	الفصل الثاني : أنواعه

النوع الأول ما قدم والمعنى عليه (وهو أقسام)

٢٣٩	١ - التقديم بالسبق
٢٤٦	٢ - بالذات
٢٤٧	٣ - بالعلة والسبب
٢٤٩	٤ - بالمرتبة
٢٥١	٥ - بالداعية
٢٥١	٦ - التعظيم
٢٥٢	٧ - الشرف
٢٦٢	٨ - الغلبة والكثرة
٢٦٢	٩ - سبق ما يقتضى تقديمه
٢٦٣	١٠ - مراعاة اشتقاق اللفظ
٢٦٥	١١ - الحث عليه خيفة من التهاون به
٢٦٥	١٢ - لتحقيق ما بعده واستغنائاه عنه في تصويره
٢٦٦	١٣ - الاهتمام عند الخطاب
٢٦٧	١٤ - للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد

صفحة

- ٢٦٨ ١٥ - للتنبيه على أن السبب مرتب
٢٦٨ ١٦ - التنقل
٢٧٠ ١٧ - الترقى
٢٧١ ١٨ - مراعاة الأفراد
٢٧٢ ١٩ - التعذير منه والتنفير عنه
٢٧٢ ٢٠ - التخويف
٢٧٣ ٢١ - التعجب من شأنه
٢٧٣ ٢٢ - كونه أدل على القدرة
٢٧٣ ٢٣ - قصد الترتيب
٢٧٤ ٢٤ - خفة اللفظ
٢٧٤ ٢٥ - رعاية القوامل

النوع الثاني

- ٢٧٥ مما قدم والنية به التأخير

النوع الثالث

- ٢٨٤ ما قدم في آية وأخر في أخرى

أُسلوب القلب

- ٢٨٨ قلب الإسناد
٢٩٢ قلب للمطوف
٢٩٢ العكس
٢٩٣ للمستوى
٢٩٤ مقلوب البعض

٢٩٤	الدرج
٢٩٦	الترقي
٢٩٧	الاقتصاص
٢٩٩	الإلغاز
٣٠٠	الاستطراد
٣٠١	الترديد

التقليب وهو أنواع :

٣٠٢	: تقليب المذكر	الأول
٣٠٣	: تقليب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب	الثاني
٣٠٥	: تقليب الماقل على غيره	الثالث
٣٠٨	: تقليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به	الرابع
٣٠٩	: تقليب الأكثر على الأقل	الخامس
٣١٠	: تقليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس	السادس
٣١١	: مغمور فيما بينهم ، بأن يطلق اسم الجنس على الجميع	
٣١١	: تقليب الموجود على ما لم يوجد	السابع
٣١١	: تقليب الإسلام	الثامن
٣١١	: تقليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه	التاسع
٣١٢	: تقليب الأشهر	العاشر

الالتفات

(وفيه مباحث)

٣١٤	البحث الأول في حقيقته
٣١٤	البحث الثاني في أقسامه :
٣١٥	الأول : من التكلم إلى الخطاب
٣١٦	الثاني : من التكلم إلى الغيبة
٣١٧	الثالث : من الخطاب إلى التكلم
٣١٨	الرابع : من الخطاب إلى الغيبة
٣١٩	الخامس : من الغيبة إلى التكلم
٣٢٢	السادس : من الغيبة إلى الخطاب
٣٢٥	السابع : بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله .
٣٢٥	البحث الثالث في أسبابه
٣٣١	البحث الرابع في شرطه
٣٣٣	البحث الخامس في أنه يقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره
٣٣٨	التضمين
	وضع الخبر موضع الطلب
٣٤٧	في الأمر والنهي
٣٥٠	وضع الطلب موضع الخبر
٣٥٣	وضع النداء موضع التمجيد
٣٥٥	وضع جمع القلة موضع الكثرة
٣٥٩	تذكير المؤنث
٣٦٥	تأنيث المذكر

٣٧٢	التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه
٣٧٧	مشاكلة اللفظ للفظ
٣٧٨	مشاكلة اللفظ للمعنى
٣٨٧	النعت
٣٨٨	الإبدال
٣٩١	المحاذاة
٣٩٣	قواعد في النفي
٣٩٥	نفي الشيء رأساً
	إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المساعدة
٤٠٩	وحسم العناد
٤١١	الإعراض عن صريح الحكم
٤١٢	الهدم
٤١٣	التوسع

التشبيه

(وفيه مباحث)

٤١٤	الأول : في تعريفه
٤١٥	الثاني : في النرض منه
٤١٥	الثالث : في أنه حقيقة أو مجاز
٤١٦	الرابع : في أدواته
٤١٦	الخامس : في أقسامه
٤٢٣	السادس : بنظم قواعد تتعلق بالتشبيه

صفحة

الاستمارة

(وفيها مباحث)

٤٣٣	: هي « استعمال » من العارية	الأول
٤٣٤	: في أنها قسم من أقسام الخجاز	الثاني
٤٣٥	: لا بد فيها من ثلاثة أصول : مستما	الثالث
٤٣٥	ومستمار له	
٤٣٨	: تنقسم إلى مرشحة وتجريدية	الرابع
٤٤٠	: هي فرع التشبيه وأنواعها كأنواعه	الخامس
٤٤٥		التورية
٤٤٦		الفرق بين التورية والاستخدام
٤٤٨		التجريد
٤٥٠		التجنيس
٤٥٥		الطباق

المقابلة

(وفيها مباحث)

٤٥٨		حقيقتها
٤٥٨		أنواعها

أقسامها

٤٦٠	: أن يأتي بكل واحد من المقدمات مع قرينة من التوائ	أحدها
٤٦١	: أن يأتي بجميع التوائ مرتبة من أولها	ثانيها
	: أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع التوائ مرتبة من آخرها	ثالثها

- ٤٦١ رابعا : أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع التوائى مختلفة غير مرتبة
- ٤٦٢ مقابلة الشيء بمثله
- ٤٦٤ تقسيم
- ٤٦٥ قاعدة ، قد يحوى نظم الكلام على غير صورة المقابلة فى الظاهر
- ٤٦٧ رد المجز على العذر
- ٤٦٧ العكس
- ٤٦٨ إجماع الخصم بالحجة
- ٤٧١ التقسيم
- ٤٧٥ التعديل

